# فهرست فهرس

فهرس الكتاب وهو على اربعة اقسام

لمدرس الفوائد

ضمیر بارز مرفوع متصل فعللریلرع تثنیه لرنده مثال ضربا وضربتما
وضربتما ویضربان وتضربان ولیضربا اضربا ولاتضربا
بو فعل تثنیه لرینک الفلری ضمیر مرفوع متصل در
فعللرینک جمع مذکرلرنده واولر مثال ضربوا وضربتم یضربون
وتضربون ولیضربون واضربوا ولاتضربوا ولایضربوا
بو فعل جمعلردن اولان واولر ضمیر مرفوع متصللردر
ضربن وضربتن ویضربن وتضربن ولیضربن
بو جمع مؤنث فعللرینک نونلری ضمیر مرفوع متصل در
مفرد مذکر مخاطب تاسی ومفرد مؤنث مخاطب تاسی اولسون
وفعل ماضی نفس متکلم وحده نک ضمیر بارز متصل التی در
الف واو نون تاء یا ه نا ای ضربنا
اضربی تضربین لاتضربی

مرفوع منفصل هو هما هم هی هما هن انت انتما انتم انت انتما
انتن انا نحن ضمیر منصوب متصل ضمیر مجرور متصل ایله
مشترک ضربه ضربهما ضربهم ضربها ضربهما ضربهن
ضربک ضربکما ضربکم ضربک ضربکما ضربکن ضربنی ضربنا
له لهما لهم لها لهما لهن لک لکما لکم لک لکما لکن لی لنا
ضمیر منصوب منفصل ایاه ایاهما ایاهم ایاها ایاهما
ایاهن ایاک ایاکما ایاکم ایاک ایاکما ایاکن
ایای ایانا

مرفوع متصل
مرفوع منفصل
منصوب متصل
منصوب منفصل
مجرور متصل

هی مرفوع منفصل فتح اوزره مبنی عند البصریین
کسر اوزره مبنی عند الکوفیین
لانها منصوب متصل سکون اوزره مبنی

جولان شمس دن اون بش کون صکره
حزیرانک یکرمی ایکنجی کونی
چهارشنبه کیجه سی
طاغلره درت بارمق
قار یغدی کثرت
مطر قترده واقع
اولدی سنه ١٢٤٤
ربیع الآخر ٦
حرره مفتی زاده
السید محمد غانم
افندی

اسم اسرار التنزیل ولطائف التأویل

دخل فی سلک ملک العبد الفقیر
الی الله الباری... مصطفی المفتی
بن احمد المفتی المدعو ... 
زاده جوری ... زاده

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اكشف لنا بفضلك عن اسرار التنزيل وارزقنا تلاوته اناء الليل والنهار بالترتيل الحمد لله الذي اظهر اثار سلطانه وجلال كبريائه ما حيرت مقل العقول من عجايب قدرته وردع خاطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف السنن الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم بما يمضي وما مضى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى لا اله الا هو له الاسماء الحسنى كان ولا مكان ولا حين ولا اوان ولا وقت ولا زمان ولا ظل ولا غمام ولا هواء ولا هوام ولا انام ولا خلق ولا انام ولا جامد ولا خامد ولا راكد ولا هامد ولا متحرك ولا ساكن ولا ظاهر ولا باطن ولا لوح ولا قلم ولا جسم ولا روح ولا عرش ولا كرسي ولا جن ولا انس ولا خفض ولا رفع ولا ضر ولا نفع ولا طول ولا عرض ولا سماء ولا ارض ولا ليل ولا نهار ولا جنة ولا نار واحد وحداني ليس معه ثان باق لا يبلى دائم لا يفنى عالم لا يلهو حافظ لا يسهو جبار لا يضام عزيز لا يرام حي لا يموت ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت احمده حمد اليق بعلو شانه وباهر برهانه وقديم احسانه وعظيم امتنانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مقرونة بالصدق والصواب مبراة عن الشرك والشبهة والارتياب واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين

الحق

التنزيل ظهور القرآن بحسب الاحتياج بواسطة جبريل عليه السلم على حسب النبي عليه السلام تعريفات

الترتيل رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف وقيل هو خفض الصوت والتحزين بالقراءة تعريفات

١

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى اله واصحابه اما بعد فهذا كتاب نرجو من فضل الله العظيم واحسانه القديم ان يوفقنا لتتميمه وتنقيحه وتهذيبه وتلويحه ورتبناه على اربعة اقسام القسم الاول ما يتعلق بعلم الاصول والثاني ما يتعلق بعلم الفروع والثالث ما يتعلق بعلم الاخلاق وتصفية الباطن والرابع ما يتعلق بالمناجات والدعوات ونسال الله العظيم ان يوفقنا لاتمامه انه خير مامول واكرم مسؤل القسم الاول من هذا الكتاب ما يتعلق بعلم الاصول واعلم ان القرأن العظيم قد دل على ان مقاعد الايمان مبنية على اربعة امور كما قال الله تعالى والمؤمنون كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله ونحن رتبنا علم الاصول على هذه القواعد الاربعة القاعدة الاولى في معرفة الله تعالى واعلم ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا بمعرفة امور خمسة معرفة الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء ونحن جعلنا معرفة الله تعالى مبنية على هذه الاصول الخمسة الباب الاول في معرفة الذات وفيه فصول الفصل الاول في اسرار كلمة لا اله الا الله قال سبحانه لرسوله عليه السلام فاعلم انه لا اله الا الله الاية واعلم انه تعالى قدم الامر بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار والسبب فيه ان معرفة التوحيد اشارة الى علم الاصول والاشتغال بالاستغفار اشارة الى علم الفروع والاصل يجب تقديمه على الفرع فانه ما لم يعلم وجود الصانع امتنع الاشتغال بطاعته وخدمته وهذه الدقيقة معتبرة في ايات كثيرة اولها ان ابراهيم عليه السلام لما اشتغل بالدعاء قدم المعرفة على الطاعة قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقوله هب لي حكما اشارة الى استكمال القوة النظرية بمعرفة الاشياء وقوله والحقني بالصالحين اشارة الى استكمال القوة العملية بالاجتناب عن طرفي الافراط والتفريط فقدم العلم على العمل وثانيها انه تعالى لما اوحى الى موسى

اقسام

لا يستحق العبادة غيري فاعبدني بعبادتك

عليه السلام راعى هذا الترتيب فقال وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا
الله لا اله الا انا فاعبدون فقوله لا اله الا انا اشارة الى علم الاصول وقوله فاعبدنى
اشارة الى علم الفروع وثالثها ان عيسى عليه السلام لما انطقه الله تعالى فى وقت الطفولية قال
قال انى عبد الله اتانى الكتاب فقوله انى عبد الله اشارة الى علم الاصول وقوله اتانى الكتاب
اشارة الى علم الفروع فان الاحتياج فى الكتاب انما يكون فى معرفة الاحكام والشرايع لا فى
معرفة ذات الله تعالى وصفاته ورابعها الاية التى نحن فيها على ما قررناه ولا نزاع ان
افضل الانبياء والرسل هؤلاء الاربعة صلوة الله عليهم اجمعين فلما ثبت
ان الله تعالى قدم الامر بمعرفة الاصول على معرفة الفروع فى حق هؤلاء الانبياء
المكرمة عليهم السلام ثبت ان الحق الصحيح الصريح ليس الا ذلك ومما يؤكد ذلك
وجوه اخرى احدها ان اكثر المفسرين على ان اول ما انزل الله تعالى على محمد عليه السلام
هو قوله اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى
الاية وهذه الاية مشتملة على دلائل التوحيد وذلك ان اظهر الدلائل الدالة على
وجود الصانع الحكيم تولد الانسان من تلك النطفة ثم انه تعالى نبه فى هذه الاية على
لطيفة عجيبة ولا ينبغى شرحها الا فى معرض السؤال والجواب فان قيل فلا بد فى
رعاية النظم بين اجزاء الكلام وههنا ذكر انه تعالى يولد من النطفة فقال الذى خلق
خلق الانسان من علق ثم ذكر بعده انه تعالى علم الانسان ما لم يعلم فاى المناسبة بين هذين
الامرين الجواب ان اخس المراتب وادناها العلقة وذلك لانه يستقذر هكل واحد
واعلى المراتب واشرفها كون الانسان عالما محيطا بحقايق الاشياء كانه قال عبدى
تأمل الى اول حالك حين كنت علقة وهى اخس الاشياء والى اخر حالك حين صرت
ناطقا عالما بحقايق الاشيا وهو اشرف المراتب حتى يظهر لك انه لا يمكن الانتقال
من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الدرجة الشريفة الا بتدبير القادرين واحكم الحاكمين

سبحانه

اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدونى بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل قاضى

يؤكد ذلك وجوه اخر احدها

اظهر الدلائل على وجود الصانع تولد الانسان

لطيفة



وثانيها

سبحانه وتعالى عن قول الظالمين وثانيها انه تعالى فى اول سورة البقرة مدح المؤمنين
من اول السورة الى قوله اولئك هم المفلحون ثم ذم الكافرين فى ايتين اوليهما ان الذين
كفروا الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذم المنافقين فى ثلث عشر اية اولها ومن الناس من
يقول امنا الى قوله يا ايها الناس اعبدوا ثم لما مدح المومنين وذم الكافرين والمنا
فقين كانه قيل هذا المدح والذم لا يستقيمان الا بتقديم الدلائل على اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد فان اصول الاسلام هى هذه الثلثة فلهذا السبب بين تعالى صحة
هذه الاصول الاربعة بالدلائل القاطعة فبدأ اولا باثبات الصانع وتوحيده وبين
ذالك بخمسة انواع من الدلائل اولها انه تعالى استدل على التوحيد بانفسهم واليه الاشارة
بقوله ربكم الذى خلقكم وثانيها باحوال اباءهم واجدادهم واليه الاشارة بقوله والذين
من قبلكم وثالثها باحوال الارض واليه الاشارة بقوله والسماء بناء وخامسها بالاحوال الحادثة
المتعلقة بالسماء والارض واليه الاشارة بقوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم فان السماء كالاب والارض كالام ينزل قطرة المطر من صلب السماء الى رحم الارض
فيولد منها انواع النبات ولما ذكر هذه الدلائل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال فلا تجعلوا
لله اندادا وانتم تعلمون وذلك لان هذه الدلائل تدل على وجود الصانع من وجه
وعلى كونه تعالى واحدا من وجه اخر وانها من حيث انها حدثت مع جواز ان لا يحدث ومع جواز
ان يحدث على خلاف ما حدث يدل على جواز الصانع القادر ومن حيث انها حدثت لا على
وجه الخلل والفساد دلت على وحدة الصانع كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
فلهذا السبب ذكر بعد تلك الدلائل الخمسة لاجل المطلوبين احدهما اثبات الصانع والثانى
اثبات انه واحد كان قوله فلا تجعلوا لله اندادا مشتمل على اثبات الاله وعلى اثبات كونه
واحدا ثم ههنا لطيفة اخرى مرعية فى هذه الاية وهى ان الترتيب الحسن المفيد فى التعليم
ان يقع الابتداء فى التعليم من الاظهر مرتقيا من الاخفى فالاخفى وهذه الدقيقة مرعية فى هذه الاية

وذلك لانه سبحانه قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم فجعل استدلال كل عاقل بنفسه مقدما
على جميع الاستدلالات لان اطلاع كل احد على نفسه اتم من اطلاعه على احوال غيره
فيجد بالضرورة من نفسه انه تارة يكون مريضا وتارة صحيحا وتارة ملتذا وتارة
متألما وتارة شابا وتارة شيخا والانفعال من بعض هذه الصفات الى غيرها ليس باختياره
ولا باختيار احد وايضا كثيرا ما يجتهد في طلب شيء فلا يجده وكثيرا ما يكون غافلا عنه
فيحصل وعند ذلك يعلم كل احد نقض العزائم وفسخ الهمم انه لا بد من مدبر يكون تدبيره فوق
تدبير البشر وربما اجتهد العاقل الزكي في الطلب ولا يجد والغر الغبي يتيسر له ذلك
المطلوب فعند هذه الاعتبارات يلوح له صدق قول الشافعي بيت من الدليل على
القضا وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ويظهر له ان هذه المطالب انما يحصل
ويتيسر بناء على قسمة قسام لا يمكن منازعة ومغالبة كما قال نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا ثم ان مراتب هذه الاعتبارات غير محصورة فتارة كما في قوله امن يجيب
المضطر اذا دعاه واخرى كما في قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار وبالجملة فلما كان
اطلاع كل احد على احوال نفسه اشد من اطلاعه على احوال غيره لا جرم قدم هذا
الدليل على سائر الدلائل ثم هذه المراتب يعلوها مرتبة اخرى وهي علم كل احد باحوال
ابائه واجداده واهل بلدته ثم هذه المرتبة الثانية يتلوها المرتبة ثالثة وهي
علم الانسان باحوال الارض التي مسكن الخلايق فانها مختلفة الاجزاء كما قال وفي
الارض قطع متجاورات وقال ايضا ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود ثم هذه المرتبة الثالثة يتلوها مرتبة رابعة وهي العلم باحوال الافلاك فان بعضها
يخالف البعض في العلو والسفل والصغر والكبر والبطوء والسرعة واختلاف احوال
الكواكب المركوزة فيها كما قال وكل في فلك يسبحون وقال رب المشرق والمغرب وقال رب
المشرقين ورب المغربين وقال ورب المشارق والمغارب وقال والقمر والنجوم مسخرات بامره

وتبارك

وتبارك الذي جعل في السماء بروجا وقال في سورة نوح الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وقال لا الشمس ينبغي لها ان
تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وقال فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس ثم بعد هذه
المرتبة الرابعة مرتبة خامسة وهي الاحوال المنزلة من السماء والارض وهي نزول القطر من صلب
السماء ووقوعه في رحم الارض ثم بعد ذلك يحدث في الارض الواحدة انواع من النبات بحيث يخالف
كل واحد منها صاحبه في اللون والشكل والطعم والخاصية فمنه ما يكون قوتا ومنه ما يكون
اداما ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دواء ومنه ما يكون علفا لساير الحيوانات فذكر
في تفصيل المطعومات قوله انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الى اخره وقال ان الله
فالق الحب والنوى بل اذا نظرت الى ورقة واحدة من اوراق الورد وجدت احد وجهيها في غاية
الحمرة والوجه الاخر في غاية الصفرة مع انها في غاية الرقة وقلة الثخانة ونحن نعلم بالضرورة
ان نسبة تاثير الكواكب وحركات الافلاك والطبايع الى كل واحد من وجهي تلك الورقة
الرقيقة جدا من الورد نسبة واحدة فاختصاص احد وجهي تلك الورقة بالحمرة والاخر بالصفرة
لا بد وان يكون لاجل القادر المختار الذي يفعل بالعلم والقدرة لا بالعلة والطبيعة واذا
عرفت ذلك ظهر لك انه تعالى في ترتيب هذه الدلائل الخمسة وتقديم بعضها على بعض حكمة
حكيما بالغة واسرارا مرعية فسبحان من لا نهاية لعلمه ولا غاية لحكمته ثم انه تعالى لما بين
دلائل اثبات الصانع ووحدانيته اردف هذه المسئلة بمسئلة اقامة الدلائل على نبوة محمد
عليه السلام وهي قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وذلك
لان التحدي وقع بكل القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القرآن الاية فلما عجزوا عن معارضة كل القرآن اتبعه بالتحدي بعشر سور فقال
ههنا قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فلما عجزوا عنه ايضا اتبعه بالتحدي بسورة واحدة
فقال فاتوا بسورة مثله فلما عجزوا عنه ايضا اتبعه بالتحدي باية واحدة فقال فليأتوا

بحديث مثله فلما عجزوا عنه ايضا مع توفر الدواعي ظهر كونه معجزا باهرا و
برهانا قاهرا ثم انه اتبع هذه المسئلة بمسئلة المعاد وهي قوله وبشر الذين امنوا
وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري كانه قيل انا قدمنا مدح المؤمنين وذم الكافرين
فلو لم يكن معاد لم يجد المحسن ثمرة احسانه ولم يجد المسئ عاقبة اساءته لم يكن
ذالك الابقاء بحكمته وهذا هو المراد من قوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى وقال في طه واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية اكاد
اخفيها الاية وقال في ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في
الارض الاية فظهر بما ذكرناه انه تعالى لم يذكر في اول كتابه الا دلائل التوحيد والنبوة و
المعاد وثبت انه لا بد من تقديم الاصول على الفروع فلهذا السبب قدم الله الامر بالتوحيد
على الامر بالاستغفار فقال فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك **الوجه الثالث**
في تقدير هذا الاصل انه تعالى قال في اول سورة النحل ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون فقوله لا اله الا انا اشارة
الى علم الاصول وقوله فاتقون اشارة الى علم الفروع **الوجه الرابع** ان موسى عليه
السلام لما ادعى الرسالة عند فرعون قال له فرعون وما رب العالمين يعني رسالتك
متفرعة على اثبات ان للعالم الها فما الدليل عليه ثم ان موسى عليه السلام لم ينكر عليه هذا
السؤال بل اشتغل بذكر الدلائل على وجود الصانع فقال ربكم ورب ابائكم الاولين فاستدل
على وجود الصانع اولا باحوال نفسه وثانيا باحوال ابائه وهو نظير قوله في سورة
البقرة اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم فظهر بما ذكرنا وجوه الفائدة فانه تعالى
ذكرا ولا في قوله فاعلم انه لا اله الا الله وذكر ثانيا واستغفر لذنبك والله اعلم بحقايق
كتابه فهذا ما يتعلق بالدلائل القرانية الدالة على تقديم علم الاصول على علم الفروع ولنؤكد
هذه الوجوه بعشرة اوجه اخرى **الاول** وهو ان اشرف العلم بشرف المعلوم ومهما كان المعلوم

اشرف

مسئلة المعاد

فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك اي اذا
علمت سعادة المؤمنين
وشقاوة الكافرين
فاثبت على ما انت عليه من العلم
بالوحدانية وتكميل النفس
باصلاح احوالها وافعالها
وهضمها بالاستغفار لذنبك
قاضي

بعلمه كتابه نسح

ولنأكد بعشرة اوجه اخر



اشرف كان العلم الحاصل اشرف فلما كان اشرف ذات الله تعالى وصفاته وجب ان يكون
توحيده اشرف **الحجة الثانية** ان العلم اما ان يكون دينيا او غير ديني ولا شك ان العلم
الديني اشرف من غير الديني واما العلم الديني واما العلم الديني فاما ان يكون علم الاصول
او ما عداه اما ما عدا علم الاصول فان صحته موقوفة على صحة علم الاصول لان المفسر انما
يبحث عن معنى كلام الله تعالى وذلك معرفة الصانع المختار المتكلم واما المحدث فانه يبحث
عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فرع ثبوت نبوته والفقيه انما يبحث عن احكام
الله تعالى وذلك ثبوت التوحيد فثبت ان هذه العلوم باسرها مفتقرة الى علم الاصول
وظاهر ان علم الاصول غني عنها باسرها فوجب ان يكون علم الاصول اشرف **الحجة الثالثة**
ان اشرف الشيء قد يظهر بواسطة خسة ضده فلما كان ضد الشيء اخس كان هو اشرف
ولا شك ان ضد علم الاصول هو الكفر والبدعة وهما من اخس الاشياء فوجب ان يكون علم
الاصول من اشرف العلوم **الحجة الرابعة** ان اشرف العلم تارة يكون لشرف موضوعه وتارة
لشدة الحاجة اليه وتارة لقوة براهينه ودلائله وذلك لان علم الهيئة اشرف من علم الطب
نظرا الى ان موضوع علم الهيئة اشرف من موضوع علم الطب وان كان علم الطب اشرف من حيث
ان الحاجة الى الطب اشد وعلم الحساب اشرف منهما من حيث ان براهين هذه العلوم
اقوى وعلم الاصول مجتمع لهذه الخصال اما شرف الموضوع وذلك لان المبحوث عنه ذات الله
وصفاته وقدرته وعظمته فلا شك انه اشرف واما شدة الحاجة اليه فظاهر اما في الدين
واما في الدنيا اما في الدين فلان من عرف هذه المطالب استحق الثواب العظيم ويخلص من
العقاب العظيم وصار في زمرة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين ومن جهلها صار
محروما من الثواب العظيم مستوجبا للعقاب الاليم وصار من زمرة الابالسة والشياطين وبقي
في دركات الضلال ابد الابدين ودهر الداهرين واما في الدنيا فلان معظم مصالح العالم
انما ينتظم بسبب الرغبة في الثواب والرهبة من العقاب والا لوقع الهرج في العالم واما قوة

براهين هذا العلم فلان براهينها مركبة من المقدمات البديهية الضرورية وهي اقوى
العلوم والمعارف فثبت ان علم الاصول مستجمع لجميع جهات الشرف فوجب ان يكون اشرف
العلوم **الحجة الخامسة** ان هذا العلم لا يتطرق اليه النسخ والتغيير ولا يختلف باختلاف
النواحي والامم بخلاف ساير العلوم فوجب ان يكون اشرف العلوم **الحجة السادسة** ان الانسان
لا يكون من اهل النجاة والدرجات الا مع هذا العلم وقد يكون من اهل النجاة بان لم يتعلم شيئا
من الفقه اصلا والبتة اما انه لا بد في النجاة من علم الاصول لان الجاهل بالله البتة لا يكون من
اهل النجاة بالاجماع واما انه قد تحصل النجاة بدون الفقه فلان الانسان قبل البلوغ لا يكون
مكلفا بشيء من الاعمال فاذا بلغ وقت الضحوة ففي هذه الساعة لم يجب عليه شيء من الصلوة
والزكوة والصيام وساير العبادات فلو مات في هذه الساعة مع المعرفة والتوحيد لقي الله
مؤمنا حقا ولو قدرنا ان هذا الذي بلغ كانت مراة ثم كما بلغت حاضت وبقيت فاذا
انقضى زمان حيضها ماتت فهي قد لقيت حضرة الله تعالى مؤمنا حقا فعلمنا ان النجاة
والثواب والدرجات لا يتوقف على الفقه وهي موقوفة على معرفة الاصول **الحجة السابعة** ان
الايات المشتملة على دلائل علم الاصول ارفع من الايات المشتملة على دلائل علم الفروع بدليل انه
جاء في فضيلة قل هو الله احد وامن الرسول واية الكرسي وشهد الله ما لم يجئ مثله في
فضيلة قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض واحل الله البيع يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم
بدين ولذلك ترى ان الزهاد والعباد يواظبون في شريف الاوقات على قراءة هذه الايات
المشتملة على البينات دون الايات المشتملة على هذه الاحكام **الحجة الثامنة** ان الايات الواردة في الاحكام
الشرعية اقل من ستمائة اية واما البواقي ففي بيان التوحيد والرد على عبدة الاوثان و
اصناف المشركين وفي اثبات النبوة والمعاد ومسألة القضاء والقدر واما الايات الواردة في
القصص منها اما التوحيد واما النبوة اما التوحيد فهي الاستدلال بها على قدرة الله وحكمته
كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب واما على النبوة فمن وجهين الاول بالفاظ مختلفة

كما قال



كما قال في سورة الشعراء بعد ذكر القصص وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
ووجه الاستدلال به انه عليه السلام لما لم يتعلم علما ولم يقرأ كتابا ولم يتلمذ استاذا امتنع منه
رواية هذه القصص الا عن وحي الله تعالى وتنزيله والثاني انه يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة
بالفاظ مختلفة وكل ذلك متشابهة في الفصاحة مع ان الفصيح اذا ذكر قصة واحدة مرة بالالفاظ
عجز عن ذكرها بعينها مرة اخرى بالالفاظ الفصيحة فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله
تعالى لا من البشر فدل هذا على ان معظم القرأن في علم الاصول فلنشرع في انواع الدلائل اما الدلائل
التوحيد فتارة باختلاق الانسان من النطفة والله تعالى ذكر هذا الدليل في القرأن اكثر من ثمانين
مرة وتارة بدلائل الافاق وهي احوال السماء والارض والهواء والنبات والحيوان وهو اظهر من ان
يحتاج الى الشرح واما الدلائل الدالة على الصفات فنقول اما الذي يدل على العلم فكقوله ان
الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ثم اردفه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء فهنا هو دليل المتكلمين فانهم يستدلون باحكام الافعال واتقانها على علم
الفاعل فهنا استدل سبحانه بتصوير الصور في ظلمات الارحام على كون الفاعل عالما وقال
ايضا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وهو غني عن تلك الدلالة وقال وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها الا هو وهذا تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المعلومات لانه تعالى يخبر عن المغيبات
فيقع تلك الاشياء على وفق ذلك الخبر وذلك يدل على كونه تعالى عالما بالمغيبات واما صفة
القدرة فكل ما ذكر الله تعالى في القرأن من الثمار المختلفة والحيوانات المختلفة مع استواء
تأثير الطبايع والافلاك فانه يدل على صفة القدرة ويجيء الاستقصاء في هذه الدلائل
القرأنية **الحجة التاسعة** انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء عليهم السلام انهم كانوا طول عمرهم
مشتغلين بهذه الدلائل ولنذكر ما يستدل على المقصود اما الملائكة فانهم لما قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء كان المراد ان خلق امثال هؤلاء سبب للشر والفتنة وذلك قبيح و
الحكيم لا يفعل القبيح فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون والمعنى والله اعلم اني لما كنت قد علمت

مناظرة الله

في خلقهم وايجاد حكمة لا تعلمونها انتم فلما سمعوا ذلك سكتوا واما مناظرة الله مع ابليس
فالقرآن ناطق بها واما الانبياء عليهم السلام فاولهم ادم عليه السلام وقد اظهر الله تعالى الحجة
على فضله بان اظهر علمه على الملائكة وذلك محض الاستدلال واما نوح عليه السلام فقد حكى
الله عن الكفار انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومعلوم ان مجادلة الرسول مع
الكفار لا تكون في تفاصيل الاحكام الشرعية فلم يبق الا انها كانت في التوحيد والنبوة وايضا
انه عليه السلام لما امرهم بالاستغفار في قوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ففي الحال
ذكر ما يدل على التوحيد المرة وكيف خلق الله سبع سموات طباقا الاية واما ابرهيم
عليه السلام فاشتغاله في شرح احواله في هذا الباب يطول وله مقامات احدها مع نفسه وهو قوله
فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الى اخر الايات وهذه طريقة المتكلمين فانه استدل
بافولها وتغيرها على حدوثها ثم استدل بحدوثها على وجود محدثها كما اخبر الله تعالى عنه في قوله
يا قوم اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ثم انه تعالى عظم شأنه
بسبب ذلك الافعال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء وايضا
في وقت دعائه ما هو محض الاستدلال وهو قوله الذي خلقني فهو يهدين الى اخر الاية وثانيها
حال ابرهيم عليه السلام مع ابيه وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الى اخر الايات
وثالثها حاله مع قومه تارة بالقول واخرى بالفعل اما القول فهو قوله ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون واما بالفعل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ورابعها حاله مع ملك
زمانه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت الى اخر الاية فهذا كله مباحثة ابرهيم عليه السلام في معرفة
المبدأ واما بحثه في معرفة المعاد فهو كقوله رب ارني كيف تحيي الموتى الخ واما موسى عليه السلام
فانظر الى مباحثته مع فرعون واعلم ان موسى عليه السلام علم ما كان يقول في الاستدلال على دلائل
ابرهيم وذلك لانه تعالى حكى في سورة طه ان فرعون قال له فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه ثم هدى هذا هو الدليل الذي ذكره ابرهيم عليه السلام حين قال الذي خلقني فهو يهدين

ثم حكى



ثم حكى عن موسى في سورة الشعراء انه قال لفرعون ربكم ورب ابائكم الاولين وهذا هو
الذي عول عليه ابراهيم عليه السلام في قوله ربي الذي يحيي ويميت فلما لم يكتف فرعون بذلك
وطالبه بدليل اخر قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وهذا هو الذي عول عليه ابرهيم
في قوله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب وهذا ينبهك على ان التمسك
بهذه الدلائل حرفة هؤلاء الانبياء عليهم السلام ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تقرير دلائل
التوحيد ذكر بعده دلائل النبوة فقال اولو جئتك بشيء مبين وهذا يدل على انه عليه السلام
فرع بناء النبوة على بناء التوحيد والمعرفة واما سليمان عليه السلام فله مقامان احدهما اثبات
التوحيد والاخر في اثبات النبوة اما المقام الاول في اثبات التوحيد فهو قوله تعالى حكاية عن الا
يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات الاية وهذه الاية دالة على وصف الله تعالى بالعلم
والقدرة واما القدرة فقوله يخرج الخبء في السموات والارض وسمى الخبء بالمصدر وهو يتناول
جميع الارزاق والاموال واخراجه من السماء بالغيث ومن الارض بالنبات وتقريره ما قدمنا واما
العلم فيدل على ثبوته قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون واعلم ان المقصود من هذا الكلام الرد على من
يعبد الشمس وتلخيص الدلالة على قانون الجدل على وجهين الاول الاله يجب ان يكون قادرا على
اخراج الخبء ويكون عالما بالخفيات والشمس ليست كذلك فهي لا تكون الها اما انه سبحانه يجب ان
يكون عالما على الوجه المذكور فكما انه يجب وجب الوجود لذاته فلا يختص قدرته ببعض المقدورات
وبعض المعلومات دون بعض واما ان الشمس ليست كذلك فانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا
في الذات كان متناهيا في الصفات واذا كان كذلك امتنع ان يكون الشمس قادرة على اخراج الخبء
وعالمة بالخفيات واذا لم يعلم من حالها او كونها قادرة على جلب المنافع ودفع المضار فرجع ماحصل
هذا الدليل الى ما ذكره ابراهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا الوجه الثاني
ان هذا اشارة الى دليل ابرهيم فقوله ربي الذي يحيي ويميت الى اخر الاية وبيانه انه سبحانه وتعالى هو الذي
يخرج الشمس من المشرق الى المغرب بعد افولها فلهذا هو المراد باخراج الخبء في السموات وهو المراد من قوله

ابراهيم لا احب الافلين وعن قوله ان الله يأتي بالشمس من المشرق وعن قول موسى رب المشرق
والمغرب وحاصل الكلام يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير مدبر
قاهر فكانت العبادة لقاهرها ومدبرها والمتصرف فيها اولى واما اخراج الخبء من الارض فالمراد
منه اخراج النطفة من بين الصلب والترائب وهو المراد من قول ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت ومن
قول موسى ربكم ورب ابائكم الاولين فان قيل ان ابراهيم وموسى عليهما السلام قدما دليل النفس
على دلائل الافلاك فان ابراهيم قال اولا ربي الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله يأتي بالشمس من المشرق
وموسى عليه السلام قال اولا ربكم ورب ابائكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب فلم عكس هذا
الترتيب فقدم دلائل السموات على دلائل الانفس فقال الله الذي يخرج الخبء في السموات والارض
قلنا ان ابراهيم وموسى عليهما السلام كانت مناظرتهما مع من ادعى الالهية للبشر فان
نمرود وفرعون كل واحد منهما يدعي الالهية فلا جرم ابتدأ ابراهيم وموسى عليهما السلام بابطال
الهية البشر ثم انتقلا الى ابطال الهية الافلاك والكواكب واما سليمان عليه السلام فانه كانت
مناظرته مع من يدعي الهية الشمس فان الهدهد قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله فلا جرم ابتدأ بذكر السموات ثم بذكر الارضيات ثم ان سليمان عليه السلام لما تمم دلائل
التوحيد قال بعده لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد انه لما بين افتقار السموات والشمس
وسائر الكواكب الى مدبر خالق ذكر بعد ذلك ان كل ما كان جسما فهو مخلوق ومربوب سواء كان
عظيما او صغيرا فقال لا اله الا هو رب العرش العظيم فهذا مقام سليمان عليه السلام في تقرير دلائل
التوحيد واما المقام الثاني في النبوة فهو كقوله تعالى حكاية عنه قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني
بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك الى
قوله هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر واعلم ان كثيرا من الناس قالوا ان ذلك
الشخص الذي قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك هو غير سليمان وظنوا ان الكاف
في قوله اتيك خطاب مع سليمان عليه السلام وعلى هذا التقدير لا بد وان يكون ذلك القائل غير سليمان

الا ان



الا ان هذا ضعيف بل الصحيح عندنا ان الآتي بذلك العرش هو سليمان عليه السلام وذلك لانه
عليه السلام انما قال ايكم يأتيني بعرشها على سبيل التحدي فقال العفريت انا اتيك به قبل ان تقوم من
مقامك فقال سليمان عليه السلام للعفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فهذا الكلام من
سليمان للعفريت تقرير للتحدية التي ذكره اولا وكسر للعفريت واظهار للمعجزة والذي يدل عليه
وجوه الاول ان سليمان عليه السلام كان قد ذكر دلائل التوحيد اولا فافتقر بعد ذلك الى تقرير
دلائل النبوة مع بلقيس فان سليمان عليه السلام كان قد كلفها الاقرار بالتوحيد والنبوة فلما ذكر دلائل
التوحيد وجب عليه ان يذكر بعد ذلك دلائل النبوة وهذا معجز دال على النبوة فوجب جعله معجزا
لسليمان عليه السلام حتى يتم الدليل الثاني ان لفظ الذي موضوع في اللغة للاشارة الى شخص معين عند
محاولة تعريفه بقصة معلومة والشخص المعروف بانه عنده علم من الكتاب هو سليمان قال تعالى ففهمناها
سليمان وقال وورث سليمان داود فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب ان اصف كان ايضا عالما بالكتاب
الا ان سليمان كان اعرف من اصف لانه الرسول اعرف بكلام الله من غيره فكان صرف هذا اللفظ الى سليمان
اولى الثالث ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصل لاصف دون سليمان
عليه السلام لاقتضى ذلك تفضيل اصف على سليمان وانه غير جائز الرابع ان سليمان عليه السلام لو افتقر في
هذا الغرض الى اصف لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في اعين الخلق الخامس ان سليمان عليه السلام قال
هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر وظاهره يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله بدعاء سليمان
عليه السلام فهذا ما يتعلق باشتغال سليمان بتقرير التوحيد والنبوة اما عيسى عليه السلام فانه اول ما تكلم
شرح امر التوحيد فقال اني عبد الله وشهادة حاله كانت دالة على صدق مقالته وهذه الكلمة الواحدة
كانت جامعة لكل المقاصد اما دلالتها على التوحيد فلان انطاق الطفل في زمان الطفولية لا يتأتى
الا من الاله القادر على كل المقدورات واما دلالتها على النبوة فلان اختصاصه بهذا الفعل الخارق
للعادة دال على النبوة واما دلالتها على براءة امه عن طعن اليهود فلانه لا يليق بحكمة الحكيم
تخصيص ولد الزنا بهذه الرتبة العالية والدرجة الشريفة ثم انه عليه السلام بعد هذه الكلمة الوافية

بتقرير كل الاغراض انتقل الى بيان الشرايع اتاني الكتاب وجعلني نبيا واما محمد صلى
الله عليه وسلم فان اشتغاله بتقرير دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من ان يحتاج فيه
الى مزيد تقرير وذلك لانه عليه السلام كان مبتلا بالرد على جميع الفرق من الكفار فالاول
الدهرية الذين كانوا يقولون وما يهلكنا الا الدهر فالله تعالى ابطل قولهم بانه خلق الدهر
والزمان والثاني الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى ابطل قولهم بحدوث انواع النبات
واصناف الحيوان مع اشتراك الكل في تأثير الطبايع والافلاك والثالث الذين اثبتوا شريكا
مع الله تعالى وذلك الشريك اما ان يكون علويا او سفليا والشريك العلوي فمنهم من اثبت ان
ذلك الشريك هو الكوكب والشمس والقمر والله تعالى ابطله بدليل الخليل وهو قوله لا احب
الافلين ومنهم من قال هو النور والظلمة والله تعالى ابطله بقوله الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور ومنهم من قال انه يزدان واهرمن والله تعالى ابطله بقوله لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وبقوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وبقوله ولعلا بعضهم على
بعض واما الشريك السفلي فمنهم من قال بالهية المسيح والله تعالى ابطله بقوله لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ومنهم من قال انه الوثن والله تعالى ابطله بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق والرابع
الذين طعنوا في النبوة وحكى الله تعالى فيهم قولهم ابعث الله بشرا رسولا ثم انه تعالى رد عليهم بقوله
اهم يقسمون رحمة ربك والخامس الذين طعنوا تارة بانه لا فائدة فيه والله تعالى رد عليهم بقوله
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها واخرى بان الحق هو الجبر وهو ينافي صحة التكليف
وانه تعالى اجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والسادس الذين سلموا اصل النبوة وطعنوا في نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مملوء من الرد عليهم ثم طعنهم كان من وجوه تارة بالطعن في القرآن
من حيث انه مشتمل على ذكر الحيوانات الخسيسة من البعوضة والنملة والذبابة فاجاب الله عنه بقوله
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة وتارة بان القرآن سحر فاجاب الله تعالى بقوله
فاتوا بسورة من مثله وتارة بالتماس سائر المعجزات وهو قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض

ينبوعا

واما محمد صلى الله عليه وسلم

الدهرية

في فرق الكفر

الطاعنين في القرآن وطعون

ينبوعا فاجاب الله عنه بان الدليل لما تم لم يبق لاقتراح في الزيادة فائدة وهو قوله قل سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا وتارة بان هذا القرآن نزل نجما نجما وذلك بطريق التهمة فاجاب الله
عنه بقوله لنثبت به فؤادك وتارة بانه يحتمل ان يكون هذا القرآن من القاء الجن والشياطين كما
في حق الشعراء فاجاب الله تعالى له هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم والسابع
الذين انكروا الحشر والنشر والقرآن مملوء من الرد عليهم فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الاشتغال بدلائل
التوحيد والنبوة حرفة جميع الانبياء عليهم السلام **الحجة العاشرة** اعلى نهاية شرف هذا العلم
قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الاية وليس المراد منه المجادلة في فروع
الشرايع لان من انكر نبوته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الاحكام ومن اثبت نبوته فلا يخالف
فعلمنا ان هذا الجدال المامور به كان في تقرير مسائل الاصول واذا ثبت هذا في حق الرسول ثبت في حق
امته لقوله تعالى حكاية عنه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ولقوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي **الحجة الحادي عشر** قوله تعالى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وذلك يقتضي ان الجدال مع العلم لا يكون
مذموما وايضا حكى الله عن قوم نوح انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومن المعلوم
ان ذلك الجدال ما كان الا في تقرير دلائل الاصول واذا ثبت بهذه الايات ان الجدال في تقرير الدلائل يحسن
ثبت ان المراد من قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون محمول على ذم الجدال في تقرير
الباطل **الحجة الثانية عشر** انه تعالى امرنا بالنظر فقال افلا يتدبرون القرآن افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها
اولم ينظروا في ملكوت السموات **الحجة الثالثة عشر** انه تعالى ذكر التفكر في معرض المدح فقال ان
في ذلك لايات لاولي الالباب ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وايضا ذم المعرضين فقال وكاين
من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال لهم قلوب لا يفقهون بها الاية
**الحجة الرابعة عشر** انه تعالى ذم التقليد فقال حكاية عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وانا على

آثارهم مقتدون وقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا وقالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
وقالوا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وقال في والد إبراهيم عليه السلام لئن لم تنته
لأرجمنك واهجرني مليا كل ذلك يدل على وجوب النظر وفساد التقليد الحجة الخامسة عشر أنه تعالى
حكى عنهم أنهم سألوا محمدا عليه الصلوة والسلام عن أمور كقوله ويسألونك عن الأنفال فذكر في هذه
الموضع قل كذا وكذا الآية واحدة وهي أنهم سألوا عن مسئلة أصولية وهو قوله ويسألونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فههنا ذكر حرف التعقيب يعني يا محمد اذكر هذا الجواب في الحال لأن هذه
مسئلة أصولية فلا يجوز تأخير الجواب عنها إلى وقت الحاجة فصار ثبت بمجموع هذه الدلائل و
جوب تقديم علم الأصول على علم الفروع فلا جرم قال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك
قدم الأمر بمعرفة التعريف على الأمر بالاستغفار **الفصل الثاني** في فوائد كلمة لا إله إلا الله الفائدة
الأولى أن هذا الذكر لما كان أفضل الأذكار في العدو ولما جاءته المحنة فزع إليه والمولى لما
جاءته المحنة فزع إليه أما العدو فلان فرعون لما قرب من الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي
آمنت به بنوا إسرائيل والمعنى أنه لا إله يقدر على أن يجعل النار دعة كما في حق إبراهيم عليه السلام
قال تعالى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين والمعنى لا إله إلا أنت
فإنك أنت الذي تقدر على حفظ الإنسان حيا في بطن الحوت ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة
فإن قيل كل واحد منهما نادى فلم قبل نداء أحدهما ولم يقبل نداء الثاني قلنا الفرق من وجوه
الأول أن يونس عليه السلام كان قد سبقت له المعرفة مع هذه الكلمة فسبق الكلمة إعانة على قبولها
منه وأما فرعون فقد تقدمت له سبق النكرة وذلك لأن الذي تقدم له النداء إلى نفسه كما قال
فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى وأما يونس فقد كان ينادي الله تعالى جل جلاله ولا تكن كصاحب
الحوت إذ نادى وأيضا فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون وهذا ينبهك
على أن من حفظ الله في الخلوات يحفظه في الفلوات الثاني أن يونس عليه السلام إنما ذكر هذه الكلمة مع
الحضور فقال لا إله إلا أنت وكان في الحضور والشهود وأما فرعون فإنه قالها عن الغيبة فقال

آمنت

لأن ذلك يقدح في الإيمان وأما المسائل فهي فرعية فلا يكون تأخير الجواب عنها صح

ولذلك عدل إلى الغائب في حقه إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل [illegible] وكما في حق يونس عليه السلام ح

آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل فأحال العلم بحقيقة هذه الكلمة على الغير لأن
فرعون ذكر هذه الكلمة على سبيل التقليد لبني إسرائيل فقال آمنت أنه لا إله إلا الذي
آمنت به بنوا إسرائيل وأما يونس عليه السلام فإنه إنما ذكرها على سبيل الاستدلال مع العجز والانكسار
القلب وذلك لأنه قال فنادى في الظلمات فحصل له العجز والانكسار بسبب تلك الظلمات ثم
بعده قال سبحانك إني كنت من الظالمين فحصل له العجز والانكسار بسبب الزلة فلما كانت
هذه الكلمة مسبوقة بالعجز والانكسار ملحوقة بهما لا جرم صارت مقبولة لقوله تعالى أمن
يجيب المضطر إذا دعاه والرابع أن فرعون إنما ذكر هذه الكلمة لا للعبودية بل لطلب
الخلاص من الغرق بدليل قوله فلما أدركه الغرق قال آمنت وأما يونس عليه السلام فهو إنما
قالها لما حصل له غم وانكسار بسبب التقصير في الطاعة والعبودية بدليل قوله بعده سبحانك
إني كنت من الظالمين فظهر الفرق من هذه الوجوه **الفضيلة الثانية** لهذه الكلمة أنه تعالى
أمرك بطاعة كثيرة من الصلوة والصيام والزكوة والحج ويستحيل أن يكون موافقا لك
في شيء منها ثم أمرك بأن تقول لا إله إلا الله ثم أن الله تعالى يوافقك فيها فقال شهد الله
أنه لا إله إلا هو إلى قوله لا إله إلا هو العزيز الحكيم والمقصود من التكرير وجهان الأول
أن يكون العبد مواظبا على تكريرها طول عمره الثاني كأنه قال عبدي جعلت هذه الكلمة
أول الآية وآخرها فاجعلها أنت أيضا أول عمرك وآخره حتى تفوز بالنجاة والسلامة وههنا
نكتة ثلثة الأولى أنه تعالى جعلك ثالث نفسه في هذه الآية وكفاك هذا فخرا الثانية
روي أن يوسف عليه السلام أراد أن يتخذ وزيرا فجاء جبرائيل عليه السلام وقال إن الله يأمرك
أن تتخذ فلانا وزير الملك فنظر إليه يوسف عليه السلام وكان في غاية الدناءة فسأل جبرائيل
عليه السلام عن السبب فقال إن له عليك حق الشهادة لأنه هو الذي شهد لك أن كان قميصه قد من قبل
الآية والإشارة أن من شهد لمخلوق وحد وجده وزارته في الدنيا فمن شهد الله بالتوحيد
والجلال لا يجد منعه ورحمته في العقبى الثالثة أن في الحديث أن لله ملائكة [illegible]

عند تأمين الامام فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له الحديث والاشارة ان من وافق
تأمينه تأمين الملك مرة واحدة صار مغفورا فمن وافقت شهادته بوحدانية الله شهادة
الله الف مرة الا تصير مغفورا الرابعة انه تعالى سماك وقت التخليق مختارا قال وربك
يخلق ما يشاء ويختار وفى موضع الذنب جاهلا انه كان ظلوما جهولا وفى موضع الرزق
دابة وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وفى وقت الطاعة اجيرا اليوم فيهم اجورهم
وعند الشهادة عالما والملائكة واولوا العلم ثم ان العلم افضل الدرجات وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والغرض منه التنبيه على الدرجات فانت من حيث انى
خلقتك مختارى فلك درجة موسى حيث قلت قال وانا اخترتك وحين اذنبت فانت
جاهل والجهل عذر من بعض الوجوه وحين تشتغل بطلب الرزق فكالبهيمة لانك لا
لا يكفيك برزقك مما هو مقدر لك يصل اليك وما ليس مقدرا لك لا يصل اليك فكان
الطلب عديم الفائدة فكان تشبيه افعال البهائم وحين تشتغل بالعمل كنت كالاجير وكل
ذلك درجات نازلة اما حين تشتغل بالشهادة والتوحيد فانت من العلماء والغائصين
فى لجة بحر التحقيق والتوحيد وبلغت الغاية القصوى فى المنقبة والشرف كما قال يرفع
الله الذين امنوا الاية الخامسة قال تعالى لموسى عليه السلام وما تلك بيمينك وفى هذه الآية
على العصا وعلى اليد اما العصا فقوله وما تلك واما اليد فقوله بيمينك فصار العصا فى قوة
هذه الاشارة تلقف حبال السحرة وعصيهم وصارت اليد بيضاء وادخل يدك فى جيبك الاية
وكلمة لا اله الا الله وهى صفة وحدانيته وفردانيته وجلاله وعزته الا تستقل بافناء آثار
العصيان عن قلب العبد واثارت به وجه نور المعرفة والهداية السادسة عصا موسى عليه
السلام اخرج من الجنة فبطل عصا السحرة عندها فهذه الكلمة انما ظهرت من شجرة العزة
والربوبية والعظمة فنرجوا ان يبطل الذنوب عندها السابعة حكى عن الحجاج انه امر بقتل
رجل فقال لا تقتلنى حتى تأخذ بيدى وتمشى معى فاجابه اليه فقال الرجل بحرمة صحبتى معك

فى هذه



فى هذه الساعة ان لا تقتلنى فعفا عنه فههنا وقعت للمؤمن صحبة مع الله الكريم
فى هذه الشهادة فنرجوا ان يغفر الله له الثامنة وجد المؤمن بهذه الشهادة ابوة
ابراهيم قوله ملة ابيكم ابراهيم وامومية ازواج النبى عليه السلام وازواجه امهاتهم
واخوة المؤمن انما المؤمنون اخوة واستغفار الانبياء واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤ
منات واستغفار الملائكة ويستغفرون للذين امنوا وشفيعا مثل محمد عليه السلام
شفاعتى لاهل الكبائر من امتى ومشاركة فى الاسم المؤمن المهيمن بمعنى الشاهد الصادق
فقد نبهنا اليك عند هذه التشريفات افترى انه يجد رحمة الرحمن وكرم اكرم الاكرمين
التاسعة حكى انه عرض على نصر بن احمد عسكره وكان يسأل عن اسماء الرجال فيجيبونه
فسأل واحدا عن اسمه فسكت لانه سميه ففطن لذلك واعطاه خلعة جسيمة فاذا
كان حال من سمى الملك ذلك فكيف من كان سميه وفى الخبر يؤتى برجل يوم القيمة اسمه
محمد فيقول الله تعالى اما استحييت ان عصيتنى وانت سمى حبيبى فانا استحيى ان اعذبك
وانت سمى حبيبى فاذا كان لا يعذب سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرجو من فضله ان
لا يعذب سمى نفسه وهو المؤمن الفضيلة الثالثة لهذه الكلمة ان كل طاعة فانه يصعد
الكلم الطيب ثم قال والعمل الصالح يرفعه اى العمل الصالح يرفعه الملك الى الله تعالى هكذا
قاله بعضهم الفضيلة الرابعة قول بعضهم الحكمة فى قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت لان يوم القيمة لا اله الا الله فيمحق من ذلك النور نور الشمس والقمر لان تلك
الانوار مجازية عرضية ونور لا اله الا الله نور ذات واجب الوجود لذاته والمجاز يبطل فى مقابلة
الحقيقة فلا جرم يبطل كل نور فى مقابلة هذا النور بل يبطل كل وجود فى مقابلة هذا الوجود
كما قال كل شىء هالك الا وجهه الفضيلة الخامسة ان جميع الطاعات زوال يوم القيمة مثل
الصلوة والصوم والحج فان التكاليف الظاهرة تزول فى عالم القيمة اما طاعة التهليل والتحميد
فلا تزول عنهم وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على انهم مواظبون على الحمد والمواظبة

يوم القيمة

الملك بها اما قوله لا اله الا الله فانه يصعد بنفسه
دليله قوله اليه يصعد

على الحمد توجب المواظبة على الذكر والتوحيد وانما قلنا انهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى
حكاية عنهم وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده دعويهم ان الحمد لله رب العالمين لا اله
الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة فثبت انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد مواظبة على
الذكر لا محالة فعلمنا ان جميع العبادات تسقط عن اهل الجنة الا طاعة الذكر والتوحيد
والتحميد **الفضيلة السادسة** ما روى فى الاثار انه قال اذا قال العبد لا اله الا الله فانه
سبحانه يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الارض قال المحققون السبب فى
ذلك انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد رد على كل كافر اثبت لله ضدا وندا وشريكا
فلا جرم استحق الثواب بعددهم **الفضيلة السابعة** قال السدى فى قوله تعالى حم عسق الحاء حكمه
وحلمه وحجته والميم ملكه ومجده والعين عظمته وعلمه وعدله وعزته والسين سناؤه
وسره والقاف قهره وقدرته يقول الله عز وجل بحلمى وبحكمى وحجتى وملكى ومجدى وعظمتى
وعزتى وعلمى وعدلى وعزتى وسنائى وسرى وقدرتى وقهرى لا اعذب فى النار ابدا
من قال لا اله الا الله **الفضيلة الثامنة** قيل اذا كان اخر الزمان فليس لشىء من الطاعات
فضل كفضل لا اله الا الله لان صلواتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة وصدقاتهم
يشوبها الحرام والاخلاص فى شىء منها اما كلمة لا اله الا الله فهى ذكر الله والمؤمن لا يذكرها
الا عن صميم القلب **الفضيلة التاسعة** الاحاديث الواردة فى فضل هذه الكلمة فالاول قوله
عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله والثانى عن ابن عمر رضى الله
عنهما انه عليه السلام قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة فى الموت ولا عند النشر وكانى انظر
الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن الثالث حكى ان المأمون لما انصرف من مكة يريد العراق واجتاز بنيسابور
جلس على مقدمة على بن موسى الرضا فقام اليه قوم من المشايخ رحمهم الله وقالوا نسألك
بحق قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه

عن



لا اله الا الله حصنى

عن ابائه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى انه قال كلمة لا اله الا الله
حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال يفتح الله ابواب الجنة وينادى مناد من تحت العرش ايها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن انت
فتنادى الجنة وكل ما فيها نحن لاهل لا اله الا الله ونشتاق الى اهل لا اله الا الله ولا نطلب الا
لاهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا اهل لا اله الا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا اله الا الله
ولم يؤمن بلا اله الا الله وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب لا يدخلنى الا من انكر لا اله
الا الله ولا اطلب الا من كذب لا اله الا الله وانا حرام على من قال لا اله الا الله ولا امتلئ الا ممن
جحد لا اله الا الله وليس غيظى الا على من انكر لا اله الا الله قال فتجىء رحمة الله ومغفرته وتقولان
انا لاهل لا اله الا الله وناصر لمن قال لا اله الا الله ومحب لمن قال لا اله الا الله ومتفضل على
من قال لا اله الا الله ولا تحجب رحمة الله ومغفرته عمن قال لا اله الا الله وما خلقت الا لاهل
لا اله الا الله فلا تخلطوا لا اله الا الله الا بما يوافق لا اله الا الله الخامس قال عليه السلام امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله قال بعض العلماء انه تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف فى يد المسلمين
والثانى عذاب الاخرة فالسيف بلا غلاف يرى والنار فى غلاف لا يرى فقال تعالى للرسول من
اخرج لسانه من الغلاف المرئى وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلت السيف فى الغمد الذى يرى
ومن اخرج لسان القلب عن الغلاف الذى لا يرى وهو السر فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف الاخرة
فى غمد الرحمة حتى يكون واحد بواحد ولا ظلم ولا جور السادس عن انس رضى الله عنه قال النبى
عليه السلام من قرأ عند منامه شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام خلق الله سبعين الف
خلق يستغفرون له الى يوم القيمة ثم قال وانا على ذلك من الشاهدين السابع عن على بن ابى
طالب رضى الله عنه قال عليه السلام ان فاتحة الكتاب واية الكرسى وشهد الله الى قوله ان الدين
عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقات ما بينهن وبين الله حجاب

يقول الله بي حلفت لا اركن احد من عبادي ان جعلت الجنة مثواه ولقضيت له كل يوم سبعين
حاجة ادناها المغفرة واحفظه من كل عدو وحاسد الناس قال ابو سعيد الخدري قال عليه السلام
ما من عبد يقول اربع مرات اللهم اني اشهدك وكفى بك شهيدا واشهد حملة عرشك وملائكتك
وجميع خلقك اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك واشهد ان محمدا عبدك
ورسولك الا كتب الله صكا بالعتق من النار التاسع عن ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجاء برجل من امتي يوم القيمة على رؤس الخلايق فينشر عليه تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مثل مد البصر فيقال له اتنكر من هذا شيئا اظلمك الحافظون فيقول لا يا رب
فيقال له الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى ان لك عندي وديعة وانه لا ظلم عليك
اليوم فيخرج بطاقة له فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقال
يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى لا ظلم اليوم فيوضع في كفة
والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا تثقل مع اسم الله شيء العاشر
عن انس رضي الله عنه قال عليه السلام ما زلت اشفع الى ربي فيشفعني حتى اقول يا رب
شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول الله تعالى هذه ليست لك يا محمد انما هذه لي وعزتي
وجلالي وحلمي ورحمتي لا ادع في النار احدا قال لا اله الا الله واعلم ان اهل العرفان
ذكروا في تفسير لا اله الا الله وجوها الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما لا اله الا الله
لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطي ولا مانع الا الله يرجى فضله ويخاف عدله
ويؤمن جوده ويتوكل رزقه ويترك امره ويسئل عفوه ويركب نهيه ولا يحرم فضله الا الله الذي
هو رب المؤمنين وغفار المذنبين وملجأ التائبين وستار المعيوبين وغاية رجاء الراجين
ومنتهى مقصد العارفين الثاني قول العبد لا اله الا الله اشارة الى المعرفة والتوحيد بلسان
الحمد والسند بالى الملك المجيد فاذا قال العبد لا اله الا الله فالمعنى لا اله الا الله والنعماء
والبقاء والقدرة والعظمة والسناء والعز والثناء والسخط والرضا الا لله الذي هو رب



العالمين وخالق الاولين والآخرين وديان يوم الدين الثالث معنى لا اله للرغبة ولا للرهبة
الا الله الذي هو كاشف الكربة عن عمران بن الحصين قال عليه السلام لابي الحصين كم تعبد اليوم من اله
فقال اعبد ستة او سبعة في الارض وواحدة في السماء ثم قال يا حصين لو اسلمت علمتك كلمتين
تنفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمني هاتين الكلمتين فقال عليه السلام قل اللهم الهمني
رشدي واغفر لي واعصمني من شر نفسي الرابع قيل في قوله تعالى شهد الله يشهد الله في عوالم وخطاير
الجلال والسرادقات الصمدية والملائكة يشهدون بهذه الشهادة في السموات واولوا العلم يشهدون
بهذه الشهادة في الارضين قال جعفر الصادق وقد سألوه عن هذه الاية ان الله شهد لنفسه
بالفردانية والصمدانية والاحدية والازلية والابدية ثم خلق الخلق فشغلهم بعبادة هذه الكلمة
وذلك لان شهادة الحق لنفسه حق وشهادتهم له رسم فكيف يستوي الرسم مع الحق ومن اين للتراب
طاقة بتجلي نور رب الارباب وقال سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزل
شهد الله خرت الاصنام سجدا حول الكعبة واما خاتمة المجلس ففيها وجوه الاول اسلم نصراني
ببغداد ايام الشبلي رحمه الله فسئل ما سبب اسلامك قال كنت في حال النصرانية اكرم دين النصرانية
ورزقت دين الاسلام ببركة اكرام ذلك الدين فصاح الشبلي وقال اذا كان من يكرم الدين الباطل
فالله يرزقه دين الحق فمن يكرم الدين الحق لا يرزقه الله الرحمة والمغفرة الثاني يحكى ان
رجلا كان واقفا بعرفات وكان في يده سبعة احجار فقال يا ايها الاحجار السبعة لتشهدن اني اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنام فرأى في المنام ان القيمة قد قامت وحوسب ذلك
الرجل فوجب له النار فلما ساقوا به الى باب من ابواب جهنم جاء حجر من تلك الاحجار السبعة والقت
نفسها على تلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها فما قدروا ثم سيق الى الباب الثاني فكان
الامر كما في الاول وهكذا في الابواب السبعة فسيق به الى العرش فقال الله تعالى عبدي استشهدت
الاحجار فلم تضع حقك وانا شاهد على شهادتك على توحيدي ادخل الجنة فلما قرب من باب الجنان
فاذا ابوابها مغلقة فجاءت شهادة ان لا اله الا الله وفتحت الابواب ودخلها الرجل الثالث

وفي تفسير لا اله الا الله وجوه

خاتمة المجلس فيها وجوه

العالمين

رأى يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقالوا ما فعل الله بك فقال غفر لي قلنا بأي
قال لا بالعلم بالزهد قال لا قلنا فبماذا قال اتاني ملكان مهيبان فقالا من ربك وما دينك
ومن نبيك قلت امثلي يسأل عن هذا وقد كنت ادعو الخلق اليه منذ سبعين سنة فانصرفا عني
الرابع زاد الماء في بغداد حتى اشرفت على الغرق فقال بعض الصالحين رأيت في بعض تلك
الليالي كاني وقف على طرف واقول لا حول ولا قوة الا بالله غرقت بغداد فجاء انسان حسن
الصورة وكنت اعلم انه ملك وجاء آخر من ناحية اخرى فقال احدهما للآخر ما الذي
امرت به قال امرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه فقال ولم رفعت ملائكة الليل البارحة
اقتض ببغداد سبع مائة فرج حرام فغضب الله وامرني بتغريقها ثم رفعت ملائكة النهار في
صبح هذا اليوم سبعمائة اذان واقامة فغفر الله هؤلاء بهؤلاء فقال صاحب الرؤيا فانتبهت
وجئت الى دجلة فاذا ان الماء قد نقص الخامس قال بعضهم لا اله الا الله محمد رسول الله اربعة
وعشرون حرفا وساعات الليل والنهار كذلك فكانه قبل كل ذنب اذنبته من الصغير والكبير وايضا
قول لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة اعضاء وللنار سبعة ابواب فكل كلمة
من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الابواب السبعة على عضو من الاعضاء السبعة فقيل ايضا ان
كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا فلا جرم وجب بها اثنا عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة اما
الظاهرة فالصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد واما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر
والرضاء والزهد والتوبة السادسة سئل الشبلي رجل وقال لم تقول الله ولا تقول لا اله
الا الله فقال لان ابا بكر الصديق رضي الله عنه اعطى ماله كله فلم يبق له شيء فتجلل بكساء بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما خلفت لعيالك فقال الله فكذا انا اقول الله
فقال السائل اريد اعلى من هذا فقال الشبلي [illegible] من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره
فقال الشبلي اخشى ان اموت عند الانكار فلا اصل الى الاقرار وقال السائل اريد اعلى من هذا
فقال الشبلي قال الله لرسوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فقام شاب فزعق زعقة فقال





الشبلي الله فزعق ثانيا فقال الشبلي الله فزعق ثالثا ومات فجمع اقرباء الفتى وتعلقوا
بالشبلي وادعوا عليه الدم وحملوه الى الخليفة فاذن لهم فدخلوا وادعوا عليه الدم فقال
الخليفة للشبلي فما جوابك فقال روح حنت وشمت فصاحت فدعيت فسمعت فعلمت فاجابت
فما ذنبي قال فصاح الخليفة وقال خلوا سبيله السابع سأل بعض العلماء عن قوله تعالى وبئر
معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطلة من قول لا اله الا الله والقصر المشيد
قلب المؤمن معمور بقول لا اله الا الله الثامن جاءت امرأة الى بعض اكابر الصوفية بقارورة
من زيت احببت ان تصلح قناديل المسجد من هذا الزيت فقال الشيخ انما احب اليك نور يصعد
الى السقف او نور يصعد الى العرش فقالت المرأة بل نور يصعد الى العرش فقال الشيخ اذا
اصبت هذا الدهن في القناديل صعد النور الى السقف واذا اصبته في طعام الفقراء صعد
النور الى العرش ثم اصلح طعاما بذلك الدهن للفقراء فلما اكلوا قال قولوا من صدق و
اخلاص لا اله الا الله واجعلوا ثوابها لتلك المرأة التاسع روي ان امية بن خلف الجمحي كان ذا مال
واولاد وكان له صنم يعبده من دون الله وكان له اثنى عشر مملوكا ولم يكن احب اليه من بلال
وكان من بيت الصنم وكان بلال يسجد لله تعالى في الصنم وكان يقول احد فبلغ ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم فسر بذلك وبلغ هذا الخبر الى امية فقال يا بلال اتسجد لرب محمد فقال
اسجد لله الكبير المتعال فوثب اليه امية يضربه ويعذبه فلما كان نصف النهار جعله عريانا و
طلى عليه الزيت واقامه على الرصا بحرة الصيف فكان اذا اصابته الشمس وحر الرمل يقول
احد احد فمر عليه ابو بكر رضي الله عنه فقال يا امية لم تعذب هذا الغلام فقال اشتريت بمالي
فانا احق بعذابه فقال لا كرامة لك تعذب عبدا قال لا اله الا الله فاختصما فقال ابو بكر
لي غلام ابيض على دينك فانا اشتريت بذلك العبد وعشرة اواق من الذهب وفضة
اخرى باوقيتين فقال لو طلبت مني هذا الغلام بدرهمين بعته فقال ابو بكر ولو ساومتني
بكل ما املكه اشتريته فاخذ بيد بلال وكته بردائه ومسح وجهه من التراب وجاء به الى النبي

صلى الله عليه وسلم وقال يا معشر قريش اشهدوا انتم على وجه الله تعالى الملكين ان الملائكة
طعنت في بني آدم بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فقال الله اني اعلم ما لا تعلمون فاذا مات
المؤمن بعث الله تعالى الى قبره ملكين ويقولان له من ربك وما دينك فيقول ربي الله
وديني الاسلام فيأمرهما الله تعالى ويقول اشهدا بين الملائكة بما سمعتما لانه اقل الشهود
اثنان ثم يقول الله تعالى ملائكتي انظروا الى عبدي قد اخذت روحه وماله فماله العدو وزوجته
في حجر غيره وضيعته في يد غيره ثم ان الملائكة سألوه في بطن الارض فلم يذكر عني شيئا الا
عن توحيدي وتنزيهي لتعلموا اني اعلم ما لا تعلمون وايضا قالوا الحكمة في هذا السؤال ان الله
تعالى قال في الابتداء الست بربكم قالوا بلى فشهد الله عليهم فلا اخرجهم من الدنيا حتى شهدوا
بالتوحيد وشهد عليهم الانبياء والمؤمنون بذلك فاذا مات ودخل القبر سأله الملكان
عن هذه الشهادة فيشهد بها في قبره فيسمع تلك الشهادة فاذا جاء يوم القيامة جاء ابليس
واراد ان يأخذه ويقول هذا من شيعتي لانه تبعني في المعاصي فيقول الله تعالى لا سلطان
لك عليه لاني سمعت منه التوحيد في الابتداء والرسل سمعوا منه ذلك في الوسط والملائكة
سمعوا منه ذلك في الانتهاء فكيف يكون من شيعتك وكيف يكون لك عليه سلطان اذهبوا
به الى الجنة **الحادي عشر** قال بعضهم مجلس يحيى بن معاذ الرازي فقرأ قوله تعالى فقولا له قولا لينا
فبكى يحيى وقال هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رحمتك لمن يقول انت الاله هذا
رفقك لمن يعاديك فكيف رفقك بمن يعبدك ويناديك هذا رفقك بمن يقول انا الرب فكيف
رفقك بمن يقول انا العبد وانت الرب الهي قول لا اله الا الله يهدم كفر خمسين سنة فما يصنع
بذنوب ساعة **الثاني عشر** قال بعضهم في تفسير قوله تعالى فقولا له قولا لينا معنى ذلك القول
اللين ان يقول موسى وهرون لفرعون وجدت عمرك اربعمائة سنة تقول انا ربكم الاعلى
فانت بقولك منكر ما ذكره احد من الكفار قبلك فقل مرة واحدة انت الرب الاعلى ليغفر لك
كفر اربعمائة سنة ويطهرك عن نجاسة الشرك والكفر **الثالث عشر** سأل الشبلي عن رجاء آية

في القرآن

سؤال الملكين

والاخرى

تفسير قوله



ارجائية في القرآن

في القرآن فقال قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فالله تعالى اطلق
للكافر دخول الجنة بذكر الكلمة مرة واحدة ان يكن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف
يمنع من الجنة **الفصل الثالث** في اسماء كلمة التوحيد الاسم الاول كلمة التوحيد وذلك
لانها تدل على نفي الشرك على الاطلاق وفائدة قولنا على الاطلاق انه تعالى لما قال والهكم اله
واحد امكن ان يخطر بال احد ان يقول هب ان الهنا واحد فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا
فالله تعالى ازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال لا اله الا هو وذلك لان قولنا لا رجل
يقتضي نفي هذه الماهية ومتى انتفت الماهية انتفى جميع افرادها اذ لو حصل فرد من افراد
تلك الماهية لحصلت تلك الماهية لان كل فرد من افراد الماهية مشتمل على تلك الماهية وفيها
وجدت الماهية فذلك يناقض نفي الماهية فثبت ان قولنا لا رجل يفيد النفي العام الشامل
فاذا قيل بعد ذلك الا زيد افاد التوحيد التام الكامل **ثم اعلم** ان لهذه الكلمة ثمرتان احدهما
ان جوهر الانسان خلق في الاصل مشرفا مكرما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم واذا كان الاصل
فيه كونه مكرما كان كونه مطهرا على وفق الاصل وكونه منجسا على خلاف الاصل ثم انا اذا
رأينا الانسان متى اشرك صار نجسا بدليل قوله انما المشركون نجس واذا كان الشرك يقتضي
كونه نجسا مع ان ذلك على خلاف الاصل فكونه موحدا بان يقتضي كونه طاهرا اولى لانه
على وفق الاصل واذا ثبت ان الموحد كامل في كونه طاهرا وجب ان يكون في خواص الله تعالى حتى
الطيبات للطيبين الآية والثانية ان الشرك سبب لخراب العالم بدليل قوله تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فاذا كان الشرك سبب الخراب
العالم وجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة العالم ضرورة كون الضدين مختلفين في الحكم
واذا ثبت ان كلمة التوحيد سبب لعمارة العالم فاولى ان يكون سببا لعمارة القلب الذي هو
محل معرفة الوحدانية ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية وذلك يناسب عفو الله
عن اهل التوحيد **الاسم الثاني** ان هذه الكلمة تسمى كلمة الاخلاص وكان معروف الكرخي رحمه الله

في اسماء كلمة التوحيد

لهذه الكلمة ثمرتان

يقول يا نفس اخلصيني تخلصي ثم التحقيق ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا
عن شوبه وخلص سمي خالصا وسمي الفعل المصفى اخلاصا ولا شك ان كل رجل اتى بفعل
اختياري فلا بد له في ذلك الفعل من غرض فمهما كان الغرض في الفعل واحدا سمي ذلك
الفعل اخلاصا فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو غير مخلص ومن كان غرضه محض التقرب
الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص الاخلاص بتجريد قصد التقرب
الى الله تعالى عز وجل عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصه العرف
بالميل عن الحق واذا عرفت هذا فنقول الباعث على الفعل اما ان يكون رحمانيا فقط
وهو الاخلاص او شيطانيا وهو الرياء او مركبا منهما وهو على [illegible] لان الطرفين
اما ان يكونا على السوية او يكون الرحماني اقوى او ان يكون النفساني اقوى القسم الاول
وهو ان يكون الباعث رحمانيا فقط وهذا لا يتصور الا من محب لله مستغرق الهم به
بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه مقر حتى لا يحب الاكل والشرب بل يكون رغبته فيه كرغبته
في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فكذلك لا يشتهي الطعام لانه طعام بل
لانه يقويه على عبادة الله فمثل هذا الشخص لو اكل وشرب او قضى حاجته كان خالص
العمل في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه ليتقوى على العبادة كان نومه
ايضا عبادة واما القسم الثاني وهو ان يكون الباعث نفسانيا فهذا لا يتصور الا من محب
النفس والدنيا ومستغرق الهم بهما بحيث لم يبق لحب الله تعالى في قلبه مقر كما ان في القسم الاول
لما غلب حب الله وحب الاخرة على قلبه اكتسب حركاته الاختيارية هذه الصفة كذلك من
غلب حب النفس والدنيا على قلبه اكتسب في جميع افعاله وحركاته وسكناته تلك الصفة
فلا يسلم له شيء من عباداته وهذان القسمان لا يخفى حكمهما في الثواب والعقاب واما الاقسام
الثلاثة الباقية فنقول اما الذي يستوي فيه الباعثان فالاظهر انهما يتعارضان ويتساقطان
فيصير ذلك العمل لا له ولا عليه واما الذي يكون احد الطرفين فيه اغلب فيحبط

فيه



فيه ما يساوي الطرف الاخر ويبقى الزيادة موجبة اثرها اللائق وذلك هو المراد بقوله
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وتمام التحقيق فيه
ان الاعمال لها تاثيرات في القلب فان خلا المؤثر عن المعارض خلا الاثر عن الضعف وان
كان المؤثر مقرونا بالمعارض فان تساويا تساقطا وان كان احدهما اغلب فلا بد وان
يحصل في الزائد بمقدار الناقص فيحصل التساوي بينهما ويحصل التساقط ويبقى
القدر الزائد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محالة اثرا ما وكما لا يضيع مثقال ذرة من
الطعام والشراب والدواء عن اثر في الجسد فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر
عن اثر في التقريب من الله تعالى والتبعيد منه فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد
عاد الى ما كان لا له ولا عليه وان كان احد الفعلين مما يقربه شبرين والفعل الثاني مما يبعده
شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر واحتج من زعم ان المشوب لا ثواب عليه بوجهين الحجة
الاولى ما روي ان رجلا سأل النبي عليه السلام عمن يصطنع المعروف ثم يحب ان يحمد ويؤجر
فلم يدر ما يقول حتى نزل قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا الحجة الثانية ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال من
اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن النبي عليه السلام ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركت نصيبي لشريكي والجواب عن الحجة الاولى انها
محمولة على ما اذا اتى بالعمل لغرض الدنيا فقط والجواب عن الثانية ان لفظ الشرك محمول
على تساوي الداعيين وقد بينا ان عند التساوي يحبط كل واحد منهما بالاخر اذا عرفت
هذه المقدمة فنقول كلمة لا اله الا الله مسماة بكلمة الاخلاص وذلك لان الاصل في
هذه الكلمة عمل القلب وهو كون الانسان عارفا بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة
الحاصلة بالقلب يستحيل ان يؤتى بها لغرض اخر سوى طاعة الله تعالى ومحبته وعبوديته فهذه
المعرفة ان طلبت لوجه الله تعالى لا لغرض اخر البتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فانها كما يؤتى

بها التعظيم لله تعالى فقد يؤتى بها سائر الاغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء فلهذا
السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الاخلاص **الاسم الثالث** فهذه كلمة الاحسان ويدل على صحة هذه
التسمية القرآن والخبر والمعقول اما القرآن فآيات اولها قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا
الاحسان قال المفسرون المراد من قوله هل جزاء الاحسان اي هل جزاء الايمان والتحقيق فيه ان عليك عهد
العبودية وعلى كرمه عهد الربوبية كما قال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وعهد عبوديتك ان يكون
عبدا له لا لغيره ثم كمال هذه الدرجة ان يعرف ان كل ما سوى الله فهو عبد لله كما قال ان كل
من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ومن اتى بالفعل على احسن الوجوه كان محسنا
فيه وقول لا اله الا الله تدل على اعترافه بان كل ما سواه فهو عبده ومربوبه فثبت ان قول
لا اله الا الله احسان العبد فقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي جزاء من اتى بقول لا اله
الا الله ان جعله في حماية لا اله الا الله وثانيها قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
والمراد من قوله واحسنوا الحسنى هو قول لا اله الا الله باتفاق ائمة التفسير وبدليل انه لو
قال ذلك ومات ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة وثالثها قوله تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله وعمل صالحا واتفقوا على ان هذه الآية نزلت في فضيلة الاذان وما ذاك الا
لاشتمال الاذان على كلمة لا اله الا الله وايضا فلانه قال في صفة الكافرين ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فكما انه لا قبيح اقبح من كلمة الكفر فكذلك لا احسن احسن من كلام التوحيد
ولهذا قال في اول سورة المؤمنون وقال في آخر هذه السورة انه لا يفلح الكافرون ثم انه لما كان
قول الموحد حسنا كان مقيله ايضا حسنا كما قال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
ولما كان قول الكافر قبيحا مظلما كان مقيله ايضا مظلما قال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
الآية ورابعها قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ولا شك ان احسن الاقوال هو قول
لا اله الا الله وخامسها قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان قيل العدل الاعراض عما سوى الله والاحسان
الاقبال على الله تعالى وسادسها قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولا شك ان اول

هذا

هذا الاحسان هو قول لا اله الا الله واما الخبر فما روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين احسنوا الحسنى اي للذين قالوا لا اله الا الله
الحسنى وهي الجنة والزيادة هي النظر الى الوجه الكريم واما المعقول فهو ان الفعل كلما
كان اشد حسنا كان فعله اكثر احسانا ولا شك ان احسن الاذكار لا اله الا الله واحسن المعارف
معرفة لا اله الا الله واذا كان كذلك كانت هذه المعرفة وهذا الذكر احسانا **الاسم الرابع**
دعوة الحق قال في سورة الرعد له دعوة الحق قال ابن عباس رضي الله عنهما هو قول لا اله
الا الله واعلم ان قوله تعالى دعوة الحق يفيد الحصر معناه له هذه الدعوة لا لغيره كما ان قوله
لكم دينكم ولي دين معناه لكم دينكم لا لغيركم وتحقيق الكلام في اثبات هذا الحصر ان الحق نقيض
الباطل والحق هو الموجود والباطل هو المعدوم فلما كان الحق تعالى حقا في ذاته ولذاته وكان
ممتنع التغير في حقيقته كانت معرفته هي المعرفة الحقة وذكره هو الذكر الحق والدعوة اليه هي
الدعوة الحقة اما كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون حقا لذاته
معرفته واجب التحقيق ولا ذكره ولا دعوة اليه واذا ثبت هذا ظهر تحقيق قوله تعالى له دعوة الحق
واعلم ان دعوة الحق تارة يكون من الحق للحق الى الحق وتارة من الخلق الى الحق اما الاول فهو
اما ان دعوة الحق فيكون من الحق فلانه تعالى هو الذي دعا القلوب لحضرته فلولا دعوته الى
تلك الحضرة وتوفيقه لها في ذلك الوصول والا فمن اين يتمكن العقل البشري من الوصول
الى جلائل حضرة الله تعالى وايضا فلان مبادي الحركات واوائل الحادثات ينتهي الى قدرة الله
تعالى وقضائه وقدره ولهذا المعنى قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واما ان تلك الدعوة للحق
فكقوله تعالى لمن الملك اليوم واما انها الى الحق فلقوله وان الى ربك المنتهى واما ان دعوة الحق
تارة يكون من الخلق فلقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ولقوله اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان **الاسم الخامس** كلمة العدل قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال عثمان
بن مطعون والجمحي ما اسلمت يوما الا حياء من محمد عليه السلام وذلك انه كان كثيرا ما يعرض الاسلام

عليّ فاستحييت منه واسلمت ولكن الاسلام ما كان مستقرا في قلبي ثم انه عليه السلام
دعاني يوما فجلست اليه فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره شخص الى السماء فنزل جبرئيل
عليه السلام وقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل والاحسان العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان
القيام بالعبودية قال عثمان فوقع الايمان في قلبي وقال ابن عباس رضي الله عنهما العدل شهادة
ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيه وقال آخرون العدل مع الناس والاحسان مع نفسك
بالطاعة كما قال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال آخرون يأمر بالعدل مع الاعضاء
وبالاحسان مع القلب بان يربيه بغذاء التوحيد وشراب المحبة وقال آخرون العدل رؤية
الافتقار الى الحق والاحسان مشاهدة احسان الحق على كل شيء في الخلق واعلم ان السبب
في تسمية هذه الكلمة بكلمة العدل وجوه الاول ان العدل في كل شيء تحصيل ما هو سبب
اعتداله وكمال حاله ومن المعلوم ان كمال القوى الجسمانية في ادراك المحسوسات وكمال حال
القوة الشهوانية في جلب الاشياء النافعة الجسمانية وكمال قوة الغضبية في دفع الاشياء
المنافية الجسمانية واما القوة العقلية فكمال حالها وغاية سعادتها ان يرتسم فيها صور حقائق
واشباه المعقولات كما هي حتى تصير القوة العقلية كالمرآة التي تجلت صورة الموجودات بتمامها
ولا شك ان اشرف المعقولات واعلاها معرفة جلال الله وقدسه وعظمته وعزته فكان
غاية العدل والاعتدال للارواح البشرية والقوى العقلية كونها مقبلة على هذه الحالة
مستغرقة فيها فلهذا السبب سميت كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل السبب الثاني ان هذه الكلمة انما
سميت بكلمة العدل لان معرفة الله تعالى متوسط بين الافراط الذي هو التشبيه وبين التفريط
الذي هو التعطيل فمن بالغ في الاثبات وقع في التشبيه ومن بالغ في النفي وقع في التعطيل والحق
هو طريق الاعتدال بين هذين الطرفين المتباينين السبب الثالث من ترك النظر والاستدلال
في معرفة الله تعالى وعول على الطريقة التي الفها بحسه وخياله وقع في الضلالات وامام توغل في
البحث واراد الوصول الى كنه العظمة وهوية الجلال تحير وتردد بل عمي فان نور الجلالية الالهية

مما يعمي



فما يعمي احداق العقول البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين والطريق المستقيم
هو ان يخوض الانسان في البحث المعتدل ويترك التعمق الى هذا الكلام والاشارة لقوله
عليه السلام تفكروا في الخالق فهذه على الوجوه التي لاجلها سميت كلمة لا اله الا الله بكلمة
العدل فان قيل كيف امر الله تعالى في بحر التوحيد وقال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فمن عجز عن العدل في حق النساء كيف يقدر على العدل في معرفة
الاحد الصمد الجواب ظهر اعجازك في الضعيف على الشريف لتعلم ان الكل منه الاسم السادس
وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد واي كلمة توحيد اطهر واطيب من
هذه الكلمة وقد قال الله تعالى انما المشركون نجس ثم ان النجاسة الحاصلة بسبب كفر سبعين سنة
تزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة وتحقيق القول فيه ان الطيب هو اللذيذ واللذيذ
هو ادراك الملايم وقد بينا ان الملايم للقوى الحساسة ادراك المحسوسات والملايم للقوة الشهوانية
جلب المنافع الجسمانية وللقوة الغضبية دفع المنافع الجسمانية واما الملايم للقوة العقلية
اقوى من ادراك القوة الحساسة وسيأتي شرح هذا فيما بعد ذلك واما مدركات القوى
الحساسة فهي الاعراض القائمة بالاجسام الكائنة الفاسدة ومدرك القوة العاقلة هو
ذات الله وجلاله وعظمته وظاهر انه كلما كان الادراك اقوى والمدرك اشرف كانت اللذة
الحاصلة بسبب ذلك الادراك اكمل ونسبة الادراك العقلي الى الادراك الحسي كنسبة ذات الله تعالى وصفاته
في الشرف والتعالي الى الاعراض القائمة بالاجسام وكما انه لا نهاية للنسبة الحاصلة بين هذين
الادراكين وبين هذين المدركين فكذلك لا نهاية للنسبة الحاصلة بين اللذات العقلية
الحاصلة بسبب ادراك جلال الله تعالى وبين اللذات الحاصلة بسبب ادراك الطعوم والروايح
وسائر المحسوسات واذا عرفت هذا ظهر ان الطيب المطلق هو معرفة لا اله الا الله والاستغراق في انوار
جلال لا اله الا الله فلهذا السبب قال الله تعالى وهدوا الى الطيب من القول والمراد منه لا اله الا الله والالف
واللام في لفظ الطيب للاستغراق كانه تعالى نبه على انه لا لذيذ الا هذا وذلك هو الحق لان ابيت

في الحقيقة واقدر على التشريف لسبح

المدركات

فهو ادراك جلاله وقدسه وعزته اذا عرفت هذا فقد
ادراك القوة العقلية صح

اشرف واعلى فعلى هذا نسبة اللذة العقلية
الى اللذة الحسية في الشرف والقوة كنسبة الادراك

وجه التسمية بكلمة العدل

ان الطيب المحسوسات بالنسبة الى الطيب ههنا الحالة عدم محض فلذلك بين بحرف
الاستغراق ان كل طيب ليس الا ذلك الاسم السابع الكلمة كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها
ثابت وفرعها في السماء واختلفوا في انه تعالى لم سميتها كلمة طيبة على وجوه الاول انها طيبة
بمعنى انها طاهرة وعن التشبيه والتعطيل ولكنها طريقة متوسطة بينهما مباينة لكل واحد
منهما كما ان اللبن خارج من بين الفرث والدم مبرأ عنهما مصون عن شائبة كل واحد منهما الثاني
انها طيبة بمعنى ان صاحبها يكون طيب اللحم في الدنيا طيب المسكن في العقبى اما طيب لحمه فلقوله
تعالى الطيبات للطيبين واراد به المؤمنين والمؤمنات واما طيب المسكن فلقوله تعالى ومساكن طيبة
في جنات عدن الثالث انها طيبة بمعنى انها مقبولة تقبلها الله تعالى ويصعد اليه كما قال الله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب قال اهل الاشارة والسبب ان هذه الكلمة يصعد الى الله تعالى بذاتها لان هذه
الكلمة طيبة وقال النبي عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وتمام التحقيق فيه ان العقل
والروح عاشقان على التجلي في المعرفة والمكاشفة على ما سبق تقريره بالبرهان والمعرفة مجذوبة
الى المعروف وصعد اليه فذلك هو المراد من قوله اليه يصعد الكلم الطيب سؤال قال المفسرون
الشجرة الطيبة هي النخلة فما السبب في تشبيه كلمة التوحيد بالنخلة الجواب عنه من وجوه الاول
ان شجرة النخلة لا تنبت في جميع البلدان بل في البعض فكذلك كلمة التوحيد لا يجري على
كل لسان ومعرفة التوحيد لا تحصل في كل قلب الثاني ان النخلة اطول الاشجار فكذلك كلمة
التوحيد اعلى الكلمات الثالث ان الشجرة الطيبة ثابتة في الارض وفروعها في السماء فكذا اصل
الكلمة الطيبة ثابت في القلب وهو المعرفة وفروعها في السما اليه يصعد الكلم الطيب الرابع ان
شجرة النخلة تحمل كل سنة مرتين كذا الايمان تحمل في الدنيا مرة فيثاب لاجل ايمانه وهو اهلية
الشهادة والولاية والامانة ومرة اخرى في الاخرة وهي الجنة الباقية والنعمة الدائمة الخامس
النخلة ان حصل في وسط ثمرتها نواة لا خير فيها ولا منفعة فان قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك
النواة فكذا كلمة التوحيد وان كان يحصل معها شيء من المعاصي الا ان قيمتها لا تنقص بسبب ذلك

الفرث شول طوار نرسيده كه هنوز اشكنده اوله
من لغة وانى

قال



قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا السادس ان النخلة اسفلها الذي يقرب من الناس كله خار وشوك والثمرة والمنفعة
لا تحصل الا في اعلاها فكذلك الدين اوله التكاليف الشاقة التي هي كالشوك وفي اعلاه
الثمرة الحلوة اللذيذة وهي المعرفة والمحبة الاسم الثامن الكلمة الثابتة قال الله تعالى يثبت
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وفي علة هذه التسمية وجوه الاول
ان المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته ممتنع العدم لذاته والقول والاعتقاد تبع
المقول والمعتقد فلما كان المقول والمعتقد واجب الثبوت لذاته كان القول والاعتقاد كذلك
فلهذا سماه الله تعالى بالقول الثابت الثاني ان هذا القول ثابت لا يؤثر فيها الاعمال وذلك
اشارة الى ان الايمان لا تزاد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية الثالث ان هذا القول ثابت
لا يؤثر الذنب فيه بل هو مؤثر في ازالة الذنب لان الموحد وان عظم ذنبه الا انه يرجى له المغفرة
قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والكافر وان عظم كفره
فان رجع عن الكفر الى التوحيد هدم التوحيد كفره الرابع ان هذه الكلمة ثابتة في الاخرة لم ترتفع
عن العبيد وذلك لان اهل الجنة يشتغلون في الجنة بذكر التوحيد الا ترى ان الله تعالى
اخبر عنهم قال وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
الحمد لله الذي هدانا لهذا الخامس انها ثابتة لان لها اصلا محكما وذلك لان اول من شهد هذه
الشهادة هو الله سبحانه وتعالى بدليل قوله شهد الله فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله
فرع على شهادة الله تعالى وشهادته هي الاصل وكل شهادة اصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا
والاخرة السادس ان الانسان بدون هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار ومع هذه الكلمة لا يعمل فيه
الماء والنار اما بيان ان الانسان دون هذه الكلمة يعمل فيه الماء والنار فان قوم نوح اغرقوا في الماء ثم نقل
من الماء الى النار اغرقوا فادخلوا نارا وعجل السامري احرق بالنار اولا ثم نقل من النار الى الماء
لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا اما ابراهيم وموسى عليهما السلام فقد كانا مع حقيقة هذه الكلمة

فلم يعمل النار في ابرهيم قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ولم يعمل الماء في موسى عليه السلام
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الآية الاسم التاسع كلمة التقوى قال
الله تعالى والزمهم كلمة التقوى وفي هذه التسمية وجوه الاول انه لما اتى صاحب هذه الكلمة
ان يصف ربه بما وصفه المشركون وصف هذه الكلمة بانها كلمة التقوى وراس التقوى
اتقاء الكفر ثم في هذه الآية اشارة وبشارة اما الاشارة فهي انه تعالى سمى نفسه اهل التقوى
فقال هو اهل التقوى وسمى الموحدين اهل كلمة التقوى فقال والزمهم كلمة التقوى وكانه
تعالى يقول انا اهل ان اكون مذكورا بهذه الكلمة وانت اهل ان تكون ذاكرا لهذه الكلمة فما
اعظم هذا الشرف واما البشارة فهي انه تعالى قال والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
فاثبت ان الموحدين احق الخلق بهذه الكلمة وهم اهل هذه الكلمة وانه كريم لا ينزع الحق
عن مستحقه فهذا يدل على انه لا ينزع الايمان من المؤمن الوجه الثاني في بيان انه لم سميت هذه
الكلمة بكلمة التقوى هو ان هذه الكلمة واقية لبدنك من السيف ولمالك عن الاستغنام
ولنسلك عن الجزية ولاولادك عن السبي فان انضاف القلب الى اللسان صارت واقية لقلبك
عن الكفر وان انضم التوفيق اليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي ثم قال والزمهم كلمة التقوى
اي نحن الزمناهم هذه الكلمة التي هي المفتاح لباب الجنة فنحن اردناهم اولا وهم ما ارادونا
فلنا المنة عليهم في فتح هذا الباب وتقريره بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي
اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الاسم العاشر الكلمة الباقية روي عن كثير
من المفسرين انهم قالوا تفسير قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه انها قول لا اله الا الله ويدل
عليه وجوه الاول مقدمة هذه الآية وهي قوله واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني فانه سيهدين فكان معنى قوله انني براء نفي الالهية عن الاشياء التي كانوا
يعبدونها ثم قال الا الذي فطرني وكان فيه اثبات الالهية لله الذي فطره فاذا حصل هذا
المعنيان كان مجموعهما هو قوله لا اله الا الله ثم قال وجعلها كلمة باقية في عقبه فثبت ان المراد

من الكلمة



من الكلمة الباقية هو قول لا اله الا الله الثاني انه تعالى قال في اخر القصص ولا تدع مع
الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه فبين ان كل شيء هالك الا هو فانه واجب
الدوام والبقاء والسرمدية لذاته وقد عرفت ان القول يتبع المقول والاعتقاد يتبع
المعتقد فكان صدق لا اله الا الله وحقيقة لا اله الا الله واجب الثبوت والبقاء والدوام
وذلك هو المراد بكونها كلمة باقية في عقبه الثالث انا بينا ان التوحيد لا يزول بسبب المعصية
والمعصية تزول بسبب التوحيد وايضا التوحيد يبقى مع اهل الجنة وسائر الطاعات
لا تبقى روى جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام عن جبرائيل عليه السلام يقول الله تعالى يوم
القيمة ما لي ارى فلانا في صفوف اهل النار فاقول يا رب انا لم نجد له حسنة فيقول الله تعالى
اني سمعت في الدنيا يقول يا حنان يا منان فاذهب اليه فسأله فيأتيه فيجده في زاوية من
زوايا جهنم يقول يا حنان يا منان فيسأله جبرائيل عن هذه الكلمة فيقول وهل حنان ومنان
غير الله قال جبرائيل فاخذه بيده من صفوف اهل النار فادخله في صفوف اهل الجنة الاسم
الحادي عشر كلمة الله هي العليا قال تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا
واعلم ان السبب في علو هذه الكلمة وجوه الاول هو ان القلب اذا تجلى فيه نور هذه الكلمة
كان ذلك التجلي نور الربوبية ونور الربوبية اذا تجلى في القلب استعقب حصول قوة الهية ربانية
ولهذا السبب كان العارفون فان العارفين المستغرقين في انوار جلال الله يستحقرون الا
الاحوال الدنيوية فيستحقرون عظماء الملوك ولا يبالون بالقتل ولا يقيمون لشيء من طيبات الدنيا
وزنا البتة وكل ذلك يدل على استعلاء قوة هذه الكلمة على جميع الاشياء فان سلطان كل شيء
يضمحل في سلطان جلال هذه الكلمة انظر الى استغراق سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه
الكلمة كيف لم يلتفتوا الى قطع الايدي والارجل وان محمدا عليه السلام لما استغرق في هذا النور
لم يلتفت الى الملكوت كما قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى ونجا ابرهيم الخواص كان في البادية
فظهر عليه شيء من هذه الاحوال فاضطجع فجاءه السبع [illegible] صاحبه الذي كان معه وصعد

بعض تلك الاشجار وبقي هناك خائفا ثم في الليلة الثانية نزل ذلك الوجد فوقعت بعوضة
على يده فتألم واظهر الجزع والانين فقال له صاحبه ما اظهرت الجزع في البارحة من حضور السباع
واظهرت الجزع في هذه الليلة من البعوضة فقال ابرهيم كان في البارحة نزل في القلب سلطان فبقوة
ذلك السلطان ما كنت ابالي بجميع الملكوت واما الان فقد غاب ذلك السلطان فظهر العجز كما ترى
السبب الثاني في كون هذه الكلمة عالية استعلاؤها في الدنيا على سائر الاديان كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله السبب الثالث في استعلائها كونها مستعلية على جميع الذنوب فانها تزيل جميع الذنوب
وشيء من الذنوب لا يزيل نور هذه الكلمة **الاسم الثاني عشر** المثل الاعلى قال قتادة في قوله تعالى
ولله المثل الاعلى قال معناه قول لا اله الا الله واعلم ان معنى المثل ههنا الصفة كذا قال اهل اللغة
ونظيره قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفتها فصار المراد من قوله وله المثل الاعلى عين المراد
من قوله وكلمة الله هي العليا **الاسم الثالث عشر** كلمة السواء قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم قال ابو العالية الرياحي هي كلمة لا اله الا الله والدليل عليه انه تعالى قال بعده ان لا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا معنى لهذه الاية الا ما
هو المراد من قولنا لا اله الا الله فثبت ان المراد من كلمة السواء هي كلمة لا اله الا الله ومما يقرر ذلك
ان جميع العقول معترفة بصحة لا اله الا الله وجميع الالسنة ناطقة بها وجميع الرقاب
متفرعة متخضعة لها قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وايضا
يحتمل انها سميت بكلمة السواء لانها تفيد الاستواء في الدين والعقل والروح وتوجب استقامة
وترك الاعوجاج في كل الامور **الاسم الرابع عشر** انها كلمة النجاة والذي يدل عليه القرآن والحديث
والمعقول اما القرآن فمن وجوه الاول قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية صرح في ان النجاة لا
تحصل بدون الايمان بلا اله الا الله وتحصل مع الايمان بلا اله الا الله الثاني قوله تعالى ويا قوم ما لي
ادعوكم الى النجاة اي الى قول لا اله الا الله واما الخبر فيدل عليه الاخبار التي ذكرناها في الفصل الثاني
ونزيد ههنا اخبارا اخرى احدها ما روى جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله عليه السلام عن الموجبتين

فقال



فقال عليه السلام من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقي الله يشرك به شيئا دخل النار و
ثانيها عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عليه السلام لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله
الا الله وثالثها رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله ثقيلا مغموما بعد
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك فقال سمعت رسول الله عليه السلام حديثا
ما منعني ان اسأله الا القدرة عليه حتى مات سمعته يقول اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند
موته الا اشرق له لونه ونفس بسببها كربته فقال عمر رضي الله عنه اني لاعلم ما قال وما هي قال هي
الكلمة التي امر بها عمه عند الموت وهي لا اله الا الله وقال طلحة صدقت هي والله هي ورابعها
روى ابو امامة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ينادي في الناس
من شهد ان لا اله الا الله دخل الجنة وخامسها قال معاذ بن جبل رضي الله عنه حين حضرته الوفاة
اكشفوا سجف القبة حتى احدثكم حديثا لكم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعني
ان احدثكموه الا ان تتكلموا وتتركوا العمل به سمعت رسول الله عليه السلام يقول من قال
لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة ولم تمسه النار وسادسها عن عبد الله بن ابي قتادة
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فجرى به لسانه واطمأن قلبه حرمت النار عليه وسابعها روى ابو هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ناد في الناس من شهد ان لا اله الا الله
وجبت له الجنة قال ابو الدرداء وان زنى وان سرق حتى قالها مرة وقال في الثالثة وان رغم
انف ابي الدرداء وثامنها روى معاذ بن جبل عن رسول الله عليه السلام انه قال من كان آخر
كلامه لا اله الا الله وفاضت نفسه بعده دخل الجنة **الاسم الخامس** العهد قال ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله يومئذ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا العهد هو قول لا اله الا الله
واقول الذي يدل على صحة ابن عباس وجوه الاول ان قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا نكرة في ظرف
الثبوت وذلك لا يفيد الا عهدا واحدا فهذه الاية تدل على ان الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد

معنى العهد

ثم جمعنا على ان ما سوى الايمان فان الواحد منه بل مجموعه لا يفيد تلك الشفاعة البتة
فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذي يفيد تلك الشفاعة هو الايمان وهو قول لا اله
الا الله والثاني ان جماعة من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
انه هو عهد الايمان بدليل ان لفظ العهد مجمل فلما اعقبه بقوله وامنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم علمنا ان المراد من ذلك العهد الايمان وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله الثالث
ان اول ما وقع من العهد قوله الست بربكم قالوا بلى وذلك في الحقيقة هو قول لا اله الا الله
وكان لفظ العهد محمولا عليه الرابع انه تعالى قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
الاية الى قوله ومن اوفى بعهده من الله فكان العهد من جانبك عهد الاقرار بالعبودية ومن
جانب الحق تعالى عهد الكرم والربوبية فثبت بهذه الوجوه ان المراد من قوله الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا هو قول لا اله الا الله الخامس قوله قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
اي قلتم لا اله الا الله الاسم السادس عشر كلمة الاستقامة قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا قال ابن مسعود المراد من قوله استقاموا هو قول لا اله الا الله وذلك
لان قولهم ربنا الله اقرار بوجوب الربوبية ثم ان المقرين بذلك من اثبت له ندا وشريكا فالذي
نفوا للشركاء وللاضداد هم الذين استقاموا على نهج القويم والصراط المستقيم واعلم
ان القيمة في القيمة بقدر الاستقامة في نفي الشركاء فمن الناس من اثبت الشرك الظاهر فلا
في الدين لا تحصل الا بنفي الشركاء كما قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومنهم من
اقر بالوحدانية في الظاهر الا انه يقول قولا يهدم ذلك التوحيد مثل ان يضيف السعادة
والنحوسة الى الكواكب او يضيف الصحة والمرض الى الدواء والغذاء او يضيف الفعل الى
العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك يبطل الاستقامة في معرفة الحق تعالى ومن ترك كل ذلك
ولكن قد يطيع النفس والشهوة في بعض الافعال والى هذه الاشارة بقوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه
هواه وهذا النوع من الشرك هو المسمى بالشرك الخفي والمراد من قوله تعالى حكاية عن ابراهيم

واسمعيل



واسمعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك وقول يوسف عليه السلام مبرؤون عن
الشرك الجلي اما الحالة المسماة بالشرك الخفي وهو التفات الى غير الله فالبشر لا ينفك عنه
في جميع الاوقات فلهذا السبب تضرع الانبياء والرسل الى الله في ان يصونهم عنه الاسم السابع
عشر مقاليد السموات قال تعالى له مقاليد السموات قال ابن عباس رضي الله عنه هو قول
لا اله الا الله واقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى بين انه لو كان في الوجود
الهان لحصل الفساد في العالم ولاختلت المصالح قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
فثبت ان الشرك سبب لفساد العالم وان التوحيد سبب لنظام العالم فثبت ان مقاليد السموات
هو قول لا اله الا الله الثاني انا بينا ان الشرك سبب لاختلال العالم قوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن منه الاية واذا كان كذلك كان التوحيد سببا لعمارة العالم الثالث ان ابواب السموات
لا تفتح عند الدعاء الا بقول لا اله الا الله وابواب الجنان لا تنفتح الا بهذا القول وابواب
النيران لا ينغلق الا بهذا القول وباب القلب لا ينفتح الا بهذه الكلمة فانواع الوساوس لا تندفع
الا بهذا القول فكانت هذه الكلمة اشرف مقاليد السموات والارض واعز مفاتيح الارواح و
الاجسام والنفوس والعقول الاسم الثامن عشر القول السديد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا فعيل في تفسير الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل كالسميع بمعنى
السامع وقد يكون بمعنى المفعول كالقتيل بمعنى المقتول والجريح بمعنى المجروح فاذا كان
حملته على معنى الفاعل كان معناه انه يسد على صاحبه ابواب جهنم واذا حملته على معنى
المفعول كان معناه انه يسد عنه ان يضره شيء من الذنوب وايضا ان ذا القرنين بنى السد
دفعا لضرر ياجوج وماجوج والله تعالى جعل الايمان سدا دفعا لضرر الشياطين من الجن
والانس الاسم التاسع عشر البر قال تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من امن بالله الاية والاشارة في الاية انه من كان مشتغلا بجميع الجوانب والجهات لم يكن
صاحب البر وانما صاحب البر هو الذي يتوجه الى الكعبة وجهت وجهي للذي فطر السموات

فقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب اشارة الى الكفر والقول بالشركاء وقوله ولكن البر من امن بالله اشارة الى التوحيد فحاصل معناه هو المفهوم من قولنا لا اله الا الله **الاسم العشرون** الدين قال تعالى الا لله الدين الخالص اعلم ان الدين هو الانقياد والخضوع قال عليه السلام في دعواته من دانت له الرقاب اى خضعت فقوله الا لله الدين الخالص اى له الخضوع والخشوع لا لغيره وانما يكون كذلك اذا كان واحدا في الالهية اذ لو وجد الهان لكان كما ان الخضوع حاصل لاحدهما كان ايضا حاصلا للاخر للثاني فحينئذ لا يتمكن حصر ثبوت الخضوع لله فقط فالحصر دل بانه لا الا هو ولا معبود الا اياه **الاسم الحادي والعشرون** الصراط قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال تعالى حكاية عن رسوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وقال تعالى انك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الارض واعلم ان هذا الصراط المستقيم هو قول لا اله الا الله وذلك باعتبار ان حدوث كل محدث وامكان كل ممكن يحوجه الى المؤثر الذي يوجده وينقله من العدم الى الوجود فاذا كان الموجد المؤثر والمدبر واحدا فمتى نسبت حدوث المحدثات ووجود الممكنات الى قدرته كان ذلك صراطا مستقيما وطريقا قويما ومتى نسبت حدوث محدث او وجود ممكن الى غير قدرته كان ذلك طريقا معوجا وسبيلا منحرفا فثبت ان الصراط المستقيم لا يحصل الا باسناد كل الحوادث والممكنات الى تخليق الله تعالى وتكوينه واسناد الكل اليه فهو التوحيد فثبت ان الصراط المستقيم هو قول لا اله الا الله **الاسم الثاني والعشرون** كلمة الحق لقوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق يعني قول لا اله الا الله **الاسم الثالث والعشرون** العروة الوثقى قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني بلا اله الا الله **الاسم الرابع والعشرون** كلمة الصدق قال والذي جاء بالصدق وصدق به فهذه جملة الكلام في اسماء قول لا اله الا الله اللهم بحق اسمائك الطاهرة المطهرة المقدسة احفظ بحفظك معرفة هذه الكلمة في قلوبنا وذكرها

على

الدين

الصراط

كلمة الحق

العروة الوثقى

كلمة الصدق



على السنتنا يا ارحم الراحمين **الفصل الرابع** في الاشياء التي شبه الله تعالى كلمة التوحيد بها فالاول ان الله تعالى شبه الايمان بالنار فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقال في اية اخرى ومما يوقدون عليه في النار وفيه اشارات ثلثة الاولى كان ان النار اذا عرض عليه الذهب المغشوش احرق كل ما فيه من الغش وبقي جوهر الذهب سليما عن الاحتراق فكذلك يوم القيمة اذا عرض المذنب على نار جهنم احرقت ذنوبه ومعاصيه وبقي ايمانه سليما عن الاحتراق الثانية ان النار تحرق كل شيء فكذا الايمان اذا قوي بنوره احرق ما سوى الله عن القلب قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الثالثة انه تعالى شبه الايمان بنوره فقال مثل نوره والسبب فيه انه اضاف المعرفة الى نفسه قطعا للاطماع عنها وذلك انها جوهرة نفيسة وقيمتها رفيعة وصاحبها غافل والشيطان محتال مكار وكل مقصوده ان ياخذ المعرفة من العارف ويحول بينها وبينه فالحق سبحانه برحمته جعل المعرفة في حمايته حتى ينقطع طمع ابليس عنها وتحقيقه انه لما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلما اضاف العباد الى نفسه انقطع طمع ابليس عنهم فقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك الاية فههنا لما اضاف الايمان الى نفسه بقوله مثل نوره لا جرم كان طمع ابليس منقطعا الثاني ان كل ما للعبد فهو للحق لانه حصل بتخليقه وايجاده فاذا بلغ العبد في درجات المكاشفات الى ان يشاهد هذه الحالة فقد كملت حالته وعظمت درجته فعند ذلك قيل كل ما له فهو له وكل ما لنا فهو له بالمعرفة فالمعرفة التي هي فينا سمي لنا فلا جرم اضافها الى نفسه فقال مثل نوره الثالث ان التخصيص بالشيء باضافته الى الله تعالى بسبب التشريف كما في قوله هذه ناقة الله وقوله وانه لما قام عبد الله فهكذا ههنا اضافة المعرفة الى نفسه يدل على انها اشرف الخلع والتشريفات ثم ههنا سؤالات **السؤال الاول** ما الحكمة ان الله تعالى شبه نور المعرفة بنور السراج قال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والجواب من وجوه الاول ان البيت اذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة ان يفتضح فكذلك القلب اذا كان فيه سراج المعرفة لم يتجاسر الشيطان على دخوله مخافة

فصل رابع

تحقيقه

ان ينفتح الثانى ان البيت اذا كان فيه سراج اهتدى صاحبه الى طلب الامتعة فكذلك القلب
اذا كان فيه سراج المعرفة اهتدى صاحبه الى الشروع فى الطاعات الثالث ان السراج اذا كان
فى البيت انتفع بضيائه كل احد فما ينقص من استضائه صاحبه بنوره شئ فكذا اللامع
قلب فيه سراج المعرفة انتفع بنوره غير صاحبه من غير ان ينقص من نور صاحبه شئ الرابع ان
السراج اذا كان فى البيت وكان موضوعا فى كونه مسدودة بزجاجة اضاء داخل البيت وخارجه
فكذلك سراج المعرفة يضئ فى القلب وخارج القلب حتى يظهر نوره على الاذنين والعينين
واللسان فيظهر فنون الطاعات فى هذه الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه السلام اللهم اجعل
فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وفى عظمى نورا الخامس ان البيت اذا كان فيه سراج
كان صاحبه مستانسا مسرورا فاذا طفئ صار مستوحشا فكذلك القلب ما دام فيه سراج المعرفة
كان صاحبه مستانسا مسرورا فاذا فارقه والعياذ بالله صار مغموما قال تعالى فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء
السادس ان جرم السراج صغير وضوءه منتشر من كل جانب فكذلك ضوء المعرفة ينتشر
من القلب الى جميع الجوانب كما قال تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ومن
جانب العلو قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب **السؤال الثانى** ما الفرق بين سراج الدنيا
التى هى الشمس وبين سراج المعرفة الجواب الفرق من وجوه الاول ان الشمس يحجبها غمامة
والمعرفة لا يحجبها سبع سموات الثانى ان الشمس تغيب بالليل والمعرفة لا تغيب بالليل والنهار
بل هى فى الليل اكثر قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا وقال سبحان الذى
اسرى بعبده ليلا وقال ليلة القدر خير من الف شهر الثالث ان الشمس تفنى قال تعالى
اذا الشمس كورت واما المعرفة لا تفنى قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه الا ما حصل برضاه
الرابع الشمس تنكسف والمعرفة لا تنكسف الخامس الشمس يسود الاشياء والمعرفة يبيضها
السادس الشمس تحرق والمعرفة تنجى من الحرق السابع الشمس تارة تضر وتارة تنفع والمعرفة





لا تضر البتة الثامن الشمس منفعتها فى الدنيا والمعرفة منفعتها فى الدنيا والاخرة التاسع
الشمس فى الدنيا زينة لاهل الارض والمعرفة فى الارض زينة لاهل السماء العاشر الشمس فى الفوق
وهى تضئ ما تحتها والمعرفة فى قلب المؤمن وهو فى التحت وتضئ بما فوقه اليه يصعد الكلم
الطيب الحادى عشر بالشمس ينكشف وجوه الخلق وبالمعرفة ينكشف وجود الخالق والدليل عليه
قول امير المؤمنين على رضى الله عنه هل رأيت ربك فقال لا اعبد ربا لم اره الثانى عشر الشمس
تقع على الولى والعدو والمعرفة ليست الا للولى الثالث عشر ولاية الشمس فى الدنيا دون الاخرة
واما المعرفة فانها فى الدنيا ذات هداية وفى الاخرة ذات ولاية وايضا فان الكوكب مصباح الخلق
والمعرفة مصباح للحق وايضا فان شعاع الكوكب ينزل الى السفل وشعاع المعرفة يصعد
الى العلو وايضا فان الكوكب تطلع من خزانة الفلك والمعرفة تطلع من خزانة الملك وايضا
فان الكوكب علامة والمعرفة كرامة وايضا فان الكوكب موضع نظر المخلوقين والمعرفة
موضع نظر رب العالمين قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم واعمالكم **السؤال الثالث** ما الفرق بين السراج والمعرفة الجواب من وجوه الاول
ان سراج الدنيا نوره مشوب بالظلمة وهى الدخان الذى يعلوه وسراج المعرفة نوره صاف
لا ظلمة معه الثانى ان سراج الدنيا يحرق نفسه لينتفع به غيره وسراج المعرفة يحرق الذنب
ويروح السر وينور الصدر الثالث ان سراج الدنيا يضمحل فى نور الشمس واما سراج المعرفة
والتوحيد فانه يضمحل نور الشمس فى نوره الرابع ان سراج الدنيا لا وفاء له يحرق من
اوقده ومن امده بالفتيلة كما يحرق من لم يوقده ومن لم يمده بشئ وسراج المعرفة ذو وفاء
لا يحرق صاحبه البتة بل ينجيه من الحرق فشتان ما بين السراجين **السؤال الرابع** ما الحكمة
فى تشبيه المعرفة بالمصباح والجواب من وجوه الاول ان المصباح يضره الرياح والمعرفة يضرها
الوسواس والشبهات الثانى ان المصباح لا يبقى بغير الدهن والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق الثالث
لا بد للمصباح من حافظ يتعهده ولا بد من مصباح المعرفة من متعهد وهو فضل الله ورحمته

السؤال الخامس ما الحكمة في تشبيه الخلق بالزجاجة وهلا شبهه بالذهب والفضة
فانهما اعز من الزجاجة الجواب من وجوه الاول ان الذهب والفضة وان كانا نفيسين رفيعين
الا انهما كثيفين يوقعان الحجاب والزجاجة وان كانت قليلة القيمة الا انها لطيفة صافية
لا توقع الحجاب فانه يرى باطنها من ظاهرها وبالضد والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب
لا لوضعه الثاني انه ليس لانية الزجاجة خطر انما الخطر لما في الانية فكذا ليس لقلبك
خطر انما الخطر للايمان الثالث اذا انكسر الزجاجة لم يصلح الا بادخال النار والاذابة فكذا
القلب اذا فسد لا يصلح الا بادخال النار والاذابة وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا الرابع ان صاحب الذهب والفضة لا يخاف كسرهما لعلمه ان قيمتهما
لا تبطل بسبب الانكسار اما صاحب الزجاجة فانه يكون على حذر ووجل لعلمه بانها اذا انكسرت
بطلت قيمتها فكذلك المؤمن ينبغي ان يكون على حذر ووجل كصاحب الزجاجة ولا يكون على
امن وسكون كصاحب الذهب والفضة الخامس شبهه بالزجاجة لان النور في الزجاجة احسن
واتم ضياء منه في الذهب والفضة فالزجاجة لقلة قيمتها واستعدادها للانكسار والبطلان
ضياء النور فيها احسن وهو اشارة الى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي السؤال السادس
ما الحكمة في تشبيه تلك الزجاجة بالكوكب الدري والجواب من وجوه الاول ان الكوكب الدري
فيه لاهل الارض هداية كما قال وعلامات وبالنجم هم يهتدون ولاهل السماء زينة كما قال انا
زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فكذا قلب المؤمن سبب لهداية صاحب القلب الى الخيرات
وايضا نزهة لاهل السماء فانه روي ان معرفة العارف يضيء لاهل السماء كما يضيء
الكوكب الدري لاهل الارض الثاني ان الكوكب لا قدرة للشيطان عليه بل الكوكب يحرق
الشيطان قال وجعلناها رجوما للشياطين فكذلك ههنا قلب المؤمن لا سبيل للشيطان
عليه بل نور قلبه وايمانه محرق الشيطان ولذلك قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال يوسوس
في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا

فاذاهم



فاذا هم مبصرون فكذلك تذكر ظهور النور للايمان وقوله فاذا هم مبصرون اشارة الى احتراق
وساوس الشيطان السؤال السابع ما الحكمة في ان شبه القلب بالكوكب لا بالشمس والقمر والجواب
من وجوه الاول ان الكوكب يستتر بالنهار ويظهر بالليل والعارف مستور بالنهار فاذا اظلم
الليل بالخدمة والتضرع الثاني ان الكوكب زينة السماء والقلب زينة العارف الثالث ان
الكواكب مصابيح السماء ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح والقلب مصابيح العارف فقال
مثل نوره كمشكوة فيها مصباح السؤال الثامن هل في تشبيه الايمان بالسراج بشارة لاهل
الايمان الجواب نعم لوجوه الاول ان الشمس سراج اوقده الله تعالى للضياء ثم لا يقدر احد
على اطفائه والمعرفة سراج اوقده الله للبقاء فكيف يقدر ابليس على اطفائه الثاني استوقد
الله سراج الشمس في السماء فهي تزيل الظلمة عن بيتك مع غاية البعد فان استوقد شمس المعرفة
في قلبك فكيف لا تزيل ظلمة المعصية عن بيت القلب الثالث من استوقد سراجا فعليه تعهده
فالله تعالى هو موقد لسراج المعرفة قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان فلا جرم عليه تعهده
وتعهده قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الرابع اللص اذا راى السراج في البيت مستوقدا
لا يقصد ذلك البيت بالسرقة والله تعالى اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقدر لص
الشيطان من القرب منك الخامس المجوس اوقدوا نارا فلا يريدون اطفاءها فالملك القدوس
اوقد نار المحبة والمعرفة فكيف يرضى بابطالها واطفائها السادس ان الذي يستوقد
سراجا احتاج الى سبعة اشياء زند وحجر وحراقة وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالعبد
اذا طلب سراج المعرفة فلا بد له من زند الجهاد والذين جاهدوا وحجر التضرع ادعوا ربكم
تضرعا واما الحراق فهو حراق النفس بمنعها من شهواتها قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى
الرابع كبريت الانابة وانيبوا الى ربكم الخامس مسرجة الصبر واصبروا ان الله مع الصابرين
السادس فتيلة الشكر واشكروا نعمة الله عليكم السابع دهن الرضا بقضاء الله تعالى
واصبر لحكم ربك وقال عليه السلام الرضا بالقضاء باب الله الاعظم فهذه الحرقة يتعلق بك

في حفظ عهد العبودية فاذا اوفيت بعهد العبودية فهو اولى ان يفي بعهد الربوبية كما قال اوفوا
بعهدي اوف بعهدكم فتحفظ هذه المعرفة في قلبك وهذا الذكر في لسانك وتجعل نورا باقيا
معك في القبر والظلمات والقيمة **النوع الثالث** من الامور التي شبه الله الايمان بها التراب
قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ووجه المشابهة ان التراب ذو امانة من اودع
فيه شيئا سلم اليه اضعافه قال تعالى في كل سنبلة مائة حبة فكذا المؤمن اذا عمل عملا سلم الله تعالى
اضعاف ذلك العمل اليه يوم القيمة قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب الثاني
من خاصية الارض انه يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح فكذا ارض الايمان يطرح عليها
قبايح الكفر والذنوب ثم يخرج منها ثمرات المغفرة والرحمة والرضوان فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات الثالث من خاصية الارض انها كالام الحاضنة لك فهي لك كالمهد قال تعالى
الذي جعل لكم الارض مهدا او كالخزانة لك خلق لكم ما في الارض جميعا وكالام المشفقة
عليك منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فكذلك الايمان منه يحصل
جميع منافعك في الدنيا والعقبى **النوع الرابع** من الاشياء التي شبه الله تعالى الايمان والقرآن
بها الماء قال الله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الى قوله كذلك يضرب الله
الحق والباطل اي الايمان والكفر فالزبد الكفر والماء هو الايمان وفي تقرير وجه المشابهة
وجوه الاول انما الماء يزيل النجاسة عن الثوب وانزلنا من السماء ماء طهورا وثيابك
فطهر فكذلك الايمان يزيل نجاسة الكفر والمعاصي عن القلب قال عليه السلام الاسلام يجب ما
قبله الثاني ان الله تعالى سمى الماء المنزل من السماء رحمة قال الله تعالى وهو الذي يرسل الرياح
بشرا بين يدي رحمته وسمى القرآن رحمة قال تعالى وهدى ورحمة للمؤمنين وجعل الايمان
رحمة وسببا للرحمة فقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال كتب ربكم على نفسه الرحمة فلاجرم
شبه الايمان والقرآن بالماء لهذا السبب الثالث انه سمى القرآن مباركا فقال هذا ذكر مبارك
انزلناه وقال كتاب انزلناه اليك مبارك وقال في الماء وانزلنا من السماء ماء مباركا

فلاجرم



فلاجرم شبه القرآن بالماء لكون كل واحد منهما مباركا الرابع ان الماء شفاء للنفوس
والقرآن شفاء للقلوب قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
فهو شفاء لقلوبهم ورحمة لذنوبهم الخامس كما انه تعالى هو الذي تولى انزال الماء من السماء
ولا يقدر عليه احد سواه فكذلك هو الذي تولى انزال القرآن ولا يقدر عليه احد غيره
السادس كما ان الله تعالى اذا انزل المطر من السماء لم يقدر عليه احد على دفعه فكذلك لما
انزل القرآن من السماء لم يقدر احد على دفعه وادخال الباطل عليه وانه لكتاب عزيز لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه السابع ان المطر لا يقدر مخلوق على ان يحصي عدد قطراته
فكذلك القرآن لا يحيط احد بكمال اسراره ولطائف حقايقه الثامن كما ان المطر ينزل من
السماء قطرة قطرة ثم يسيل في الارض نهرا نهرا وبحرا بحرا فكذلك القرآن نزل من السماء اية
اية ونجما نجما ثم صار المجموع انهارا وبحارا وفي الخبر ان القرآن بحر عميق لا يدرك قعره
التاسع كما ان المطر لو نزل من السماء دفعة واحدة لقلع الاشجار وخرب الديار فكان الفساد
فيه اكثر من الصلاح فكذلك القرآن لو نزل جملة واحدة لضلت فيه الاوهام قال تعالى
لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله العاشر كما ان الله هو
تعالى يحيي الارض بعد موتها بالمطر فكذلك احيى القلوب الميتة بالقرآن قال او من كان ميتا
فاحييناه الحادي عشر كما ان المطر واحد ثم انه يقع على الارض فيخرج منه الورد والريحان و
على ارض اخرى فيخرج منها الشوك والسم فكذلك القرآن يقع على قلب المطيعين فيخرج
منه ورد العبودية وريحان الطاعة ويقع على قلب الكافرين فيخرج منه سم الكفر وشوك
المعصية قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الثاني عشر ان في الماء النازل من السماء غنية
عن جميع المياه فكذلك القرآن غنية عن جميع الكتب والعلوم الثالث عشر ان الماء الكثير
اذا انغمس من لا يحسن السباحة هلك فيه فكذلك القرآن اذا تكلم فيه احد بغير العلم هلك قال
عليه السلام من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار الرابع عشر كما ان شرف وفا الكفاية

يضر ولا ينفع فكذلك الكلام في القرآن فوق الفهم والفطنة يضر ولا ينفع قال عليه السلام
امرت ان اكلم الناس على قدر عقولهم الخامس عشر اذا انزل المطر زال القحط وظهر النبات
والغذاء والفاكهة فكذلك كان قبل نزول القرآن قحط الدين فلما نزل القرآن زال القحط
في الدين وظهر انواع الغذاء والفاكهة للروح وهو نبات التوحيد والنبوة والشرايع السادس
عشر كما ان الماء يطفئ النار فكذلك القرآن والايمان يطفئ عن المؤمن الذي هو حامل القرآن
نار جهنم **النوع الخامس** من الاشياء التي شبه الله الايمان بها الحبل قال تعالى واعتصموا بحبل الله
جميعا وجه المشابهة من وجوه الاول ان من اراد ان يصعد من السفل الى العلو وخاف من الانزلاق
فاذا تمسك بالحبل امن من ذلك الخوف فالعبد يريد ان يصعد من السفل البشرية الى عالم الجلال
والكبرياء ويخاف من ان يزلق قدم عقله فاذا تمسك بالقرآن امن منه الثاني ان الاعمى اذا
اراد الذهاب الى موضع فان كان بين مكانه وبين ذلك الموضع حبل مشدود وتمسك
بذلك الحبل وذهب فارغا من غير خوف فكذلك العقول البشرية كالعمى في سيرك سبيل
التوحيد والمعرفة فاذا تمسكوا بالقرآن امنوا من الخوف الثالث ان من سقط في البئر فطريق
تخليصه ان يرسل اليه حبل حتى يتعلق به ويصعد وينجوا من الهلاك فالارواح البشرية
وقعت في هاوية عالم الاجسام فالملك الرحيم جل وعز ارسل اليهم حبل القرآن فمن تعلق
به وصعد نجى ومن لم يتعلق به بقي في بئر الظلمات وكان من الهالكين **النوع السادس** من
الاشياء التي شبه الله تعالى الايمان به شجرة الزيتون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للآكلين وذكروا في وجه التشبيه امورا الاول انه تعالى انما شبه الايمان
بهذه الشجرة لان هذه الشجرة في اكثر الامر انما تنبت في الاماكن المطهرة فكذلك المعرفة
لا يستقر في كل قلب بل في القلوب المطهرة الثاني ان شجرة الزيتون يتولد من ثمرها ذلك الدهن
الذي هو في غاية الصفاء فكذلك قلب المؤمن يتولد منه الايمان والمعرفة وهما اصفى الانوار
واشرفها **واعلم** ان الله تعالى وعد المؤمنين بعشر كرامات احدها المغفرة قال تعالى قل للذين كفروا

حبل

شجرة الزيتون

انه وعد المؤمنين بعشر كرامات





ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمعنى انهم قبلوا الايمان وتركوا الكفر والثاني الامن قال تعالى
الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون الثالث الهداية قال
تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم الرابع الزيادة قال تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة الخامس الفلاح قال تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون وقال قد افلح المؤمنون السادس التثبيت قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت السابع الشفاعة قال تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
يعني قول لا اله الا الله الثامن اصلاح الاعمال قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا
قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم التاسع البشارة قال تعالى وابشروا بالجنة العاشر سماع كلام
ورؤية الله سلام قولا من رب رحيم ووجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة **تمت الخاتمة** فمن
وجوه قال بعضهم عجبا لمن عرفك كيف يخلو قلبه من ذكرك وكيف يكون هم نفسه وولده اكثر
من همه من جانبك وكيف يفرح بغير احسانك وكيف لم يطلب الغنى بالتعزز بك وكيف لم يطلب
الكفاية في صدق التوكل عليك وكيف لم يعد البلاء في طاعتك اعظم انواع السعادات
وكيف لم يشغله معرفتك عن معرفة غيرك وكيف لم يهن على قلبه مصائب الدنيا وكيف لم
يطلب راحته وروحه بتفويض امره اليك وكيف يطلب لذة العيش في غير وقت المعرفة
وكيف يستلذ بما يشغله عنك وكيف يؤثر شهوة الدنيا مع سرعة فنائها على محبتك
وكيف يغفل عنك وهو يعلم انك لا تغفل عنه الثاني قال ابن دار بن حسين من اقبل على الدنيا
احرقته نيرانها يعني الحرص فصار رمادا ومن اقبل على الآخرة احرقته نيرانها يعني نار الخوف
فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله احرقته نار التوحيد والمحبة فصار جوهرة نفيسة
لا قيمة لها الثالث قيل لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يكون خمس ما مولا ونشره مأمونا وحتى
يكون الضعة احب اليه من الرفعة والفقر اليه احب من الغنى والذل في الله احب اليه من العز فيما
سواه ويستكثر القليل من عمل غيره ويستقل القليل من عمل نفسه ولا يرى احدا الا ظن انه خير منه

عد نقص

تحكم النصائح والتنبيهات في ... عقل ... لطائف المواعظ والتذكيرات لمن اعتبر

الرابع قال لقمان لابنه يا بني للايمان سبع حقايق لكل حقيقة منها حقيقة فالحقايق
السبعة اليقين والمخافة والمعرفة والهدى والعمل والتفكر والورع فحقيقة اليقين الهيبة
وحقيقة الخوف الطاعة وحقيقة الهدى البصيرة وحقيقة العمل النية وحقيقة التفكر
الفطنة وحقيقة الورع الفرار الخامس قيل اركان الايمان اربعة توحيد بلا حد وذكر
بلا لبث وحال بلا نعت ووجد بلا وقت ومعنى قولنا حال بلا نعت ان يصير بحيث لا يصف
حالا من الاحوال الرفيعة الا يكون حاصلا له لكان غاييا وقيل ذكر الغايب غيبة السادس
قال علي رضي الله عنه اربع خصال من كن فيه فهو مومن اذا قال صدق واذا وعد وفا واذا
اوتمن ادى واذا عاهد لم يغدر السابع قال الجنيد المومن كالارض تطيق حمل كل شيء وكالقطر
اذا سقط سقى كل شيء والتحقيق فيه انه في جميع احواله ناظر الى الله وهو لا ينظر مع من يعامل
ولكنه ينظر لاجل من يعامل فلا جرم يستوي الكل عنده الثامن قال يحيى بن معاذ الايمان نقي فلا
تدنسه بالمذنوب والليل طويل فلا تقصره بمنامك والايام قصيرة فلا تخلها عن صيامك وقال
ايضا اذا لم يكن الايمان هادما للسيآت كان الكفر هادما للحسنات في فضل الايمان التاسع قال سهل بن
عبد الله المومن بين ستة اعداء نفس تنازعه ومنافق تبغضه وحريص يدبره وشيطان يغويه
ومومن يحسده وكافر يقاتله العاشر قال ابو بكر الوراق للمومن اربع علامات كلامه ذكر وصمته
فكر ونظره عبرة وعمله طاعة الحادي عشر ابو بكر الواسطي فمعنى قوله تعالى لو انهم من ساعة اي
حتى يخرج من الارادات والمنازعات لان كل ارادة ارادها الانسان على خلاف ارادة الحق فهو منازعة
مع الربوبية الثاني عشر قال ابو يزيد الهي انك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم امانة
بغير ارادتهم فان لم تعنهم فمن يعينهم الثالث عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن يكون
نفسه منه في عناء والناس منه في راحة **الفصل الخامس** في شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا اله
الا الله وهي وجوه البحث الاول زعم جماعة من النحويين ان هذا الكلام فيه حذف واضمار ذكروا
فيه وجهين احدهما التقدير لا اله لنا الا الله ثم لم يكن هذا الكلام مفيدا بتوحيد الحق اذ يحتمل

ان يقال

المؤمن بين ستة اعداء

للمؤمن اربع علامات

الفصل الخامس
في شرح مباحث كلمة التوحيد



ان يقال هب انه لا اله لنا الا الله فلم قلتم انه لا اله لجميع المحدثات والممكنات الا الله ولهذا
السبب انه تعالى لما قال والهكم اله واحد قال بعده لا اله الا هو الرحمن الرحيم لانه
لما قال والهكم اله واحد بقي لسائل ان يسئل ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم انه اله الكل
واحد فلاجل ازالة هذا السؤال قال بعده لا اله الا هو الرحمن الرحيم ولو كان المراد
من قوله لا اله الا هو انه لا اله لنا الا هو كان ذلك تكرار المحض فالثاني وهو قولهم
التقدير لا اله في الوجود الا الله فنقول واي حامل يحملكم على التزام هذا الاضمار
بل نقول حمل الكلام على ظاهره اولى من ذلك الاضمار الذي ذكرتم وذلك لانا لو التزمنا
ذلك الاضمار كان معناه لا اله في الوجود الا هو فكان هذا نفيا لوجود الاله الثاني
لو اجرينا الكلام على ظاهره كان هذا نفيا لماهية الاله الثاني ومعلوم ان نفي الماهية
اقوى في اثبات التوحيد من نفي الوجود فثبت ان اجراء هذا الكلام على ظاهره اولى
فان قيل نفي الماهية غير معقول فانك اذا قلت السواد ليس بسواد كنت قد حكمت
بان السواد انقلب على نقيضه وصيرورة الشيء عين نقيضه غير معقول اما اذا قلت
السواد غير موجود كان هذا كلاما معقولا فلهذا السبب اضمرنا فيه هذا الاضمار والجواب
قولكم نفي الماهية غير معقول قلنا هذا باطل فانك اذا قلت السواد ليس بموجود فقد
نفيت الوجود ولكن الوجود من حيث هو وجود ماهية فاذا نفيت الماهية المطلقة
نفيت الماهية المسماة بالوجود واذا كان كذلك صار نفي الماهية امرا معقولا واذا عقل
ذلك فلم لا يجوز اجراء هذه الكلمة على ظاهرها فان قلنا اذا قلنا السواد ليس بموجود
فانك ما نفيت الماهية وما نفيت الوجود ايضا وانما نفيت موصوفية الماهية بالوجود
فنقول موصوفية الماهية بالوجود هل هي امر مغاير للماهية وللوجود ام لا فان كانت مغايرة
لهما كان ذلك المغاير ماهية فكان قولنا السواد ليس بموجود نفيا لتلك الماهية المسماة
بالموصوفية فحينئذ يعود الكلام المذكور واما اذا قلنا ان موصوفية الماهية بالوجود ليست

امر مغاير للماهية وللوجود امتنع توجه النفي اليها واذا امتنع ذلك بقي النفي
متوجها اما الى الماهية واما الى الموجود وحينئذ عرضنا من ان الماهية يمكن نفيها واذا
كان الامر كذلك صح ان قولنا لا اله الا الله حق وصدق من غير حاجة الى اظمار

**البحث الثاني**

قال النحويون قولنا لا اله الا هو ارتفع هو لانه بدل من موضع لا مع الاسم وبيانه انك
اذا قلت ما جاءني رجل الا زيد مرفوع بالبدلية لان البدل هو الاعراض عن الاول والاخبار
بالثاني فصار التقدير ما جاءني الا زيد وهذا معقول لانه يفيد نفي المجيء عن الكل الا
عن زيد واما قولك جاءني القوم الا زيد فههنا البدلية غير ممكنة لانه يصير التقدير جاءني
الكل الا زيدا وذلك يقتضي انه جاءه كل احد الا زيد وذلك محال فظهر الفرق

**البحث الثالث**

اتفق النحويون على ان محل الا في هذه الجملة محل غير والتقدير لا اله غير الله وهو قول
الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه ۰ لعمر ابيك الا الفرقدان ۰ المعنى كل اخ غير الفرقدين فانه
يفارقه اخوه وقال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقالوا التقدير لو كان
فيهما الهة غير الله لفسدتا والذي يدل على صحة ما قلنا انا لو حملنا الا على الاستثناء
لم يكن قولنا الا الله توحيدا محضا لانه يصير تقدير الكلام لا اله يستثنى عنهم الله فيكون
هذا نفيا لالهة يستثنى عنهم ولا يكون نفيا لالهة لا يستثنى عنهم الله بل عند
من يقول بدليل الخطاب يكون اثباتا لذلك وهو كفر فثبت انه لو كان كلمة الا محمولة على
الاستثناء لم يكن قولنا لا اله الا الله توحيدا محضا ولما اجتمعت العقلاء على انه
يفيد التوحيد المحض وجب حمل الا على معنى غير حتى يكون معنى الكلام لا اله غير الله

**البحث الرابع** قال جماعة من الاصوليين الاستثناء من النفي لا يكون اثباتا واحتجوا
عليه بوجهين الاول ان الاستثناء ماخوذ من قولك ثنيت الشيء عن جهته اذا صرفته
عنها فاذا قلت لا عالم فههنا امران احدهما الحكم بهذا العدم والثاني نفس هذا العدم
ثم اذا قلت عقيبه الا زيد وهذا الاستثناء يحتمل ان يكون عائدا الى نفس ذلك العدم فان



عائدا الى الحكم بالعدم لم يلزم تحقق الثبوت لانه بسبب الاستثناء يزول الحكم بالعدم وبعد زوال
الحكم بالعدم بقي المستثنى مسكوتا عنه غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالاثبات وحينئذ
لا يلزم الثبوت اما ان كان تاثير الاستثناء في صرف العدم ومنعه فحينئذ يلزم تحقق الثبوت لانه
لما ارتفع العدم وجب حصول الوجود ضرورة انه لا واسطة بين النقيضين اذا ثبت هذا فنقول عود
الاستثناء الى الحكم اولى من عوده الى نفس العدم ويدل عليه وجوه الاول ان الالفاظ وضعت دالة
على الاحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية فانك اذا قلت العالم قديم فهذا يدل على كون العالم
قديما في نفسه والا لكنا اذا قلنا العالم حادث لزم كون العالم قديما وحادثا وذلك محال بل هذا الكلام
يدل على حكمك بقدم العالم واذا كان الالفاظ وضعت دالة على الاحكام الذهنية لا على الموجودات
الخارجية كان صرف ذلك الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من صرفه الى نفس ذلك العدم الوجه
الثاني في بيان ان عود الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من عوده الى نفس ذلك العدم وذلك لان عدم
الشيء في نفسه ووجوده لا يقبل تصرف هذا القائل بل القائل لم يصرف هو حكمه بذلك الوجود
والعدم واذا كان كذلك كان عود الاستثناء الى الحكم اولى من عودها الى المحكوم به الحجة الثانية
في بيان ان الاستثناء من النفي ليس باثبات هو انه جاء في الحديث والعرف صور كثيرة في الاستثناء من النفي
مع انه لا يقتضي الثبوت قال عليه السلام لا نكاح الا بولي ولا صلوة الا بطهور ويقال في العرف
لا عز الا بالمال ولا مال الا بالرجال ومرادهم من الكل مجرد الاشتراط اقصى ما في الباب انه قد
ورد هذا اللفظ في صورة اخرى وكان المراد ان يكون المستثنى من النفي اثباتا الا انا نقول لا بد
وان يكون مجازا في احدى الصورتين الا انا نقول ان قلنا انه لا يقتضي ان يكون الخارج من النفي اثباتا
فحينئذ لا يفيد ذلك لزمنا ترك العمل بما يكون اللفظ دليلا عليه ومعلوم ان الاول اولى لان اثبات
الامر الزائد بدليل زائد ليس فيه مخالفة الدليل اما ترك ما دل الدليل عليه يكون مخالفا للدليل
فثبت بما ذكرنا ان الاستثناء من النفي لا يكون اثباتا واذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله صريحا بنفي سائر
الالهة ولا يكون اعترافا بوجود الله واذا كان كذلك لم يكن مجرد هذا القول كافيا في صحة الايمان

وههنا اشكال اخر وهو انا قد دللنا على ان كلمة الا بمعنى غير في هذا الموضع واذا كان كذلك
كان قولنا لا اله الا الله معناه لا اله غير الله فيصير المعنى نفي اله يغاير الله ولا يلزم من نفي
مغايرة الشيء اثبات هذا الشيء وحينئذ يعود الاشكال والجواب عنه من وجهين الاول ان اثبات الاله
سبحانه كان متفقا عليه بين كل العقلاء بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله فكان ذلك مفروغا عنه متفقا عليه الا انهم كانوا يثبتون الشركاء والانداد فاما القول باثبات
الاله للعالم فذلك من لوازم العقول الثاني انا سلمنا ان هذه الكلمة كما دلت على نفي سائر الالهة
دلت على اثبات الالهية لله تعالى الا انا نقول هذه الدلالة تكون حاصلة بوضع الشرع لا بمفهوم
اصل اللغة فهذا تمام القول في هذا المقام **البحث الخامس** اعلم انه يجوز ان يقال لا رجل في الدار
اما الوجه الاول فانه يوجب نفي الرجال بالكلية والدليل عليه ان قولنا لا رجل يقتضي نفي ماهية
الرجل ونفي الماهية يقتضي انتفاء كل افراد الماهية لانه لو ثبت فرد من افراد الماهية لثبت الماهية
ضرورة انه متى ثبت فرد من افراد الماهية فقد ثبت الماهية لا محالة واما قولنا لا رجل في الدار فهو نقيض قولنا
رجل في الدار ولكن رجل في الدار يفيد ثبوت رجل واحد فقولنا لا رجل في الدار وجب ان يفيد
عموم النفي حتى يتحقق التناقض بين القولين فالحاصل ان قولنا لا رجل اقوى في الدلالة على عموم
النفي من قولنا لا رجل مع ان كل واحد منهما يفيد عموم النفي ولاجل كل واحد منهما يفيد العموم قرئ
قوله لا ريب فيه بالقرائتين فكذا قوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ولاجل ان البناء على الفتح
اقوى في الدلالة على العموم اتفقوا في قولنا لا اله الا الله **البحث السادس** من الناس من قال ان تصور
الاثبات مقدم على تصور النفي بدليل ان الواحد منا يمكنه ان يتصور الاثبات وان لم يخطر بباله معنى النفي
والعدم ويمتنع عليه ان يتصور العدم والنفي الا وقد تصور الاثبات اولا وذلك لان العدم المطلق
غير معقول بل العدم لا يعقل الا اذا اضيف الى امر معين فيقال عدم الدار وعدم الغلام فثبت ان
تصور الاثبات اصل ومتقدم وتصور النفي متأخر وفرع واذا ثبت هذا فما السبب في انه جعل النفي الذي
هو الفرع مقدما والاثبات هو الاصل مؤخرا والجواب في تقديم النفي على الاثبات ههنا اغراض الاول ان نفي

الربوبية



الربوبية عن غيره ثم اثباتها له اكد في الاثبات من اثباتها له من غير نفيها عن غيره كما ان قولنا القائل ليس في البلد
عالم غير فلان ابلغ في باب المدح من قولنا فلان عالم البلد والثاني ان لكل انسان قلبا واحدا والقلب الواحد لا يتسع
لاشتغال بشيئين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولا باحد الشيئين يبقى محروما عن الشيء الثاني فقوله
لا اله اخراج لكل ما سوى الله عن القلب حتى اذا صار القلب خاليا عن كل ما سوى الله ثم حضر فيه سلطان
الله والتمع نوره انتفت ظلمات وكمل استيلاؤه عليه كمال الاقوى الثالث ان النفي الحاصل بلا يجري مجرى
الطهارة والاثبات الحاصل يجري مجرى الصلوة وكما ان الطهارة مقدمة على الصلوة فكذا وجب تقديم
لا اله على قولنا الا الله ويجري مجرى تقديم الاستعاذة على القراءة وكما ان تقدم الاستعاذة على قراءة القرآن
فكذا ههنا وايضا من اراد ان يحضر الملك في بيت وجب عليه تقديم تطهير البيت عن الاقذار وعن هذا
قال المحققون النصف الاول من هذه الكلمة تنظيف الاسرار والنصف الثاني تجلي الانوار
عن حضرة ملك الجبار والنصف الاول انفصال والثاني اتصال والنصف الاول اشارة الى قوله
ففروا الى الله والنصف الثاني اشارة الى قوله قل الله ثم ذرهم **البحث السابع** لقائل ان يقول
انه من عرف ان للعالم صانعا قادرا عالما موصوفا بجميع الصفات السلبية والثبوتية فقد عرف الله معرفة
تامة ثم ان علمه بعدم الاله الثاني لا يزيده علما بحقيقة ذات الاله وصفاته لان عدم الاله الثاني
ليس عبارة عن وجود الاله الاول ولا صفة من صفاته ثم انا اجمعنا على ان علمه بذات الاله وصفاته
لا يكفي في تحقيق النجاة بل ما لم يعلم عدم الاله الثاني لا يحصل العلم المعتبر في النجاة فما السبب
في ان كانت معرفة ذات الله وصفاته غير كافية في تحقيق النجاة والجواب انه بتقدير ان يكون للعالم
الهين فالعبد لا يعلم انه عبد لهذا الاله او عبد لذلك او عبد لهما معا فحينئذ لا يكون جازما بكونه
مشتغلا بشكر مولاه وخالقه بل يجوز ان يكون عبادته لغير خالقه ومتى كان الامر كذلك لم يكن جازما
في تلك العبودية وتلك الطاعة اما اذا عرف انه لا اله للعالم الا انه واحد فحينئذ يكون جازما
بكونه مشتغلا بشكر مولاه وخالقه فلهذا السبب لم يحصل النجاة والفوز بالدرجات الا بمعرفة
التوحيد **البحث الثامن** ان المكلف اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة الله ثم لما تم [illegible]

من الوقت ما امكنه ان يقول لا اله الا الله فهنا لا شك انه يموت مؤمنا لانه ادى
ما وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ بهذه الكلمة فاذا تم النظر والاستدلال في معرفة الله
ووجد من الوقت ما امكنه ان يقول فيه لا اله الا الله ثم انه لم يقل ثم مات فهذا الشخص هل
مات مؤمنا ام لا فمن الناس من قال انه مات كافرا لان صحة الايمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة
عند القدرة عليه ومن الناس من قال انه مؤمن لاجل انه حصل العرفان التام وفاسق لاجل
انه كان مأمورا بذكر هذه الكلمة وما ذكرها والدليل على انه مؤمن قوله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا الشخص قلبه مملوء من الايمان فكيف لا
يخرج من الايمان **البحث التاسع** من الناس من قال بتطويل المد في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله
مندوب اليه مستحسن لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد والا
نداد وينفيها ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى الاخلاص
والكمال ومنهم ومنهم من قال بل ترك التمديد اولى لانه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل
الانتقال الى كلمة الا والذي عندي ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها لينتقل بها من الكفر
الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان على اسرع الوجوه وان كان
المتلفظ بها مؤمنا وانما يذكرها كيف يشاء لتجديد هذه الكلمة فالتمديد اولى حتى يحصل
في زمان التمديد حضور الاضداد والانداد على التفصيل في الخاطر وينفيها ثم يعقبها بقوله الا الله
فيكون الاقرار بالالهية اصوب واكمل **البحث العاشر** اعلم ان الناس في قولهم هذه الكلمة على مذاهب
وطبقات وادناها طبقة من قال لها لتحريم دمه واحراز ماله على ما اقتضاه بموجب قوله عليه
السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها الحديث وهذه درجة يشترك فيها المخلصون والمنافقون فكل من تعلق
بهذه الكلمة قال من بركتها واحرز حظا من فوائدها وان طلب بها الدنيا نال الامن فيها والسلامة
من آفاتها وان قصد بها الاخرة جمع بين الحظين واحرز بها السعادة في الدارين والطبقة الثانية

الذي



الذين ضموا الى القول باللسان الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد اعلم ان الاعتقاد التقليدي
لا يكون علما وذلك لان العقد ضد الانحلال والانشراح والعلم عبارة عن انشراح الصدر
قال تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فثبت ان صاحب التقليد لا يكون عارفا
ولا عالما وهل يكون مسلما فيه خلاف المشهور بين الائمة والطبقة الثالثة الذين ضموا الى
الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الاقناعية المقوية لذلك الاعتقاد الا ان تلك الدلائل
لا يكون برهانية يقينية بل اقناعية ظنية والطبقة الرابعة الذين اكدوا تلك العقايد
بالدلائل العقلية القطعية والبراهين اليقينية الا انهم لا يكونون من ارباب المشاهدات
والمكاشفات ولا من اصحاب التجلي وارباب مطالعة انوار الالهية ثم اعلم ان الاقرار باللسان له
درجة واحدة اما الاعتقاد بالقلب فله درجات مختلفة بحسب قوة الاعتقاد وضعفه ودوام
وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها فان المقلد ربما كان مقلدا في مجرد ان الله احد وربما زاد عليه
وكان مقلدا في ذلك وفي ان الصانع عالم وقادر واعلم ان كلما كان وقوف الانسان على هذه المطالب
اكثر كان تشويش امر التقليد عليه اكثر وذلك لان الطالب اذا حصل له شعور بهذه المطالب
وحصل له وقوف على هذه المباحث مال الى العلم وكره التقليد فيعسر عليه التقليد واما المرتبة
الثالثة وهي تقوية الاعتقاد بالدلائل الاقناعية فمراتب الخلق فيها متفاوتة وغير مضبوطة
واما المرتبة الرابعة وهي الترقي من الدلائل الاقناعية الى البراهين القطعية فان الاشخاص الذين
يكونون واصلين الى هذه الدرجة يكونون في غاية القلة ونهاية الندرة لان ذلك يتوقف على
معرفة شرائط البراهين واستعمالها في المطالب وذلك في غاية العزة واما المرتبة الخامسة وهم
اصحاب المشاهدات والمكاشفات فنسبتهم في القلة الى اصحاب البراهين القطعية كنسبة اصحاب البراهين القطعية
كنسبة اصحاب البراهين القطعية الى عوام الخلق واعلم ان عالم المكاشفات لا نهاية لها لانه عبارة عن سفر العقل
في مقامات جلال الله ومدارج عظمته ومنازل كبريائه وقدسه ولما كان لا نهاية لهذه المقامات فكذلك
لا نهاية للسفر في تلك المقامات واعلم ان الانسان اذا انكشف له اسرار لا اله الا الله اقبل على الله وخلص في عبادته

ولم يلتفت الى احد سواه فلا يرجو غيره ولا يخاف غيره ولا يرى الضر والنفع الا منه
فانقطع بالكلية عمن دونه وتبقى من شرك الباطن كما قد تبرأ من شرك الظاهر وذلك كله
موجب كلمة التوحيد ولهذا السبب لما قال لمحمد عليه السلام فاعلم انه لا اله الا الله قال بعده
واستغفر لذنبك والمعنى والله اعلم ان الامر بالاستغفار لتقصير وقع في موجب كلمة لا اله الا الله
اما الغفلة بما دونه او العارض شغل ويعوق عنه وهو معنى قوله عليه السلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقد روي مائة مرة في الحديث وجوه الاول ان
المراد ما يغشى قلبه من غفلة او يعرض من فترة بحكم الطبع البشري فكان عند ذلك نوع الى
الاستغفار والثاني انه عليه السلام كان ابدا في الترقي فاذا انتقل الى درجة نظر الى الدرجة المنتقل
عنها فكان يستحقر حاله في العبودية فكان يستغفر الله منها الثالث انه عليه السلام كلما لاح له شيء
من تجلي عالم الغيب فيستعظم تلك الدرجة ويبتهج بها ثم يصير استعظامه لها وابتهاجه بها مانعا له
عن الاستغراق في المبتهج به فكان يستغفر الله عن ذلك والرابع انه كلما لاح له شيء من عالم الغيب
كان يعلم ان الذي لاح له انما لاح بقدر قوته وطاقته وكان يعلم ان قدر عقله وطاقته بالنسبة
الى جلال الله تعالى وعلو كبريائه كالعدم فحينئذ يعلم ان الذي لاح من كمال الغيب بالنسبة الى ما لم
يلح له كالعدم بالنسبة الى الوجود وكان يستغفر الله من ان يقنع بما يصل الله قلبه وعقله وفكره
وذكره وخاطره

## الفصل السادس في فضل المؤمن

اعلم ان الله تعالى سمى المؤمن ثالث نفسه
في عشرة اشياء في المراقبة والولاية والموالاة والصلوات والعزة والطاعة والمشاقة والاذى
والالتجاء والشهادة المقام الاول في المراقبة ويدل عليه قوله تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون هدد المذنبين والجاحدين برؤية المؤمنين كما هددهم برؤية نفسه
وفيه لطائف الاول روي ان عمر رضي الله عنه خرج ليلة فسمع امرأة تقول لابنتها يا بنتاه
قومي وامزجي الماء باللبن قالت اوليس قد نهانا عن ذلك امير المؤمنين قالت لا يرانا امير
المؤمنين قالت بلى ولكن يرانا رب العالمين فلما سمع ذلك عمر رضي الله عنه خطبها في الغد لابنه

وكان عمر



وكان عمر بن عبد العزيز خير حفدتها الثانية امرأة شاطرة كانت بمكة قالت لا اتزوج
حتى افتن طاوس اليماني وكان رجلا جميلا فعرضت نفسها عليه مرارا حتى ظننت انها تعجبه فقال
طاوس احضري الليلة فجاءته الى المقام فقال اضطجعي ههنا فقالت سبحان الله الا يرى الناس
فقال طاوس اوليس قد يرانا الله في كل موضع فتابت المرأة الثالثة قال ابو عبد الرحمن العتبي
خرجت ليلة فاذا انا بجارية مليحة فاردتها فقالت ويلك ما لك زاجر من عقل ان لم يكن لك ناه
من الدين فقلت انه لا يرانا الا الكواكب فقالت فاين مكوكبها الرابعة قال حاتم الاصم راع
نفسك في ثلاثة اوقات اذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله اليك واذا قلت بلسانك فاذكر
سمع الله اليك واذا كنت ساكتا فاذكر علم الله فيك لانه تعالى قال انني معكما اسمع وارى
الخامسة ثلاثة نفر حضروا عند بعض الزهاد فقالوا اوصنا فقال للواحد الست تقول انه
عالم قال بلى قال اياك ان يعلم منك شيئا يفضحك به غدا وقال للثاني اليس هو بصير قال بلى قال
اياك ان يراك على عمل تستحي منه يوم القيمة وقال للثالث اليس هو سميع قال بلى قال احذر ان
لا يسمع منك شيئا يرد بك عن باب رحمته بسببه السادسة قال سفيان من وجد في نفسه ثلثة اشياء
فليحكم عليه بالسعادة الهيبة للعزيز الجبار والحرمة للنبي المختار والحياء من الابرار والاخيار
المقام الثاني الولاية وانه تعالى جعل المؤمن ثالث نفسه فقال انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا قيل نزلت في عبد الله بن سلام حين شكى من عداوة اليهود بعد اسلامه فنزلت فقال
محمد بن اسحق نزلت في عبادة بن الصامت قال يا رسول الله تبرأت من حلف اليهود وتوليت
الله ورسوله والمسلمين عامة وفيه نكت الاولى ان يوسف عليه السلام قال انت وليي في الدنيا
والاخرة فوجد الملك والعز بسبب ذلك القول الذي هو قائله وههنا قال الله تعالى للمؤمن
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا فاولى ان يرجو المؤمن ملك الجنة والمغفرة والثانية
قوله انما وليكم الله ورسوله يعني حافظكم وناصركم الله ورسوله والمؤمنون ثم قال عليه السلام
المرء مع من احب ثم ان كل مسلم يحب الله فوجب بحكم ذلك الخبر ان يكون المسلم ابدا مع حفظ الله تعالى

فاذا كان حفظ الله لا يفارقني بسبب اني احب الله فكيف يفارقني حفظ الله مع ان الله
تعالى وليي وحافظي وناصري الثالثة هذه الاية دلت على ان الصحابة يحبوننا لان الله تعالى
جعل المؤمنين اولياء لنا وهو قوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلوة ثم اكد بقوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ثم امرنا بان نحب الصحابة بدليل قوله والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار الى قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فثبت حصول المحبة بمجموع
هاتين الايتين بيننا وبين الصحابة والحبيب لا يرضى بعذاب الحبيب فدل ذلك على ان جمهور
الصحابة والتابعين وسلف المؤمنين كلهم يكونون شفعاء في ذنوب المذنبين **المقام الثالث**
الموالات قوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فحكم بان مولى المؤمنين
هو الله وجبريل وصالح المؤمنين ثم اسقط ذكر جبريل عليه السلام والمؤمنين فقال واعتصموا
بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير وقال في حق الكافرين ومأويكم النار هي موليكم ثم قال
لبئس المولى ولبئس العشير فمن كان الله موليه فلا يذل ولا يخزى ومن كان المؤمنون
موليه فلا يضيع ولا يشقى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم احد للكفار حين قالوا لنا
عزى ولا لكم عزى فقال عمر رضي الله عنه لنا مولى ولا لكم مولى فنزل على وفق قوله ذلك
بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم الثانية ان الله تعالى سمى النار مولى
الكفار فقال النار موليكم انما سمى النار موليهم لانها لا يتركهم فلما سمى نفسه مولى المؤمنين
فنرجوا ان لا يترك اعانتهم ورعايتهم الثالثة قال بعضهم من كان مولاه ربه لا يغلبه ومن كان
ناصره ربه لا يغلب ومن كان هاديه ربه لا يضل ومن كان معينه ربه لا يشقى ومن كان مولاه ربه
لا يضيع ولا يحتاج الى احد **المقام الرابع** الصلوات قال تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فجعل المؤمنين ثالثا في الصلوة
على الرسول عليه السلام وههنا نكتة الاولى في الخبر انه لما نزلت هذه الاية قال عليه السلام
هنئوني هنئوني فقالوا هنيئا لك يا رسول الله فما حظنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم

في شفاعة الصحابة والتابعين

الموالاة

الصلوات

وملائكته



وملائكته الاية وللاشارة ان صلى على الرسول في الدنيا فاترك المذنبين حتى صلى ايضا
عليهم فيوم القيمة كيف يترك المذنبين محرومين عن المغفرة الثانية الصلوات من الله على
رسوله على ثلثة اوجه عام وخاص وخاص الخاص فالعام هو قوله هو الذي يصلي عليكم والخاص
قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم وخاص الخاص قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
الثالثة في الحديث ان لله ملائكة بايديهم قراطيس من فضة واقلام من ذهب لا يكتبون شيئا
الا الصلوة علي وعلى اهل بيتي والسبب في هذه الصلوات ان روح الانسان ضعيفة لا يستعد
لقبول الانوار الالهية فاذا استحكمت العلاقة بين روحه وروح الانبياء عليهم السلام
فالانوار الفائضة من عالم الغيب على ارواح الانبياء ينعكس الى ارواح هؤلاء المصلين بسبب
الانعكاس مثال الشمس والطست المملوة الماء والسقف معلوم الرابعة جعل الله اهل بيته
مساويا له في خمسة اشياء في المحبة قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال لاهل بيته لا اسئلكم عليه
اجرا الا المودة في القربى والثاني في تحريم الصدقة حرمت الصدقة علي وعلى اهل بيتي والثالث
في الطهارة قال ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى وقال لاهل بيته ويطهركم تطهيرا
والرابع في السلام قال السلام عليك ايها النبي وقال في اهل بيته سلام على ال ياسين والخامس في الصلوة
على الرسول وعلى اله كما في اخر التشهد **المقام الخامس** العزة قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤ
منين فعزة الله عزة الربوبية وعزة الرسول عزة النبوة وعزة المؤمنين عزة التلفظ بكلمة
لا اله الا الله ثم كان عزة الله وعزة رسوله لا يقبلان الذل فكذا عز المؤمنين لا يقبل الذل الثانية
لله عز الانشاء والتكوين قال تعالى كن فيكون وللرسول عز الدعاء حين اشار الى القمر فانشق ببركة
دعائه وللمؤمنين عز الايمان والشهادة ثم ان الاشياء تكونت عند قوله كن فيكون والقمر انشق عند
دعاء الرسول فنرجوا ان تحصل الغفران والرحمة للمؤمن عند كلمة الشهادة والثالثة عز المؤمن في
ان قيده المعرفة وصيده الجنة وعنده الرؤية عزه في ان له ربا كافيا وكتابا شافيا ورسولا وفيا
اسمه اسم الله ولسانه شاهد الله ونفسه طالبة لمرضاة الله وقلبه محل نظر الله وسره معرفة الله

وشهادته محبة الله ووجهه نور الله وبصيرته مشتاقة الى رؤية الله فتحقيق برانه يكون
عزة متصلا بعز الله الرابعة لله العزة سواء وجد او عدم وللرسول العزة سواء بلغ او
سكت فكذلك للمؤمن العزة سواء اطاع او عصى الخامسة لله العزة بالولاية لقوله ان وليي
الذي نزل الكتاب وللرسول ايضا العزة بالولاية لقوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وللمؤمن ايضا العزة لقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض السادسة لله
العزة بالعلو والعظمة لقوله تعالى وهو العلي العظيم ولرسوله بالرفعة لقوله ورفعنا لك
ذكرك وللمؤمنين بالقبول والرحمة لقوله يغفر الذنوب جميعا السابعة لله العز العبودية
لقوله وانا ربكم فاعبدون وللرسول عز المتبوعية لقوله فاتبعوني لعلكم تهتدون وللمؤمنين
عز العبودية لقوله يا عبادي الذين اسرفوا الثامنة لله عز الاستغناء والله الغني وانتم الفقراء
وللرسول عز الاغنياء ووجدك عائلا فاغنى وللمؤمنين عز الاستغناء وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته التاسعة قال علي رضي الله عنه من اراد عزا بغير عشيرة وهيبة بغير سلطان وغنى
بلا مال وحسبا بلا نسب فليخرج نفسه من ذل المعصية الى عز الطاعة العاشرة قال هارون الرشيد
لمنصور بن عمار من اعقل الناس واجهلهم واغناهم واعزهم فقال اعقلهم محسن خائف واجهلهم
مسيء آمن واغناهم القانع واعزهم الاتقياء المقام السادس الطاعة قال تعالى اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فيه نكت روي في الخبر اني ملك لا ازول فاطعني حتى اجعلك
ملكا لا تزول واني حي لا اموت فاطعني حتى اجعلك حيا لا تموت فاني اذا اردت شيئا قلت له كن
فيكون فاطعني حتى انك اذا قلت لشيء كن فانه يكون الثانية في الخبر ما راه المسلمون حسنا
فهو عند الله حسن وما راه المسلمون قبيحا فهو عند الله وقال لا تجتمع امتي على الضلالة وقال
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر وكل ذلك يدل على انه كما يجب طاعة الله وطاعة الرسول فكذلك يجب طاعة
اولي الامر من المؤمنين الثالثة قيل بقاء الدنيا بسيوف الامراء ولسان العلماء فعليك بطاعتهما لان في





معصية الله تعالى المقام السابع المشاقة قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول فان الله شديد
العقاب وقال في المؤمنين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
النكتة الاولى ان الله تعالى ثلثة يحيى بعظمته يهلك العبد فيها انه لم يكن له معتصم يتمسك بها فجعل
حبل التوحيد سببا للنجاة من الكفر والخلاص من البدعة قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
وجعل القرآن سببا للنجاة عن البدعة لقوله واعتصموا بحبل الله وجعل الاجماع سببا للنجاة
عن الفتن لقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين ثم قال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
الثانية قال عليه السلام سبع من الهدى وفيهن الجماعة ومن خرج منهن فقد خرج من الجماعة لا تشهدوا
على اهل قبلتكم بكفر ولا بشرك واتركوا اسرارهم الى الله وصلوا على من مات من اهل القبلة وصلوا
الصلوات الخمس في الجماعة خلف كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل خليفة ولا تخرجوا على ائمتكم بالسيف
وادعوا لهم بالصلاح ولا تدعوا عليهم وجانبوا الاهواء كلها فانه اولها واخرها باطل والثالثة
سئل واحد عن القلب السليم فقال هو الذي دينه بلا شك ومذهبه بلا هواء وعمله بلا رياء
وبدنه بلا خصم المقام الثامن في الاذى ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يؤذون رسول الله الى
قوله يؤذون المؤمنين والمؤمنات اعلم انه تعالى نهى عن ايذاء نفسه وايذاء رسوله ثم اكد
ذلك بقوله وقولوا للناس حسنا قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال عليه السلام
المؤمنون قوم بررة وهم متحابون المتباذلون والمنافقون قوم فجرة وهم المتقاطعون المتدابرون
وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها ان الله تعالى يبغض الفاحش والمتفحش وفيه
نكت الاولى قال ان الملائكة يستغفرون للذين امنوا ولم يقل يلعنونهم ويؤذونهم الثانية
قال عليه السلام ان الله رفيق يحب الرفق الثالثة عاتب الله نوحا حين دعا على قومه بالهلاك
وقال المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولم يقل بعضهم اعداء بعض وقال عليه السلام
من اذى مؤمنا بغير حق فكانما هدم مكة والبيت المعمور عشر مرات وكانما قتل الف ملك من
المقربين وقال ابن عمر اذا لعن العبد دابة تقول الدابة لعن الله اعصانا لربه الرابعة قال تعالى

لرسوله عليه السلام فبما رحمة من الله لنت لهم الى قوله فاعف عنهم واستغفر لهم وقال
تعالى خذ العفو وأمر بالعرف ونهى عن الهمز واللمز فقال ويل لكل همزة لمزة وقال ولا تطع
كل حلاف مهين هماز وقال تعالى لموسى وهرون عليهما السلام فقولا له قولا لينا
وقال فقل هل لك الى ان تزكى **المقام التاسع** الالتجاء قال تعالى ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة مدح المؤمنين على الجهاد وعلى التولى فذلك بالمؤمنين
لان المنافقين كانوا يتولون اليهود والنصارى ويتخذونهم وليجة وبطانة فعليك ان تتولى الله ورسوله
والمؤمنين وليجة وبطانة النكتة الاولى انه تعالى مدح ابرهيم عليه السلام حين تبرأ من ابيه
وشكى عن حاطب بن ابي بلتعة حيث كاتب الكفار فقال لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقال
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله فقال ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون فسمى من يتولى الله ورسوله حزب الله ثم قال الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون النكتة الثانية قال الواسطي علامة الولى اربعة لا يشكو
من المصائب ولا يتخذ عمله رياء ويحتمل اذى خلقه ولا يكافيهم ويداري عباده على تفاوت اخلاقهم
وقال الشبلي احوال الاولياء ثلث ترك الاختيار وترك الشكوى عند الاضطرار والافتقار الى الملك
الجبار **المقام العاشر** في الشهادة على التوحيد قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم وفي الاية سؤالات الاول هو ان الله شهد لنفسه بالوحدانية ومن شهد لنفسه في
الشاهد فان تلك الشهادة لا تقبل والجواب من وجوه الاول ان هذا في الظاهر شهادة وفي
المعنى اقرار واقرار المرء على نفسه مقبول وانما قلنا ان هذا اقرار وذلك لانه لما ادعى الوحدانية
في الالهية فقد اقر بان الخلق كلهم عبيده ورزق العبد على المولى لازم فكانه تعالى اقر على نفسه
للخلق كلهم بالرزق والتربية والحفظ والنصرة الا ترى انه قال وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها الثاني ان الشهادة عبارة عن قول يدل على شيء دلالة ظاهرة ثم ان ذلك القول ابدا يكون
دالا على ذلك المطلوب فلا جرم كل فعل قام مقام القول في ذلك التعريف كان شهادة ثم ان القول الدال

لوكان



لوكان دلالته قطعية غير محتملة كان اولى بان يكون شهادة واذا ثبت ذلك فجميع مخلوقات
الله دالة على وحدانيته والهيته الدالة على الوحدانية قطعا فكانت اولى بان يكون شهادة فاذن
شهادة الله على التوحيد للجل انه خلق الدلائل على الوحدانية قطعا واما شهادة الملائكة
واولوا العلم فمعناها شهادة الاقرار والاعتراف فكانت شهادة الله على ذلك اقوى واتم
الثالث وهو ان كل مسئلة لا يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم بصحتها فانه يمكن اثباتها
بالدلائل السمعية ومسئلة الوحدانية كذلك فلا جرم ذكر العلماء انه يمكن اثبات ان الاله
واحد بالدلائل السمعية واذا كان الامر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة ان يستدل بها
على وحدانية الله تعالى **السؤال الثاني** انه تعالى نهى العباد عن ان يمدحوا انفسهم بقوله فلا تزكوا
انفسكم ثم انه مدح نفسه واثنى على نفسه فما السبب فيه والجواب من وجوه الاول انه اذا حصل لو
احد منا نوع فضيلة فذلك من فضل الله تعالى وكرمه فالمستحق للثناء هو الله سبحانه حيث اعطى تلك
الفضيلة فلا جرم اقبح من الواحد ان يثنى نفسه اما الحق سبحانه فانه قد حصلت له صفات الكمال ونعوت
الجلال على وجه يمتنع زوالها وتغيرها فظهر الفرق **الوجه الثاني** في الفرق ان ما فينا من الخصال
الممدوحة لا ينفك عن اضدادها فان علمنا مشوب بالجهل وقدرتنا مشوب بالضعف وملكنا
بعرض الهلاك وبقاؤنا بعرض الفناء وحيوتنا بعرض الموت واما صفات الله سبحانه فانها خالية
عن اضدادها فانه عالم بلا جهل قادر بلا عجز ملكه بلا زوال وبقاؤه بلا فناء وحيوته بلا
موت وعزه بلا ذل فظهر الفرق **الوجه الثالث** ان الله تعالى انما نهى عبده عن تزكية نفسه لان العبد
يقدم الدعوى على اظهار المعنى فاما الحق تعالى فانه كان قد اظهر المعنى قبل الدعوى لانه
خلقك واعطاك الحيوة والعقل وانواع المنافع والاظهار بعد اقامة البرهان على المعنى يكون
مستحسنا بخلاف حال العبد فان اكثر احواله يكون اظهار الدعوى متقدما على اظهار المعنى
**الوجه الرابع** انه من اوله نطفة قذرة واخره جيفة مدرة وفيما بين ذلك حمال عذرة لا يليق
به ان يمدح لنفسه انما يحق مدح النفس لمن هو الاول والاخر والظاهر والباطن **الوجه الخامس**

معنى شهادة الله والملائكة

مطلب كل مسئلة

انه تعالى انما مدح نفسه علمه الثناء مع نهي العباد عن التزكية

ان حب الانسان لنفسه غالب فاذا شرع في مدح النفس استولى حب ذلك عليه ثم ان ذلك يعميه
ويصمه عن التنبه لما فيه من المعايب فيصير ذلك سببا لبقائه في ظلمات الحماقات والجهالات لا يخلاف
الحق سبحانه وتعالى فانه منزه عن النقايص والآفات فلا يصير مدحه لنفسه سببا لشيء من المعايب
والنقصانات **السؤال الثالث** لما شهد لنفسه بالوحدانية فاي حاجة مع حصول شهادته
الى شهادة الملائكة واولوا العلم فما الحكمة في انه تعالى ذكر بعد شهادة نفسه شهادة الملائكة
والمؤمنين والجواب من وجوه الاول روي انه عليه السلام كان يمشي خلف جنازة فقال واحد
هذا الميت كان رجلا صالحا فقال عليه السلام وجبت فقال الثاني والثالث كذلك فقال عليه السلام
اثبات ثلثة فلما قال الرابع مثل ذلك قال عليه السلام وجبت فقيل له يا رسول الله وما الذي
وجبت رحمته ومغفرته يا كرم رسول الله وذلك لان المؤمنين شهود الله على وحدانيته
فلو لم يقبل شهادتهم ههنا لكانت شهادتهم في الوحدانية غير مقبولة وهو حكيم لا يفعل ذلك
اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما جعل المؤمنين شهودا للوحدانية فلو اظهر ذنبهم ومعصيتهم
يوم القيمة صارت شهادتهم مردودة فذلك لا يليق بحكمة الحكيم فلما جعلهم في هذه الآية شهودا
على وحدانيته دل ذلك على انه تعالى لا يظهر ذنبهم وقبح عملهم يوم القيمة اللهم حقق رجاءنا بكرمك
وفضلك الثاني انه ليس المقصود من ذكر شهادة الملائكة والمؤمنين توقيف هذا المطلوب
على شهادتهم بل المقصود فيه شهادة الله لهم بانهم يوافقون الله تعالى في كل ما وصل اليهم من امره
ونهيه وخيره فالمقصود اظهار شرفهم في كونهم موافقين لله في هذه الشهادة لا توقيف المطلوب
على شرفهم **السؤال الرابع** ما الحكمة في تكرير لا اله الا الله في قوله شهد الله والجواب من وجوه احدها
ان المقصود من التكرار التنبيه على ان الانسان يجب ان يكون مواظبا على ذكر هذه الكلمة في اكثر
اوقات عمره وثانيها انه لما حصل هذه الكلمة اول هذه الآية وآخرها صار ذلك تنبيها على
انه يجب على العاقل ان يجعل هذه الكلمة مذكورا في اول عمره وفي آخر عمره حتى يكون في الدنيا
سعيدا وفي الآخرة حميدا الثالث انه تعالى ذكر احدى الشهادتين عن نفسه والاخرى عن خلقه

الفصل



**الفصل السابع** في اقامة الدلائل على ان الله تعالى واحد لا شريك له قد بينا ان هذا المطلوب
يمكن اثباته بالدلائل العقلية وبالدلائل النقلية فلنذكر الكل اما الدلائل العقلية
فمن وجوه الاول القول بوجود الالهين يفضي الى المحال فيكون القول به محالا وانما قلنا
انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا الهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على
المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه
فاذا فرضنا ان احدهما حاول تحريكه والآخر حاول تسكينه فاما ان يقع المرادان
وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو ايضا محال
لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما حصول مراد الآخر فلا يمتنع وجود هذا المراد الا عند
وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا او وجدا معا وذلك محال واما ان يقع مراد
احدهما دون الثاني وهو ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل واحد منهما قادرا على
ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا
في القدرة استحال ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع والا لزم ترجيح احد المتساويين
على الآخر من غير مرجح وهو محال والثاني انه اذا وقع مراد احدهما دون الآخر فالذي يحصل
مراده يكون الها قادرا والذي لا يقع مراده يكون عاجزا والعاجز لا يكون الها الخلق فان
قيل لا نسلم صحة المخالفة في الارادة ويدل عليه وجهان الاول انه لا بد وان يكون كل
واحد منهما عالما بجميع المعلومات واذا كان كذلك كان كل واحد منهما عالما بان اي احد
الضدين يقع وايهما لا يقع وما علم الله انه لا يقع كان ممتنع الوقوع وما كان ممتنع
الوقوع فان العالم بامتناعه لا يريده واذا كان كذلك كان كل واحد منهما لا يريد
الا ايقاع شيء واحد والثاني ان كل واحد منهما لا بد وان يكون حكيما فيكون كل واحد
منهما عالما بان ايهما هو الاصلح وايهما ليس هو الاصلح فيكونان متوافقين في ارادة ما
علما انه هو الاصلح وبهذا الطريق يمتنع وقوع المخالفة بينهما سلمنا انه يصح المخالفة

ولكن المحال انما يلزم من وقوع المخالفة لا من جواز المخالفة فلا جرم نقول المخالفة لا يقع
وان كانت ممكنة الوقوع والجواب انه لو كان العلم بان ايهما يقع وايهما لا يقع وجب ارادة
ما علم وقوعه فيمتنع ارادة ما علم عدم وقوعه لزم ان يكون انه موجبا لافعاله لا موجدا
لها على سبيل الاختيار والكلام في الوحدانية فرع على الكلام في اثبات القادر المختار **الحجة**
**الثانية** لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات وذلك يفضي الى
وقوع واحد بين قادرين مستقلين وذلك محال فالقول بوجود الالهين محال بيان الملازمة
انه اذا كان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات كان مقدور كل واحد منهما مقدورا
للاخر ثم اذا اتفقا على انه لا بد من دخول احد تلك المقدورات في الوجود فحينئذ لا يكون وقوع
ذلك المقدور باحدهما اولى من وقوعه بالثاني لان كل واحد منهما مستقل بايجاده وكل واحد
منهما مريد وجوده ولا رجحان لاحدهما على الاخر في ذلك فيلزم وقوع المقدور الواحد
بالقادرين المستقلين وانما قلنا ان ذلك محال لان ذلك الفعل يستغني بكل واحد منهما
عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما معا وغنيا عنهما معا وذلك جمع بين النقيضين
وهو محال **الحجة الثالثة** اذا قدرنا الهين فاما ان يصح عليهما ان يختلفا او لا يصح عليهما
فان صح الاختلاف افضى ذلك الى عجز احدهما على ما بيناه في الحجة الاولى وان لم يصح
عليهما الاختلاف كان كل واحد منهما عاجزا عن اظهار مخالفة صاحبه فيعود الامر الى
كون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها واعلم انك متى وقفت على تقدير هذه
الوجوه الثلاثة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دال
على وحدانية الله تعالى لانه لو اراد احدهما ان يكون صيفا والاخر ان يكون شتاء وصحيحا
ومريضا وسعدا ونحسا فحينئذ يعود التقسيم المذكور **الحجة الرابعة** لو فرضنا موجودين وا
جبي الوجود لذاتهما فلا بد وان يكون كل واحد منهما مشاركا للاخر في الوجوب ومباينا له في نفسه
وما به المشاركة غير ما به المباينة فكل واحد منهما مركب من الوجود الذي به يشارك الاخر ومن

التباين



التباين الذي به يباين الاخر فكل مركب فانه محتاج الى كل واحد من اجزائه وجزؤه غيره
فكل مركب محتاج الى غيره وكل ما كان محتاجا الى غيره فهو ممكن لذاته فلو وجد شيئان كل
واحد منهما واجب الوجود لذاته لكان كل واحد منهما ممكن الوجود لذاته وذلك محال فالقول
بان واجب الوجود اكثر من واحد محال **الحجة الخامسة** لو فرضنا موجودين كل واحد منهما
واجب الوجود لذاته فلا بد وان يتميز كل واحد منهما عن الاخر بامر والا لم يحصل التعدد
ثم نقول ما به الممايزة اما ان يكون صفة كمال او لا يكون فان كان صفة كمال فالخالي عنه يكون
خاليا عن صفة الكمال فيكون ناقصا والناقص لا يكون الها وان لم يكن صفة كمال فالموصوف
به يكون موصوفا بما لا يكون صفة كمال وما لا يكون صفة كمال كان صفة نقصان فالموصوف
به يكون ناقصا والناقص لا يكون الها **الحجة السادسة** ان يقال ما به امتياز احدهما عن الاخر
اما ان يكون معتبرا في تحقق الالهية واما ان لا يكون معتبرا فيه فان كان معتبرا فالخالي عنه
لا يكون الها فان لم يكن معتبرا في الالهية لم يكن الاتصاف به واجبا فيفتقر الى المخصص فالموصوف
به مفتقر محتاج فلا يكون الها **الحجة السابعة** لو فرضنا الهين لا بد وان يكون كل واحد
منهما بحيث يتمكن العبد من التميز بينهما لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل الا بالتباين
في المكان او في الزمان او في الوجوب والامكان وكل ذلك على الاله محال فيمتنع حصول
الامتياز **الحجة الثامنة** احد الالهين اما ان يكون كافيا في تدبير العالم وتخليقه او لا
يكون فان كان كافيا كان الثاني ضايعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان
لم يكن كافيا فهو ناقص والناقص لا يكون الها **الحجة التاسعة** العقل يقتضي احتياج الفعل
الى الفاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولى من عدد فيفضي
ذلك الى وجود اعداد لا نهاية لها وذلك محال فالقول بوجود الالهين باطل **الحجة العاشرة**
احد الالهين اما ان يقدر على تحقيق نفسه بدليل يدل على تعيينه او لا يقدر والاول محال
لان ذلك اثبات الصانع ليس الا بحدوث المحدثات وامكانها وليس في الحدوث والامكان ما يدل

على تعيين احدهما او الثاني ايضا باطل لانه يقتضي الحكم بكون كل واحد منهما عاجزا عن تعريف
نفسه على التعيين والعاجز لا يكون الها الحجة الحادية عشر ان احد الالهين اما ان يقدر على ان
يستر شيئا من افعاله عن الاخر او لا يقدر وان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر
لزم كونه عاجزا الحجة الثانية عشر لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتهما اقوى من قدرة كل واحد
منهما فالاقل من الغير متناه فقدرة كل واحد منهما متناهية وكل واحد منهما عاجز الحجة
الثالثة عشر العدد ناقص لاحتياجه الى الواحد وايضا الواحد الذي يوجد من جنسه ونوعه
وغيره ايضا ناقص لان مجموع العدد ازيد منه والناقص لا يكون الها الحجة الرابعة عشر لو
فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم قدرنا الهين فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل
واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الاخر فهذا الاخر لا يكون
الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الاخر
فيكون كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا
عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول قد ازال قدرة
الثاني وعجزه فيكون مقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قيل الواحد اذا اوجد مقدوره
بنفسه فقد زالت قدرته فيلزم منكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا
الواحد اذا اوجد مقدوره بنفسه فقد نفذت قدرته فنفاذ القدرة لا يكون تعجيزا
اما الشريك فانه ما نفذت قدرته البتة بل زالت قدرته بسبب قدرة الاول فيكون
ذلك تعجيزا الحجة الخامسة عشر انا نعين جسما ونقول هل يقدر كل واحد منهما على خلق
الحركة فيه بدلا عن السكون وبالعكس او لا يقدر فان لم يقدر كان عاجزا وان قدر فنسوق
الدلالة المتقدمة الى ان نقول اذا خلق احدهما فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون
فالاول ازال قدرة الثاني وجعله عاجزا فلا يكون الها الحجة السادسة عشر انا لو قدرنا
الهين لكان كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات فكان علم كل واحد منهما متعلقا بعين معلوم





الاخر فوجب تماثل علمهما والذات القابلة لاحد المثلين قابلة للمثل الاخر فاختصاص
هذه الذوات بهذا العلم مع جواز اتصافها بذلك العلم الثاني بدلا عن هذا العلم يكون امرا
جائزا فيستدعي مخصصا يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته فيكون كل واحد منهما عبدا فقيرا
مفتقرا الى الاله وانه محال الحجة السابعة عشر ان الشركة في الملك عيب في الشاهد والفردانية
والتوحيد بالملك والاستقلال به صفة كمال ونرى الملوك يكرهون الشركة في الملك
الحقير المختصر اشد الكراهة ونرى انه كلما كانت المملكة اعظم كانت النفرة عن الشركة اشد
فما ظنك بملك الله تعالى وملكوته فاذا اراد احدهما استخلاص الملك لنفسه فان قدر عليه
كان المغلوب فقيرا عاجزا فلا يكون الها الحجة الثامنة عشر انا لو قدرنا الهين لكان اما
ان يحتاج كل واحد منهما الى الاخر ويستغني كل واحد منهما عن الاخر او يحتاج احدهما على
الاخر ويستغني الاول عن الاخر فان كان الاول كان كل واحد منهما محتاجا وكل محتاج ناقص
والناقص لا يكون الها وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنى عنه ناقص الا ترى ان البلد
اذا كان له رئيس في غاية الذل والمهانة فالناس يحصلون مصالح البلد من غير رجوع منهم
اليه ومن غير التفات منهم اليه عد ذلك الرئيس في غاية الذل فالاله هو المستغني به ولا
يستغنى عنه وان احتاج احدهما الى الاخر من غير عكس كان المحتاج ناقصا والمستغني
هو الاله واعلم ان هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها اقناعية واما الدلائل السمعية
فالحجة الاولى قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى قل هو الله احد وقال تعالى
لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد الحجة الثانية قوله تعالى هو الاول والاخر فالاول
هو الفرد السابق ولذلك لو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يحنث
لان الاول يجب ان يكون فردا وهذا ليس بفرد ثم لو اشترى بعد ذلك واحدا لم يحنث ايضا لان
الاول يجب ان يكون سابقا وذلك يقتضي ان لا يكون له شريك الحجة الثالثة قوله تعالى وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فالنص يقتضي ان لا يعلم احد سواه تلك المغيبات ولو كان له

شريك كان عالما بالغيب وهو على خلاف هذا النص الحجة الرابعة ان الله تعالى خرج بكلمة
لا اله الا الله في سبعة وثلثين موضعا من كتابه وكل ذلك يدل على المقصود الحجة الخامسة
قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه حكم بان كل ما سواه جاز عليه العدم وكل ما جاز عليه
العدم بعد وجوده لا يكون قديما لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه وما لا يكون قديما لا يكون
الها الحجة السادسة قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير
فهو على كل شيء قدير ولو كان له شريك لكان ذلك الشريك قادرا على النفع والضر وذلك
خلاف قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الحجة السابعة انه تعالى استدل
في كتابه على صحة التوحيد بثلثة اوجه احدها قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
والثانية قوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض والثالثة قوله تعالى اذا لابتغوا الى ذي العرش
سبيلا واعلم انه تعالى لما ذكر قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال بعده فسبحان الله
رب العرش عما يصفون وفيه لطائف الاولى انه تعالى لما اقام الدلائل القاطعة على
صحة التوحيد قال فسبحان الله رب العرش عما يصفون وذلك تنبيه على ان الاشتغال بالتسبيح
انما ينفع بعد اقامة الدلائل على كونه تعالى منزها وثانيها انه لم يقل فسبحان الله عما يصفون
بل قال فسبحان الله رب العرش عما يصفون والسبب فيه ان هذه المناظرة انما وقعت مع عبدة
الاوثان لان الدليل الذي ذكره الله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا يفيد الرد على كل
من اثبت لله شريكا ثم انه تعالى بعد ان ذكر هذا الدليل العام نبه على نكتة خاصة لعبدة
الاوثان وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يحس ولا يعقل شريكا في الالهية
لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين وثالثها قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
فاعلم انه تعالى علق هذه الاية بما قبلها لان من اثبت لله تعالى شريكا ليست الا طلب اللمية
في افعال الله وذلك لان الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا لله شريكا عولوا في تقرير مذهبهم
على نكتة واحدة وهي انا نرى في العالم خيرا وشرا ولذة والما وصحة وسقما وحياة وموتا

وغنى



وغنى وفقرا وقد ثبت في العقول ان فاعل الخير خير وفاعل الشر شرير ويستحيل ان
يكون الفاعل خيرا وشريرا معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر للشر
ويرجع حاصل هذه الشبهة الى ان الفاعل الحكيم لا يجوز ان يخص بعض عبيده بالفقر
والالم والموت فيرجع حاصل الكلام الى طلب اللمية في افعال الله سبحانه والجواب الاصل
لهذه الشبهة ان افعال الله لا تعلل ولله ان يفعل كل ما يشاء فلما كان مدار المثبتين لشريك
الله على طلب اللمية في افعال الله بين لا جرم انه سبحانه وتعالى بعد ان ذكر الدليل الدال ذكر ما
هو النكتة الاصلية في الجواب عن شبهة القائلين بالشريك لان الترتيب الحسن في المناظرة
ان يقع الابتداء بذكر الدليل المثبت للمطلوب ثم يذكر بعده ما هو الجواب المعتمد عن شبهة الخصم
فان قال قائل فما الدليل العقلي على انه تعالى لا يسأل عما يفعل فانه لا يجوز تعليل
افعاله واحكامه برعاية المصالح قلنا اما اصحابنا اهل السنة فقد استدلوا عليه من وجوه
الحجة الاولى انه لو كان كل شيء معللا بعلة لكانت عليته تلك العلة لعلة اخرى ولزم
التسلسل والدور وهما محالان فلا بد في قطع التسلسل من الانتهاء الى ما يكون غنيا
عن العلة واولى الاشياء بذلك ذات الله وصفاته فكما ان ذاته منزهة عن الافتقار الى
المؤثر والعلة وصفاته مبراة عن الافتقار الى المبدع والمخصص فكذلك فاعليته وجب
ان يكون مقدسة عن الافتقار الى الموجب والمؤثر الحجة الثانية فاعليته لو كانت معللة
بعلة لكانت تلك العلة اما ان يكون واجبة او ممكنة فان كانت واجبة لزم وجوبها
وجوب كونه تعالى فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وان كانت ممكنة
كانت تلك العلة ايضا فعلا لله تعالى فيفتقر كونه تعالى فاعلا لها الى علة اخرى ولزم
التسلسل الحجة الثالثة ان من فعل فعلا لغرض فاما ان يكون قادرا على تحصيل ذلك
الغرض بدون تلك الواسطة او لا يكون قادرا عليه فان كان الاول كان توسط تلك الواسطة
عبثا فان لم يكن قادرا عليه كان عاجزا وذلك على الله محال بخلاف الواحد منا فان العجز

علينا جائز فلاجرم كانت افعالنا معللة بالاغراض الحجة الرابعة لو كان فعله تعالى معللا
بغرض لكان ذلك الغرض اما ان يكون عائدا الى الله تعالى او الى العباد والاول محال لانه منزه
عن النفع والضر واذا بطل هذا تعين ان يكون الغرض لابد وان يكون عائدا الى العباد ولا غرض
للعباد الا حصول اللذات وعدم حصول الالام والله قادر على تحصيلها ابتداء من غير شيء
من الوسائط واذا كان كذلك استحال ان يفعل شيئا لاجل شيء الحجة الخامسة لو فعل فعلا لاجل
غرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه اما ان يكون على السوية او لم يكن فان كان ناقصا
لذاته مستكملا بغيره وهو محال فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السوية
اما بالنسبة الى عباده فالوجود اولى من العدم فنقول تحصيل تلك الاولوية للعبد وعدم
تحصيلها له اما ان يكون بالنسبة الى الله تعالى على السوية وحينئذ يعود التقسيم الاول الحجة السادسة
ان الموجودات باسرها مملوكة له وهو سبحانه مالك ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال
له لم فعلت الحجة السابعة من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحتمل حيث
يقدر السائل على منع المسؤول عنه عن فعله وذلك من العبد في حق الله تعالى محال فانه
لو فعل شيئا اي شيء شاء فالعبد كيف يمنعه عن ذلك المنع بان يهدده بالعقاب والايلام
وذلك على الله تعالى محال او بان يهدده باستحقاق الذم والجرح في الحكمة والاتصاف بالسفه
على ما يقوله المعتزلة وذلك ايضا محال لان استحقاقه للمدح واتصافه بانصاف الحكمة
والجلال انوار ذاتية له وما ثبت لشيء لذاته يستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات العرضية
فيثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز ان يقال لله تعالى في افعاله لم فعلت وظهر صدق قول
مشايخنا ان كل شيء صنعه ولا علة لصنعه اما المعتزلة فانهم سلموا انه يجوز ان
يقال لله لم فعلت لكنهم بنوا الجواب عن شبهة الثنوية على اصل اخر وهو انه تعالى عالم
بقبح القبائح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا
عرفنا ذلك عرفنا اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك لم يجز

او لا يكون فان كان على السوية استحال ان يكون غرضا وان لم يكن على السوية صح





للعبد ان يقول لله لم فعلت هذا فظهر بما ذكرناه على اختلاف المذهبين صدق قوله
لا يسئل عما يفعل واذا ظهر ذلك سقطت شبهة الثنوية في اثبات الشريك الفصل
الثامن في الاحكام الفقهية المتفرعة على قولنا لا اله الا الله واعلم ان الايمان
لابد له من امرين احدهما وهو الاصل حضور المعرفة بالقلب واليه الاشارة
بقوله فاعلم انه لا اله الا الله وثانيهما الاقرار باللسان بالتوحيد واليه الاشارة بقوله
قل هو الله احد وذلك لان قوله قل امر للمكلف بان يقول بلسانه ما يدل على التوحيد
ثم تاكدت هذه الدلالة بالسنة الغراء امرت ان اقاتل الناس الحديث والسبب
انه لابد من هذا القول هو ان للايمان احكاما بعضها يتعلق بالباطن وبعضها بالظا
هر فما يتعلق بالباطن فهو احكام الاخرة وذلك متفرع على العلم الذي هو بطن
عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو احكام الدنيا وما يمكن اقامتها الا بعد معرفتنا
انه مسلم ولا معرفة الا بالقول باللسان فصار المعرفة ركنا اصليا في حق الله تعالى
والقول ركنا شرعيا في حق الخلق واليه الاشارة بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وقال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وقال الشيخ ابو علي الدقاق
من قالها مخلصا في قالته دخل الجنة في حالته قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة
في الوقت وهي جنة المعرفة وجنة غدا وهي جنة الاخرة اختلف المحققون فقال الاكثرون
الاولى ان يكون الذكر في الابتداء قول لا اله الا الله وفي الانتهاء الاختصار على ذكر كلمة
الله ومنهم من واظب في الابتداء والانتهاء على ذكر لا اله الا الله وحجة هؤلاء ان عالم
القلب مشحون بغير الله فلا بد من كلمة النفي لنفي الاغيار فاذا صار خاليا فحينئذ يوضع سرير
التوحيد ويجلس عليه سلطان المعرفة واما الذين اكتفوا في النهاية بكلمة الله فلهم
فيه وجوه الحجة الاولى ان نفي العيب عمن يستحيل العيب عيب الحجة الثانية ان من قال لا اله
الا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد من المهلة ما يصل فيه الى الا الله فحينئذ يبقى

في النفي غير منتقل الى الاثبات وفي الجحود غير منتقل الى الاقرار الحجة الثالثة ان المواظبة
على هذه الكلمة مشعرة لتعظيم الحق بنفي الاغيار لان نفي الاغيار يبطل الاشتغال
بالاغيار فالاشتغال بنفي الاغيار يرجع في الحقيقة الى شغل القلب بالاغيار وذلك
يمنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال لا اله الا الله فهو مشتغل بغير الحق ومن
قال الله فهو مشتغل بالحق فاين احد المقامين عن الاخر الحجة الرابعة ان نفي الشيء انما
يحتاج اليه عند خطرات ذلك الشيء بالبال وخطور شريك الله بالبال لا يكون الا عند
نقصان الحالة فاما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك امتنع ان يكافقوا
بنفي الشريك بل هو لا يخطر ببالهم ولا يخطر في خيالهم الا ذكر الله فلا جرم ان
يكفيهم ان يقولوا الله الحجة الخامسة قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فامر بذكر الله ومنعهم من الخوض معهم في باطلهم ولعبهم والقول بالشريك من
الاباطيل ففيه خوض في ذكر الكلام وكان الاولى الاقتصار على قولنا الله فهذا ما في
هذا المقام وههنا انواع من التفريعات احديها اذ يقول الهنا ان موسى عليه السلام
سأل اجل الاشياء فقال رب ارني انظر اليك وسأل اقل الاشياء فقال رب اني
لما انزلت الي من خير فقير فنحن ايضا نسألك اجل الاشياء وهو خيرات الاخرة واقلها وهو
خيرات الدنيا فنقول آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة الهنا يحكى ان رجلا باع
جارية ثم ندم واستحيى ان يظهر هذه الحالة للمشتري ولسائر الناس فكتب في كفه
حاجته ورفعها الى السماء ولم يقل بلسانه شيئا فرأى المشتري في المنام ان فلانا اوليائي
وقلبه مشتغل بهذه الجارية فردها عليه واجرك علي فلما اصبح الرجل حمل الجارية اليه
وردها عليه فاراد البايع ان يرد الثمن فقال المشتري ان هذا الثمن ضامنا هو خير
منك الهنا ان كان ذلك البايع ندم على بيع تلك الجارية فنحن ندمنا على بيع اخرتنا
بالدنيا وان كان ذلك البايع قد استحيى من العود فنحن من كثرة ذنوبنا نستحيي منك

وان كان

حكاية جليلة



وان كان ذلك البايع قد كتب على كفه سياق حاجته ورفعها الى السماء فجميع اعضائنا
مكتوب عليه احتياجا الى رحمتك وذلنا بين يديك فههنا لما ضمنت دين المشتري فاقبل
ديننا واسقط عنا تبعات اعمالنا وافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله يا من لا
يشغله شان عن شان الهنا يروى ان علي بن ابي طالب كان له مؤذن وكانت له جارية فقالت
الجارية يا مولاي كان المؤذن يقول لي اني احبك فقال رضي الله عنه فقولي له ايضا وانا
احبك فاذا فلما قالت الجارية ذلك فقال المؤذن فنصبر الى ان يحكم الله بيننا فحكت ذلك
لعلي رضي الله عنه فسكت ولم ير المؤذن نفسه اهلا للطلب فنحن نسلمها اليه فدعاه
وزوجها منه الهنا المؤذن لما استحقر نفسه ولم ير نفسه اهلا لذلك الطلب اكرمه علي رضي الله
عنه بها فانت العلي الاعلى وانت اكرم الاكرمين وارحم الراحمين فنحن لا نرى انفسنا اهلا
لطلب رحمتك لحقارة انفسنا في اعيننا فلا تحرمنا فيض رحمتك وانا نرجو جودك يا من لا
يبرمه الحاح الملحين وصلى الله على محمد واله اجمعين الهنا يروى ان الصديق رضي الله عنه
كان يخافت في صلوته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة وكان عمر رضي الله عنه يجهر في صلاته
بالليل فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر عن فعله فقال اني اناجي ربي يسمع كلامي
فسأل عمر رضي الله عنه فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان وارضي الرحمن فامر رسول الله
ابا بكر حتى يرفع الصوت قليلا وامر عمر حتى يخفض قليلا الهنا الايمان فينا كالرسول والقلب
مثل ابي بكر واللسان مثل عمر فالقلب يخافت بالذكر كابي بكر واللسان يظهر الذكر مثل عمر وان كان
يأمر القلب بالزيادة في الفكر ويأمر اللسان باخفاء الذكر فوفقنا لما تحب وترضى بفضلك
وكرمك يا اكرم الاكرمين فصل ومن العارفين من اختار السكوت عن الكل في النهاية قال
عليه السلام من عرف الله كل لسانه ويروى ان جنيد رحمه الله كان في الكلام فزعق الشبلي وقال
للجنيد الغيبة حرام ومعناه انك ان كنت غائبا فذكر الغائب غيبة وان كنت حاضرا فذكر
الاسم في الحضرة سوء ادب وتمام التحقيق في هذا الباب سيأتي فصل روى الامام محمد بن الحكيم

الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نفس تموت فتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله صلى الله عليه يرجع ذلك الى
قلب موقن الا غفر الله له قال الشيخ فهذه شهادة شهدتها عند الموت وقد ماتت منه الشهوات
اللاتي في نفسه المتمردة من هول الموت وذهب حرصه والقى نفسه بين يدي قدرة رب
العالمين فاستوى منه الظاهر والباطن فلقي الله مخلصا بتلك الشهادة فغفر الله تعالى
بتلك الشهادة الصادقة التي وافق ظاهرها وباطنها اما الذي يقولها ايام الصحة فيقول
مع التخليط لانه يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات ونفسه اشرة بطرة فلا يستوجب
بذلك القول المغفرة فهذا هو التفاوت بين ذكر الشهادة حال الصحة وذكرها في اخر
زمان الحيوة وتمام القول فيه ان الانسان الذي يكون قلبه مفتونا بدنياه ومأسورا في الشهوات
سكرانا عن الاخرة حيرانا عن الله تعالى لم يحصل فيه اليقين البتة لان قلبه مملو بالميل الى غير
الله فلا يحصل فيه الميل الى الله تعالى اما اذا حصل في القلب اليقين بالله كان الامر بخلاف
ذلك وذلك لان اليقين سمي يقينا لاستقراره في القلب وهو النور يقال يقن الماء في
الحفرة اذا استقر فاذا استقر النور دام واذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمأن القلب
بجلال الله تعالى ثم انقطع عن غير الله فوقف هناك عاجزا فاستغاث بالله صارخا مضطرا
فاجابه الحق فانه يجيب دعوة المضطرين فيقذف ذلك النور المتلألئ في القلب فيعلق
به ظلمات الاشتغال بغير الله فيصير امر الملكوت مشاهدا له وهو قول حارثة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال كاني انظر الى عرش ربي بارزا فقال رسول الله عليه السلام عبد نور
الله الايمان في قلبه وقد جاء في الاخبار ان ادريس وموسى ومحمدا عليهم السلام كل واحد منهم
كان في زمانه مواظبا على هذا الدعاء يا نور كل شيء وهداه انت الذي فلق الظلمات بنوره ومما
يحقق ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه فتقت له

السموات



السموات فتقا حتى ينظر الرب تعالى الى قائلها من اهل الدنيا وعن زيد بن ارقم قال عليه السلام من
قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما الاخلاص قال ان يحجزه عن المحارم
وقال عليه السلام اخلص يكفك القليل وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عهد الي ان لا يأتيني احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيئا الا وجبت له الجنة قالوا
يا رسول الله وما الذي يخلط بها قال حرصا على الدنيا وجمعا لها ومنعا يقول بقول الانبياء
ويعمل عمل الجبابرة فالحاصل انه لا بد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى يكون نافعة
ولا يحصل اليقين بها الا بموت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات الا باحد الطريقين احدهما ان
يروض نفسه حتى يموت شهواته حال حيوته والثاني انه اذا ماتت شهواته عند وفاته وعظم رجاؤه
وخوفه عن ربه وانقطع نظره بالكلية اضطرارا فاذا نطق بهذه الكلمة في تلك الحالة استوجب
المغفرة فلهذا السبب استحق السلف ان يلقنوا المحتضر هذه الكلمة قال عليه السلام لقنوا موتاكم
فالانسان عند القرب من الموت فنيت شهواته فحصل له نور اليقين فصارت هذه الكلمة مقبولة
منه واما الاول وهو الذي يروض نفسه فقد فتح له روزنة الى الغيب فرأى به اهوال السلطان
الجلال فنطق بها القلب الصافي فهو بالمغفرة اولى وعن عبد الله بن جعفر عن ابيه قال كان رسول الله
يقول لقنوا موتاكم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله
رب العالمين قالوا يا رسول الله فكيف هي للحي قال هي اجود واجود وكان اهل البيت يسمون هذه
الكلمات كلمات الفرج فيتكلمون بها في النوائب والشدائد فيجيئهم الفرج وفيه زيادة كلمة لا اله الا الله
العلي العظيم وعن مكحول ان كلمات الفرج لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم رب
السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك كلمات اذا قلتها غفرت لك ذنوبك وان كان مثل عدد
الذر لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين فصل يروى انه كان صفان متقابلان من المسلمين والكفار وكانوا

من النصارى فقال الكافر ويح لمن يقاتل المسلمين عن الوحد وقال النصراني بل انا قائل عن
ثلث ثلثة فلما تقابلا اصرع المسلم الكافر وجلس على صدره فقال نصراني الوحد وضيع
التلثة قال جعفر بن محمد الصادق عجبت لمن بمتى باربع كيف يغفل عن اربع عجبت لمن اعجب
بامر كيف لا يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله والله تعالى يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله لا قوة الا بالله وعجبت لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله
تعالى يقول الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله ويصل الى قوله لم يمسسهم سوء وعجبت
لمن مكر به كيف لا يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقيه
الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن اصابه غم او كرب لا يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين الى قوله فنجيناه من الغم وقال سفيان بن عيينة ان الله تعالى لما قال وكذلك ننجي المؤمنين
فقد وعد كل مؤمن يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ان ينجيه من كل غم ومن
المعلوم بالضرورة ان الله لا يخلف الميعاد فصل اعلم ان الله تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله في القرآن
في سبع وثلثين موضعا اثنان في البقرة الاول والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ب
الله لا اله الا هو الحي القيوم واربعة في ال عمران ج الم الله لا اله الا هو الحي القيوم د هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ه شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط و لا اله الا هو العزيز الحكيم وواحد في سورة النساء ز الله لا اله الا هو
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا واثنان في الانعام ح ذلكم
الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ط اتبع ما اوحي اليك
من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين وواحد في الاعراف ي قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله
واثنان في براءة يا اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا

الا

اعلم ان الله تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله في القرآن في سبع وثلثين موضعا

الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يب فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وواحد في يونس يج امنت به بنوا اسرائيل وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله
الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وواحد في هود يد فان لم يستجيبوا لك فاعلم
انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون وواحد في الرعد يه قل هو ربي لا اله الا
هو عليه توكلت واليه متاب وواحد في النحل يو ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وثلثة في
طه يز الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى يح انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني يط انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما واثنان في الانبياء ك الا نوحي اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون كا وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا
انت وواحد في المؤمنين كب فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وواحد
في النمل كج الله لا اله الا هو رب العرش العظيم واثنان في القصص كد وهو الله لا اله الا هو له
الحمد في الاولى والاخرة كه ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو وواحد في الفاطر كو لا اله
الا هو فانى تؤفكون وواحد في الصافات كز لا اله الا الله يستكبرون وواحد في الزمر كح لا اله الا
هو فانى تصرفون وثلثة في المؤمن كط لا اله الا هو اليه المصير ل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو فانى تؤفكون لا هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين وواحد في الدخان
لب لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين وواحد في سورة محمد لج فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك واثنان في الحشر لد هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم له هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وواحد في
سورة التغابن لو الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون وواحد في المزمل لز رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فهذا المجموع سبعة وثلثين من كلمات لا اله الا الله وردت في القرآن
العظيم ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فصل في ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى

في قصور العقول عن المعرفة

انفق مشايخ الطريقة رحمهم الله على هذ نقل الاستاد ابو القسم القشيرى فى كتاب الرسالة فى باب
التوحيد عن يوسف بن الحسين انه قال سمعت ذا النون المصرى وقد سئل عن التوحيد فقال
ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا امزاج وصنعة الاشياء بلا علاج وعلة كل شىء
صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصور فى نفسك شىء فالله تعالى بخلافه واقول لما كان كل ما
تصوره النفس فالله بخلافه ولم يتمكن العقل والنفس من الاشارة الى حقيقة معلومة بان حقيقة
الاله هى هذه الحقيقة وقال ايضا اعرف الناس بالله اشدهم تحيرا فيه وعن سهل بن عبد الله
انه سئل عن ذات الله فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة وقد حجب الخلق عن
معرفة كنه ذاته ودلهم عليه باياته والقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه المؤمنون بالابصار
من غير احاطة ولا ادراك نهاية وروى عنه ايضا انه قال غاية المعرفة الدهشة والحيرة وقال
يوسف بن الحسين من وقع فى بحار التوحيد لا يزداد على مر الايام الا عطشا ووقف رجل على الحسين بن
منصور فقال من الحق الذى يشيرون فقال معل الانام ولا يعقل وقيل للشبلى اخبرنا عن توحيد
مجرد بلسان حق مفرد فقال من اشار اليه فهو ثنوى ومن كيفه فهو وثنى ومن نطق فيه فهو غافل
ومن سكت عنه فهو جاهل ومن وهم انه واصل فليس له حاصل ومن ظن انه قريب فهو بعيد ومن
توهم انه واجد فهو فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم فى اتم معانيكم
فهو مصروف مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم وقال الشبلى ايضا ما شم روايح التوحيد
من تصور عنده التوحيد قال ابن عطا العقل خلق الة للعبودية لا للاشراف على الربوبية
وقال غيره العقل يجول حول الكون فاذا نظر الى المكون ذاب واعلم ان من الناس من احتج فى هذه
المسئلة بايات منها قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره قال اهل التفسير اى ما عرفوه حق
معرفته من قدر الثوب اذا حرزه واراد معرفة مقداره واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف
لان هذه الاية وردت فى كتاب الله تعالى فى ثلثة مواضع اولها فى سورة الانعام قال تعالى وما
قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء فهؤلاء الذين قالوا ما انزل الله

على بشر



على بشر من شىء كانوا منكرين لكل النبوات ومن كان كذلك كان كافرا فقوله وما قدروا الله حق
قدره كان عائدا الى هؤلاء وثانيها قال فى سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل الى قوله ما قدروا
الله ولما كان الكلام الاول مع عبدة الاوثان كان هذا الكلام عائدا اليهم وثالثها قوله تعالى
فى سورة الزمر قل افغير الله تامرونى اعبد الى قوله بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ثم قال
بعد هذا وما قدروا الله حق قدره فيكون هذا الكلام عائدا الى الذين اشار اليهم قبل
هذه الكلمة لقوله افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون واذا ثبت هذا فنقول فقوله وما
قدروا الله حق قدره عائد فى الاية الاولى الى من انكر نبوة الانبياء عليهم السلام وفى الاية
الثانية والثالثة الى عبدة الاوثان فهذه الاية فى المواضع الثلثة عائدة الى الكفار ولا يلزم
من وصف الكفار بهذا الوصف كون المؤمنين موصوفين بهذا الوصف فهذا سؤال حسن بل
لمن يدعى كمال المعرفة ان يتمسك بهذه الاية لانه تعالى لما جعل قوله وما قدروا الله حق قدره
عيبا على الكفار وطعنا فيهم وجب ان يكون حال المؤمن بخلاف ذلك ومما يمكن التمسك
به فى هذه المسئلة قوله تعالى فى سورة طه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
واجيب عنه بان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد من الاية انه تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما ما بين ايديهم وما خلفهم فالضمير فى قوله به غير عائد الى الله بل الى ما بين ايديهم وما
خلفهم لان عود الضمير الى اقرب المذكورين هو الاولى واعلم ان العمدة فى المسئلة ان الله تعالى
غير متناه فى الذات والصفات والعقل متناه فى الذات وفى الصفات والمتناهى لا سبيل له الى ادراك
غير المتناهى فهذا هو النكتة ونحن نشرحها ليظهر قوتها فنقول العقل عاجز عن معرفة كونه تعالى
قديما ازليا وذلك لان كل ما يستحضره العقل استحضارا على سبيل التفصيل من مقادير الازمنة
فذلك متناه مثلا نفرض قبل هذا الوقت الف الف سنة ونفرض بحسب كل لمحة من هذه المدة الف الف
مدة سنة وهكذا الى اقصى ما يقدر الوهم والخيال على استحضاره ثم اذا تامل العقل عرف ان كل
ذلك متناه له اول وهو تعالى انما كان قديما ازليا لانه كان موجودا قبل هذه المدة التى احاط

العقل والخيال بها فثبت ان كل مقدار يصل العقل والخيال اليه فالحق سبحانه ليس فيه فديما باعتبار
انه كان موجودا في ذلك الوقت بل باعتبار انه كان موجودا فيما وراء ذلك الوقت فاذن
لا سبيل للعقل البتة معرفة القدم والازلية واذا عرفت هذا في كونه تعالى قديما ازليا فاعرف
مثله في كونه دائما ابديا فاذن العقل ليس له البتة سبيل الى معرفة كونه ازليا ولا الى معرفة
كونه ابديا دائما على سبيل التفصيل فان كل ما يشير العقل اليه فازليته وابديته خارجة عن
ذلك المتصور وايضا اذا قلنا انه موجود ليس بجوهر ولا عرض ولا حال ولا محل فهذا
ليس يقتضي معرفة ذات الحق لانا اذا اردنا بقولنا موجود ما يناقض المعدوم وهذا
المفهوم المناقض للعدم امر يصدق على جميع الموجودات وحقيقة الحق لا يوجد في شيء
سواه فالعلم بكونه موجودا ليس علما بحقيقته المخصوصة واما العلم بانه ليس بجوهر
ولا عرض فهذا علم بعدم هذه الاشياء وليس علما بحقيقته لان حقيقته ثابتة محققة
والسلب لا يكون نفس الثبوت فيمتنع ان يكون حقيقته هي نفس انها ليست بجوهر ولا عرض
فثبت بمجموع ما ذكرناه ان لا سبيل للعقول الى معرفة حقيقته ومما يحقق ما ذكرناه ان
العقلاء اتفقوا على ان كل صفة شاهدها الحس وادركها العقل في المكونات
فلو وصف الحق بها صار جاهلا فاذا لا طريق له في معرفة الحق الا بنفي كل ما عداه و
اتفقوا على ان احسن كلمة قيل في التوحيد ما قاله علي بن ابي طالب هي ان المعرفة ان تعرف
ان كل ما تصور في ذهنك فانه بخلافه ثم قال المحققون لما كان كل ما تصور في وهمك فالله
بخلافه فلو تصور في ذهنك من ذلك الخلاف شيء فالله ايضا بخلافه ثم لو تصور في
هذه المرتبة الثانية امر آخر لزمه نفيه فلم يبق للعقل في طريق معرفة الحق الا ان ينفي
كل ما وقع في خاطره ثم اذا وقع من هذا النفي في شيء ذهنه انتقل بنفيه ايضا وهكذا
في نفي الثالث ونفي الرابع الى غير النهاية فلو بقي العبد ابد الآباد ودهر الداهرين
لكان مشغولا بنفي شغل القلب عن هذه الواردات وازالة هذه المتصورات واذا كان

الامر



الامر كذلك بقي الحق سبحانه منزها عن لواحق فكره واشارات عقله وعلائق ضميره وذكره

وفكره نسخ

**اللجة الثانية** وهي ان الانسان عاجز عن معرفة نفسه فانه ان قيل ان نفسه هو هذا الهيكل
المشاهد فهو باطل من وجهين الاول ان الانسان قد يعرف ذاته حال ما يكون غافلا عن جميع
اعضائه الظاهرة والباطنة والمعلوم مغاير لما ليس بالمعلوم والثاني ان ذاته من اول عمره
شيء واحد واجزاء بدنه غير باقية والباقي مغاير لغير الباقي فثبت انه ليس عبارة عن هذا الهيكل
المحسوس ثم بعد هذا يحتمل ان يقال انه جسم في داخل هذا الهيكل اما في القلب فقط او في الدماغ
فقط او يكون ساريا في كل البدن ثم ذلك الجسم اهو من جنس الاجسام التي يتولد البدن عنها او
هو جسم مخالف لهذه الاجسام في الماهية والحقيقة ويحتمل ايضا ان يقال انه ليس بمتحيز
ولا حال في المتحيز بل هو مدبر لهذا البدن على ما يقوله الفلاسفة واعلم ان هذه الا
حتمالات بقيت من الزمان الاقدم الى الان وبعد ما زالت الشكوك والشبهات ولا شك ان
اعرف المعارف في الشيء المشار اليه بقولي انا فاذا كان حالي في معرفة اظهر الاشياء كذلك فكيف
يكون حالي في معرفة ابعد الاشياء مناسبة في علائق العقول وروابط الخيالات وتحقيق الكلام
فيه ان العقل كالشمع ولا شك ان كل ما كان اقرب الى الشمع كان ضوءه اكثر مما بعد عنه
واقرب الاشياء الى الشيء نفسه فاذا كان نور العقل في الضعف الى حيث لم يصر ذاته مضيئا
لحضرة الجلال مع ان بعده عنه بغير نهاية كيف يصير مضيئا به ولهذا قال السنائي الشاعر
بالفارسية اي شده در شناس خود عاجز ٭ كي شناسي خداي را هر گز ٭ چون تو در علم خود
زبون باشي ٭ عارف كردگار چون باشي ٭ واعلم انه كما وقعت الشبهات المذكورة في معرفة
النفس فقد وقعت ايضا في معرفة حقيقة الزمان وحقيقة المكان وتحير الخلق في ان القوة
الباصرة كيف تبصر بخروج الشعاع او بحصول الشبح في العين وبحالة مغايرة لخروج
الشعاع وحصول الشبح وكذا القول في البحث عن القوة السامعة والذائقة وتحيروا ايضا
في البحث عن كيفية التخيلات فان هذه الصور المتخيلة ان لم يكن لها وجود اصلا فكيف حصل فيها

التميز والتعيين وان كان لها وجود فهي قائمة بانفسها او محلها شيء مجرد او محلها جسم
والكل محال ممتنع فلما كانت معرفة الخلق بهذه الامور الظاهرة الجلية بلغت في الصغر
الى هذا الحد فما ظنك بمعرفتهم من تقدس عن مناسبات العقول والافكار وتنزه عن
مشابهة الخيال واوهام النظار **الحجة الثالثة** قد ثبت في العلوم الحقيقية انه سبحانه هو النور
المطلق وهو نور الانوار فكما ان من وضع السراج في مقابلة الشمس انطفى ولم يظهر اليه
اثر فكذا اذا وقع ضوء العقل في مقابلة نور جلال الله فني واضمحل وتلاشى ولذلك
قال بان العقل يدور على المكونات فاذا وصل الى حضرة مكون الاكوان ذاب واعلم ان
القطرة اذا وقعت في البحر اضمحلت والشعلة اذا وقعت في مقابلة الشمس فنيت وبطلت
ونسبة القطرة الى البحر والشعلة اعظم من نسبة نور العقل الى نور الجلال بل لا نسبة لاحد
البابين الى الاخر لان القطرة متناهية والبحر متناه وللمتناهي الى المتناهي نسبة وكذا
الشعلة في الشمس اما نور العقل فهو في غاية القلة والقصور ونور الجلال في غاية العظمة
والعلو فلما اضمحلت القطرة في البحر والشعلة في الشمس فكيف يعقل بقاء ضوء العقل
في حضور نور جلال الله وشروق اعلام كبريائه **الحجة الرابعة** ان نسبة نور العقل الى منبع
اعظم الانوار الروحانية كنسبة نور البصر الى منبع الانوار الجسمانية وكما ان الشمس اظهر
الاشياء من وجه واخفاها من وجه اخر فكذلك منبع الانوار الروحانية بالنسبة الى عين
البصيرة يكون اظهر الاشياء من وجه واخفاها من وجه اخر **الحجة الخامسة** العقل اضعف
من العاقل لان العقل صفة العاقل والعاقل موصوف والصفة اضعف من الموصوف فاذا
اعجز العاقل عن المعرفة فلان يعجز العقل مع غاية ضعفه كان اولى **الحجة السادسة** من امكنه
ادراك شيء بتمامه وكماله فله قدرة توجب تاما عليه وقدرة المحدث ممكن وجه بالعجز متناهية
والحق سبحانه واجب الوجود غالب لا يغلب وقاهر لا يقهر فالمحدث الموصوف بالقصور والتناهي كيف
يمكنه معرفة القديم الذي لا نهاية له **الحجة السابعة** العقل لا يتصرف الا فيما يكون في مكان او زمان





لان كل ما ادركه فانه يدركه اما في الماضي او في المستقبل او في الحال وكل ذلك بحسب
الزمان وكل ما لا يتصوره فانه انما يتصوره اما ههنا او هناك وكل ذلك بحسب المكان و
اذا قلت الحق بخلاف هذه الاشياء فهو فوق ذلك في هذه المعرفة ليس الا نفي ما عرفته وتصورته
فالحاصل فيه نفي غير الحق لا يكون عين وجدان الحق **الحجة الثامنة** اشتهر في اقوال الخلق قولهم
ونفي غير الحق
انما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه فلما لم يكن للانسان اعلم من غيره لا يمكنه ان يعرف مقداره
الا ترى ان الناس يقولون لا يقدر على التمييز بين فلان وفلان الا من كان اعلم منهما لانه لا بد وان
يعرف مقدار معلومات هذا ومقدار معلومات ذاك ومقدار ما به ازداد احدهما على الاخر وانتقص
منه وهذا لا يتيسر الا لمن كان اعلم من كل واحد منهما فاذا كان لا يتيسر للناقص ان يحيط بمن هو
اكمل منه في المعرفة في الشاهد فكيف يتيسر للعقول الناقصة الاحاطة بجلال من جلاله
غير متناه **الحجة التاسعة** العقل كالانثى والفكر كالذكر فاذا حصل الازدواج بينهما تولدت
المعرفة ولا شك ان الولد يكون على قدر قوة الابوين والعقل ناقص فكيف وهو عاجز عن معرفة
نفسه والفكر ناقص فكيف ولا يمكنه ان يصون نفسه عن النظر واذا كان الابوان في غاية
النقصان كيف يعقل ان يكون الولد في غاية الكمال فامتنع تولد مثل هذه المعرفة على غاية
شرفها من هذين الابوين **الحجة العاشرة** اذا ادرك العقل وقف عند مدركه وانتهى اليه
وكل مدرك هذا شانه فهو متناه والحق لا نهاية له وهذا يوجب ان ذلك المدرك ليس هو الحق
بل ان شيئا غير الحق **الحجة الحادية عشر** قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
وهذا عبارة عن كونه محدودا مقهورا مغلوبا متناهيا وما كان كذلك امتنع ان يكون له
احاطة بما لا نهاية له ومن النكت في هذا الباب وجوه الاول اخبره الله تعالى عن ضعف البشر وان
يسلبهم الذباب لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فمن بلغ عجزه الى حيث لا يقوى
عن مقاومة الذباب كيف يمكنه الوصول الى كنه صمدية رب الارباب الثانية قالوا الرجل اذا كان في
مفازة عظيمة واشتد الحر فلم يكن هناك ماء اصلا والذي اشتد عطشه وغلب خوف الفقدان

فالى اى جهة نظر ظنه ماء ورآه سرابا فاذا وصل اليه لم يجد عنده شيئا كما قال تعالى حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك القوى البشرية والارواح الانسانية وقعت فى بيداء كبرياء الله
وعظمة الانوار وتعاكست الاشعة وغلبت حرارات الاشتياق الى الوصول الى حضرة الله سبحانه
فكلما نظر الى جانب ظنه ماء فالمعطلة نظروا الى جانب البادية فظنوا ان الماء هناك والمشبهة
نظروا الى الاثبات وظنوا ان ماء العرفان هناك وكذلك الجبر والقدر والرفض والخوارج
ثم ان كل واحد توجه الى مقصده وسار الى مطلبه فوصلوا الى مطالبهم يوم القيمة فلم يجدوا
هناك من هذا الحديث شيئا كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
الاية ثم الاولياء والعلماء عرفوا عظمة المفازة وعجز البشرية وحيرة العقل فرفعوا انفسهم وتوسلوا
بارشاده وهدايته فقال الخليل عليه السلام رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين وقال يوسف
الصديق عليه السلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقال الكليم عليه السلام رب اشرح لى
صدرى الاية وقال سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال عيسى عليه السلام
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وقال الحبيب عليه السلام ارنا الاشياء
كما هى الثالثة الصبى ينظر فى المرآة فيرى فيها صورة فيشتاق الى ان يقرب من تلك الصورة فيقرب
من الصورة فيرى تلك الصورة ايضا يقرب منه فاذا رأى قرب الصورة منه حال قربه منها يشتد
طمعه فى اخذها فيمد يده اليها ليأخذها فاذا مد يده رأى حجابا من الحديد ورأى الصورة
مخفية بحجب العزة وسرادقات القدرة فهكذا القوة العقلية تنظر فى مرآة من عرف نفسه
فيلوح له تجلى انوار عرف ربه فكلما كان نظر العقل الى هذه المرآة اشد كان ذلك التجلى
اعظم فيشتاق العقل الى الوصول الى كنه الصمدية فيمد يد الطلب فيرى بين نفسه وبين المطلوب
سدا فى الازلية والقدم والاستغناء فيبقى وراء هذا السد عاجزا مسكينا وبسبب مد
يد التصريف يزول ذلك التجلى محتجبا بسرادقات الكبرياء والعظمة والجبروت الرابعة كان
سوداى يحمل حملا من القوارير وكان يذهب به لاجل التجارة الى بلد فلما وصل الى باب البلد

الثنوية نسخ

وضع



وضع ذلك الحمل ثم قال انى اذا دخلت هذه البلدة ابيع هذه القوارير واشترى
باثمانها الغنم ثم يحصل من نتاجها واولادها مال عظيم اشترى بها الخيل والجمال والبغال
ثم يحصل من نتاجها مال عظيم اشترى بها الات المملكة فاذا حصل الملك اتزوج بابنة
الملك الفلانى ويحصل لى منها اولاد ثم احضر الادباء والعلماء لتأديبهم وتعليمهم
ففى اثناء ذلك ضرب يده ساهيا على الحمل فسقط الحمل وانكسر الكل وهذا مثال
لاكثر توهمات الخلق فان كل احد يظن ان ما معه من العلوم والاعمال يكون وسيلة له الى
وجدان ملك الجنة والوصول الى عتبة حضرة الله تعالى فاذا جاء وقت الموت بطلت تلك
الاوهام وزالت تلك الافكار وبقى المسكين على تراب الحرمان وموضع الذلة والعجز
الخامسة من اسمائه سبحانه الجبار وهو ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا لم يصل اليها الا
يدى فكذا ههنا الافهام لا يصل الى صمديته فالعبد له اليوم طلب عرفان وجوده
وغدا طلب وجوده وحقيقة الصمدية منزهة عن الاحاطة والادراك السادسة
للسايرين الى الله ثلث مقامات الحكم والامر والحق ثم كل ما دخل فى الوجود ان عرضته
على نفاذ الحكم كان الكل حسنا لان الكل بتقديره وحكمه حصل وان عرضته على نفاذ كان
الكل قبيحا لان المعارف بالنسبة الى حضرة جلاله جهل والعباد بالنسبة الى عتبة عزته
تقصير اما ان عرضته على نفاذ الامر كان البعض حسنا والبعض قبيحا فالحكم فضل محض
والحق عدل محض والامر تارة مع الفضل وتارة مع العدل فان عرضت على الحكم
اعمال كل الخلق لم يكن شىء منها مردودا وان عرضت على الحق اعمال الانبياء والملائكة
لم يبق شىء منها مقبولا واما الامر فعلى ما عرفت بالفارسية هر بارگى در آئينه امر نگرى
سوداء درست بديد آيد كه من كسى ام ولكن هم بر عقب آن در آئينه حق نگرى نا خود در
انعدم گم بينى امروز انبيا بنبوت و رسالت مى نگرند و ملائكه بطاعت و عصمت
مى نگرند و موحدان باخلاص و ايمان مى نگرند فردا چون سرادقات جلال باز كشند

وسر بردهٔ عزت بنند واعلام جلال حقیقت ظاهر کنند همه فریاد عجز فرا بستیش
اُرندیکی کوید ما عبدناك حق عبادتك دیکری کوید ما عرفناك حق معرفتك الشاعر
درراه الهیت او هرکی خواست کی بیش رود عقل فرو ماند نور عقل خواست کی
پیرامن جلال او کردد هباء منثور کشت سر خواست که قدر کمال او بداند خیره
کشت معرفت خواست کی بحضرت قدس او محیط شود عاجز شد اکر هزار دلایل
وحدانیة بر خوانی آنچ بنقل آمده است نقل کنی و بر بحار معقول ومنقول غوص
کنی و در دو غرر وجواهر وفواهر در سلك تحصیل کشی چون نیك نظر کنی خود را در
بله زیرین ولا یحیطون بشیء من علمه الا بما شاء بینی و دوق الغیب استار وفی الاستار
محجوبة عن الاغیار فسبحان من عزت ضلت العقول فی بحار عظمته وحارت الالباب دون
ادراك عزته وكلت الالسن عن وصف جلاله ومدح كماله وكل من اغرق فی نعمته اصبح
منسوبا الی الغی دیدهٔ عقول در ادراك جلال او خیره احداق عقول در مقابلهٔ نور شروق
عزت او تیره افکار ارباب حکمت در تیار بحار عظمت او غرق شده سابح وسالح اصحاب
فطنت در انوار اسرار جلال او محترق کشته زفانها اهل فصاحت از شرح مدح جمال و وصف
جلال او کلیل و در هر کوشه هزار طریح وجریح وشهید وقتیل **المناجات** ای آنکه نو جستن
محال وازتو عبارت کردن وبال بآسنی تراجه کونه جویم وجون بهیج نافاز تو جکونه عبارت
کنم نه جز تو امامت نه با تو آرام لا امنك فرار ولا معك قرار المستغاث منك الیك ای عزت تو همه
عزها را تنعت ذل درکشیده ای جلال تو همه جلالها را داغ اختلال برنهاده ای کمال تو همه
کمالها را رقم نقصان بر زده ای الهیت تو همه عالم را طوق عبودیت لازم کردانیده ای ذات
تو جاین وای صفات تو بی کیف ای بطش تو بی جارحه ای بصر تو بی حدقه ای صفات تو عقول
را متحیر کرده ای صمدیت تو نهاد اسرا سیمه کردانیده ای ارادت ومشیت واحکام الهیة
توازل الاس وهم خلق پاك ای عیب وازل اند تو از هواجس خواطر آب و گل منزه ای همه

جانها



جانها بر مزید عشق تو نهاده وجز حسرت سود ناکرده ای همه عشاق قصد دیدار
واقا شواق تو کرده وجز نومیدی بدست نا آورده ای همه احباب باد لکباب در راه قدم نهاده
ومال وعیال وجاه ومهتری وسروری بر باد داده وجز باد بدست ایشان نامده نقرت
اخری فی انه لا سبیل الی معرفته **الحجة الاولی** لا شك ان كل من كان انقطاع نظره عما سوی الحق
اکمل وكان استغراق قلبه فی معرفة الله اتم كان معرفته اکمل ولا شك ان محمدا علیه السلام لیلة
المعراج بلغ الغایة القصوی فی هذا الباب فکانت معرفته اکمل المعارف ثم انه مع ذلك اعترف
بعدم المعرفة لانه قال لا احصی ثناء علیك انت كما اثنیت علی نفسك فاذا كان مع کمال
القرب لم یعرف فمن كان فی غایة البعد کیف یمکنه المعرفة **النوع الثالث من علوم هذا الکتاب**
فی تقریر الدلائل الدالة علی اثبات الصانع سبحانه وتعالی وهذا النوع مشتمل علی مقدمة ووجهین
اما المقدمة فاعلم انه سبحانه وتعالی رتب دلائل اثبات الصانع فی القرآن العظیم علی وجهین
الاول انه تعالی ابتدأ من الاعرف فالاعرف نازلا الی الاخفی فالاخفی فی الدلیل وهذا هو الترتیب
الذی اختار فی سورة البقرة وذلك لانه ابتدأ بالاستدلال کل واحد علی وجود الصانع بنفسه
وذاته فقال اعبدوا ربکم الذی خلقکم ثم ذکر عقیبه استدلالهم بآبائهم واجدادهم
ثم ذکر عقیبه استدلالهم باحوال الارض فقال الذی جعل لکم الارض فراشا ثم ذکر عقیبه
الاستدلال باحوال السماء ثم قال والسماء بناء ثم ذکر عقیبه الاستدلال باحوال المتولدة
فیما بین السماء والارض والسبب فی هذا الترتیب ان اظهر الاشیاء لکل احد نفسه ثم اباه
واجداده ثم الارض التی هی مسکنه ثم السماء التی هی فی غایة البعد عنه ثم الاحوال التی
لا یتولد الا بمجموع الارض والسماء وهو المراد بقوله وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لکم **والوجه الثانی** فی ترتیب الدلائل ما ذکره تعالی فی اول سورة فانه تعالی
ابتدأ من الاشرف فالاشرف نازلا الی الادون فالادون وذلك لانه تعالی ذکر المطلوب اولا فقال
ینزل الملائکة بالروح من امره علی من یشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون ثم انه

خیره بالترکی بولنش

النوع الثالث من علوم الکتاب فی الدلائل علی الصانع

علی مقدمة ووجهین اما المقدمة

ابتدأ ذكر دلائل الصانع بالسموات فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
ثم ذكر عقيبه الاستدلال بالانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم ذكر
بعده احوال الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون
ثم ذكر بعده احوال النبات فقال هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر
فيه تسيمون ثم ذكر احوال العناصر فذكر الماء فقال وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا ثم ذكر الارض فقال والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم ثم لما تمم ذكر هذه
الدلائل اعاد المطلوب الذى ذكره اولا فقال افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون والمطلوب
منه اثبات التوحيد ونفى الشركاء والانداد ثم قال بعده وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
يعنى ان هذه الاشياء التى ذكرناها انتدلال بها على اثبات الصانع وعلى وحدانيته فهى
ايضا نعم جليلة ومنافع عظيمة فى حقكم والانسان قد استقصى فى تعديد نعم الله تعالى
عليه فانه يعجز وهو بالاخرة واكثر دلائل القرآن هكذا فانه يكون دلائل من وجه ونعما من
وجه آخر ومثل هذه الدلائل الخفية يكون انجع فى القلب واشد تاثيرا فى الروح لانها
من حيث انها دلائل تفيد المعرفة ومن حيث انها نعم تفيد انقياد المنعم والاشتغال بالشكر والخضوع
لعز جلاله فاذا انفتح من هذا الوجه انها كمل حصول المقصود من الاعتراف بالخالق المنعم والانقياد
لعزة وجهه وكمال صمديته واذا عرفت هذين النوعين من الترتيب فى الدلائل فنحن فى هذا الكتاب
نرتب الدلائل على الوجه الثانى فنبدأ بشرح دلائل السموات ثم نذكر دلائل الشمس والقمر
ثم نذكر دلائل النجوم ثم نذكر دلائل الانسان ثم نذكر دلائل الحيوان ثم نذكر دلائل النبات
ثم نذكر دلائل الآثار العلوية من الرعد والبرق والصاعقة والسحاب ثم نذكر دلائل احوال
البحار ثم نذكر دلائل الجبال وذلك هو تمام المقصود من هذا النوع والله الموفق للخيرات

**الباب الاول** فى تقرير دلالة السموات على اثبات الصانع تعالى اعلم انه تعالى ذكر فى الكتاب الكريم
مبدأ تكوين السموات واحوال بسطها واحوال معادها وفيه فصول **الفصل الاول** فى شرح مبدأ

تكون

فهى نعم جليلة

الدلائل المرتبة على اثبات الصانع — واذا عرفت النوعين من الترتيب فى الدلائل فنحن نبتدأ بدلائل السموات

دلائل السموات

دلائل الشمس والقمر

دلائل النجوم

دلائل الانسان

دلائل الحيوان

دلائل النبات

دلائل الآثار العلوية من الرعد والبرق الخ

دلائل احوال البحار

دلائل الجبال



تكوين السموات اعلم انه تعالى ذكر فى هذا المعنى آيتين الآية الاولى قوله تعالى فى سورة الانبياء
عليهم السلام اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وفى الآية
سؤالان الاول ان المراد من قوله اولم ير الذين اما الرؤية واما العلم لا يجوز ان يكون
المراد هو الرؤية لان القوم ما رأوا كيفية تخليق السموات والله تعالى قال ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا يجوز ان يكون المراد هو العلم لان الرتق والفتق عبارتان عن الاجتماع
والافتراق ولا شك ان الاجسام قابلة لكل واحد منهما بدلا عن الآخر واذا كان كذلك
فلا سبيل الى العلم بتقدم الرتق على الفتق الا بقول الرسول وهذه المناظرة كانت
مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال فهذا احد السؤالين
السؤال الثانى انه ما معنى الرتق والفتق فى الآية واعلم انا نخوض فى معنى الرتق والفتق
وفى اثناء الكلام يظهر الجواب عن السؤال الاول فنقول لفظ الرتق والفتق يحتمل وجوها
الاول ان الرتق اشارة الى العدم والفتق اشارة الى الوجود وتقريره بحسب اللفظ ان الاجسام
اذا كانت مرتتقة لا يكون لبعضها تميز عن البعض واذا كانت منفتقة كان بعضها يتميز
عن البعض اذا عرفت هذا فنقول ان العدم نفى محض فليس فيه ذوات متميزة واعيان متباينة
فصح تسمية المعدوم بالرتق من حيث انه ليس فيه امتياز وتباين بوجه ما واذا وجدت
فقد تميز كل واحد من الجواهر عن غيره وكل واحدة من الصفات عن غيرها فصح تسمية الوجود بالفتق
من هذا الوجه وبهذا التأويل سمى الله خلق النور فى وسط الظلمة بالفلق فقال فالق
الاصباح بل سمى نفس الايجاد والتكوين بالفلق فقال قل اعوذ برب الفلق فكذا لا يبعد
ان يريد بالفتق بعد الرتق الوجود بعد العدم واذا عرفت هذا فنقول كون المراد من هذه الآية
هو المراد من قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض ومن قوله الحمد لله فاطر السموات والارض ومن
قوله فى اول سورة النحل خلق السموات والارض بالحق ومقام وجه الاستدلال ان كل واحد من السموات
والارضين مختص بحيز معين وصفة معينة وخاصية معينة وبمقدار معين مع انه لا يمتنع

سيد الكون السموات

فى الآية سؤالان

واعلم

في العقل وهو عدم على خلاف تلك الخاصية والصفة والحيز واذا كان كذلك كان اختصاص
كل واحد منهما بصفته وحيزه وشكله لابد وان يكون لتخصيص مخصص وتدبير مدبر و
تقدير مقدر فدل وجود السموات من هذه الجهة ومن وجودها بعد ان لم يكن على افتقارها
الى القادر المختار واذا حملنا الرتق والفتق على هذا الوجه كان المراد من قوله اولم ير الذين
كفروا اولم يعلم وذلك لان دلائل الحدوث في ذوات السموات وفي صفاتها جلية قوية ظاهرة
والعلم اذا قوي بعد عن مواقع الشكوك والشبهات جاز ان يسمى بالرؤية لقوته وجلائه و
كثرة شواهده ودلائله **الوجه الثالث** في تفسير الرتق والفتق ان الظلمة سابقة على النور
ويدل عليه النقل والعقل اما النقل فوجوه الاول قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فقدم الظلمات
في الذكر على النور الثاني هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فظاهر اللفظ يدل على انه
جعلها ضياء بعد ان لم يكن كذلك والثالث قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم
مظلمون والرابع قوله تعالى الله نور السموات والارض اي منور السموات والارض وهذا يشعر بان
النور متأخر عن الظلمة فان قيل هذا يشكل بقوله ولا الليل سابق النهار وهذا يدل على ان
السابق هو النهار قلنا لابد من التوفيق بين هذه الآيات التي قدمناها ولا الليل المتأخر
بسبق النهار المتقدم واما المعقول فهو ان الليل ظلمة والظلمة عدم والنور وجود
وعدم المحدثات متقدم على وجودها فدل ذلك على ان ظلمة العدم كانت سابقة على
نور وجود هذه المحدثات اذا عرفت هذه القاعدة فنقول كانت السموات والارض مظلمة
اولا ثم اظهر الله الانوار فيها فعبر عن الظلمة السابقة بالرتق وعن الانوار اللاحقة
بالفتق ولهذا قال كانتا رتقا ففتقناهما ويتأكد هذا بما روي انه عليه السلام حاكيا عن
رب العزة جل جلاله خلق الخلق في الظلمة ثم رش عليهم من نوره وعلى هذا التفسير يكون
الرؤية المذكورة في الرتق والفتق في الآية بمعنى العلم **والوجه الثاني** في تفسير الرتق والفتق
ان السموات والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقا بعضها بالبعض ثم فصل الله بينهما فاقر الارض حيث هي

ورفع



ورفع السموات الى العلو وهذا القول يدل عليه وجوه الاول قوله تعالى الله الذي
رفع السموات بغير عمد ترونها فوصف السموات بانها مرفوعة وذلك يطابق ما قلنا
ان السموات والارض كانتا بعضها ملتصقا ببعض ثم انه تعالى اقر الارض في مكانها و
اصعد اجزاء السموات ورفعها الى الجو العالي والثاني قوله تعالى ثم استوى الى السماء
وهي دخان روي انه خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فانذابت الجوهرة ثم سلط
عليها الحرارة فارتفع على وجه الماء زبد وعلاه دخان فخلق الارض من الزبد وخلق
السموات من ذلك الدخان فهذا يدل على ان اجزاء الارض والسموات كان بعضها مختلطا
بالبعض وملتصقا به ثم انه تعالى ميز البعض عن البعض فصير البعض زبدا ولكنه
حيث هو واصعد الباقي الى الجو العالي وخلق منه السموات والثالث قوله تعالى في صفة السموات
رفع سمكها فسواها وذلك يدل على انه تعالى اصعد الاجزاء التي منها خلق السموات عن
السفل الى العلو وذلك هو المراد بالرتق والفتق واعلم ان وجه الاستدلال بالرتق والفتق
على وجود الصانع بناء على هذا القول ان يقول لا شك ان كرة الارض محفوفة بالماء
والماء بالهواء والهواء بالنار والنار بالافلاك وكل فلك بفلك اخر الى اخر الافلاك
فنقول هذه العناصر والافلاك متساوية في الجسمية لانه لا معنى للجسم الا الطويل و
العريض والعميق والكل مشاركة في هذا المعنى ثم ان كل واحد من هذه الاجسام يخالف الآخر
في الصفات والاعراض وهي كون بعضها عالية والبعض سافلة والبعض لطيفا والبعض
حارا والبعض باردا فنقول اختصاص كل واحد من هذه الاجرام الفلكية والعنصرية بصفته
المعينة وحيزه المعين اما ان يكون لذاته او لشيء من لوازم ذاته او لشيء غير لازم لذاته والاول
والثاني يوجبان استواء الاجسام في كل الصفات وهو محال والثالث يقتضي ان يكون اتصاف كل واحد
من هذه الاجسام بما اتصف به آخر جائزا واذا كان الامر كذلك استحال اختصاصه بتلك الصفة الا لمرجح
ومخصص ثم المخصص اما ان يكون جسما واما ان لا يكون جسما فان كان جسما كان ذلك الجسم متميزا

كرة الارض محفوفة بالماء كرة ثم

معنى الجسم

اتصاف كل من الاجسام بما اتصف به آخر جائز

عن سائر الاجسام بتلك المؤثرة فيفتقر ذلك الاختصاص الى مخصص ومرجح ويلزم التسلسل
وهو محال وان لم يكن جسماً فاما ان يكون مختاراً او لا يكون مختاراً لا جائز ان يكون موجباً
لان نسبة الموجب الى الكل على السوية فوجب ان يكون قادراً مختاراً فثبت افتقار جميع الاجسام
من العرش الى ما تحت الثرى الى مؤثر فاعل بالاختيار قادر على جميع الممكنات ليس بجسم ولا
جسمانى وذلك هو الله تعالى واذا عرفت هذا فنقول المراد من الرتق كون تلك الذوات متشابهة
في الماهية والحقيقة والمراد من الفتق اختصاص كل واحد منها بطبع معين وشكل معين وصفة
معينة وحيز معين وعلى هذا التقدير يكون الرؤية بمعنى العلم **الوجه الرابع** في تفسير الرتق والفتق
ان السموات كلها كانت واحدة ثم انه تعالى جعلها سبع سموات والذى يدل عليه في سورة البقرة ثم
استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهذه الاية دالة على ما قلناه من وجهين احدهما انه قال
ثم استوى الى السماء ولفظ السماء دالة على الوحدة والثانى انه قال فسويهن والفاء يدل
على التعقيب فهذا يدل على ان السماء كانت واحدة ثم انه تعالى جعلها سبعة بعد ان كانت واحدة فان
قيل فعلى هذا القول ما معنى فتق الارضين بعد رتقها قلنا انه تعالى قال في سورة الطلاق الله
الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فلهذا السبب اختلفوا في تفسير الارض السبعة فقال بعضهم
هى طباق سبعة بعضها اسفل من بعض كالسموات وقال آخرون هذه الارضون اشارة الى الاقاليم
السبعة فانه تعالى جعل لكل واحد من هذه الاقاليم السبعة خاصية ومنفعة **القول الخامس** في تفسير
الرتق والفتق قال الامام الغزالى رحمه الله في الكتاب المسمى بالمضنون به على غير اهله الرتق عبارة
عن انطباق دائرة البروج على دائرة معدل النهار وفي ذلك الوقت كانت الارض معمورة
على ماء فتحقيق ذلك في علم الهيئة والفتق عبارة عن انفراج هاتين الدائرتين عن الاخرى
وحدوث ميل فلك البروج من معدل النهار ولما حدث هذا الانفراج حدثت الفصول الاربعة
في الارض وحصل بسبب ذلك اختلاف الاهوية والبلدان والمساكن وهو المراد من حدوث الفتق
في الارض وان وجه الاستدلال على اثبات الصانع الحكيم سبحانه بناء على هذين القولين ظاهر

موجبا بالطبع نسخ

اختلفوا في الارض السبعة

حدث في انفراج حدثت الفصول الاربعة في الارض

ايضا



ايضا وذلك لانه على القول انه سبحانه فصل بعض هذه الافلاك عن بعض وخص
كل واحد منها بقدر معين وسير معين وجهة معينة بحكمة ظاهرة في علم الغيب مستورة عن
عقول الخلائق فلا بد وان يكون ذلك القدرة غالبة ومشية نافذة على ما حققنا
القول فيه واما على القول الذى ذكره الامام الغزالى فاعلم ان منافع الرتق والفتق
بهذا المعنى كثيرة ونحن نذكر منها شمة فنقول لو لم يكن للكواكب حركة في هذا الميل
لكان التأثير مخصوصاً ببقعة واحدة فكان سائر الجوانب تخلو عن المنافع الحاصلة
منه وكان الذى يقرب منه متشابه الاحوال فكانت القوة هناك لكيفية واحدة فان
كانت حارة افنت الرطوبات فاحالتها كلها الى النارية ولم يتكون المتولدات فيكون الموضع
المحاذى بممر الكواكب على كيفية واحدة ونمط ما لا يحاذيه على كيفية الاخرى ونمط
المتوسط بينهما كيفية متوسطة فيكون في موضع شتاء دائماً فيكون فيه النهوة و
العجاجة وفي موضع آخر صيف دائم يوجب الاحتراق وفي موضع آخر ربيع او خريف
لا يتم فيه النضج فلو لم يكن عودات متتالية وكان الكواكب يتحرك بطيئاً لكان الميل قليل
المنفعة وكان التأثير شديد الافراط وكان يعرض قريباً مما لم يكن سيارة ولو كانت
الكواكب اسرع حركة من هذه لما كملت المنافع وما تمت فاما اذا كان هناك ميل يحفظ
الحركة في جهة ثم ينتقل الى جهة اخرى بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة برهة من الدهر ثم بدا
تأثيره وكثر منفعته فسبحان الله الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقدرة الغير المتناهية
**القول السادس** ان السموات والارضين كانتا رتقاً بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء
للمطر والارض للنبات والشجر ونظيره قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات
الصدع واكثر المفسرين اختاروا هذا القول واحتجوا على ترجيحه على سائر الاقوال
بقوله تعالى عقيبه وجعلنا من الماء كل شئ حى وهذا الكلام لا يليق ذكره في هذا
الموضع الا والمراد ما ذكرناه فان قيل هذا الوجه ضعيف لوجهين احدهما ان المطر لا ينزل

منافع الرتق والفتق كثيرة

مِن السماء بل من السحاب والثاني بتقدير ان يكون المطر نازلا من السماء لكن تنزله من السماء الدنيا
لا من كل السموات والجواب عن الاول ان السماء مشتق من السمو وكل ما سماك فهو سماء وعن
الثاني انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار
واعلم ان على هذا التاويل يجوز حمل قوله اولم ير الذين كفروا على الابصار فان الناس يشاهدون
انفتاق السحاب بالمطر والارض بالشجر ثم وجه الاستدلال على وجود الصانع بناء على هذا
التفسير انك ترى الهواء في غاية الصحو ثم انه ينعقد الغيم دفعة وينزل من المطر ما يملأ منه
الاودية العظيمة ويقلع الجبال العظيمة من شدة سيلانها ثم ان نزول ذلك المطر يصير سببا
لخروج الانواع المختلفة من النبات من الارض وكل ذلك يدل على تقدير الصانع المختار الحكيم
جل جلاله فهذه الاقوال الستة المذكورة وان كنا قد بالغنا في تقريرها وههنا وجوه اخرى
يمكن حمل الاية عليها فالاول ان السموات لو كانت رتقا فكان احد ينزل من السماء الى الارض وما
احد يصعد من الارض الى السماء ثم انه تعالى فتقها فصارت الملائكة ينزلون من السموات الى الارض
وصار البشر يصعدون من الارض الى السماء اما نزول الملائكة فقال تعالى وما نتنزل الا بامر
ربك وقال ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم وقال نزل به الروح الامين على قلبك واما صعود البشر الى السموات فقوله تعالى
في ادريس ورفعناه مكانا عليا وقال في عيسى عليه السلام اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك
وقال في محمد عليه السلام فكان قاب قوسين او ادنى الثاني كانتا رتقا ففتقناهما بانزال الانوار
الكواكب من السموات العالية الى الارضين المتسفلة كما قال النجم الثاقب قيل انه زحل لانه يثقب
بضوئه سمك سبع سموات وتارة بصعود الدعوات والتضرعات من الارضين الى اعلى السموات
كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والثالث ان يحمل هذا الفتق على
نزول القضاء والقدر من معاقد عزه على اركان عرشه ومن اركان عرشه الى اركان السموات
ثم الى الارضين ثم قال تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال

تنزل

قوله الاول ثلثة ... وجه اخرى



تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وتمام الكلام في تحقيق نزول القضاء والقدر
من وجه سياتي ان شاء الله في باب تحقيق القضاء والقدر الفصل الثاني في تفسير اية اخرى
دالة على حدوث السموات قال سبحانه ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها الى قوله واوحى في كل سماء امرها ونظير هذه الاية قوله تعالى في اول سورة البقرة
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم
وفي هذه الاية ابحاث الاول في قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان واعلم ان قوله تعالى ثم استوى
الى السماء يدل على امرين الاول انه يدل على انه حين استوى الحق سبحانه اليها ما كانت
سماء واحدة ثم قوله فقضيهن سبع سموات في يومين يدل على انها صارت سموات سبعة بعد ذلك
لان الفاء للتعقيب فههنا قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان نظير لقوله في سورة البقرة
ثم استوى الى السماء وههنا الفاء في قوله فقضيهن سبع سموات فيه دلالة على ان هذا العدد انما
حصل بعد ان كان الكل واحدا وهو الرتق والفتق الذي شرحناه في الفصل الاول والوجه الثاني
ان الاية دالة على ان السموات مخلوقة من الدخان واعلم ان تخليق السماء من الدخان دل على
كمال القدرة ونهاية الحكمة وذلك من وجوه الاول ان الدخان في غاية الكدورة والظلمة والسموات
في غاية الصفاء والنقاء والشفافية فاظهار اعظم الاشياء صفاء ولطافة من اشد الاشياء
كدورة وظلمة من ادل الدلائل على كمال القدرة ونهاية الحكمة ثم الذي يزيد هذا الكلام
تقريرا وايضاحا ما روي في الخبر انه سبحانه وتعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت
ماء ثم سلط الحرارة على ذلك الماء فارتفع منه زبد وعلاه دخان فخلق الارض من
الزبد والسموات من الدخان ثم ان الزبد في غاية البياض والصفاء والدخان يكون في
غاية الظلمة والكدورة فخلق الارض الكدرة المظلمة من الزبد الابيض الشفاف وخلق
السموات الشفافة الصافية من الدخان الكدر المظلم استدلالا لاخراج الضد من الضد
على كمال القدرة ونهاية الحكمة ونظيره قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم

وفي بعض النسخ الابحاث الاول

السموات مخلوقة من الدخان واعلم

منه توقدون، والنظر الثاني لهذا المعنى ان النار نورانية صافية والتراب ظلماني كدر ثم خلق
ابليس من النار واغواه في ظلمات الكفر والضلال وخلق آدم عليه السلام من التراب ورباه
بانوار الهداية والارشاد حتى يعرف الانسان ان الكل من الله بتقدير الله تعالى الوجه الثالث ان الدخان
مما يعمي العين ويبطل البصر ثم انه تعالى قال زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وجعلها بحيث
ان النظر الى السماء والى الكواكب يزيد للبصر قوة وكمالا وجعل لون السماء الزرقة وهي انفع
الالوان ليعلم الانسان انه هو الذي يقلب الشيء من صفة الى ضدها فيعرف به كمال قدرته
وحكمته الوجه الرابع ان الدخان يكون سريع التفرق والتلاشي ثم انه تعالى وصف السموات
باضداد هذه الصفات فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وقال افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الوجه الخامس ان الدخان اذا
توسط بين الناظر والمنظور اليه صار حجابا بينهما ثم انه تعالى خلق الكواكب النيرة في
اجرام الافلاك وعمق تحتها مع انه لم يصر شيء من اجرام الافلاك حجابا بين تلالع
الانوار وبيننا وكل هذه الاحوال يدل على انه سبحانه هو القادر الذي يقلب الشيء من
الضد الى الضد فلما قدر على ان يخلق من الدخان الكثيف هذه الاجرام النورانية الربانية
الباقية المحفوظة فاي عجب لو اعاد الحيوة الى اجزاء البدن بعد صيرورتها ترابا رميما
والى الاشارة بقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم فالخلاق اشارة الى كمال القدرة النافذة في جميع اجزاء
الممكنات والمبدعات المستولية على كل احوال المحدثات والكائنات وقوله العليم
اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع الجزئيات والكليات والحاضرات والغائبات في
الذوات والصفات والموجودات والمعدومات ولا شك ان مدبر العالم متى كان موصوفا بهاتين
الصفتين كان كل عسير بالنسبة الى كمال قدرته يسيرا وكل صعب بالنسبة الى عظمته قهاريته
وغلاقه هينا فتبارك الله رب العالمين الموضع الثاني من المواضع التي اشتملت هذه الآية

عليها



عليها في ابتداء تخليق العالم قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين وللناس في هذه الاية قولان، واعلم ان هذا الامر والاجابة محمولان على لسان الحال لا على
ظاهر المقال ويدل عليه وجوه الاول ان السموات والارضين جمادات وامر الجماد لا يليق بالحكمة
والثاني انه بتقدير احياء عاقلة فاهمة لكنها لا يقدر على التصرف في انفسها وفي ذواتها لان
المتصرف في الشيء متقدم بذاته وصفاته على ذلك التصرف وتقدم الشيء على نفسه محال فثبت
انه يمتنع كونها قادرة على التصرف في نفسها الثاني انه سبحانه نص في محكم التنزيل على انه سبحانه
هو الخالق لذوات السموات فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض ثم بين في اية اخرى انه
خلقهما من عدم المحض والنفي الصرف فقال الحمد لله فاطر السموات والارض ثم بين انه سبحانه جعلها
سبعا شدادا فقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وبين انه جعلها سقفا محفوظا فقال وجعلنا
السماء سقفا محفوظا ثم بين انه سبحانه هو الذي رفعها بغير علاقة ولا دعامة فقال الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم ذكر انه سبحانه هو الذي وصف جميع اجرام السموات
بجميع صفاتها واحوالها فقال رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها واذا ثبت
بهذه الايات المتاكدة بالبراهين العقلية المدبر والمقدر والمتصرف والخالق والموجد
لذوات هذه السموات ولصفاتها هو الله سبحانه لم يكن في امرها فائدة ثم قالوا الامر والا
جابة ههنا عبارتان عن سرعة نفوذ قدرته ومشيته بلا ممانع ولا معارض ومنازع
ونظيره قول العرب قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان الذي ورائي ما خلاني
وراي وقال سبحانه وتعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والمراد من هذا
الامر هو سرعة التكوين وذلك لانه ان امره وهو معدوم فذلك محال وان امره بعد
الوجود فلا يمكن ان يقال للموجود كن موجودا وايضا قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
والمراد منه التسبيح بلسان الحال لا التسبيح بلسان المقال فان الجمادات لا قدرة لها على النطق
وايضا قال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الى آخر الاية وقال والنجم

والشجر يسجدان ومعلوم ان سجود الداب والشجر لا يكون الا بلسان الحال فكذا ههنا فهذا تمام الكلام في تقرير هذا القول والوجه الثاني انه لا يبعد في قدرة الله ان يخلق فيها الفهم والعقل ثم امرها وخاطبها فقال السموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والذي يدل عليه وجوه الاول الدلائل التي ذكرناها من القرآن والمعقول على ان الحيوانات عارفة بربها واذا لم يبعد خلق العقل ومعرفة الله في الحيوانات فاي بعد في خلق الحيوة والفهم في اجرام الافلاك والثاني قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل والتجلي لا يمكن الا بعد الفهم والادراك و الثالث قوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير والرابع قوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم والخامس قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وبالجملة فهذا الاستبعاد زائل عند الاعتراف بكونه تعالى قادرا على الممكنات عالما بكل المعلومات ومما يدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى قالتا اتينا طائعين ولو كانت السموات جمادات لكانت حق اللغة ان يقال اتينا طائعات فدل قوله تعالى اتينا طائعين على انه تعالى خلق فيها الفهم والعقل في ذلك الوقت واعلم انه سواء حملنا هذا الامر والاجابة على لسان الحال او على لسان المقال فذلك يدل على كمال عظمة الله ونهاية كبريائه وقدسه وعزته وذلك لان كل ما كان غائبا عن الحس والخيال والعقل فانه لا سبيل الى معرفة جلالته وعظمته الا بمعرفة عظمة آثار مخلوقاته ولا شك ان السموات والارضين اجسام في غاية العظم والشدة والاتساع ثم انها مع ذلك منقادة لامر الله وتسخيره وقهره وقدرته وتكوينه وتخليقه وذلك يدل على قدرة لا نهاية لكمالها وحكمة لا غاية لجلالها ودليل انقياد السموات والارضين على كمال عظمة الله قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر فان هذا النداء يدل على كون السموات والارضين مسخرة في قبضة قدرته وتصرف حكمته الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين الثالث في هذه الاية قوله جل جلاله فقضيهن سبع سموات في يومين وفيه سؤال الاول ان القضاء هو الالزام وذلك مشعر بسبق منازعة وقد دلت الاية على انه ما كان فيها منازعة ومدافعة حيث قال مخبرا عنهما

قال

خلق في السموات الفهم والعقل ليس بمستبعد

في الدلالة على كمال عظمته



قالتا اتينا طائعين والجواب لا نزاع ان القضاء عبارة عن الالزام لكن يجب ان يعلم ان ما سوى الله ممكن الوجود لذاته والممكن هو الذي نسبة الوجود والعدم اليه على التسوية واذا استوى الطرفان فانه لم يكن في ذاته اقتضاء ولا استلزام لا للوجود ولا للعدم ثم ان الممكن لذاته ما لم يجب وجوده لاجل ترجيح مؤثر لم يوجد فقوله تعالى فقضيهن سبع سموات اشارة الى ذلك الترجيح والتاثير الحاصل بسبب تخليقه وتكوينه وذلك الترجيح هو الالزام لاحد الطرفين لا محالة وعند هذه التحقيق تظهر ان ما سوى الله تعالى فهو من حيث هو هو غير موجود بل وجوده من ايجاد الحق وبقاؤه من ابقاء الحق وعدمه من اعدام الحق فاذا تاملت علمت انه لا موجود بالحق الا الحق سبحانه وتعالى كما قال تعالى ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه السؤال الثاني قال تعالى فقضيهن سبع سموات في يومين واليوم عبارة عن مدة حركة الشمس بحسب الطلوع والغروب فقبل خلق الفلك يمتنع حصول اليوم الجواب المدة امر وراء ادوار الفلك وذلك لان الحق سبحانه قديم والعالم محدث فتقدم الباري على العالم ليس بسبب ادوار الفلك وحركة الشمس والقمر وايضا فالزمان اما ان يكون قديما او حادثا فان كان قديما كان مستمرا من الازل الى الابد وذلك الاستمرار انما يحصل لاجل الزمان والا لزم افتقار كل زمان الى زمان آخر لا الى نهاية وذلك محال فثبت ان تعقل الاستمرار والدوام لا يتوقف على وجود الزمان وان كان الزمان محدثا كان عدمه مستمرا من الازل الى الابد فلا يكون ذلك الاستمرار موقوفا على وجود حركة الشمس والقمر اذا ثبت هذا فنقول هذا الاستمرار هو الذي يسميه المتكلمون بالزمان المقدر والمدة المفروضة فتلك المدة المقدرة المفروضة هي المشار اليه بقوله تعالى فقضيهن سبع سموات في يومين وهذا كلام دقيق لا يتم المقصود منه الا بالكشف عن حقيقة الدهر وذلك من مجازات العقول السؤال الثالث قال تعالى انما امرنا الشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فبين ان تخليقه وتكوينه لا يحصل الا على هذا الوجه وهذا يناقض قوله في هذه الاية فقضيهن سبع سموات في يومين والجواب انه سبحانه قادر على الايجاد دفعة واحدة وهو المراد بقوله كن فيكون وقادر ايضا على الايجاد جزءا فجزءا

معنى الممكن

بالعدم وبالوجود الاصح

على سبيل التدريج هو انه سبحانه فاعل مختار وفي كل واحد من الوجهين حكم واسرار

الحكمة في الايجاد على سبيل التدريج

واما الحكمة في الايجاد على سبيل التدريج وتحقيقه وهو انه لو حصلت مخلوقاته كلها
دفعة واحدة بحيث لا يتخلف شيء اصلا اشبه ذلك تأثير ما يكون بالطبع وبالغلبة لا بالقدرة
لقدرة والاختيار فان الشمس اذا طلعت حصلت الاضاءة دفعة والسراج اذا حضرت
حصلت الاضاءة دفعة والنار اذا حضرت تحصل التسخين والاحراق دفعة فلو حصلت
افعاله سبحانه دفعة واحدة لما تميزت فاعليته في عقولنا وافكارنا عن تأثيرات العلل والموجبات
والطبايع

اما الحكمة في الايجاد دفعة

واما الحكمة في الايجاد دفعة واحدة فهي ان افعاله سبحانه وتعالى لو حصلت ابدا على
سبيل التدريج ولم يحصل شيء منها دفعة لكان ذلك يوهم العجز والحاجة والاحتياج في
الخالقية الى مدة وآلة ولما كان الامر كذلك فلا جرم تارة يفعل ويخلق دفعة لئلا ينفى

نفي شبهة العجز والحاجة

شبهة العجز والحاجة وتارة على سبيل التدريج لئلا ينفى شبهة انه موجب بالذات ومؤثر

نفي شبهة انه موجب بالطبع بالذات وبالطبع

بالطبع فهذا ما وصل اليه هذا العقل المختصر ولله سبحانه وتعالى تحت كل فعل حكم واسرار
لا يعلمها الا هو **السؤال الرابع** لا شك ان العالم الاكبر هو هذا العالم بما فيه من السموات والا
رضين والعالم الاصغر هو الانسان ولا شك ان العالم الاكبر اعلى واعظم من العالم الاصغر فان
العقل يدل عليه وكذا القرآن قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم انه تعالى
خلق العالم الاكبر في ستة ايام وخلق الاصغر في ستة اشهر فان اقل مدة الحمل ستة اشهر بدليل
انه تعالى قال وحمله وفصاله ثلثون شهرا ثم قال والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
فاذا اسقطنا مدة الرضاع وهي اربعة وعشرون شهرا عن ثلثين شهرا بقي الباقي لمدة الحمل
ستة اشهر فما الحكمة في ان جعل مدة تخليق العالم الاكبر ستة ايام ومدة تخليق العالم الاصغر
ستة اشهر والجواب عنه وجوه الاول انا بينا ان الحكمة يقتضي تخليق بعض الاشياء على سبيل
التدريج الثاني انا بينا ان التخليق على سبيل التدريج يوهم العجز والحاجة والمادة والمدة فانه
سبحانه وتعالى ازال هذا الاشكال بان خلق بان خلق العالم الاكبر في ستة ايام وخلق العالم الاصغر

في مدة



في مدة ستة اشهر ليعلم الخلق ان التخليق على سبيل التدريج ليس لاجل العجز والحاجة اذ لو
كان الامر كذلك لكان تخليق العالم الاكبر في مدة اطول اولى فسبحان من له تحت كل شيء حكمة
قدسية الهية الثاني قال بعضهم انه تعالى لما اراد ان يخلق السماء والارض كان جبريل وميكائيل
وسائر اكابر الملائكة عقلاء مكلفين فخلق العالم على مهل حتى يمكنهم الوقوف على دقائق
الحكمة في ذلك التخليق الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق العالم على سبيل التدريج واخبر
عن ذلك حتى يصير ذلك شبهة في تخليق العجز والحاجة في قدرة الله تعالى وهذا نوع ابتلاء
وامتحان كما قال ليبلوكم ايكم احسن عملا حتى ان الموفق يعلم ان ذلك التدريج ليس للعجز
والحاجة بل للعجز والحكمة فكان هذا الابتلاء سببا لمزيد الثواب في حق الموفقين ونظيره
بسبب هذا المعنى ان هذا الدار دار الابتلاء والامتحان الرابع انه سبحانه بين في هذه الاية انه خلق
الارض في يومين ثم خلق كل ما في الارض من الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوانات في
يومين اخرين ثم خلق السموات السبع بما فيها من الشمس والقمر والنجوم والعجايب والايات
في يومين اخرين والحكمة فيه انه لا نسبة للارض وما فيها الى السموات وما فيها فان الارض
في جنب السموات كالقطرة في جنب البحر فلما خلق الارض على صغرها في يومين وخلق السموات
على كبرها وغاية عظمتها في يومين عرف ان ذلك التدريج ما كان لاجل العجز والحاجة بل

خلق السموات متأخر عن تخليق الارض

لحكمة بالغة واسرار خفية يعجز عقول الخلق عن الوقوف عليها **السؤال الخامس** ان قوله تعالى
ثم استوى الى السماء يدل على ان تخليق السموات متأخر عن تخليق الارض وقوله في سورة والنازعات
والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان تخليق الارض وقع بعد تخليق السماء وح يحصل التناقض
بين الايتين والجواب فيه قولان الاول ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم السماء ثانيا ثم دحى
الارض بعد تخليق السماء لان التدحية عبارة عن البسط وح يزول التناقض بين الايتين

واعلم

واعلم ان على هذا القول اشكالان الاول ان الارض جسم عظيم فيمتنع انفكاك تخليقها عن
التدحية واذا كانت التدحية عن لوازم تخليق ذات الارض ثم ثبت بالنص ان التدحية متأخرة عن

عن تخليق السماء لزم ان يكون تخليق الارض متأخرا عن تخليق السماء وح يعود الاشكال
الثاني الدلائل الاعتبادية دلت على ان الارض كرة وايضا انه تعالى قال في سورة البقرة
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء وهذا يدل على ان خلق الارض
وخلق كل ما فيها مقدم على خلق السماء لكن من المعلوم ان خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا
اذا كانت مدحوة فهذه الاية يقتضي تقدم كون الارض مدحوة على خلق السماء وح يعود
السؤال ومما يؤكد هذا قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فهذه الاية يقتضي انه تعالى
جعل في الارض رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها بخلق البحار والاشجار و
الثمار وقدر اقواتها بخلق الزرع فيها وكل ذلك حصل قبل خلق السموات ومعلوم ان خلق
الرواسي والاشجار والزروع لا يمكن الا بعد تدحية الارض فصارت هذه الاية مع الاية المذكورة
في سورة البقرة يدلان على ان تدحية الارض حصلت قبل تخليق السماء وح يعود الاشكال
وايضا فقوله والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها يدل على
ان اخراج الماء وارساء الجبال وتخليق المراعي كل ذلك وقع متأخرا عن تخليق السماء
والاية الواردة في السجدة صريحة في ان كل ذلك حصل قبل تخليق السماء وح يعود الاشكال

القول الثاني في هذه المسألة قول من قال السماء مخلوقة قبل الارض واحتجوا عليه بالنقل
والعقل اما النقل فالحجة الاولى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها وقد بينا فيما تقدم
ان يكون الارض مدحوة فملزوم وجود الارض لانها جسم عظيم والجسم العظيم واكثر الاشياء
كل قوس منها يكون في النظر على الشكل المستقيم فيكون مدحوة لا محالة الحجة الثانية قوله تعالى
ثم استوى الى السماء وهي دخان سماها سماء حال الاستواء اليها ثم انه تعالى جعلها بعد
ذلك سبعة وهو المراد من قوله فقضيهن سبع سموات وهذا صريح في انها كانت سماء قبل ثم صيرها



الله تعالى سبعة الحجة الثالثة قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض قدم السموات في الذكر
واما المعقول فمن وجوه الاول ان السماء كالزوج والارض كالزوجة والسماء كالغني والارض
كالفقير فكان تخليق السماء قبل تخليق الارض اليق الحجة الثانية ان السماء مسكن الملائكة
والارض مسكن البشر والملائكة قبل البشر فكان تخليق مسكنهم قبل تخليق مسكن البشر اولى
بقي ان يقال فما معنى قوله تعالى ثم استوى الى السماء في سورة البقرة وفي سورة السجدة فنقول فيه
وجهان الاول ان لا يكون المراد من كلمة ثم للترتيب في الوجود بل المراد الترتيب في الذكر كقول الرجل
انت كذا وكذا ثم انت بعد هذا كذا يكون المراد الترتيب في الذكر قال الله تعالى فك رقبة او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة الى قوله ثم كان من الذين امنوا والمراد منه الترتيب في الذكر و
الثاني لعل السبب في تقديم ذكر الارض على السماء هو ان الارض اقرب الينا من السماء ولا
جل ان السماء اعظم من الارض وآياتها اعظم من آيات الارض والانتقال من الحجة الى الحجة انما يحسن
من الادنى الى الاعلى كما قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت الى قوله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها
من المغرب السؤال السادس انه تعالى قال قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الاية
ثم قال وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فيكون المجموع ثمانية وظاهر هذه الاية
يقتضي انه تعالى خلق السموات والارض في ثمانية ايام فيكون هذا مناقضا لقوله تعالى
خلق السموات والارض في ستة ايام والجواب ان تخليق الارض حصل في يومين وتخليق الجبال
بطودها وغيرها في يومين فكان المجموع اربعة وهو المراد بقوله في اربعة ايام سواء للسائلين
ثم حصل تخليق السموات في يومين آخرين فكان المجموع الايام ستة فقد زال السؤال والا
شكال فهذه الاية قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها فلنذكر ان شاء الله تعالى في باب
الملائكة الفصل الثالث في الاستدلال بصفات السموات واحوالها الموجودة في هذا
الوقت على ان لها صانعا مدبرا اسمها وتعالى قال ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار الى قوله الايات لقوم يعقلون وقال في آل عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل

فالنهار لآيات لاولى الالباب وقال في اول الانعام الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور وقال في هذه السورة حكاية عن الخليل عليه السلام وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض فقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات الاية وقال في اول النحل
خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون وقال في اول سبا الحمد لله الذي له ما في السموات
وما في الارض وقال في سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض وفي القران من هذا
الجنس آيات كثيرة واقول هذا البحث لا يتخلص الا بذكر مسائل المسئلة الاولى في تفسير لفظ
الخلق بحسب اللغة فنقول المشهور في اللغة ان الخلق عبارة عن التقدير واحتجوا عليه بالقران
والشعر والاستعمال اما القران فايات احدها قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين اي
المقدرين الثانية قوله تعالى لعيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تقدر الثالثة
ان يسمى الكذب خلقا واختلاقا يقال حديث مخلوق ومختلق اي كذب لا اصل له قال تعالى وتخلقون
افكا اي تقدرون كذبا وقال حكاية عن الكفار ان هذا الا اختلاق اي تريدون الكذب والسبب
في تسمية الكذب بالخلق لان الكاذب يقدر ذلك الكذب في ذهنه ويقدره في خاطره الرابعة
قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فقدم التخليق على
التكوين فدل على ان التخليق ليس عبارة عن التكوين لان الشيء لا يتقدم على نفسه بل التخليق
عبارة عن التقدير وهو مقدم على التكوين واما الشعر فقول زهير ولانت تفري ما خلقت
وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وقال لا وسط بايدي الخالقين ولا ايدي الخوالق الا جيد الادم
واما الاستعمال فيقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالقياس ومنه قول العرب للمقدار المعين من
الخلق الخلاق ويقولون هو خليق كذا اي جدير بكذا اي هذا الشيء على قدر استحقاقه والصخرة
الخلقاء الملساء لان الملاسة عبارة عن صيرورة جميع اجزاء الشيء بقدر واحد ومنه
خلق الثوب اذا بلي وصار املس واستوى جميع اجزائه فثبت بهذه الوجوه ان الخلق عبارة عن التقدير
وهذا الذي قلنا هو قول جمهور المعتزلة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا قال ابو عبد الله البصري

منهم



عن الفكر

منهم اطلاق اسم الخالق على الله محال في الحقيقة لان التقدير عبارة عن الفكر والظن والحسبان
وذلك في حق الله تعالى محال وقال تلميذه القاضي عبد الجبار بن احمد التقدير عبارة عن العلم بعواقب
الشيء وهذا المعنى حاصل في حق العبد وفي حق الله تعالى اما في حق العبد فانه قد يحصل له هذا
العلم بناء على الامارات اللائحة الواضحة وبسبب الفكر والروية واما في حق الله تعالى فلا شك
في حصوله واذا كان الامر كذلك كان اطلاق لفظ الخالق على الله وعلى العبد على سبيل الحقيقة
واما اصحابنا من اهل السنة والجماعة فقالوا الخلق حقيقة في الايجاد والابداع والاختراع
والذي يدل على ذلك وجوه الحجة الاولى قوله تعالى في اول سورة الفرقان وخلق كل شيء فقدره
تقديرا فلو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار تقدير الاية وقدر كل شيء فقدره تقديرا ومعلوم
انه تكرير من غير فائدة اما اذا حملنا الخلق على الايجاد لم يحصل التكرار وانتظم الكلام الحجة
الثانية قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر ولو كان الخلق هو التقدير لكان قوله خلقناه
بقدر تكريرا من غير فائدة الحجة الثالثة اجماع سلف الامة على انه لا خالق الا الله وايضا
قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور يقتضي ان لا يحصل هذه الصفات الا له تعالى كما اذا قلت
زيد هو العالم يقتضي حصر هذا الوصف فيه فاذا ثبت انه لا خالق الا الله وثبت ان غير الله مصور
ومقدر علمنا ان الخلق ليس عبارة عن التقدير واما الجواب عن الوجوه التي ذكروها يدل على استعمال
لفظ الخلق في غير معنى التقدير بل في معنى الايجاد والابداع فنقول لا بد من جعله حقيقة في احدهما
مجازا في الآخر فنقول من فرض شيئا وقدره مع ان ذلك الشيء معدوم فكانه يريد ان يجريه
مجرى الموجود فكان شبيها بالايجاد والابداع فلاجل هذه المشابهة اطلق لفظ الخلق على التقدير
المسئلة الثانية اختلفوا في ان الخلق نفس المخلوق او غيره فقال جميع المتكلمين الخلق غير المخلوق
ويدل عليه وجوه الحجة الاولى اجتمعت الامة على انه سبحانه وتعالى خالق ومن كان موصوفا بالخلق والله
سبحانه وتعالى موصوف بالخلق وغير موصوف بالمخلوق باتفاق العقلاء فعلمنا ان الخلق غير المخلوق الحجة
الثانية اذا خطر ببال احد ان هذا الشيء يمكن ان يوجد ويمكن ان يبقى على العدم تقتضي العقل بانه

قال اهل السنة الخلق الايجاد والابداع من وجوه الاول

الحجة الثانية

الخلق غير المخلوق

لا يمكن دخوله في الوجود الا بايجاد موجد وتخليق خالق فان قد علمنا وجود المخلوق بالتخليق
وحصول المكون بالتكوين والايجاد فلو كان الخلق والايجاد والتكوين عبارة عن وجود المخلوق
لكان قولنا المخلوق انما وجد لان الخالق خلقه عائدا الى المخلوق انما وجد وحدث لذاته ولانه
مخلوق وذلك يوجب استغناؤه عن الخالق ووقوعه بذاته وكل ذلك محال **الحجة الثالثة** انا نعقل
وجود هذا المخلوق وذاته ونعقل وجود ذلك الخالق وذاته مع الشك في كون ذلك الشيء خالقا
لذلك الشيء وكون هذا الشيء مخلوقا لذلك الشيء والمشكوك فيه مغاير للمعلوم فيكون هذا
الشيء خالقا لذلك الشيء لابد وان يكون امرا زائدا على ذات الخالق وذات المخلوق وهذا يفيد
القطع بان الخلق غير المخلوق ثم جمهور المتكلمين يقولون الخلق يمتنع ان يكون مغايرا للمخلوق
ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الخلق ان كان قديما لزم من قدمه قدم المخلوق وان كان حادثا
افتقر الى خلق آخر ولزم التسلسل **الحجة الثانية** ان الخلق ان كان محدثا افتقر الى خلق آخر وان
كان قديما كان من لوازم ذات الباري سبحانه وتعالى فلا يكون ثبوته واقعا بقدرة الباري واختياره
ثم ان الخلق يستلزم لوجود المخلوق لانه لا يتصور في العقل حصول الخلق مع انه لا يترتب عليه
وجود المخلوق اصلا اذا ثبت هذا فنقول ذاته سبحانه مستلزم للخلق ومستلزم المستلزم مستلزم
فذات الله تعالى مستلزمة لوجود المخلوق فلا يكون وقوع المخلوق باختيار الله تعالى ومشيئته
بل يكون ذاته موجبة لوقوع المخلوقات فح يكون ذاته موجبة بالذات لا فاعلة بالاختيار وهو
باطل **الحجة الثالثة** ان المراد من القدرة الصفة المؤثرة والمراد من الارادة الصفة المرجحة
فاذا حصل مجموع القدرة والارادة فقد حصل تمام المؤثر واما وقوع المخلوق فهو الاثر
يمتنع ان يحصل بين المؤثر المستقل التام وبين الاثر واسطة فههنا مجموع الارادة والقدرة
وههنا الاثر الحاصل منهما واذا كان الامر كذلك بطل القول بان الخلق صفة زائدة على القدرة
والارادة وهو المطلوب **الحجة الرابعة** ان قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب والذي يمكن جعله ايات ودلائل على ان الله تعالى هو خالق لهذه

المخلوقات



المخلوقات لا الصفة القائمة بذات الله تعالى فعلمنا ان المراد من قوله ان في خلق السموات هو هذه
المخلوقات وكيفية تقديرها بالصفات المخصوصة والاحوال المخصوصة **المسئلة الثالثة** اعلم ان
الاستدلال بالسموات على وجود الصانع سبحانه يقع على وجوه الاول الاستدلال بمقادير
الافلاك فانها مع استوائها في طبقة الفلكية اختص كل واحد منها بثخن معين وضخامة معينة
مع انه لا يمتنع في العقل وقوع ازيد من ذلك المقدار وانقص منه بذرة فلما اختص كل
واحد منها بمقداره الخاص مع ان المقادير بأسرها على التسوية قضى العقل بافتقار هذا المقدار
المعين على مخصص ومرجح وذلك هو الله سبحانه وتعالى واعلم ان اليق الوجوه بقوله ان
في خلق السموات والارض هذا الوجه لما ذكرنا ان اطلاق لفظ الخلق على المقدار اطلاق مشهور
متعارف واعلم انا لو ساعدنا على ان لفظ الخلق في اللغة عبارة عن التقدير لكنا نقول
انما صار لفظ الخلق مخصوصا بفعل الله تعالى لان افعاله تعالى واقعة على وفق علمه ومشيئته من غير
زيادة ولا نقصان فلما كان هذا المعنى لا يحصل في فعل غير الله لا جرم لا يصح استعمال لفظ الخلق
الا في فعل الله تعالى **النوع الثاني** في الاستدلال على كون بعض الافلاك اعلى وبعضها اسفل
وهذا في الجملة معلوم الا ان اهل علم الهيئة قالوا اقرب الكواكب الينا القمر ثم عطارد ثم الزهرة
ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ثم الكواكب الثابتة وذكروا في معرفة هذا الترتيب ثلثة
اوجه الاول الستر وذلك لان الكواكب الاسفل اذا مر بين ابصارنا وبين الكواكب الاعلى
فانهما يصيران مثل كوكب واحد في الرؤية ويتميز الساتر عن المستور بلونه الغالب عليه كصفرة
عطارد وبياض الزهرة وحمرة المريخ ودرية المشتري وكمودة زحل ثم ان القدماء وجدوا
القمر يكسف الكواكب الثابتة وكثيرا من الثوابت التي في طريقه في ممر البروج وكوكب عطارد يكسف
الزهرة والزهرة يكسف المريخ والمريخ يكسف المشتري والمشتري يكسف زحل وزحل يكسف
الكواكب الثابتة التي تكون ممره فعرفوا هذا الترتيب بهذا الطريق الا انه بقي اشكال من وجوه
الاول ان الشمس يحتجب في نورها ما هو اعلى منها وما هو اسفل منها وحينئذ لا يمكن ان يعلم بهذا الطريق

موضع الشمس والثاني هب ان هذه السيارة يكسف الثوابت التي على ممرها لكنها لا يكسف
الثوابت التي لا يكون في جانبي القطبين فلم لا يجوز وجود كرة اخرى تحت كرة القمر يكون هذه الثوابت
مركوزة فيها ويكون حركة هذه الكرة مشابهة لحركة كرة الثوابت على هذا الطريق لا يختلف
اوضاع الثوابت البتة فبهذه الاعتراضات ظهر ضعف عقولهم في معرفة هذا الترتيب الا ان
وجه الاستدلال بها على الصانع المختار لا يختلف على جميع الاحتمالات وذلك لان كل فلك فانه
يماس بمحدبه فلكا آخر فوقه وبمقعره فلكا آخر تحته وذلك الفلك متشابه الاجزاء متشابهة
الجوانب فكل ما يصح على احد جانبيه وجب ان يصح على الجانب الآخر فالفلك الفوقاني الذي لقيه
بمحدبه يصح ان يلاقيه بمقعره والفلك التحتاني الذي لقيه بمقعره صح ان يلاقيه بمحدبه ومتى
كان الامر كذلك ثبت انه يصح ان يحصل الفلك الاعلى في الاسفل والفلك الاسفل في الاعلى ومتى
كان كل هذه الاحتمالات جائزة امتنع اختصاص كل واحد من الافلاك بحيزه الذي هو فيه
ولا بموضعه الذي هو فيه الا بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وتكوين قادر عالم حكيم وهو الله
سبحانه **النوع الثالث** من الاستدلال باحوال الافلاك ان كل كوكب حصل في فلك فانه حصل
في نقرة معينة حصلت في جانب معين من ذلك الفلك ثم ان القوم اتفقوا على ان الفلك بسيط
غير مركب والجسم البسيط هو الذي يكون طبيعته واحدة متشابهة فلما امكن حصول تلك النقرة
في ذلك الجانب من الفلك يمكن حصوله في سائر جوانب ذلك الفلك وكما امكن حصول الاتصال
في سائر جوانب الفلك امكن حصوله في ذلك الموضع الذي حصلت النقرة فيه واذا ثبت ذلك
ظهر ان الاجتماع والافتراق والاتصال والانفصال جائز على جميع اجزاء الفلك كل واحد منها
بدلا عن الآخر واذا كان الامر كذلك كان حصول النقرة في احد جوانب الفلك وحصول الاتصال
في سائر جوانب ذلك الفلك امرا جائزا فلا يمكن حصوله الا بمرجح ومخصص ومدبر قادر مختار
وذلك هو المطلوب **النوع الرابع** من الاستدلال باحوال الافلاك نقول ان كل كرة من كرات
الافلاك فانما يدور على قطبين معينين واذا كان الفلك متشابه الاجزاء كان جميع النقط





المفروضة عليها متساوية وجميع الدوائر المفروضة عليها ايضا متساوية فاختصاص
النقطتين المعينتين بالقطبين دون سائر النقط مع استوائها في جميع الماهية والحقيقة
يكون امرا جائزا فيقضي العقل بافتقارها الى المرجح المريد القادر المختار **النوع الخامس**
من الاستدلال ان اجرام الفلكيين مع تشابههما في الجسمية وقبول الاعراض اختص كل واحد
منهما بنوع معين من الحركة من البطوء والسرعة فانظر الى الفلك الاعظم مع نهاية اتساعه
وعظمته يدور في كل يوم وليلة دورة تامة والفلك الثامن الذي هو اصغر منه لا يدور
دورة تامة الا في ستة وثلثين الف سنة على قول القدماء وفي اربعة وعشرين الف سنة
على قول المتأخرين ثم الفلك السابع الذي تحته تدور في ثلثين سنة دورة تامة و
اختصاص الفلك الاعظم بتلك السرعة الشديدة والفلك الثامن بذلك البطوء العظيم
على خلاف العقل فانه كان ينبغي ان يكون الاوسع ابطأ حركة والاصغر اسرع حركة ووقوعه
على هذا الوجه يدل على انه بسبب تقدير العزيز العليم القادر الحكيم **النوع السادس** من
الاستدلال ان الفلك الذي يسمونه بالممثل اذا انفصل عنه الفلك الخارج المركز بقي على
مذهبهم منه قسمان احدهما من الخارج والآخر من الداخل انه جرم متشابه الطبيعة ثم
اختص آخر جوانب هذا جسم بغاية الثخن والآخر بغاية الرقة واذا كان كذلك وجب ان
يكون كذلك الثخن والرقة بالنسبة الى طبيعة ذلك الجسم على السوية فاختصاص احد الجا
نبين بالرقة والآخر بالثخن يدل على القادر المختار **النوع السابع** من الاستدلال انها مختلفة
في جهات الحركات فبعضها من المشرق وبعضها من المغرب وبعضها شمالية وبعضها جنوبية
مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها على السوية فاختصاص كل واحد منها بجهة معينة لا بد
وان يكون بتخصيص القادر المختار واليه الاشارة بقوله سبحانه وكل في فلك يسبحون **النوع
الثامن** الاستدلال بانا نشاهد هذه الافلاك الآن متحركة فاما ان يقال انها كانت
متحركة في الازل او ما كانت متحركة في الازل اما الاول انها ما كانت موجودة في الازل فلانها

وان كانت موجودة في الازل الا انها ما كانت متحركة في الازل والقسم الاول محال لان ماهية
الحركة عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة اخرى فهذا الانتقال لا محالة يكون مسبوقا
بالمنتقل عنه فحقيقة الحركة تقتضي لماهيتها ان يكون مسبوقا بالغير وحقيقة الازل تنافي
المسبوقية بالغير فالجمع بين الحركة وبين الازل محال ولما بطل هذا القسم ثبت ان الآخر
في الاول سواء قلنا ان ذوات الافلاك كانت موجودة في الازل ساكنة او قلنا بانها كانت
معدومة في الازل وعلى القولين لا بد من الاعتراف بالقادر المختار الحكيم لانا ان قلنا
انها كانت موجودة وكانت ساكنة ثم تحركت فيما لا يزال فلا بد من قادر حكيم مختار يحركه
بعد ان كان ساكنا وان قلنا بانه كان معدوما في الازل فلا بد ايضا من قادر حكيم مختار
يوجده فيما لا يزال بعد ان كانت معدومة في الازل فثبت ان على كلا القسمين لا بد من الاقرار
باثبات اله العالم قادر مختار وهذا المأخذ احسن المآخذ واقواها واجلاها النوع
التاسع ان حركات هذه الافلاك اما ان يكون من لوازم جسميتها او لا يكون كذلك والاول
باطل لان كل ما كان من لوازم الشيء امتنع زواله مع بقاء ذلك الشيء لامتناع انفكاك
الملزوم من اللوازم لكنا نرى جسمية كل واحد من الافلاك قد ينفك من كل واحد من الاجزاء
المفترضة في الحركات فاذن كل واحد من اجزاء تلك الحركات ليس من لوازم جسميته
وليس ايضا من لوازم صورته المعينة وطبيعته المعينة والا عاد المحال المذكور لان تلك الطبيعة
والصورة باقية في كل واحد من اجزاء تلك الحركة وكل واحد من اجزاء تلك الحركة غير باق فاذن
لكل واحد من الاجزاء المفروضة في تلك الحركات مدبر ومقدر يحرك الافلاك والثوابت والسيارات
وهو الله سبحانه النوع العاشر ان هذا الترتيب العجيب في تركيب هذه الافلاك وائتلاف اجزائها
واتساق حركاتها الى نظم موافق لمصلحة هذا العالم لا يتأتى بالعبث ولا يتأتى من الطبيعة
الجاهلة بل صرايح الاذهان وبداية الافكار ناطقة بان ذلك لا يتأتى الا من القادر الحكيم اما
لانه لا يعقل اسنادها الى العبث والجزاف ولانا من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب والماء

انظم



انظم احدهما الى الاخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات من تركيبها قصر مشيد
وبناء عال وكل ذلك حصل من غير تدبير مدبر وتقدير مقدر فانه يقضي على مجوز هذا
بالجنون ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب النيرة والحركات المختلفة وما
حصل لها من النقاء والصفاء ليس اقل من ذلك البناء فثبت ان القول بوقوع هذه السموات
والكواكب على وجه العبث والجزاف محال هذا لا يخلو اما ان يقال انها تتحرك بانفسها على سبيل
الطبيعة لا على سبيل الاختيار او لاجل ان محركا يحركها والاول باطل لان كل جسم يتحرك بالطبع
عن شيء فانه لا يتحرك بعين تلك الطبيعة الى عين ذلك الشيء لان المهروب بالطبع لا يكون
مطلوبا بالطبع والحركة المستديرة فكل حركة وقعت هربا عن نقطة فانه عين ذلك الهرب
يكون عين تلك النقطة فعلمنا ان حركات الافلاك ليست طبيعية وهي ايضا ليست ارادية
وذلك ان حركاتها اما ان يكون لغرض يمكن حصولها او ليس كذلك فان كان الاول لزم وقوف
هذه الحركات وانتهاؤها الى السكون لان كل حركة كانت لطلب مقصود فعند حصول ذلك المقصود
وجب انقطاع تلك الحركة وان كانت تلك الحركة لاجل غرض غير ممكن الحصول كانت تلك الحركة
عبثا والعبث لا يكون دائما ولما بطل القسمان علمنا ان حركاتها ليست الا لاجل ان المدبر والمقدر
القاهر القادر العالم بالاسرار والخفيات المطلع على الكليات والجزئيات يحركها على وفق
مشيته ومقتضى قدرته فليس عندنا الايمان بها على سبيل الاجمال على ما قال ويتفكرون
في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار النوع الحادي عشر
من الاستدلال باحوال السموات انا نراها مختلفة في الالوان مثل محو القمر وصفرة عطارد
وبياض الزهرة وضوء الشمس وحمرة المريخ ودرية المشتري وكمودة زحل ولمعان
الثوابت وايضا فلكل كوكب من الكواكب الثابتة يختص بعظم خاص وضوء خاص وجانب
من الفلك خاص وايضا عند المنجمين مختلفة السعادة والنحوسة والذكورة والانوثة
والنهارية والليلية فنرى زحل الذي هو ارفع السيارات نحسا والمشتري هو دونه منه سعدا

والشمس وهي سلطانة الكواكب سعد في بعض الاتصالات ونحس في بعضها ونيرها مختلفة
في البيوت والحدود والوجوه والمثلثات والرجوع والاستقامة والصعود والهبوط مع كونها
باسرها مشتركة في كونها اجساما فلكية شفافة نورانية مصونة عن الكون والفساد
والتغير والانحلال فقضى صريح العقل بافتقارها الى مدبر يدبرها وقادر يخصص
كل واحد منها بصفة المعينة **النوع الثاني عشر** ان هذه الكواكب ان كان لها تأثير في هذا
العالم فهي اما ان يكون متدافعة او متعاونة او لا متدافعة ولا متعاونة فان كانت
متدافعة فاما ان يكون بعضها اقوى من البعض او متساوية في القوة فان كان بعضها
اقوى من البعض كان القوي غالبا والضعيف يكون مغلوبا ابدا فوجب ان يستمر احوال
هذا العالم على طبيعة ذلك الكوكب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فان قيل لم لا يجوز ان
يختلف اثار الكواكب بسبب اختلاف طبايع البروج قلنا لو كانت طبايع البروج مختلفة
لكان الفلك جسما مركبا لا بسيطا وقد ثبت عندهم فساد ذلك واما ان كانت متساوية
في القوة مع انها متدافعة فحينئذ لا يحصل الفعل عن شيء منها اصلا فيكون الافعال
الظاهرة في هذا العالم مستندا الى شيء غيرها فيكون مدبر هذا العالم ذلك الغير ولا هذه
الكواكب اما ان قيل هذه الكواكب متعاونة لزم ايضا بقاء احوال هذا العالم على نسق
واحد من غير تغير اصلا واما ان قيل انها تارة متعاونة وتارة متدافعة كان انتقالها
من الحب الى البغض ومن الممانعة الى المعاونة تغيرا يحصل لها في صفاتها ولا بد لذلك التغير
من مغير ومدبر فيكون الكواكب باسرها مفتقرة في حصول صفاتها وحدوث احوالها الى
مدبر قادر وذلك هو الله سبحانه وتعالى **النوع الثالث عشر** ان هذه السموات والكواكب
اجسام وكل جسم مركب من الاجزاء لان كل جسم فهو قابل للقسمة الوهمية وكل ما قبل القسمة
الوهمية كانت ذاته مركبة من تلك الاجزاء الى كل واحد منها متميز من الاخر في الاشارة الحسية
وكل ما كان مركبا فانه مفتقر في تحققه الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزاء الشيء غيره





فكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته
فهو محتاج الى المؤثر وكل ما احتاج في وجوده الى المؤثر فاحتياجه اليه اما ان يكون
حال بقائه او حال حدوثه او حال عدمه ويمتنع ان يحتاج الى الموجد حال بقائه لان ذلك
يقتضي ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وهو محال فلم يبق الا ان يكون الحاجة اما زمان
الحدوث او زمان العدم وعلى كلا التقديرين كان كل محتاج الى المؤثر محدثا فثبت ان
هذه الكواكب والسموات باسرها ممكنة الوجود لذواتها محتاجة في وجودها الى المؤثر
محدثة مسبوقة **النوع الرابع عشر** في الاستدلال بسرعة حركة هذه الكواكب مع غاية
عظمها وذلك لان اصغر كوكب يرى هو مثل الارض ثماني عشرة مرات واكبرها ينتهي الى
قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض فاما الشمس فهي مثل الارض مائة واربعة
وستين مرة ثم انك ترى الكوكب يطلع في لحظة يسيرة وذلك لان الزمان بين طلوع
اول جزء من الكوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب مثل الارض مائة وعشرون مرة فقد
دار الفلك في تلك اللحظة اللطيفة مثل الارض مائة وعشرين مرة وانظر كيف عبر جبرئيل
عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال النبي عليه السلام هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال
الرسول عليه السلام كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس
مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم جرمها ثم الى خفة حركتها ثم انتقل منها الى قدرة فاطرها
وبارئها تعالى وتقدس كيف خلقها على عظم جرمها ثم حركها هذه الحركة الخفيفة السريعة ثم امسكها
في الهواء بغير عمد ترونها **النوع الخامس عشر** في الاستدلال بهذه الاجسام ان الاجسام متساوية
في الجسمية بدليل انه يصح تقسيم الجسم الى الفلكي والى العنصري والى الكثيف والى اللطيف والى
الحار والى البارد والى الرطب والى اليابس فمورد التقسيم مشترك بين كل الاقسام فالجسمية
قدر مشترك بين كل هذه الاقسام والامور المتماثلة في تمام الماهية يكون متساوية في قبول
الصفات والاعراض فاذا ثبت هذا فكل ما صح على جسم فهو صحيح على سائر الاجسام فاذن اختصاص

كل جرم بما هو مختص به في المقدار والوضع والشكل والطبع لا بد وان يكون من الجائزات وذلك يفضي علمها بالافتقار الى الصانع القديم الحكيم المختار جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا اله غيره فهذه هي الوجوه التي وصلت عقولنا الضعيفة اليها وهي باسرها داخلة تحت قوله سبحانه وتعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب

الفصل الرابع في تقدير صفات السموات والاستدلال بكل واحدة من تلك الصفات على الاله القادر الحكيم

الصفة الاولى بقاؤها في جو الهواء معلقة قال سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا اخبر الله تعالى في هذه الاية انه سبحانه هو الذي يمسك السموات والارض عن الزوال والانتقال فيحتاج اولا الى بيان ان السموات والارض غير زائلة عن مواضعها ومقارها ثم الى بيان ان ذلك الممسك هو الله سبحانه فلنبين ذلك في الارض ثم في السماء اما الارض فمن الناس من قال انها هاوية بطبعها ابدا في الخلاء الذي لا نهاية له من جهة السفل ومنهم من قال الفلك واقف والارض هي التي تتحرك كل يوم وليلة دورة تامة وسبب طلوع الشمس والكواكب هو استدارة الارض والذي يدل على انها غير هاوية انها لو كانت كذلك وهبط من موضع عال لكان من ضعف من موضع عال الى الارض وجب ان لا يصل اليها لان كل شيئين ينزلان من الاعلى الى الاسفل واحدهما اخف من الاخر فان الاخف لا يدرك الاثقل وانما قلنا انها غير مستديرة لانها لو كانت مستديرة لكان حركتها في غاية السرعة ولكان تموج الهواء المحيط بها تموجا شديدا ولكان يجب ان يكون تموج ذلك الهواء مانعا للانسان من ان يتحرك الى خلاف تلك الجهة ومعلوم ان ذلك باطل ولما بطل هذان القسمان ثبت ان الارض واقفة واما السموات فهي ايضا مستقرة في احيازها وغير خارجة منها فالدليل عليه انها لو خرجت عن مواضعها واما ان ينزل او يصعد فان نزلت مع ان الارض واقفة صارت السماء كل يوم اقرب الينا وكان يجب ان نرى كل يوم تلك الكواكب اعظم وان نرى من السماء اقل مما رأيناها بالامس فان قلنا ان السماء





تصعد لزم ضد ما ذكرناه ولما كان كل ذلك باطلا علمنا ان السموات والارضين مستقرة في مواضعها مستمرة في احيازها اذا ثبت هذا فنقول ممسكها هو الله سبحانه اما الارض فنقول للناس في سبب سكونها اقوال الاول ان الارض لا نهاية لها من جانب الاسفل واذا كان كذلك لم يكن لها مهبط فلا جرم تنزل وهذا فاسد من وجهين الاول ثبت بالدليل ان الاجسام متناهية الثاني ان الارض طبيعتها واحدة فاختصاص احد وجهيها بالتناهي والوجه الاخر بعدم التناهي لا بد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير قادر

القول الثاني قول من سلم ان الارض متناه من جميع الجوانب والقائلون بهذا القول ذكروا في سبب سكون الارض وجوها الاول قالوا الارض كنصف كرة ومحدبها على الجانب الذي يلينا واما سطحها الاسفل فهو سطح مستقيم موضوع على الماء والهواء ومن شان الثقيل المنبسط ان لا يغوص في الماء بل يبقى واقفا عليه وهذا باطل من وجهين الاول ان البحث يعود في علة وقوف الماء والهواء تحت الارض والثاني لم صار احد وجهي الارض محدبا والثاني مستقيما مع تساوي الماهية بل لا يعقل هذا الا بسبب الفاعل المختار الثالث الذين قالوا ان سبب وقوف الارض جذب الفلك لها من كل جانب فبقيت في الوسط وهو ايضا باطل من وجهين الاول ان المدرة التي على وجه الارض اقرب الى هذا الجانب من الفلك فوجب ان ينجذب الى هذا الجانب من الفلك الثاني ان المدرة المعدودة الى فوق وجب ان ينجذب الى الفلك وان لا يعود القول الرابع سبب وقوف الارض دفع الفلك لها من كل جانب كما اذا جعل كف من التراب في قنينة ثم اديرت القنينة على قطبها ادارة سريعة وقف التراب في وسط القنينة لتساوي الرفع من كل الجوانب وهذا باطل من وجوه خمسة الاول ان القارورة لو بلغ قوة الدفع الى هذا الحد فلم لا نحس بها الواحد منا الثاني ما بال الدفع لم يجعل حركة السحب والرياح الى جهة بعينها الثالث ما بال هذا الدفع لم لا يجعل انتقالها الى الجهة الموافقة لحركة الفلك اسهل وضد تلك الحركة اصعب الرابع يجب ان يكون الثقل كلما كان اعظم وجب ان يكون حركته ابطأ لان اندفاع المدفوع الاعظم من اندفاع المفاسد ابطأ الخامس يجب ان يكون حركة

الثقيل النازل من الابتداء اسرع منها عند الانتهاء لانا عند الابتداء ابعد من الفلك وابعد
من تأثيره **القول الخامس** الارض يطلب الوسط من الفلك بالطبع وهو قول ارسطاطاليس
وهو ضعيف لان الاجسام متساوية فاختصاص بعضها بالصفة التي لاجلها يطلب وسط
العالم يكون امرا جائزا فيحتاج الى مخصص مختار **القول السادس** الفلك كرة فاذا استدار
على ما في حشوه عرض لما هو في غاية القرب من الفلك ان يتسخن فيصير نارا والماء هو في
غاية البعد عن الفلك ان يبقى على البرد والكثافة واليبس فيكون ارضا ثم الذي يقرب
من النار يكون لا محالة الطف مما يقرب من الارض فصار الملاصق للنار هواء والملا
صق للارض ماء فلهذا السبب حصلت العناصر على هذا الترتيب وهذا ايضا ضعيف
وهذا ايضا ضعيف لان الكلام يعود في انه لم يحصل بعض الاجسام ملاصقا للفلك
وبعضها في غاية البعد عن الفلك حتى صار القريب نارا والبعيد ارضا **القول السابع**
قالت المعتزلة النصف الاسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة والنصف الاعلى فيه
اعتمادات هابطة فحصل التدافع بين الاعتمادين المتضادين فلزم الوقوف وهذا ايضا
ضعيف من وجهين لانا نقول ولم اختص ذلك الوجه بالاعتماد الصاعد وهذا الوجه
بالاعتماد النازل ولا يمكن ان يذكر فيه سبب الا الفاعل المختار ولما بطلت هذه الاقاويل
لم يبق الا ان يقال بقاء الارض والسموات في موضعها ومقارها واحيازها ليس الا بالله
سبحانه وتعالى فثبت ان ممسك السموات والارضين هو الله سبحانه وتقدير الكلام على الوجه
البرهاني يعود الى ما تقدم من ان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها
بحيز مخصوص لا يمكن ان يكون لذواتها ولا لشيء من لوازم ذواتها والا لزم التسلسل
بل لا بد وان يكون امرا جائزا فيكون بتخصيص المخصص الذي هو القادر المختار فصار
قوله سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا موكدا لهذه البراهين القطعية
اذا عرفت هذا البرهان فلنرجع الى البيان الاقناعي الذي يصل اليه كل افهم فنقول لا شك ان السماء

فوق



فوق الهواء وهو المحسوس ولا شك ان الارض فوق الماء بدليل انك لا تحفر موضعا
الا خرج منه الماء والالف لاجسام المشاهدة هو الهواء وبعده الماء ثم ان الارض مع ما فيها
من الاجسام الثقيلة كالبحار والجبال موضوعة على الماء وايضا لا شك ان كل واحد من النجوم
اعظم من الارض بدرجات في الثقل منها بكثير فاذا شاهدنا ان اصغر جزء من الارض لا يستقر على
الماء وعلمنا ان كل الارض مستقر على وجه الماء علمنا ان ذلك لا يكون الا بامساك الله سبحانه
ثم ان الهواء الطف من الماء ولا يستقر فيه اصغر الجزء الثقيلة ثم ان السموات والكواكب
مع ما فيه من الثقل العظيم والعظمة العظيمة استقرت في الهواء علمنا ان ذلك لا يكون الا
بامساك الله سبحانه فظهر انه ليس استقرار الارض في حيزها واستقرار السموات في موضعها
الا بتقدير قادر وعلم عالم حكيم هو اقدر القادرين واحكم الحاكمين تنزهت عظمته من
علائق عقول البشرية وتقدست جلالته وكبرياؤه عن خوادث الافكار الانسانية بقي
ههنا سؤالات **الاول** ما معنى قوله تعالى ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده **والجواب** قال
الفراء المعنى لو زالتا ما امسكهما من احد من بعد الله وهي قوله ان انت الا نذير اي ما انت
الا نذير **السؤال الثاني** ما الفائدة في قوله ولئن زالتا وهما لا تزولان الى يوم القيمة و
**الجواب** من وجوه **الاول** عدم الوقوع لا ينافي صدق قولنا لو وقع كيف يكون كقوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا **الثاني** المعنى لو زالتا حين حكمت بالزوال يوم القيامة فمن الذي
يمسكها عن ذلك الزوال **الثالث** لو زالتا بسبب كفركم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا على ما قال
تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
**السؤال الثالث** ما الحكمة في ختم هذه الاية بقوله تعالى انه كان حليما غفورا **الجواب** يحتمل
ان يكون تقدير الاية ولئن زالتا وجل العذاب استعجالكم فمن المانع لولا ان الله حليم
غفور والله اعلم **الصفة الثانية** للسموات الرفعة قال تعالى الذي رفع السموات بغير عمد
ترونها وتقدير هذا المعنى ان جميع العالمين عاجز عن رفع شيء ثقيل في الهواء الا بآحد طريقين

اما ان يكون تحته شيء يستقر عليه او ان يكون فوقه شيء هو معلق عليه ولا شك ان
العالم متناه من فوقه وتحته فليس لجميع الاجسام شيء فوقه حتى يكون شيئا معلقا وليس شيء
تحت جميع الاجسام جسم حتى يستقر عليه فاذا عجز كل الخلائق عن رفع شيء ثقيل الا باحد
هذين الطريقين وتبين ان كل العالم بما فيه من العرش والكرسي والسموات والكواكب والبحار
والجبال معلقة من غير علاقة فوقها ولا قرار تحتها لم يكن بد من الاقرار بقادر ممسك اقوى
من جميع هذه الاجسام واقدر منها حتى يمسكها بقدرته ويحفظها بالهيئة الا له الخلق و
الامر تبارك الله رب العالمين وفي الاية سؤالات الاول انه تعالى قال بغير عمد ترونها
هذا توهم ان هناك عمدا لا ترونها والجواب من وجوه الاول لو قال بغير عمد لكان خطا بل
لذلك عمد وهو امساك الله تعالى كما قال الله يمسك السموات والارض ان تزولا الا ان
امساك الله وحفظه عماد لا ترى فلهذا السبب قال بغير عمد ترونها الثاني قال الحسن
وقتادة معنى الاية الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها انها رفعها بغير عمد والثالث
قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فهنا يحتمل ان يكون للسموات
ملائكة يحملونها فاذا كان هذا يحتمل فلا جرم ما نفى العمد مطلقا بل نفى عمدا نشاهدها لا
نرى انه نسب الى حمل العرش والسموات في الملائكة فمن الذي يحمل الملائكة مع هذا الحمل
العظيم الا قدرة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد السؤال الثاني الرفع
يشعر بانها كانت موضوعة في السفل فنقلها الله من السفل الى العلو الجواب في لفظ الرفع
في هذه الاية قولان احدهما انه عبارة عن الانشاء على صفة الارتفاع لانها كانت موضوعة
ورفعها نظيره قوله تعالى والارض وضعها للانام اي خلقها موضوعة للانام لانها كانت مرفوعة
فوضعها والقول الثاني ان السموات والارض كانتا رتقا شيئا واحدا رتقا ففتق الله تعالى
بينهما ورفع السماء على ما شرحناه الصفة الثالثة للسموات قوله تعالى والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه لما ان الامر الى ادم عليه السلام قال لابليس ما منعك

ان تسجد



ان تسجد لما خلقت بيدي فالسموات في اخر الامر تكون في يمين الله تعالى وادم عليه السلام
في اول الامر كان مخلوقا بيديه وهذا يشير الى ان ما هو نهاية احوال السموات فهو بداية احوال
السموات فهو بداية احوال البشر الصفة الرابعة كون هذه السموات مخلوقة بالحق لا بالباطل
قال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ايضا وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وقال في حق البشر افحسبتم
انما خلقناكم عبثا ثم بين ان الحكمة في خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر
الناس لا يعلمون واعلم انه ليس المراد من هذا الكبر الكبر في الجثة لان ذلك معلوم لكل احد
بالحس والضرورة ولكن المراد عن ذلك الكبر في الاسرار الالهية والحكم الربانية التي لا يعلمها
احد الا هو ولا يطلع عليه احد الا هو الصفة الخامسة قوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء
بناها رفع سمكها فسويها واغطش ليلها واخرج ضحيها واعلم انه سبحانه وصف السماء في هذه
الاية بصفات كثيرة واحدها شدة الخلق ونظيره قوله تعالى في سورة عم يتساءلون وبنينا
فوقكم سبعا شدادا والشداد جميع شديدة بمعنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان
ولا يحصل فيها فطور ولا فروج فان قيل فالملائكة كيف ينزلون عن السموات مع شدة خلقها
وكيف يعرجون فيها قلنا كما ينزل الانوار فيها مع شدتها بل نزول الملائكة اولى لان ذوات
الملائكة بالنسبة الى هذه الانوار المحسوسة يجري مجرى هذه الانوار المحسوسة بالنسبة الى هذه
الاجسام وفي لفظ الاية اشكال قال الكسائي والفراء والزجاج الكلام تم عند قوله ءانتم
اشد خلقا ام السماء ثم بنيها ابتداء كلام اخر وعند غيرهم الوقف على قوله بناها لانه
من صفة السماء والتقدير التي بناها رفع فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز يقال الرجل
جاءك عاقل اي الرجل الذي جاءك عاقل واذا ثبت ان هذا جائز في اللغة فنقول الدليل
على ان قوله بناها صلة لما قبلها انه لو لم يكن صلة لكان صفة ثم قوله رفع سمكها صفة ايضا
فقد توالت صفتان لا يتعلق احدهما بالاخرى فكان يجب ادخال العاطف فيما بينهما كما في قوله

واغطش ليلها ولما لم يكن كذا علمنا ان قوله بناها صفة للسماء ثم قوله رفع
سمكها ابتداء بذكر الصفة واعلم ان قوله في السماء انه بناها نظيره قوله تعالى افلم
ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وقوله في اول البقرة الذي جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء فان قيل انما يسمى الشيء بناء اذا كان مستقرا على الارض والسماء
قد امسكها الله معلقا في الجو فكيف سماه بناء قلنا هذا مذكور على سبيل التشبيه وذلك
لانه اعظم الاجسام احكاما في البنية والتركيب هو الذي يكون موضوعا على الارض كانه
قال هذا الذي امسكته في الهواء اكثر احكاما وشدة مما بنيته على الارض والمستقر فلشدة
احكامها سماه بناء واعلم انه سبحانه لما بين في السماء انه بناها بين بعد ذلك انه تعالى
جعل السماء علة للمكان وعلة للزمان اما ان المسمى سبب للمكان فهو قوله تعالى رفع سمكها
فسواها واعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من اعلاه الى اسفله يسمى عمقا واذا اخذ من
اسفل الشيء الى اعلاه سمي سمكا فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا ان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة عام واما قوله فسواها فقيل المراد به تسوية تأليفها وقيل
المراد نفي الشقوق منها كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان كل هذه الوجوه يدل
على كمال العلم والقدرة لمدبرها وخالقها لان وقوع التفاوت تارة يكون بجهل المدبر وتارة
يكون بعجزه فمن كان عالما بالكل قادرا على الكل امتنع وقوع التفاوت في خلقه فانه فبهذا
الطريق عرفنا انه صادق في وعده حكيم لا يقع السفه في فعله لان صدور الكذب والسفه
اما للعجز او للجهل او البخل والكل محال عليه فامتنع الكذب في وعده والسفه في فعله واما
ان تخليق السموات سبب لحدوث الزمان فهو المراد من قوله واغطش ليلها واخرج ضحيها
واعلم ان اغطش قد يجيء لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما ويجيء متعديا يقال اغطشه
الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والاغطش شبه مثل الاعمش وههنا سؤال وهو ان الليل
اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله اغطش ليلها يرجع معناه الى انه سبحانه جعل المظلم

واعلم

سؤال

واعلم

واعلم معنى السمك والعمق

ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام

تخليق السموات سبب لحدوث الزمان

معنى الليل

مظلما



مظلما وهذا الكلام بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت
بتدبير الله وتقديره واما قوله واخرج ضحيها فالمراد هو النهار لانه سبحانه عبر عن النهار
بالضحى لان الضحى اضوء اوقات النهار ونظير هذه الاية قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى وذلك
لان اضوء اوقات النهار هو الضحى وذلك هو الضوء التام بعد الظلمة التامة مما لا يقدر عليه
الا الله سبحانه واعلم ان في الاية فوائد احديها انه سبحانه قدم ذكر الظلمة على ذكر النور وهذا يدل
على تقدم الظلمة على النور وهو نظير قوله وجعل الظلمات والنور الثانية انه اضاف الليل والنهار
الى السماء لانهما انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها والغروب والطلوع لا يحصلان
الا بسبب حركة الفلك فلهذا اضاف الليل والنهار الى السماء والفائدة الثالثة في هذه الاية
ان المقصود منها الاستدلال بها على وجود الخالق سبحانه والتقدير ان السماء اشد خلقا من الا
دمي وقد اقررتم ان خالق السماء هو الله فكيف انكرتم ان مدبر احوالكم هو الله والفائدة
الرابعة ان اثبات المعاد ايضا مقصود من هذه الاية وسياق الاية يدل عليه قال الله تعالى
فيما قبل هذه الاية يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة الى قوله انتم اشد خلقا ام السماء
بناها والمعنى انتم انكرتم البعث واستبعدتم اعادة خلقكم بعد موتكم والاعادة ايسر
من الابتداء وابتداء خلقكم ايسر من خلق السماء فلما اقررتم بانه تعالى هو الذي خلق
السماء فبان تعترفوا بكونه قادرا على الاعادة والبعث اولى والفائدة الخامسة كانه قال
السماء مع شدة خلقها وعظمها وكذلك الارض بجبالها وبحارها مطيعة لحكمي وامري
فكيف عصيتم حكمي وامري مع انكم في غاية الضعف بل نقول انتم والسماء مشتركون في
ان كل واحد منكم حصل بايجادي وابداعي وانتم انما فارقتم السماء والارض بالمعرفة والتمييز
والاقرار بحصول الثواب والعقاب فانتم بسبب هذه المعرفة اولى بالانقياد لطاعتي والفائدة
السادسة انه لما رفعت السماء من الارض خلقت المكان لان المكان هو الفرجة الحاصلة بين السماء
والارض واليه الاشارة بقوله تعالى رفع سمكها فسويها فلما حركت جرم السماء ظهرت الزمان

فوائد الاية

والى الاشارة بقوله واغطش ليلها واخرج ضحيها فالمكان والمكانيات ملكي والزمان والزمانيات ملكي ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام قل لمن ما في السموات والارض قل لله وهو اشارة الى ان المكان والمكانيات ملكه وملكه ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى الزمان والزمانيات ملكه وملكه فهو سبحانه خالق المكان والمكانيات ومدبر الزمان والزمانيات وذلك يدل على كونه منزها عن المكان والزمان وعلائق الحدوث **الصفة السادسة** للسموات قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن اياتها معرضون وايضا سماه الله تعالى بالسقف المرفوع قال تعالى والبيت المعمور والسقف المرفوع واعلم ان من تامل في هذا العالم وجده كالبيت الذي اعد فيه كل ما يحتاج اليه والسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح والانسان كالبيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيات لمنافعه وضروب الحيوانات مصروفة في مصالحه فهذه احوال واضحة ودلائل باهرة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية ومما يشبه هذا الوصف انه تعالى سماها سبعا طباقا وسبعا شدادا **الصفة السابعة** للسموات انه تعالى جعلها قبلة الدعاء قال تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فقوله قد نرى تقلب وجهك في السماء اشارة الى تضرعه حال اشتغاله بالدعاء والمجسمة تمسكوا بذلك على انه سبحانه في جهة فوق وهذا باطل على ما يجيء برهانه ان شاء الله تعالى بل السبب لذلك من وجوه الاول انه تعالى جعل احوال الافلاك اسباب المصالح احوال هذا العالم قال تعالى حكاية عن فرعون لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات وقال ايضا فليمدد بسبب الى السماء وفي الامثلة المشهورة قولهم يا مسبب الاسباب ومما يؤكد ذلك قوله في صفة الملائكة فالمدبرات امرا وفي اية اخرى فالمقسمات امرا ولا شك ان مسكن الملائكة هو السموات فلهذا الوجه صارت احوال السموات اسباب المصالح هذا العالم والثاني ان الارزاق انما تنزل من السماء وقال وفي السماء رزقكم وما توعدون والثالث ان الملائكة الذين ينزلون بالسلام والرحمة من الله تعالى انما ينزلون

من السماء

السموات قبلة الدعا

السبب لذلك من وجوه



من السموات قال الله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم الرابع ان الانوار انما تنزل من السموات قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فلما كان مصالح العالم لا يتم الا من السموات لاجرم كانت الاعين ممتدة اليه والايدي مرفوعة اليه والقلوب متعلقة به **الفصل الخامس** في تفسير قوله تعالى فاطر السموات والارض حكى سبحانه عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وحكى عن يوسف الصديق انه قال فاطر السموات والارض وقال في خلق البشر فطرة الله التي فطر الناس عليها واعلم ان الفاطر هو الذي يحدث الشيء ابتداء وتحقيقه ان الفطر هو الشق فمن احدث الشيء ابتداء فهو الذي شق ظلمة العدم واعلم ان فعل الله سبحانه وتكوينه مغاير فعل غيره من وجوه الاول ان الانسان لا يمكنه ان يفعل الا في محل مخصوص وصيغة معينة فالحداد لابد له من حديد والصايغ لابد له من ذهب والحايك لابد له من غزل فالحق سبحانه غني في فعله في المادة وذلك لان تلك المادة لما كانت قابلة للاحوال المتغيرة والحوادث المتعاقبة كانت محدثة فلابد لها من محدث فلو افتقر احداث الله وايجاده الى سبق مادة لزم افتقار المادة الى مادة اخرى لا الى غير نهاية وهو محال فلما كان سبحانه هو الفاعل للمواد والموجد لها دل ذلك على ان فاعله غني عن سبق المواد الثاني ان العباد اذا تصرفوا في مادة فهم لا يتصرفون في ذات تلك المادة فالنجار يتصرف في الخشب ولكن الخشب باق في حال ذلك التصرف والصايغ يتصرف في الذهب ولكن الذهب باق في تلك الحالة اما الحق سبحانه فانه يتصرف في المواد بتغيرها في انفسها الا ترى ان الله سبحانه يقلب الطين غذاء ويقلب الغذاء نطفة ويقلب النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما وايضا خلق البشر من التراب كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب فركبه من التراب الحما ودما وصورة الترابية غير باقية في شيء منها ويخلق الحيوان من الماء كما قال والله خلق كل دابة من ماء وصورة المائية غير باقية فيها وخلق عيسى من نفخ جبريل عليه السلام ولذلك كان عيسى يصور الحيوانات فينفخ فيها فيصير حية باذن الله تعالى وصورة الهوائية ما كانت باقية فيها وخلق الجان من مارج من نار وصورة النارية غير باقية فيه وخلق ناقة صالح من الحجارة وصورة الحجر غير باقية فيها

تحقيقه

فاعلم سبحانه غني في فعله عن المادة

وخلق الثعبان من عصا موسى وصورة الخشبة غير باقية وخلق حوا من ضلع ادم عليه
ما كانت صورة العظيمة باقية فثبت بانه سبحانه وتعالى يقلب المواد في ذواتها من حالة الى حالة
اخرى وسائر الفاعلين ليسوا كذالك فظهر الفرق **والفرق الثالث** ان كل الفاعلين يفتقرون
في فاعليتهم الى توسط الالات فالنجار لا بد له من منشار وقدوم والخياط لا بد له من ابرة ومقراض
والحق تعالى غني في فعله عن الالات والادوات لانه فاعل الالات والادوات فلو افتقر في فاعليته
الى الالة لزم التسلسل **والفرق الرابع** ان سائر الفاعلين لا يمكنهم ان يفعلوا فعلا الا بمماسة
وملاقات بين الفاعل وبين محل الفعل فان لم يحصل المماسة اصلا عجز عن الفعل فيه والحق
تعالى هو المتصرف من العرش الى ما تحت الثرى من غير مجاورة ولا مقاربة **والفرق الخامس** ان من
فعل فعلا فانه لا يفعله الا بمهلة وتدريج وزمان بعد زمان والحق سبحانه وتعالى غني عن المهلة
والتدريج والتطويل والزمان كما قال انما امرنا للشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال
ايضا وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والمعنى ان اميتهم عند النفخة الاولى في اقل
لمحة البصر واحييهم عند النفخة الثانية في اقل من لمحة البصر وارد في هذه اللحظة اللطيفة جميع
الارواح الى اشباحها التي هي الاجسام الاصلية من غير غلط ولا خلل وانما امكن ذلك لكونه سبحانه
قادرا على جميع المقدورات عالما بجميع المعلومات **والفرق السادس** ان كل من فعل فعلا فانه
يتعب بسبب ذلك ويشق عليه ذلك والحق تعالى يدبر من العرش الى ما تحت الثرى في تخليق ذواتها
وايجاد صفتها من غير تعب ولا نصب قال تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
وما مسنا من لغوب وقال افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد فان قيل اليس
انه تعالى قال في الاعادة وهو اهون عليه وهذا يقتضي حصول نوع من التعب في الخلق الاول قلنا انما
ذكره على حسب المعتاد فان في العادة الابتداء اصعب من العادة فلما سلموا انه لا تعب في الابتداء
فبان لا يمتنع له الاعادة اولى **والفرق السابع** ان كل فاعل فعل فعلا فانه يتغير اولا في نفسه
ثم بسبب تغيره يحصل الفعل خارج ذاته كالكاتب فانه ما لم يحرك اصابعه لا يمكنه ان يكتب

والحق



والحق تعالى منزه عن ذلك لو توقف فاعلية على حدوث تغير في ذاته لكان المحدث لتلك
الحالة المتغيرة هو الله سبحانه فكان يفتقر احداث تلك الحالة الى حدوث حالة اخرى فلزم
التسلسل فهو سبحانه يفقر ويغني ويمرض ويبرئ ويحيي ويميت ويطعم ويسقي ويدبر السموات
والارضين والبحار والجبال والدواب والذوات والصفات مع انه منزه في ذاته وصفاته
من انواع التغير والزوال والتحول والانتقال بل ومن عجايب هذا الموضع ان كل من سوى
رب العالمين فانه يتغير علمه بتغير المعلومات ويتكثر علمه بتكثر المعلومات وهو سبحانه يعلم بعلم
واحد ما لا نهاية له من المعلومات ويعلم بعلم باق دائم جميع التغيرات **والفرق الثامن** ان
كل ما سواه من الفاعلين فانه لا يمكنه ان يجمع بين افعال الكثيرة فالكاتب لا يمكنه
ان يكتب الكلمات الكثيرة على الجمع بل على التعاقب وبالجملة ما لم يفرغ عن احد الفعلين
لا يمكنه الاشتغال بالفعل الاخر اما الحق سبحانه هو القادر الذي لا يشغله شان عن شان
فهو مدبر العرش والكرسي واللوح والقلم والكتاب دفعة واحدة يخلق ذواتها ويدبر
صفاتها ويرى حاجاتها ويسمع نداها ويجيب دعاها فسبحان من لا يشغله شان عن شان **والفرق
التاسع** ان كل من فعل فعلا فانما يفعله لجر نفع او لدفع ضر والحق منزه عن جلب المنافع
ودفع المضار وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وقد بينا دلائل هذا الفصل في بيان
دلائل التوحيد في قوله سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **الفرق العاشر** ان كل من فعل فعلا
فانه يحصل بعضه على وفق مراده فالكافر يجتهد في الحجة والمعرفة فلا يحصل له مراده بل يقع في
الشبهة والضلالة وكل احد فانما يتحرك ويسعى لطلب الخيرات ثم قد يحصل وقد لا يحصل
وقيل كل احد يخرج بكرة يوم من داره قدريا ويعود اليها بالمساء جبريا يقول بالبكرة افعل
كذا ليحصل كذا وبالمساء اجتهدت فما كان التقدير مطابقا للتدبير والحق تعالى لا يقع فعله الا
على وفق مراده ومشيته فان كل الممكنات في قبضة قدرته وبقبضة ارادته لا دافع لما قضى ولا مانع
لما ابدع وابدى قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا

ليؤمنوا الا ان يشاء الله والفرق الحادي عشر كل من سواه من الفاعلين فانه كل ما يبقى المفعول
بعد فناء الفاعل وموته والحق سبحانه هو الباقي بعد فناء مخلوقاته كما قال لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار والفرق الثاني عشر ان كل ما سواه من الفاعلين فانه لا ينفك فعله عن الخلل والنقصان
اما الحق سبحانه ففعله غني عن الخلل والنقصان قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر
هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ولو انه حصل عقول جميع العقلاء عقلا واحدا ثم
تفكر بذلك العقل تفكر في جناح بعوضة حتى يجد تركيبها احسن منه واكمل منه فنيت
تلك العقول وانقطعت تلك الافكار ولا يصير ذرة من ذرات حكمة الله في خلقة تلك
البعوضة معلومة على سبيل الكمال والتمام فهذا مجموع الفروق بين فاعلية العبد وبين
فاعلية الحق ولما كانت فاعليته غنية عن المادة والمدة والآلة والغاية والزمان والمكان
وجلب الاغراض وتغير الاحوال والاعراض كان الحق تعالى هو الفاطر للاشياء فلهذا قال الحمد لله
فاطر السموات والارض والله اعلم بحقايق الاشياء **الفصل السادس** في شرح كون السموات
خالية عن العيب والنقصان والتفاوت قال تعالى في سورة الملك ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
واعلم ان المقصود من هذه الاية لا يظهر الا بعد تفسير هذه السورة من اولها قال تعالى تبارك
الذي بيده الملك واعلم انه تعالى جعل لفظ تبارك مطلعا لسورتين احديهما سورة الفرقان
وهي قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده والثانية في هذه السورة فنقول اما لفظ تبارك
تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره وهو
المراد بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والثاني معناه تزايد عن كل موجود تعالى عنه في
ذاته وصفاته وفي افعاله وهو المراد من قوله ليس كمثله شيء اما تعاليه عن كل شيء في ذاته فيحتمل
ان يكون المعنى جل بوجوب وجوده ودوام قدمه عن جواز التغير والفناء والعناء ويحتمل
ان يكون المعنى جلت فردانيته ووحدانيته عن مشابهة الاضداد والانداد ومناقضة الاكفاء اما
تعاليه عن كل شيء في صفاته فيحتمل ان يكون المعنى جل في قدرته وفي علمه عن ان يخرج عنهما شيء من المعلومات

لفظ تبارك

والمقدورات



والمقدورات ويحتمل ان يكون المعنى جل علمه عن ان يكون ضروريا او استدلاليا او تصوريا
او تصديقيا وجلت قدرته عن ان يحتاج في فاعليته الى مدة ومادة ومثال والتروي جلب نفع
ودفع ضر واما تعاليه في افعاله فهو الملك الحق مطلقا اي هو الغني عن كل ما سواه في ذاته وفي
صفاته وفي افعاله وكل ما سواه فهو محتاج اليه في ذواتها وفي صفاتها وفي احوالها حالتي
حدوثها وبقائها وتجددها واستمرارها ولا ينقطع احتياجها ولا يزول الافتقارات اليه وكل
موجود فبايجاده موجود وكل باق فبابقائه باق فتنزهت الحاجة في غيره على تقديسه عن
الحاجة وزلت التغيرات في غيره على كونه منزها عن التغيرات وقال اخرون اصل هذه الكلمة يدل
على البقاء وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطائر على الماء وسميت البركة بركة لثبوت
الماء فيها والمعنى انه سبحانه باق في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير باق في صفات جلاله ونعوت
كماله ممتنع التبدل ولما كان الحق تعالى هو المعطي لجميع جهات المنافع والمصالح والميسر لكل
المطالب والمناجح لا جرم وجب وصفه بانه تبارك اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى ذكر في
سورة الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال في سورة
الملك تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ونحن نفسر كل واحد منهما بقدر عقولنا
القاصرة وافهامنا الناقصة ولكل اسرارها الى علمه الكامل وحكمته المحيطة فنقول في قوله
تبارك الذي نزل الفرقان فوائد الاولى ان الفرقان هو القرآن وصف بذلك من حيث انه سبحانه
فرق به بين الحق والباطل والحجة والشبهة في دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد او
لانه فرق في النزول كما قال وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث وهذا التأويل
اقرب لانه قال نزل الفرقان ولفظ نزل يدل على التفريق او لانه فرق بين الشرايع والاحكام و
الحلال والحرام فخص بعضها بالوجوب وبعضها بالاستحباب وبعضها بالتنزيه وبعضها بالتحريم
وبعضها بالاباحة والاحلال وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فهذه
وجوه ثلثة في بيان ان القرآن لم سماه الله الفرقان **الفائدة الثانية** انه سبحانه قال في اول السورة تبارك

ونحن نفسر

ومعناه كثير الخير والبركة ثم ذكر عقيبه امر القرآن دل ذلك على ان القرآن منشأ اعظم
الخيرات واكمل البركات لكن المستفاد من القرآن هو العلم والمعرفة والحكمة فدل هذا على ان
العلم اشرف المخلوقات وانفع المحدثات واكثرها خيرا وبركة الفائدة الثالثة لا نزاع بالاجماع
ان المراد من العبد هنا محمد صلى الله عليه وسلم وسمعت بعض المشايخ قال لما اسرى بمحمد
صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين اوحى الله اليه وقال ثم تريد ان اشرفك فقال الهي اريد
ان تشرفني بان تذكرني بكوني عبدا لك فاوحى الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فانظر الى هذه
الدقيقة وصف نفسه في هذه السورة بالتسبيح والقربة حتى سماه عبدا وفي سورة الفرقان
وصف نفسه بكونه متباركا متعاليا حتى سماه عبدا وهذا يدل على ان كل من كان اشعرفانا
بعبوديته وذلته وخضوعه وافتقاره كان انوار قدس جلال الله في عقله اتم وظهور
نور كبريائه على روحه اجلى واعظم الفائدة الرابعة اختلفوا في المراد بقوله ليكون للعالمين
نذيرا فمنهم من قال المعنى ليكون هذا العبد للعالمين نذيرا ومنهم من قال المعنى ليكون هذا
القرآن نذيرا واضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
الآن هذا وان كان محتملا لكن جعل النذير صفة لمحمد عليه السلام اولى من جعله صفة للقرآن
ويدل عليه وجهان الاول ان نص القرآن دل على ان النذير صفة لمحمد عليه السلام قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا والثاني ان جعل النذير صفة لمحمد عليه السلام حقيقة وجعله صفة
للقرآن مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى من حمله على المجاز الفائدة الخامسة قوله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كل العالمين وذلك لان لفظ العالم
عبارة عن موجود سوى الله فيدخل فيه جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا
اجمعنا على انه عليه السلام ما كان رسولا الى الملائكة فبقي كونه رسولا الى الجن والانس جميعا ويدل عليه
الآية باية اخرى احديها قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وثانيها قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله فهذا يدل على كونه مبعوثا الى كل الانس والجن

وثالثها



وثالثها سورة الجن قال تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا الفائدة السادسة ان لفظ العالمين يتناول
جميع المخلوقات فهذه الآية تدل على انه صلى الله عليه وسلم رسول الى الخلق الى يوم القيمة وهذه
يؤكد بقوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين واعلم انه تعالى وصف ذاته بعد هذه الآية
باربعة انواع من صفات الكبرياء والجلال والقدس والعظمة اولها الذي له ملك السموات والارض
واعلم ان تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين الاول ان لله على العباد نوعين من الملك احدهما ملك
التكليف وذلك لانه سبحانه ملك مطاع في المخلوقات لانه مالكهم وخالقهم ومدبرهم والمتصرف
فيهم والمستولي عليهم فكان ملكا مطاعا والملك المطاع من له الامر والنهي الثاني ملك التخليق
لقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا اشارة الى تقرير ملك التكليف
ثم قال بعده تبارك الذي له ملك السموات والارض وهو اشارة الى ملك التخليق وايضا فان
ملك التكليف معلل بملك التخليق فلما قال نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا اثبت
بهذه الآية ملك التكليف لنفسه كانه قيل ولم يحسن منه التكليف والامر والنهي مع انه
منزه عن النفع والضر والمكلف لا ينتفع بهذا التكليف فاجاب الحق تعالى وقال انما حسن مني
ملك التكليف لانه حصل لي ملك التخليق فانا كل عبيدي وللمالك ان يتصرف في ملكه وملكه
كيف شاء واراد ولا اعتراض للعبد على ملكه البتة فلهذا قال بعد تلك الآية الذي له ملك
السموات والارض والوجه الثاني في بيان النظم انه تعالى لما وصف نفسه بكونه مرسلا للرسل وذلك
يتوقف على ثبوت ذاته وثبوت صفاته لاجرم اردفه بما يدل على كل ذلك فقال الذي له ملك
السموات والارض فاستدل على وجوده وعلى كمال قدرته وكبريائه والهيته بملك السموات
والارض ووجه الاستدلال بملك السموات والارض على وجود الصانع وصفات جلاله قد
شرحناه فيما قبل ثم في هذه الآية فائدتان الاولى ان الملك اشارة الى القدرة والمتكلمون
بينوا ان اولى العلم بالله هو العلم بكونه قادرا فلهذا السبب قدم ذكر هذه الصفة والفائدة

لله على العباد نوعين من الملك
ملك التخليق
ملك التكليف

الثانية ان قوله له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج المخلوقات اليه حالة حدوثها
وبقائها وذلك لان علة الحاجة هي الامكان والامكان من لوازم هذه الماهيات فهي ممكنة حالة
حدوثها وبقائها فهي محتاجة الى المؤثر والمدبر حالة حدوثها وبقائها في ماهياتها وفي وجود
ذاتها فلاجرم كان الحق سبحانه مالك الملك لجميع الممكنات على الاطلاق ازلا وابدا وهو المتصرف
فيها كيف شاء واراد لا راد لحكمه ولا ناقض لما ابرم له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
الصفة الثانية قوله ولم يتخذ ولدا واعلم ان صفات الله تعالى على قسمين صفات الجلال وصفات
الاكرام اما صفات الجلال فهي عبارة عن تنزيه الله عما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله
واما صفات الاكرام فهي عبارة عن وصف الله بالصفات التي بها يمكن كونه خالقا للعالم على
نعت الاحكام والاتقان فقوله تعالى له ملك السموات والارض من قسم صفات الاكرام وقوله
ولم يكن له ولد ولم يتخذ ولدا من قسم صفات الجلال واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بملك السموات
والارض قال بعده ولم يكن له ولد وهو اشارة الى انه هو المدبر للعالم والمعبود للخلق ابدا
ولا يصح ان يصير غيره وارثا للملك فيكون نفي الولد كالمؤكد لقوله تعالى تبارك الذي وكقوله
الذي له ملك السموات والارض كانه قيل المفتقر الى الولد هو الذي ينقضي ويموت حتى يقوم
ولده مقامه فاما من كان متباركا دائم الوجود ممتنع التغير كيف يليق به الولد الصفة الثالثة
قوله تعالى ولم يكن له شريك في الملك والمراد انه تعالى هو المتفرد بهذه الصفات فانه واجب الوجود لذاته
وما سواه ممكن لذاته وهو الموجد للممكنات وما سواه فعن صفة الموجدية والخلاقية معزول
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه وخوفه عن الخلق ولا يبقى مشغول القلب ملتفت الخاطر
الا به وبفضله وبرحمته واحسانه وهذه الاية رد على الثنوية والقائلين بالهية النجوم وعبدة
الاوثان الصفة الرابعة قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا وفي هذه الاية فوائد
الفائدة الاولى ان قوله له ملك السموات والارض اشارة الى صفة من صفات الاكرام ثم قوله
ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك اشارة الى ذكر صفتين من صفات الجلال ثم قوله

وخلق

صفات الجلال صفات الاكرام

الموجدية والخلاقية نسخ

تنبيه واذا عرف العبد

في هذه الآية فوائد



وخلق كل شيء فقدره تقديرا اشارة الى كل ما يتركب من صفات الاكرام وصفات الجلال
لان اشارة الى انه هو الخالق وان غيره ليس بخالق فان قيل صفات الجلال اولى بالتقديم من صفات
الاكرام ويدل عليه القرآن والبرهان اما القرآن فهي تعالى ذكر الجلال والاكرام في آيتين فقال
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وفي كل واحدة
من هاتين الآيتين قدم الجلال على الاكرام واما البرهان فلان صفات الجلال عبارة عن السلوب وكفى
في تحقيق هذه السلوب الذات المخصوصة من حيث هي هي واما صفات الاكرام فانها لا يظهر الا عند
وجود الممكنات وما يكفي فيه ذاته من حيث انه هو هو متقدم في الرتبة على ما لا بد معه من غيره والجواب
ههنا مرتبتان احدهما يتوسل بمعرفة غير الله الى معرفة ذات الله تعالى وهذا هو مقام عروج السائرين
الى الله والمسافرين الى حضرة جلال الله والثانية ان يتوسل بمعرفة ذات الله الى معرفة غير الله
وهذا مقام نزول الخواص من حضرة الله عن تلك الحضرة المقدسة الى الالتفات الى غيرها فان اعتبرنا
المرتبة الاولى كانت معرفة صفات الاكرام مقدمة على معرفة صفات الجلال لانها في هذه المرتبة
يستدل بالمخلوقات على الخالق ثم يستدل بعدم افتقار الخالق الى خالق آخر على كونه منزها عن مشابهة
المخلوقات واما ان اعتبرنا المرتبة الثانية وهي مرتبة النزول كان تحقق صفات الجلال متقدما بالمرتبة
على تحقق صفات الاكرام فان تلك السلوب يكفي في تحققها الذات اما الاضافات فلا يكفي فيها الذات
الواحدة بل لا بد في تحققها من حصول المضافين واذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما قال تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وكان قبل كونه مرسلا للرسل انما يثبت كونه موجودا
فالدليل على وجوده وقدرته فقال الدليل عليه ملك السموات والارض وهذا هو مرتبة العروج
من الخلق الى الخالق فلاجرم قدم ههنا صفات الاكرام على صفات الجلال واما قوله ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال فليس المقصود ههنا ذكر الاستدلال
بل المقصود منه الاخبار عن نعوت قدسه وعظمته وكبريائه وكانت صفات الجلال مقدمة في هذا المقام
على صفات الاكرام فسبحان من اودع هذا الكتاب الكريم اسرارا يعجز العقول عن ادراكها فقد ظهر بما ذكرنا

انه الترتيب الصحيح في هذا المقام هو انه تعالى قدم صفات الاثبات فقال الذي له ملك السموات
والارض ثم ذكر بعده ذكر صفتين من صفات الجلال اولهما نفي الولد والثاني نفي الشريك ثم ذكر
بعدها ما تركبت عن صفة الاكرام وصفة الجلال فقال وخلق كل شيء فقدره تقديرا لان قوله
وخلق كل شيء يدل على كونه خالقا للاشياء وهو صفة الاكرام وعلى ان غيره لا يشاركه في هذه
الصفة وهي صفة الجلال ومعلوم ان تقديم المفرد على المركب واجب فهذا هو الاشارة الى ترتيب
الصفات المذكورة في الاية الفائدة الثانية من اسرار هذه الاية انها دالة على ان الله تعالى خالق
اعمال العباد وذلك لان قوله وخلق كل شيء نظير لقوله تعالى خالق كل شيء وقد دللنا على ان الخلق
عبارة عن الايجاد وههنا لطيفة تؤكد هذا المقصود وهي انه تعالى نفى الشريك بقوله ولم يكن
له شريك في الملك فكان قائلا ههنا اقوام يعترفون بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك
يقولون انهم يخلقون افعال انفسهم فذكر الله سبحانه هذه الاية ليكون نصا صريحا في الرد
عليهم فان قيل هذه الاية لا تدل على هذا المطلوب ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى صرح
بكون العبد خالقا فقال فاذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال وتخلقون افكا وقال
فتبارك الله احسن الخالقين والثاني انه تعالى ذكر ذلك في معرض المدح ولا يجوز ان
يتمدح بكونه فاعلا لافعال العباد مع ما فيها من القبائح الا ترى انه تعالى تنزه عن فعل القبائح
في سائر الايات فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وقال وما الله يريد ظلما للعباد والثالث انه تعالى قال فقدره تقديرا ولا يجوز ان
يريد به الا الحكمة والصواب الا ترى انه تعالى نفى التفاوت عن افعال نفسه فقال ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت فقالوا ثبت بهذه الوجوه انه لا بد من تأويل ولو دلت الاية بظاهرها
على قولكم فكيف ولا دلالة فيها على قولنا لان الخلق عبارة عن التقدير فيختص ذلك بما يقبل
التقدير وهو الجسم الذي يكون له حجم وامتداد والجواب اما الايات الدالة على كون العبد خالقا
فنقول ههنا ايات دلت على ان العبد غير خالق وايات دلت على انه خالق ولا بد من التوفيق

بينهما



بينهما فيحمل الايات الدالة على كونه نفي الخالقية على نفي كون العبد موجدا والايات الدالة
على كونه خالقا على كونه متصورا متفكرا مقدرا في ذهنه امورا قوله ولا يمكن التمدح
بخلق العبث قلنا لا يمكن التمدح بخلقها من حيث انها عبث لكن لم لا يجوز التمدح بخلقها
من حيث انها اخراج الشيء من العدم الى الوجود قوله لفظ الخلق لا يتناول الا الاجسام
قلنا لو كان كذلك لكان قوله خلق كل شيء فقدره تقديرا لانه ليس كل شيء بجسم الفائدة
الثالثة من اسرار هذه الاية ان كثيرا من الناس زعموا ان الخلق هو التقدير فقط واصحابنا
زعموا انه حقيقة في الايجاد والابداع وهذه الاية دالة على قولنا انه لو كان الخلق عبارة
عن التقدير لكان قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا تكريرا من غير فائدة ونظير هذه الاية
في الدلالة على هذه المسئلة قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي
قدر فهدى ولو كان الخلق هو التقدير لكان قوله خلق وقدر تكرارا الفائدة الرابعة
انه تعالى قال فقدره تقديرا والتقدير في حق الواحد منا يرجع الى الظن والحسبان اما في حقه
تعالى فلا معنى له الا العلم والاخبار عنه وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزلة اذا عرف
هذا فنقول مذهبنا ان الامر والارادة لا يتلازمان وذلك لانه سبحانه لما علم ان الشيء
الفلاني لا يقع فلو وقع ذلك الشيء لزم انقلاب علمه جهلا وانقلاب خبره الصدق
كذبا وذلك محال والمفضي الى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشيء محال والمحال غير
مراد ثم انه مأمور به فثبت ان الامر والارادة لا يتلازمان فظهر ان السعيد من سعد في
بطن امه والشقي من شقي في بطن امه واعلم ان عندنا الارادة والامر لا يتلازمان والارادة
والعلم لا يتلازمان وعند المعتزلة الارادة والامر يتلازمان والارادة والعلم لا يتلا
زمان وتحقيقه ما ذكرنا فهذا ما يتعلق بهذه الاية اما قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك
فاعلم ان الفرق انه اثبت لنفسه اولا ملك التكليف والحكم والامر والنهي ثم اردفه بانه اثبت
لنفسه ملك السموات والارض فاما في سورة الملك فانه اثبت لنفسه اولا الملك على الاطلاق

اقسام الملك

فقال الذي بيده الملك وهذا يتناول في جميع اقسام الملك من ملك التكليف وملك
التخليق وملك الابقاء وملك الافناء كما قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء والفرق الثاني بين الايتين انه تعالى قال في تلك الاية الذي له
ملك السموات والارض وقال في سورة الملك الذي بيده الملك فذكر لفظ اليد ههنا
والفائدة في ذكر هذه اللفظ انه تعالى لما اثبت لنفسه جميع انواع الملك حتى دخل فيه ملك
الاجسام من فوق العرش الى ما تحت الثرى وملك الارواح المشار اليه بقوله وما يعلم جنود
ربك الا هو فكانه سائلا قال المدبر الواحد كيف يمكنه الوفاء بتدبير كل هذه الممالك
التي لا نهاية لاحوالها ولا غاية لكميتها وكيفيتها فاجاب بان كل هذه الممالك في يده وفي قبضته
كما قال في اية اخرى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وذلك
لان كمال القدرة على الشيء ان يكون ذلك الشيء في يده فجعل كونه في يده مجازا عن كمال
القدرة فلهذا المعنى قال تبارك الذي بيده الملك ثم قال بعده وهو على كل شيء قدير و
المعنى انه بيده ملك كل الموجودات وهو قادر على خلق المعدومات التي يكون من الممكنات فقوله
بيده الملك اشارة الى ملك الموجودات بالابقاء والاعدام وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير
اشارة الى ملك المعدومات بالايجاد والابداع فان قيل القدير مبالغة في القادر فلو قال
وهو على كل شيء قادر افاد ذلك كونه تعالى قادرا على كل واحد من تلك المقدورات التي لا نهاية لها
فاذ ذكر القدير للمبالغة وجب ان يفيد هذا زيادة على كونه تعالى قادرا على كل واحد من تلك
المقدورات لكن الشيء الواحد لا يقبل التفاوت ولا يتطرق اليه الزيادة والنقصان فما معنى
هذه المبالغة قلنا لو انه تعالى قال وهو على كل شيء قادر افاد ذلك كونه تعالى قادرا على كل المقدورات
فلما قال وهو على كل شيء قدير افاد ذلك زيادة قدرته في كل واحد من المقدورات وتلك
المبالغة والزيادة راجعة الى ما بيناه فيما تقدم من ان جميع القادرين يفتقرون في الفعل
والتكوين الى تقديم مادة ومدة وزمان ومكان والة وروية فقد يمتنع عليهم تكوين

مقدورهم



مقدورهم لاجل انه يمنعهم عنه مانع ومعارض وكل ذلك على الله تعالى محال فلا جرم صدق
قولنا انه قادر على كل شيء وصدق ايضا بناء المبالغة وهو انه قدير على كل شيء ثم قال الذي
خلق الموت والحيوة واعلم انه تعالى لما ذكر اولا انه بيده ملك الموجودات والمعدومات وان تمام التصرف
في جميع الممكنات والكائنات خصص بعده بالذكر ملك الاحياء والاماتة فقال الذي خلق
الموت والحيوة ونظيره قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وانما قدم الموت على الحيوة لوجوه
الاول قال مقاتل يعني بالموت نطفة وعلقة ومضغة وبالحيوة نفخ الروح والثاني انه لما ذكر
عقيب هذه الاية انه ابتلى الخلائق بالتكاليف فقال ليبلوكم ايكم احسن عملا والناس انما
يقدمون على مباشرة محاسن الاعمال لخوف ما بعد الموت وكان الموت اقوى تاثيرا في هذا المقصود
فلا جرم قدم ذكر الموت على الحيوة والثالث المراد بهذه الموت المذكورة في هذه الاية الموت
هذه الحيوة والمراد بالحيوة الحيوة الابدية في القيمة ولم يذكر الحيوة العاجلة البتة وذلك لان
هذه الحيوة حيوة بين موتين احد الموتين من الازل الى الان والموت الثاني من الان الى الابد فلا
جرم ما انزل الله تعالى ذكر هذه الحيوة لخستها وقلتها واما الحيوة في الدار الاخرة فهي الحيوة الاصلية
لانها حيوة ابدية ولهذا قال وان الدار الاخرة لهي الحيوان ثم قال بعد ذكر الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا والابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي وذلك
في حق الله تعالى محال وسيجيء تمام هذه المسئلة ان شاء الله في باب التكليف والحاصل هو ان
الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة بسبب عمل المحسنين واعلم ان فسرنا الموت
والحيوة بالموت الحال لكونه نطفة ومضغة وبالحيوة حيوة الدنيا فوجه الابتلاء على هذا
التفسير ان يعلم العبد انه تعالى هو الذي بعده نقله من الموت الى الحيوة كما فعل ذلك لا بد وان يكون
قادرا على ان ينقله من الحيوة الى الموت فيحذر مجيء الموت الذي به ينقطع استدراك ما فات
واما ان فسرنا الموت والحيوة بالموت في الدنيا والحيوة بالقيمة فالابتلاء فيهما اتم لان الخوف

قدم الموت على الحياة لوجوه

من الموت حاصل واشد منه الخوف من الحيوة في القيمة واعلم ان اول هذه السورة مع اول
سورة الفرقان متشابهان في المقصود وذلك لانه تارة يذكر الحكم ثم يذكر عقيبه سببه
وعلته واخرى بالعكس من ذلك وهو ان يذكر السبب والعلة اولا ثم يذكر الحكم عقيبه اذا
عرفت هذا فنقول في سورة الفرقان ذكر الله التكليف اولا فقوله نزل الفرقان على عبده
ليكون للعالمين نذيرا ثم ذكر العلة والسبب بعده فقال الذي له ملك السموات والارض واما
في سورة الملك فانه ذكر السبب والعلة ايضا وهو انه مالك الملك على الاطلاق ومالك
الملك في الاماتة والاحياء ثم انه ذكر الحكم بعده وهو حسن التكليف فقال ليبلوكم
ايكم احسن عملا فانظر الى هذه المناسبات العجيبة والاسرار اللطيفة ثم ان المفسرين
ذكروا في تفسير احسن عملا وجوها الاول المعنى ايكم يأتي بالاعمال على وجه الاخلاص و
الصواب لان العمل اذا كان صوابا غير خالص لم يقبل وايضا اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل بل
المقبول هو ان يكون صوابا وخالصا لوجه الله فالصواب هو ان يكون على وفق امر الله والخالص
هو ان يكون يؤتى به لوجه الله تعالى والثاني قال ابو قتاده سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الاية فقال ايكم احسن عملا قال عليه السلام ايكم احسن عقلا اتمكم عملا
اشدكم خوفا واخشيكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه بطريق الاعجاز تفسير حسن العمل بتمام
العقل لان حسن العمل من نتايج كمال العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا والثالث
قال الحسن احسن عملا ازهد في الدنيا واشد تركا لها واعلم انه تعالى لما ذكر حديث الابتلاء
قال بعده وهو العزيز الغفور اي وهو الغالب الذي لا يعجزه من اساء في الاعمال الغفور لمن
تاب واناب وانما قدم ذكر العزيز على الغفور ليظهر به كمال الدرجة لان الانسان قد يغفر
ذنب عبده اما لانه لا يقدر على الانتقام في الحال ولانه وان قدر عليه لكنه يتركه لانه
يخاف توابع ذلك الانتقام وعواقبه فههنا ذكر تعالى انه عزيز قادر قاهر غالب لا يمتنع
عليه فعل شيء من الافعال ولا يخاف مافيه شيء من الاشياء ثم انه مع ذلك غفور يتجاوز عن سيئات

فانظر الى هذه المناسبات العجيبة والاسرار اللطيفة

في تفسير احسن عملا وجوه

عباده



فيه دقيقة

عباده ليظهر بذلك كمال كرمه ورحمته ثم فيه دقيقة اخرى وهي ان للعبد من الظلم ثلثة اسماء
وللربوبية المغفرة ثلثة اسماء احدها للعبد الظالم كما قال فمنهم ظالم لنفسه وفي مقابلته
تعالى من المغفرة اسم الغافر وقال تعالى غافر الذنب والاسم الثاني للعبد الظلوم قال تعالى انه كان ظلوما
جهولا وفي مقابلته للربوبية المغفرة اسم الغفور كما قال في هذه الاية وكما في قوله وربك
الغفور ذو الرحمة والاسم الثالث للعبد الظلام وفي مقابلته للربوبية المغفرة الغفار فقال
واني لغفار لمن تاب وامن وقال في سورة نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فكانه
قال لا تخف ولا تيأس وان كنت ظالما فانا غافر وان كنت ظلوما فانا غافر وان كنت ظلاما
فانا غفار ثم اعلم انه تعالى اذ ذكر كونه عزيزا غفورا وكونه عزيزا غفورا لا يتم الا اذا كان
قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات وذلك لانه لو لم يكن قادرا على كل الممكنات فلعله
لا يتمكن من ايصال الجزاء كل احد اليه على سبيل الكمال والتمام سواء كان عقابا او ثوابا
واما انه لا بد من العلم بكل المعلومات فلاجل ان يعلم ان المطيع من هو وان العاصي من هو
حتى لا يقع الخطأ في ايصال الحق الى مستحقه فثبت ان كونه عزيزا غفورا لا يمكن الا اقرار بهما
الا بعد الاقرار بكونه تعالى عالما بكل المعلومات قادرا على كل الممكنات فلهذا السبب ذكر عقيب هذه
الاية ما يدل على كمال القدرة وكمال العلم ولما ثبت في علم الاصول ان اول العلم بالله هو
العلم بكونه قادرا لا جرم قدم دلائل القدرة على دلائل العلم اما دليل اثبات القدرة
فهو قوله الذي خلق سبع سموات طباقا قال صاحب الكشاف في قوله طباقا ثلثة اوجه
احدها طباقا اي مطابقة بعضها فوق بعض من طباق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا
وصف بالمصدر والثاني ان يكون التقدير ذات طباق والثالث ان يكون التقدير طوبقت
طباقا واعلم ان دلالة السموات وطبقاتها على وجود الصانع المختار الحكيم قد تقدم شرح
اقسامها في هذا الكتاب فلا نعيده واما الدليل على العلم فهو قوله تعالى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت واعلم ان حقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشيء يفوت بعضا

اول العلم بالله تعالى العلم بكونه قادرا

ولا يلايم يقال هذا خلق بعضه متفاوت وبعضه متناسب وللمفسرين فيه وجوه ثلثة
قال السدي ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان
كذا لكان احسن وقال آخرون التفاوت الفطور بدليل قوله تعالى فارجع البصر هل ترى
من فطور ونظيره قوله وما لها من فروج وقال القفال يحتمل ان يكون المعنى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة صانعها وعلمه وقدرته واعلم ان وجه الاستدلال
بهذا المعنى على كمال علم الله تعالى ان يقول ان الحس دل على ان هذه السموات وقع تركيبها
على وجه بديع عجيب موافق للمصلحة والحسن فكل فاعل كان فعله كذلك فهو لا بد وان
يكون في غاية العلم والحكمة فقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة
متقنة والاحكام والاتقان عند المتكلمين تدل على علم الفاعل دلالة ضرورية ثم قال
تعالى بعده فارجع البصر هل ترى من فطور انه تعالى قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى النظر
الواحد لا يعول عليه بسبب انه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد
النظر مرة بعد اخرى حتى يتيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ولا عيب ولا فطور و
العجائب قال تعالى الحمد لله فاطر السموات ثم بين في هذه الآية انه ليس فيها فطور كانه قال
انا فاطر السموات من غير فطور وانا المدبر لها من غير عيب ولا قصور ونظير هذه الآية قوله تعالى
وما لها من فروج فليس فيها فطور وليس فيها فروج وليس فيها تفاوت بل هي سبع شداد
وسبع طباق وبناء مرفوع وسماء مصنوع وفيها آيات قاهرة وبراهين باهرة على وجود
صانعها وقد بين مقدرها ومدبرها ثم قال تعالى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك
البصر في خلق الرحمن على سبيل التفحص هل تجد فيها عيبا او خللا يعني انك وان كررت
النظر مرارا واطوارا لم يرجع اليك بصرك بما تطلبه من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك
خاسئا اي مبعدا وهو مأخوذ من قولك خسأت الكلب اي ابعدته قال المبرد الخاسئ
البعيد المصغر قال ابن عباس رضي الله عنه الخاسئ الذي لا يرى ما يهوى والحسير الكليل والمعنى

ثم قال فارجع البصر

وانه



وانه وان كررت النظر واعدته فانه لا يجد عيبا ولا فطورا ثم قال ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وسنذكر ان شاء الله تعالى تحقيق هذه الآية واسرارها في باب الاستدلال
باحوال الكواكب على وجود الصانع فهذا جملة الكلام في هذا الكتاب واعلم انه بقي من
الصفات المذكورة في القرآن للسموات وصفاتها عند قيام القيمة كقوله تعالى اذا السماء
انشقت اذا السماء انفطرت واذا السماء فرجت واذا السماء كشطت ويوم تشقق
السماء بالغمام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب يوم تكون السماء كالمهل يوم
تمور السماء مورا فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والكلام في شرح هذه
الاحوال سيجيء ان شاء الله تعالى في باب كيفية قيام القيمة **الفصل السابع** في الاستدلال باحوال
الارض على وجود واعلم انه سبحانه نبه على الاستدلال في احوال الارض على وجود الصانع و
قدرته وعلمه وحكمته وجلاله في آيات منها قوله تعالى في اول سورة البقرة الذي جعل لكم
الارض فراشا واعلم انه تعالى ذكر انواع منافعها على الشرح والتفصيل في كتابه الكريم
**النوع الاول** في منافع الارض لنا قال تعالى في اول سورة البقرة وهو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا وقال في سورة الحج الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض الآية واعلم ان
الكلام في الآية المذكورة في سورة البقرة لا يتم الا بتفسير ما قبلها واعلم انه تعالى ذكر في اول
هذه السورة خمس آيات في تعظيم المؤمنين وهي الى قوله واولئك هم المفلحون ثم ذكر بعده
آيتين في ذم الكفار وهما قوله ان الذين كفروا الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذكر ثلث عشرة
آية في ذم المنافقين وهو من قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الى قوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم فان قيل كفر الكافر المتظاهر بكفره اغلظ من كفر المنافق فلماذا كان ذم الكافر في آيتين
وذم المنافق في هذه الآيات الكثيرة قلنا ان الكافر وان كان كافرا الا ان طبعه طبع الرجال لانه
يظهر ما يبطنه واما المنافق فطبعه طبع المخنثين يظهر شيئا ويبطن شيئا آخر فلهذا اورد فيه اكثر

شرح صفة الآيات ... الارض

ذم المنافقين والآيات الكثيرة

ولهذا قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ثم انه تعالى لما شرح احوال هذه الفرق
الثلثة شرع بعد ذلك في تقرير الدلائل فبدأ بذكر دلائل الصانع وذكر من الانفس دليلين
ومن الافاق ثلثة اما من الانفس فقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واما
من الآفاق فقوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء
ثم ذكر بعده دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله ثم ذكر بعده ثبوت الحشر والنشر والقيامة فقال وبشر الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ثم اورد سؤالا على الدليل الذي ذكره على نبوة محمد عليه السلام وذلك
لانه استدل على نبوته بعظم حال القرآن وكمال درجته وطعن الكفار فيه وقالوا كيف
يكون عظم الدرجة وهو مشتمل على شرح حال الحيوانات الخسيسة كالبعوضة والذباب
والنمل والعنكبوت فاجاب الله تعالى عن هذا السؤال بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها ثم ساق آخر هذا الجواب الى مسئلة القضاء والقدر وهو
قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الى قوله اولئك هم الخاسرون وعند هذا تم الدلالة
على تقرير هذه الاصول الاربعة وهي التوحيد والنبوة والمعاد والقدر ثم بعد تقرير هذه
الاصول بالدلائل القاهرة والبراهين الباهرة شرع في تعديد النعم ومعلوم ان النعم
منها عامة ومنها خاصة فقدم ذكر النعم العامة ومعلوم ان اصل جميع النعم هي الحيوة فانه
لولا الحيوة لما كان الانتفاع بشيء من النعم ممكنا فلاجرم اول النعم التي ذكرها الله تعالى
هي الحيوة فقال وكيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الاية وفي هذه الاية فوائد الفائدة
الاولى ان قوله كيف تكفرون بالله وان كان في صورة الاستخبار الا ان المراد منه التبكيت و
التعنيف لان عظم النعمة يقتضي عظم معصية المنعم بيان ذلك ان الوالد لما عظمت نعمته
على الولد بان رباه وعلمه وخرجه واعطاه الاموال وعرضه للامور الجسام كان جرمه
معصيته لانه اقبح المعاصي فقابل نعم الله عليك بنعم ابيك حتى تعرف عظم معصية الله تعالى

عن هذا السؤال بقوله آخر
نسخ

وفي هذه الاية فوائد
الاول

ونهاية



ونهاية قبحها ثم اعظم المعاصي هو الكفر والشرك فلما كانت هذه المعصية متناهية الى الغاية
القصوى في القبح لاجرم ذكر الله سبحانه نعمه العظيمة عليهم ليصير ذلك منبها لهم على عظم جرمهم
وغاية قبح طريقتهم فيصير ذلك زاجرا لهم عنه وذكر اولا امر الحيوة التي هي اصل جميع النعم و
ذكره بصيغة كيف على سبيل التعجب تنبيها على درجة هذه النعمة وغاية قبح تلك المعصية
الفائدة الثانية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على ان الكفر من العبد لا من الله وبيانه
من وجوه الاول انه تعالى لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز ان يقول كيف تكفرون بالله على سبيل
التوبيخ كما لا يجوز ان يقول لهم كيف تسودون وتبيضون وتصحون وتسقمون لما ان كان ذلك
انما يحصل لان الله تعالى يخلقه فيهم والثاني انه تعالى لما خلقهم للشقاء والنار وما خلقهم
الا للكفر والضلالة والبقاء في النار فكيف يصح ان يقول موبخا لهم كيف تكفرون والثالث
انه كيف يليق بالحكيم ان يقول كيف تكفرون حال ما يخلق الكفر فيهم ويقول وما منع الناس
ان يؤمنوا حال ما منعهم عن الايمان فما لهم لا يؤمنون ويقول فما لهم عن التذكرة معرضين وهو
يخلق فيهم الاعراض ويقول فاني تؤفكون اني تصرفون ويخلق الافك والصرف فيهم ومثل
هذا الكلام بان يعد من السخرية اولى من ان يذكر لاجل الزام الحجة على العباد والرابع انه
تعالى لما قال للعبد كيف تكفرون بالله فهل ذكر هذا الكلام توجيها للحجة او ليس كذلك
فان لم يكن لتوجيه طلب الحجة كان عبثا فلا يكون في انزال القرآن فائدة اصلا وان كان
ذلك لالزام الحجة فللعبد ان يقول بناء على مذهب الجبر حصل في حقي امور كثيرة موجبة للكفر
مانعة عن الايمان فالاول انك علمت مني الكفر وانا لا اقدر على ان اقلب علمك جهلا
والثاني انك اردت مني الكفر وهذه الارادة موجبة والثالث انك خلقت الكفر وانا لا اقدر على
ازالة فعلك والرابع انك اخبرت عن وجود هذا الكفر وانا لا اقدر على جعل خبرك الصدق كذبا
والخامس انك خلقت قدرة لا يصلح الا للكفر والسادس انك خلقت ارادة جازمة للكفر و
السابع انك دبت الكفر والثامن انك سلطت على القلب الدين والطبع والوقر والغشاوة والختم

الفائدة الثانية
قالت المعتزلة

وكل ذلك اسباب موجبة للكفر ثم لما خلقت هذه الاسباب الثمانية الموجبة للكفر سلبت
لمجموع الاسباب المعتبرة في حصول الايمان فقد حصل لعدم الايمان ستة عشر سببا كل
واحد منها مستقل للمنع من الايمان ومع قيام هذه الاسباب الكثيرة كيف يحسن التوبيخ على الكفر
والترغيب في الايمان الخامس انه تعالى قال لرسوله قل لهؤلاء الكفار كيف تكفرون بالله الذى
انعم عليكم بهذه النعم العظيمة التى اولها نعمة الحيوة وعلى قول اهل الجبر لا نعمة له على الكافر وذلك
لان عندهم كل ما فعله الله تعالى بالكافر فانما فعله ليستدرجه الى الكفر ويحرقه بالنار وعلى هذا
التقدير فاى نعمة تكون لله تعالى على العبد وهل يكون ذلك الا بمنزلة من قدم الى غيره طبقا فالوذج
مسموم فانه وان كان لذيذا ويعد نعمة لكن لما كان باطنه مهلكا فان احدا لا يعده نعمة و
معلوم ان العذاب الدائم اشد ضررا من ذلك السم وعلى هذا التقدير كيف يعقل ان يكون لله سبحانه
نعمة على الكافر واذا لم يكن له نعمة فكيف يليق ان يامر رسوله بان يقول لهم كيف تكفرون بمن انعم عليكم
بهذه النعم العظيمة والجواب ان هذه الوجوه عند البحث يرجع حاصلها الى التمسك بطريقة المدح و
الذم والثواب والعقاب وهذه الطريقة معارضة بوجهين الاول انه تعالى لما كان عالما بان الجهل بانه
لا يؤمن والعلم بعدم الايمان مع وجود الايمان ضدان متنافيان لذاتيهما فمع قيام احد الضدين يكون التكليف
بالضد الثاني تكليف ما لا يطاق وحينئذ يلزمكم كل ما اوردتموه علينا الثاني ان قدرة العبد لما كانت
صالحة للايمان والكفر فترجيح احد الطرفين على الاخر ان لم يتوقف على مرجح لزم ترجيح الممكن من غير
مرجح وهو محال وان افتقر الى مرجح فذلك المرجح ان لم يكن لمحدث فقد استغنى الحدث عن المحدث
ويلزم منه نفى الصانع وان افتقر الى محدث فذلك المحدث ان كان هو العبد لزم التسلسل وان كان هو الله
تعالى فقد لزم الجبر وحينئذ يلزمكم كل ما الزمتموه علينا واعلم ان المعتزلة اذا طولوا وعرضوا وابرقوا
وارعدوا بامثال الكلمات التى حكاها عنهم فعليك ان تعارضها بهذين الوجهين فانه لا يمكنهم ان يتكلموا
ان كانوا تكافاهما **الفائدة الثالثة** من هذه الاية اتفقوا على ان قوله وكنتم امواتا المراد منه وكنتم ترابا
ونطفا لان ابتداء خلق آدم من التراب وخلق سائر المكلفين من اولاده الا عيسى عليه السلام من النطفة

لكنهم



لكنهم اختلفوا في ان اطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة او مجاز والاكثرون على انه مجاز لانه
تشبيه الموات بالميت والاولون قالوا هو حقيقة وهو مروى عن قتادة قال كانوا امواتا في اصلاب
ابائهم فاحياهم الله ثم اخرجهم الى الدنيا ثم اماتهم الموتة الاولى التى لا بد منها ثم احياهم بعد
الموت فههنا حيوتان وموتتان واحتجوا بقوله تعالى خلق الموت والحيوة والموت المقدم على الحيوة
هو كونه مواتا والاقرب هو الاول لانه يقال في الجماد انه موات ولا يقال انه ميت فيشبه ان يكون
استعمال احدهما في الاخر على سبيل المجاز قال القفال وهو كقوله هل اتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا فبين سبحانه ان الانسان كان لا شئ يذكر ثم جعله حيا وسميعا و
بصيرا ومجازه من قولهم فلان ميت الذكر وهذا امر ميت وسلعة ميتة اذا لم يكن لها طالب
ولا راغب فكذا معنى الاية وكنتم امواتا اى خاملين لا ذكر لكم لانكم لم تكونوا شيئا ثم احياكم
وجعلكم سميعا بصيرا **الفائدة الرابعة** احتج قوم بهذه الاية على بطلان القول بعذاب القبر
قالوا لانه تعالى بين انه يحييهم مرة في الدنيا والاخرى في الاخرة ولم يذكر فيه حيوة القبر والجواب
ان الله تعالى ذكر حيوة القبر في هذه الاية لان قوله ثم يحييكم ليس المراد منه حيوة القيمة والا لكان
هذا هو عين قوله ثم اليه ترجعون ويحصل التكرار بل قوله ثم يحييكم اشارة الى حيوة القبر
ثم قوله تعالى ثم اليه ترجعون اشارة الى حيوة القيمة وقال الحسن البصرى رحمه الله قوله كيف تكفرون
بالله يعنى به القيمة فاما بعض الناس فقد اماتهم الله ثلث مرات نحو ما حكى في قوله او كالذى
مر على قرية وهى خاوية على عروشها الى قوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه وقوله الم تر الى الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله فاخذتكم الصاعقة
وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم وكقوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى
وقوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وفى قصة
ايوب واتيناه اهله ومثلهم معهم فانه جاء في بعض الروايات انه تعالى رد عليه اهله بعد ان اماتهم
واقول ايضا ان ثبت ان الله تعالى احيى الذرية في ظهر آدم عليه السلام وخاطبهم في قوله الست بربكم

فههنا حيوتان وموتتان

لزم ان يقال ان هؤلاء الاقوام الذين ذكرناهم قد اماتهم الله تعالى اربع مرات الفائدة الخامسة
تمسكت المجسمة بهذه الاية وهي قوله ثم اليه ترجعون على انه سبحانه في مكان وجهة وهذا ضعيف
والمراد الى حكمه ترجعون لانه تعالى يبعث من في القبور ويجمعهم في المحشر فذلك هو الرجوع وانما
وصف هذا بانه رجوع لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله تعالى كقولهم رجع الحكم
للامير الى حيث لا يحكم غيره الفائدة السادسة تمسك اهل التناسخ على قدم الارواح بهذه و
ذلك لان الرجوع الى الله تعالى لا يصح الا بعد ان يقال هذه الارواح كانت قبل تعلقها بالابدان في
حضرة الله تعالى واكدوا هذه الاية بقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية والجواب ان الارواح
لما كانت من عالم الاخرة لاجرم سميت مفارقتها عن ابدانها بالرجوع الى الله الفائدة السابعة
هذه الاية دالة على وجود الصانع سبحانه فان الحيوة والموت ليستا من افعال البشر ولا بد من
مدبر وتمام تقريره ما نذكره في باب الاستدلال على وجود الصانع بتكوين بدن الانسان
الفائدة الثامنة تدل هذه الاية على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا الله تعالى فبطل
قول اهل الطبايع ان المؤثر في الحيوة والموت هو الطبايع والكواكب والاركان والمزاج وفيه
ابطال قول من حكى الله عنهم وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر
الفائدة التاسعة الاية دالة على صحة الحشر والنشر ومنبهة على الدليل العقلي الدال على امكان
الحشر والنشر لانه تعالى بين ان هذه الاشياء كانت ميتة فاحياها فاذا جاز الاحياء بعد الموت
في المرة الاولى فلان يجوز الاحياء في المرة الثانية كان ذلك اولى الفائدة العاشرة الاية دالة
على التكليف بالامر والنهي والترغيب والترهيب والثواب والعقاب الفائدة الحادي عشر الاية
دالة على مسئلة الجبر والقدر وتمام الكلام فيه قد تقدم الفائدة الثانية عشر الاية دالة على
وجوب الزهد في الدنيا لانه تعالى قال فاحياكم ثم يميتكم فبين انه لا بد ذلك من الموت ثم ذكر انه
لا بد من بعد الموت من سؤال القبر ثم ذكر انه لا بد بعد ذلك من الرجوع الى الله تعالى والتنبيه
الى هذه المراتب لما انه كان ميتا حين كان نطفة وعلقة ومضغة فانه لا شك فيه واما انه

وهذا باطل

بطلان قول اهل الطبايع

تعالى



تعالى احيا بعد ذلك فهو ايضا حق فانه احياه وصوره احسن صورة وجعله بشرا سويا
واكمل عقله وصيره بصيرا بانواع المنافع والمضار وملكه الاموال والاولاد والدور
والقصور اما انه تعالى يميته فالامر ظاهر واما اذا اماته فقد ازال عنه كل تلك النعم وصيره
بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى في الدنيا منه خبر ولا اثر ويبقى مدة مديدة في اللحد كما قال
ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادي فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم يصير بحيث لا يزوره
الاقربون وينساه الاهل والبنون قال يحيى بن معاذ الرازي يمر اقاربي بجذاء قبري كان
اقاربي لم يعرفوني وقال ايضا الهي كاني بنفسي وقد اضطجعت في حفرتها وانصرف المشيعون
من تشييعها وبكت غريب عليها الغربتها وناداها من شفير القبر ذو مودتها ورحمها المعادي
عند صرعها فلم يخف على الناظرين عجز حيلتها فما رجائي الا ان يقول للملائكة انظروا الى
فريد قد نائى عنه الاقربون ووحيد قد جفاه المحبون اصبح مني قريبا وفي اللحد غريبا وكان لي
في الدنيا مجيبا وداعيا ولاحساني اليه عند وصوله الى هذا البيت راجيا فالحق الى هنالك
يا قديم الاحسان وحقق رجائي فيك يا واسع الغفران واما انه لا بد من الرجوع الى الله تعالى
فلانه سبحانه يامر بان ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون ثم
يعرضون على الله كما قال وعرضوا على ربك صفا فيقومون خاشعين خاضعين كما قال وخشعت
الاصوات للرحمن قال بعضهم الهنا اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا ومن شدة الخوف شاخصة
وجوهنا ومن هول القيمة مطرقة رؤسنا ومن طول المدة في القيمة جايعة بطوننا وبادية
لاهل الموقف سوآتنا ومن ثقل الاوزار موقرة ظهورنا وبقينا متحيرين في امورنا نادمين
على ذنوبنا فلا تضعف المصائب باعراضك عنا ولا تمنع غفرانك ورحمتك عنا يا عظيم الرحمة
يا واسع المغفرة قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اعلم انه لما ذكر الحيوة التي هي اصل
جميع النعم اتبعه بذكر المنتفع به وهو المنافع المخلوقة في الارض وما احسن هذا الترتيب فان الانتفاع

بالارض والسماء لا يكون الا بعد حصول الحيوة اما لفظ الخلق فقدم تفسيره واما
قوله لكم فهو يدل على ان كل ما خلقه في الارض انما خلقه لمنفعة العباد اما في الدنيا واما
في الدين اما في الدنيا فلاجل مصالح ابداننا وليتقوى به المكلف على الطاعات واما في الدين
فبان يستدل المكلف بهذه الاشياء وتقربها في اثبات الصانع ومعرفة قدرته وحكمته
فقوله ما في الارض جميعا كل ما في الارض ومنها ما يتصل بوقوف الحرف والصناعات والامور التي
استنبطها العقلاء وبين تعالى ان كل ذلك انما خلقها لينتفع المكلف بها كما قال وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا فكانه سبحانه قال كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا فقال
كيف تكفرون بقدرة الله على اعادتكم وقد احياكم بعد موتكم وقال كيف تكفرون بقدرة
الله على اعادتكم وقد خلق لكم ما في الارض فكيف يعجز عن اعادتكم ان الله سبحانه ذكر
تفاصيل هذه المنافع في مختلفة كما قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
وسنستقصي الكلام في شرح هذه التفاصيل في باب الاستدلال على وجود الصانع سبحانه
الحيوانات والنبات ثم ههنا فوائد الفائدة الاولى اللام في قوله خلق لكم لام الحكمة والغرض وعلم
انه تعالى ذكر هذا الكلام في مواضع احدها في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
والثاني ان اشرف العبادات بعد الايمان الصلوة فذكر الله تعالى هذا اللام فيها فقال واقم
الصلوة لذكري وذكره ايضا في الصوم فقال عليه السلام حاكيا عن الله عز وجل الصوم لي ثم
ان الامة مجمعة على انه يجب على المصلي ان يقول بقلبه اصلي لله ولو قال اصلي لطلب الجنة والهرب
من النار لم تصح صلوته ثم كان سبحانه قال عبدي انا لك ان وفيت بموجب هذه اللامات ملكتك الدنيا
والاخرة بلام التمليك اما الدنيا فهو قوله خلق لكم ما في الارض جميعا واما الاخرة فقوله تعالى
وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للمتقين والحاصل انه سبحانه خلقك لخدمته وخلق
ما سواك لاجلك فان انت صرفت نفسك الى خدمته فهو سبحانه يصرف الدنيا والاخرة الى جهتك عن جنابه
كما قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى **النوع الثاني**

من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع المختار كون الارض مقر الحيوانات ومسكنا
لها قال الله سبحانه ذكره هذا المعنى في ايات قال في اول سورة البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا
وقال في سورة طه حكاية عن موسى عليه السلام حين استدل بها على وجود الصانع الذي جعل
لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وفي سورة عم يتساءلون الم نجعل الارض مهادا وقال
في سورة النمل امن جعل الارض قرارا الاية وقال في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا الاية وقال في سورة نوح الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا والله جعل لكم الارض
بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال في سورة المرسلات الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا
واعلم انه يجب علينا ان نبحث عن هذه الصفات التي ذكرها الله تعالى للارض **الصفة الاولى** كون الارض
فراشا واعلم انه يعتبر في كون الارض فراشا للحيوانات شرائط الشرط الاول كونها ساكنة وذلك
لانها لو كانت متحركة الى السفل والهبوط لكان من رفع رجله عن الارض فاراد بعد ذلك ان يضعها
على الارض لم يقدر على ذلك البتة لانا بينا انه اذا تحرك شيئان الى السفل واحدهما اخف من
الاخر لم يصل الاخف الى الاثقل فعلى هذا التقدير كان يصير المشي متعذرا للحيوانات على الارض ولما
ان كانت الارض متحركة بالاستدارة تعذر المشي ايضا على الارض لانها اذا تحركت بالاستدارة
كان الهواء المحيط شديد التموج بسبب حركتها فعند ذلك يصير الانسان وغيره من الاجسام الصغيرة
متحركة نحو جهة حركة الارض بالاضطرار ويمنع عليها الحركة على خلاف تلك الجهة وعلى هذا
التقدير يصير المشي متعذرا ونقل الامتعة من موضع الى موضع متعذر واما لما كانت الارض
واقفة ساكنة لا جرم كان المشي ممكنا ونقل الامتعة من مكان الى مكان على حسب المراد والمصلحة
ممكنا فحينئذ يصلح الارض مسكنا للحيوانات ثم قد عرفت انها ساكنة لا بسبب علاقة فوقها ولا
دعامة تحتها والا لعاد الكلام في تلك العلاقة الدعامة ولزم التسلسل وهو محال واذا
ثبت انها ساكنة بلا دعامة ولا علاقة ثبت ان ممسكها هو الله تعالى بقدرته وارادته وهو المراد من قوله
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقد تقدم الاستقصاء في ذلك **الشرط الثاني** في كون الارض

فراشا للحيوانات ان لا يكون في غاية الصلابة ولا في غاية الرخاوة واما انه يجب ان لا يكون في
غاية الصلابة فلانها لو كانت في الصلابة كالحجر لكان النوم عليها والمشي عليها مما يولم البدن
وايضا لم ينبت فيها انواع الاشجار والثمار وايضا كان يسخن شديدا في الصيف ويبرد شديدا
في الشتاء فكان لا يصلح لسكنى الحيوانات وايضا كان يتعذر ايجاد الابنية والمساكن منها وكان
يتعذر حصرها وتركيبها كما تراه وكما يوافق المصلحة فثبت ان الارض لو كانت صلبة كالحجر
لما كانت تصلح لان يكون فراشا للانسان من هذه الوجوه ثم تأمل ان اعز الاشياء عند الانسان
الذهب والفضة والياقوت والزمرد ولو انا قدرنا ان الارض كانت مخلوقة من هذه
الاشياء فاتت المصالح بأسرها وبطلت المنافع وبهذا ظهر انه لا نسبة للتراب في كثرة المنافع
والمصالح الى هذه الاشياء التي يظن الانسان كونها في غاية الشرف والنفاسة وايضا من شرط
كون الارض فراشا ان لا يكون في غاية الرخاوة وكالماء وسائر الاشياء التي يغوص الانسان فيها
فثبت ان الشرط في كونها فراشا للانسان وغيره كونها بهذه الصفة التي خلقها الله تعالى عليها
الشرط الثالث في كونها فراشا لنا ان لا يكون في غاية الشفافية واللطافة فان الشفاف
لا يستقر عليها النور وما كان كذلك فانه لا يقبل السخونة من الشمس والكواكب فيبقى في
غاية البرد فلا يصلح لان يكون مقر الحيوانات وايضا ما جعلها في غاية الصقالة والبراقية
لانه لو جعلها كذلك والا كان يحترق ما يقرب منها بسبب انعكاس اشعة الشمس كما يحترق القطن
التي يقرب من البلور المخروط واما لما جعل الارض كثيفة غبراء استقر النور على وجهها فحصل
نوع من السخونة ولما كانت كثيفة لم ينعكس الاشعة منها فصار متوسطا في الحر والبرد فصلح
ان يكون فراشا للحيوانات الشرط الرابع ان يكون خارجا من الماء وذلك لان الانسان وغيره من
الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فالارض لا يمكن ان يكون مسكنا للانسان وسائر
الحيوانات الا اذا كانت بارزة من الماء من ان طبع الارض يقتضي ان يكون غائصا في الماء وكان
يجب في كل الارض ان يكون البحار محيطة فيها ثم انه سبحانه لكمال قدرته ونهاية حكمته وغاية رحمته

بالعباد



بالعباد قلب طبع الارض واخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة البارزة حتى صلحت
لان يكون فراشا لنا وللحيوانات فهذا جملة الشرائط المعتبرة في كون الارض فراشا الصفة
الثانية من الصفات التي ذكرها الله للارض كونها مهدا كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام
وجعل لكم الارض مهدا والمراد انه تعالى جعلها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود
والقيام والزراعة وسائر جهات المنفعة وهو قريب من الصفة الاولى لان المقصود في
تشبيهها بالمهد ان الارض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي يمهد له فينام عليه الصفة الثالثة
قوله في سورة عم يتساءلون الم نجعل الارض مهادا واعلم ان المهاد مصدر ثم فيه
وجوه الاول ان يكون المراد في هذه الآية الممهود والمعنى الم نجعل الارض ممهودا وهذا
من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولك هذا ضرب الامير والثاني ان يكون الارض وصفت
بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم كانه لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة
والثالث ان يكون بمعنى ذات مهاد الصفة الرابعة قوله في سورة النمل امن جعل الارض
قرارا واعلم انه تعالى ذكر من منافع الارض في هذه الآية امورا اربعة المنفعة الاولى
كونها قرارا وهذا ايضا قريب من كونها فراشا والشرائط الاربعة المذكورة هناك معتبرة
ههنا ايضا ونزيد ههنا شرائط اخرى الشرط الاول انه تعالى دحاها وسواها للاستقرار
قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها وقال في حم السجدة قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الى قوله سواء للسائلين الشرط الثاني انه
سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مداره عن مدار منطقة الفلك الاعظم بحيث يبعد تارة من
سمت الرأس ويقرب اخرى وبسبب هذا القرب والبعد يختلف الفصول الاربعة وبسبب اختلاف هذه
الفصول صلحت البقاع لان يكون مسكنا للحيوانات على ما بينا شرح هذا المعنى في ذكر منافع الميل
في تفسير قوله او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الشرط الثالث انه
سبحانه جعل الارض كفاتا احياء وامواتا على ما نذكر تفسير الكفات ولو لم يكن الارض كذلك

منافع الارض اربعه

لما صلحت ان يكون قرار الحيوانات **المنفعة الثانية** من منافع الارض التي ذكر الله سبحانه
في هذه الآية قوله وجعل خلالها انهارا واعلم ان اقسام المياه المنبعثة عن الارض اربعة الاول
مياه العيون السيالة وهي تنبعث من ابخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوة ثم
لا يزال يستتبع جزء منها جزء والثاني مياه العيون الراكدة وهي تحدث من ابخرة بلغت قوتها ان
اندفعت الى وجه الارض ولم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها ان يطرد تاليها سابقها والثالث مياه
القني والانهار والآبار وهي متولدة عن ابخرة ناقصة القوة عن ان يشق الارض فاذا ازيل
عن وجهها ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الابخرة منفذة يندفع اليه بادنى حركة والرابع
مياه الآبار وهي بعينها كمياه القني الا انها يجعل لها ميل الى موضع يسيل اليه ونسبة القني الى
الآبار كنسبة العيون السيالة الى العيون الراكدة وقد ظهر بمجموع ما ذكرنا انه لولا صلابة
الارض لما اجتمعت تلك الابخرة في باطنها ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها
**المنفعة الثالثة** للارض قوله تعالى وجعل لها رواسي والمراد منها الجبال ونقول اكثر العيون
والسحب والمعدنيات انما يكون في الجبال وفيما يقرب منها اما العيون فلان الارض اذا كانت رخوة
نفشت الابخرة منها فلا يجتمع منها قدر يعتد به فاذن هذه الابخرة لا يجتمع الا في الارض الصلبة
والجبال اصلب من الاراضي فلا جرم كانت اقواها على حبس هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون
مادة للعيون ويشبه ان يكون مستقر الجبل مملوا من ماء ويكون الجبل في حقيقة الابخرة مثل
الانبيق الصلب المعد للتقطير لا يدع من البخار شيئا يتحلل في نفس الارض التي تحته كالقرع والعيون
كالاذناب والبحار كالقوابل ولذلك فان اكثر العيون انما ينفجر من الجبال واقلها في البراري وذلك
الاقل لا يكون الا اذا كانت الارض صلبة واما ان السحب يكون في اكثر الامر في الجبال فلاسباب ثلثة
الاول في باطن الجبال من النداوات ما لا يكون في باطن الاراضين من الرخوة والثاني ان الجبال بسبب
ارتفاعها يكون ابرد فلا جرم يبقى على ظاهرها من الانداء والثلوج ما لا يبقى على ظاهر سائر الاراضين
والثالث ان الابخرة المتصاعدة من الجبال يكون محبوسة بالجبال فلا يتفرق ولا يتحلل واذا ثبت ذلك

طهران اسباب

مياه المنبعثة عن الارض اربعة

اكثر العيون والسحب والمعدنيات في الجبال

السحب يكون في اكثر الامر في الجبال لاسباب ثلثة



ظهر ان اسباب كثرة السحب في الجبال الاكثر لان المادة فيها ظاهرا وباطنا اكثر والاحتقان اشد
والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك كانت السحب في الجبال اكثر واما المعدنيات المحتاجة الى ابخرة
يكون اختلاطها بالارضية اكثر ويبقى ذلك الاختلاط مدة طويلة بحيث يتم النضج فيها فلا تتهيأ لها في
هذا المقصود كالجبال **المنفعة الرابعة** للارض قوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا فاعلم ان المقصود
من ذلك الحاجز احد الامور الاول ان لا يفسد العذب بسبب اختلاطه بالمالح والثاني ان ينتفع بذلك
الحاجز والثالث المؤمن في قلبه بحران بحر الحكمة والايمان وبحر السهو والطغيان والحق سبحانه بتوفيقه جعل
بينهما حاجزا لكي لا يفسد احدهما بالآخر وقال بعض الحكماء في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ
لا يبغيان قال عند عدم البغي من البحرين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فكذلك عند عدم البغي في القلب
يخرج الدين والايمان واعلم ان وجه الاستدلال بهذه الاحوال على اثبات الصانع الحكيم ظاهر وذلك لانه
سبحانه دبر اجزاء الارض على هذه الاحوال المحكمة المتقنة الموافقة لمصالح العباد وذلك لا يمكن الا
بمشية نافذة وقدرة كاملة وحكمة بالغة **الصفة الخامسة** للارض قوله تعالى في سورة الملك هو الذي
جعل لكم الارض ذلولا واعلم ان الذلول من كل شيء المنقاد لك الذي يذل لك ومصدره الذل
وهو الانقياد واللين ومنه يقال دابة ذلولة وفي وصف الارض بالذلول وجوه الاول انه تعالى لم
يجعلها صخرة خشنة يمتنع المشي عليها كما يمتنع المشي على وجوه الصخرة الخشنة والثاني انه تعالى
جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبناء الابنية منها كما يراد ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك
والثالث انك ترمي عليها كل قبيح وهي تخرج لك كل طعام لذيذ والرابع انها كفات الاحياء و
الاموات وهذه الوجوه قد شرحناها ثم قال تعالى فامشوا في مناكبها والمفسرون ذكروا في مناكب
الارض وجوها الاول قال صاحب الكشاف المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل لان المنكبين وملتقاهما
من الغارب ارق شيء من البعير وابعده من امكان المشي عليه فاذا صار البعير بحيث يمكن المشي على منكبه
فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة فظهر ان قوله فامشوا في مناكبها كناية عن كونها نهاية في
الذلولية والثاني وهو قول قتادة والضحاك وابن عباس ان مناكب الارض جبالها واكامها

المقصود من حاجز

في وصف الارض بالذلول وجوه الاول

وسميت الجبال مناكب لان مناكب الانسان شاخصة والجبال ايضا شاخصة والمعنى انه سهلت
عليكم المشي في مناكب الارض وهي ابعد اجزائها عن التذليل فكيف الحال في سائر اجزائها والثاني
ان مناكبها هي الطرق والفجاج والاطراف والجوانب وهو قول الحسن ومجاهد واما قوله وكلوا
من رزقه اي مما خلقه الله رزقا لكم في الارض واليه النشور يعني ينبغي ان يكون مكثكم واكلكم
في الارض من رزق الله مكث من يعلم ان مرجعه الى الله واكل من يعلم ان مصيره الى الله والمراد
التحذير من الكفر والمعاصي وطول الامل الصفة السادسة للارض قوله في سورة نوح والله
جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة واحدها فج وهو قريب
مما تقدم الصفة السابعة للارض قوله تعالى في سورة والمرسلات الم نجعل الارض كفاتا ومعنى
الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشيء اي ضممته ويقال جراب كفيت اذا كان لا يضيع شيئا
مما يجمع فيه والكفات اسم مما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع
للابواب وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافية احياء وامواتا والفعل مضمر يدل لتعليم
وهو يكفت هذا هو اللغة ثم في المعنى وجوه الاول انها تكفت الاحياء على ظهرها والاموات
في بطنها والمعنى ان الاحياء يسكنون في بيوتهم والاموات يدفنون في قبورهم ولهذا المعنى كانوا
يسمون الارض اما لانها في ضمها الناس كالام التي تضم ولدها وتكفله ولما كانوا يضمون اليها
جعلت كانها تضمهم والثاني انها كفات الاحياء بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور
المستقذرة والثالث انها كفات الاحياء بمعنى انها جامعة لما يحتاج الانسان اليه في حياته من
ماكول ومشروب لان كل ذلك يخرج من الارض وايضا المساكن الجامعة للمصالح الدافعة للمضار
مبنية منها والرابع ان قوله احياء وامواتا راجع الى الارض فالحي ما انبت والميت ما لم ينبت بقي في
الاية سؤالان السؤال الاول لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا
الجواب هو من باب تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا لا يحصرون السؤال الثاني
هل يدل الاية على وجوب قطع النباش الجواب نقل القفال ان ربيعة قال دلت الاية على ان الارض

معنى الكفات

كفات

كفات الميت فيكون حرزا له والسارق اذا سرق من الحرز يجب عليه القطع الصفة الثامنة
للارض قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فهي لنا كالام
الحاضنة التي ربينا حالتي الحياة والموت النوع الثالث من الاستدلال باحوال الارض على
وجود الصانع الحكيم اعلم ان هذه الاحوال من وجوه الاول ان الاشياء المتولدة منها من المعادن
والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية كثيرة لا يعلم تفاصيلها الا الله والثاني من منافع
الارض ان الماء لرقته ولطوبته لا يحفظ الشكل والتصوير واذا خلط بين الماء والتراب
حصل في الماء نوع قوام واستمساك وحصل في التراب قبول الاشكال فيصير الطين قابلا
للتشكل والتخليط كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين وقال في حق عيسى عليه السلام واذ
تخلق من الطين كهيئة الطير باذني والثالث اختلاف بقاع الارض فمنها ارض رخوة وصلبة
ورملية وسبخة وحرة وهو المشار اليه بقوله سبحانه وفي الارض قطع متجاورات وقال والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والرابع اختلاف الوانها فاحمر
وابيض واسود ورمادي اللون واغبر اللون كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
الوانها وغرابيب سود والخامس انصداعها بالنبات كما قال تعالى والارض ذات الصدع والسادس
كونها خازنة للماء المنزل من السماء واليه اشار بقوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه
في الارض وانا على ذهاب به لقادرون وقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
والسابع العيون والانهار العظام والصغار التي في الارض واليه الاشارة بقوله وجعل فيها
رواسي وانهارا والثامن ما فيها من المعادن والفلزات واليه الاشارة بقوله والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون ثم بين ذلك تمام البيان فقال وان من شيء الا
عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والتاسع الزروع والاشجار التي تنبت من الارض من
الحب والنوى قال تعالى ان الله فالق الحب والنوى وقال يخرج الخبء في السموات والارض ثم ان
الارض لها طبع الكريم لانك تدفعها اليها حبة واحدة وهي تردها عليك سبعمائة فانك

كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والعاشر حيوتها بعد موتها قال تعالى
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا وقال وآية لهم الارض الميتة
احييناها والحادي عشر ما عليها من الدواب المختلفة الالوان والصور والخلق واليه الاشارة
بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة و
الثاني عشر ما فيها من النبات المختلفة الوانه وطبايعه وانواعه ومنافعه واليه الاشارة بقوله وانبتنا
فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روايحها
دلالة واختلاف منافعها دلالة فمنها قوة البشر ومنها قوة البهائم ثم قال كلوا وارعوا انعامكم
ان في ذلك لايات لاولي النهى ثم ان مطعوم البشر ينقسم الى اقسام منها الطعام ومنها الادام ومنها
الدواء ومنها الفاكهة ومنها الانواع المختلفة قال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام و
فمنها كسوة البشر لان الكسوة اما نباتية وهي القطن والكتان واما حيوانية وهي الشعر و
الصوف والابريسم والجلود وهي من الحيوانات التي انبثها الله في الارض فالمطعوم من الارض
والملبوس من الارض والغذاء من الارض والدواء من الارض ثم قال ويخلق ما لا تعلمون وفيه
اشارة الى منافع كثيرة لا يعلمها نحن والحق سبحانه عالم بها ثم انه تعالى جعل الارض ساترة لقضاء الحاجة
بعد موتك فقال الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ثم انه سبحانه جمع هذه المنافع العظيمة
للسماء والارض وسخر لكم ما في السموات وما في الارض والثالث عشر ما فيها من الاحجار المختلفة
ففي صغارها ما يصلح للزينة فيجعل فصوص الخواتم وفي كبارها ما يتخذ الابنية وانظر الى الحجر
الذي يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الى كثرة النفع
بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الشريف والرابع عشر ما اودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب
والفضة والملح والنفط ثم تأمل فان البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا
السمك من قعر البحار واستنزلوا الطير من اوج الهواء ثم عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة
والسبب فيه انه لا فائدة في وجودهما الا القيمة وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة والقلة





على اتخاذهما بطل هذه الحكمة فكذلك ضرب الله دونهما بالسدود اظهارا لهذه الحكمة
وابقاء لهذه النعمة واما الذي لا مضرة على الخلق في اتخاذه فقد اقدرهم عليه مثل اتخاذ
الشبه من النحاس واتخاذ الزجاج من الرمل فاذا تأمل العاقل في هذه اللطائف والعجايب
اضطر الى افتقار هذه التدابير الى صانع حكيم مقدر عليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا والخامس عشر كثرة ما يوجد على الارض والجبال من الاشجار التي تصلح للبناء و
السقف ثم الحطب ثم اشتداد الحاجة اليه في الخبز والطبخ وقد نبه الله تعالى على دلائل الارض
ومنافعها بالفاظ لا يبلغها البلغاء ولا يقدر عليها الفصحاء فقال وهو الذي مد الارض
وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين **النوع الرابع** من مباحث
الارض اختلفوا في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل لوجوه الاول
ان السماء معبد الملائكة وما فيها بقعة عصى الله فيها احد وان ابليس لما اظهر الكفر اخرج
من السماء وقيل له اخرج منها فانك رجيم وآدم عليه السلام لما اتى بالزلة قال تعالى له اهبطوا
منها وقال له لا يسكن في جواري من عصاني **الحجة الثانية** انه تعالى وصف السماء بصفات دالة
على العظمة ولم يذكر مثلها في الارض فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وسبعا طباقا هل ترى من فطور وما لها من فروج وقوله تبارك الذي جعل في
السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ثم ذكر عاقبة امرها واذا السماء فرجت واذا
السماء كشطت يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وتكون السماء كالمهل واما الموضع
الذي ذكر فيه حال الارض فقد ذكر الارض بما يدل على عظم حال السماء فقال والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ومعلوم ان اليمين اشرف **الحجة الثالثة** انه تعالى
جعل الارض موضع السجود والسماء قبلة الدعا فالايدي ترفع اليها والوجوه تتوجه نحوها
والقلوب متعلقة بها **الحجة الرابعة** انها منزل الانوار ومحل الصفاء والاضواء ومصونة
عن الخلل والفساد ومحل الطهارة والعصمة والارض ليست كذلك **الحجة الخامسة** السموات

اذا تأمل العاقل

هل السماء افضل ام الارض

موثره غير متأثرة والارضون متأثرة غير موثرة والموثر اشرف من القابل ومما يدل على ان
السموات موثرة قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء وقوله حكاية عن فرعون لعلى ابلغ الاسباب
اسباب السموات الحجة السادسة ان السموات مزينة بثمانية اشياء ثلثة منها محسوسة وهى الشمس والقمر
والنجوم وخمسة منها غير محسوسة وهى العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة وامثال هذه الاشيا
غير موجودة فى الارض فلا يناسبها ولا يشاكلها الحجة السابعة انه تعالى ذكر السموات والارض
فى كتابه وفى كل الموالموضع قدم ذكر السموات على الارض وذلك يدل على المقصود وقال بعضهم بل
الارض افضل واحتجوا عليه بوجوه الاول انه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة احدها قوله تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وثانيها قوله تعالى فى البقعة المباركة من الشجرة وثالثها
قوله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ورابعها وصف ارض الشام بالبركة فقال مشارق
الارض ومغاربها التى باركنا فيها وخامسها وصف جملة الارض بالبركة فقال قل ائنكم لتكفرون
الى قوله وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فان قيل واى بركة فى الفلاوة الخالية والمفاوز المهلكة
قلنا انها مساكن الوحوش ومرعيها ولولاها لاختلطت السباع بالناس فى مساكنهم ثم انها مساكن
الناس اذا احتاجوا اليها وهذه الحجة ضعيفة لانه تعالى اثبت وصف البركة فى السموات وهو قوله
بركات من السماء الحجة الثانية انه تعالى خلق الانبياء المكرمين من الارض على ما قال منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ولم يخلق من السموات شيئا لانه قال وجعلنا السماء
سقفا محفوظا الحجة الثالثة انه سبحانه اكرم نبيه بها فجعل الارض كلها مسجدا وجعل ترابها
طهورا النوع الخامس من المباحث ما يدل على تعظيم حال السماء والارض اعلم انه سبحانه بين
صفات جلاله ونعوت كبريائه بالاضافة الى السموات والارضين وهذه الاية كثيرة فى القران اما
القسم الاول الايات الدالة على الخلق قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض ثم بين ان هذا الخلق
اعظم من خلق الناس فقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال فى النازعات انتم اشد خلقا
ام السماء بناها وقال فى يس اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى

وهو

٧٩

وهو الخلاق العليم ثم بين انه خلقها بالحق فقال فى النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
ثم بين فى ص انه ما خلقها بالباطل فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن
الذين كفروا ثم بين ان الكل تحت تدبيره فقال الله الذى يخرج الخبأ فى السماء والارض ثم بين ان
فى خلق السموات ايات عجيبة فقال فى سورة البقرة فقال ان فى خلق السموات والارض الى قوله لايات لقوم
يعقلون وقال فى ال عمران ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب
ثم بين تعالى انه ما اطلع احدا على اسرار هذا الخلق فقال ما اشهدتهم خلق السموات والارض فهذا ما

[القسم الثانى]

يتعلق بصفة الخلق القسم الثانى ما يتعلق بصفة الربوبية فقال موسى عليه السلام فى سورة
الشعراء الجند لاعلى فرعون رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وقال ايضا الله نور

[معنى انه نور السموات والارض]

السموات والارض قال بعضهم الله منور اهل السموات والارض كما يقال هذا فلان نور هذا البلد
اذا كان سببا لنظم مصالح البلد وقال بعضهم هادى اهل السموات والارض وقال بعضهم منور
السموات والارض وقرا بعضهم لله نور السموات والارض واحتج على هذه القراءة بقوله مثل نوره
ثم بين انه تعالى غير عاجز عن هذا التدبير فقال وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الارض
القسم الثالث ما يتعلق بالملك وقال تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم ذكر التفصيل فبين
انه مالك الجنود فقال ولله جنود السموات والارض وانه مالك الخزائن فقال ولله خزائن
السموات والارض وانه المالك للاشياء بعد فناء الخلق فقال ولله ميراث السموات والارض وانه
المالك يفتح المغاليق فقال له مقاليد السموات والارض ثم ذكر انه الملك لكل العقلاء فقال وله
من فى السموات ومن فى الارض ثم اكد لبقية هذه العبودية بقوله ولله يسجد من فى السموات ومن فى
الارض وقال ايضا يسجد له من فى السموات ومن فى الارض ثم بين انه تعالى لم يجعل البعض مسخرا للبعض
بل يجعل القوى مسخرا للضعيف قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ثم بين فقال تعالى وسخر لكم ما فى
السموات وما فى الارض ثم بين انه لا يعجزه احد فقال تعالى وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وقال

فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء **القسم الرابع** ما يتعلق بالملك
وهو قوله ولله ملك السموات والارض واعلم ان الفرق بين الملك وبين المالك موجود
على ما هو معلوم في تفسير قوله تعالى مالك يوم الدين ثم بين كانه هو الملك فهو ايضا مالك
الملك فقال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء و
تعز من تشاء ثم بين بقاء الملك وكثرة بركاته فقال تعالى وتبارك الذي له ملك السموات
والارض **القسم الخامس** ما يتعلق بالعلم وهو قوله ولله غيب السموات والارض ثم بين انه
يعلم الغيب والشهادة فقال يعلم ما في السموات وما في الارض وقال عالم الغيب والشهادة ثم
بين احاطة علمه فقال لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ثم بين جلاله في
هذا العلم فقال تعالى قل ربي يعلم الغيب في السماء والارض ثم بين انه لا يخفى عليه شيء البتة فقال
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء **القسم السادس** ما يتعلق بكيفية التدبير قال يدبر
الامر من السماء الى الارض **القسم السابع** ما يتعلق بالتسبيح والحمد قال وله الحمد في السموات والارض
**القسم الثامن** ما يتعلق بالكبرياء قال وله الكبرياء في السموات والارض وقال وله المثل الاعلى
في السموات والارض وقال وسع كرسيه السموات والارض وقال وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها وقال ففزع من في السموات ومن في الارض فصعق من في السموات ومن في الارض وقال
يسأله من في السموات والارض وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض وكل ذلك يدل
على نهاية الجلال والعظمة والهيبة وقال وكم من ملك في السموات والارض لا تغني شفاعتهم
شيئا ونظيره من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا
يتكلمون الاية وقال وخشعت الاصوات للرحمن وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وقال
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله **القسم التاسع** ما يتعلق بالالهية وهو قوله وهو الله في
السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقال وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله **القسم العاشر**
ما يتعلق بالنظر والاستدلال قال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون





وقال قل انظروا ماذا في السموات والارض وقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقال في التنبيه
على العزة فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين واعلم ان اكثار كتاب الله تعالى
من ذكر السموات والارض في القران يدل على عظم شانهما وعلى ان لله سبحانه فيهما اسرارا عجيبة وحكما
بالغة لا يصل اليها افهام الخلق ولا عقولهم فان قيل فما الحكمة في ان سبحانه عرف صفات جلاله
وقدسه وعظمته بذكر السموات والارض قلنا الحكمة فيه ان ذات الله وصفاته وعزته وعظمته غني
مشاهدة الخلق ابتداء بل لا سبيل الى معرفتها الا بالدلائل والبراهين وكلما كانت الاثار اجل
واعظم كان ذلك ادل على عظمة المؤثرات فلما كان اعظم الموجودات المحسوسة هو السموات والارض
لا جرم عرف الله سبحانه كمال قدرته ونهاية علمه وحكمته بذكر السموات والارض فهذا تمام القول
في هذا الموضع **النوع السادس** من شرح المنافع الحاصلة من مجموع السماء والارض اعلم ان
السماء والارض مع غاية بعد كل واحد منهما عن الاخر متعاونتان على تحصيل مناظم العالم
ومصالحه وبيانه من وجوه الاول ان الفوق هو الذي يلي جهة السماء والتحت هو الذي يلي جهة
الارض والجهات لا يوجد الا بالفوق والتحت فالسماء والارض متعاونتان على تحصيل وجود
الجهات واذا كان حصول الجهات من توابع حصول السماء والارض كان خالق السماء والارض منزها
عن الجهات والاحياز الثاني ان السماء والارض متعاونتان على تحصيل النبات فالسماء كالاب
فيحصل من صلبه القطر ويقع من قعر [illegible] اذا وقعت الحبة في ذلك الطين اثرت نداوة الطين في
تلك الحبة وكذلك السخونة المختفية في باطن الارض فوصلت النداوة الى باطن الحبة و
بسبب تلك السخونة انتفخت الحبة وربت وعظمت فانفلقت فلقة من فوقها وفلقة من تحتها
فالانفلاق الفوقاني يخرج منه ساق الشجرة والانفلاق التحتاني يخرج منه عروق الشجرة اذا
عرفت هذا فنقول لو وقعت الحبة في ارض يابسة لم يحصل المقصود اصلا ولو وقعت في الطين
ولكن بحيث لا يصل اليها تاثيرات الهواء وشعاعات الكواكب لم يحصل المقصود اصلا الا ترى الى
الاشجار التي تكون في ظل مانع من شروق نور الشمس والقمر عليها فانها فاسدة ناقصة والشجرة الصغيرة

المنافع الحاصلة من مجموع السما والارض

الواقعة في ظل شجرة كبيرة تكون ايضا فاسدة فاذا تأملت علمت ان هذا المقصود لا يحصل
الا اذا وجدت كرة الارض ووجدت كرة السماء وكانا متقاربين بحيث يمتزجان ثم لا بد
من وصول الهواء اليه لان الهواء جرم خفيف على الطبع فلا يغوص بالطبع في عمق الطين
فدبر الحكيم الرحيم لهذا تدبيرا وهو انه حرك الهواء حتى صار ريحا ثم ان الريح يموج بقوة
الهواء فاذا تموج غاص بعضها في اثناء ذلك التموج ان نفذت بعده في عمق الارض واليه
الاشارة بقوله وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الارض والماء
والهواء ثم كان ذلك والله اعلم لا يفيد المقصود الا مع حرارة لطيفة سماوية فعند ذلك لا بد
من حرارة الربيع في الانبات ومن حرارة الصيف في الانضاج فقد عرفت ان المقصود لا يحصل الا
عند اجتماع هذه الاسباب العلوية والسفلية لا يحصل المقصود الا بقدرته ولا يتكون المطلق
الانعقاد مشترك وذلك لان الارض الواحدة والماء الواحد والهواء الواحد وتأثيرات الشمس
والقمر في الكل على نمط واحد يحصل انواع من النبات مختلفة في الطبع والطعم واللون والرايحة فدل
ذلك على ان العناصر والافلاك اسباب ظاهرة والمؤثر في الحقيقة هو القدرة الازلية والمشية
السرمدية والوجه الثالث ان النهار عبارة عن مدة ظهور نور الشمس والليل عبارة عن مدة اختفاء
نور الشمس بسبب ظل الارض ومنافع الليل والنهار كثيرة على ما سنذكرها اذا كان الامر كذلك فالسبب
القريب لحدوث الليل والنهار هو وجود السماء والارض ولهذا السبب فانه تعالى انما ذكر احوال
الليل والنهار في الاكثر يكون ذلك مسبوقا بذكر السماء والارض تنبيها على ان سبب الليل والنهار
هو الارض والسماء ثم الحاصل ان السماء والارض كالمتنافيين المتضادين ثم انهما اصطلحا متعاونين
على تحصيل اسباب مصالح هذا العالم والاضداد ان يوجبا الفساد فلما اصطلح هذان الضدان من
لحصول اسباب الصلاح علم ان ذلك بتدبير مدبر وتقدير مقدر حكيم عليم سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا وهو اخر الكلام في الدلائل المأخوذة من السماء والارض **الباب الثاني** في وجوه
الدلائل المأخوذة من الشمس والقمر وفيه فصول **الفصل الاول** في تقرير دليل الخليل في قوله تعالى

تأثيرات العناصر الاربعة السفلية وتأثيرات الشعاعات الفلكية ثم عند اجتماع صح

قد اعطاه العناصر والافلاك اسباب ظاهرة والاثر في الحقيقة هو القدرة الازلية

لا احب



لا احب الآفلين قال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك
في ضلال مبين اعلم انه قبل الخوض في التفسير لا بد من مقدمات المقدمة الاولى انه سبحانه كثيرا ما
يحتج على مشركي العرب باحوال ابراهيم عليه السلام وذلك لانه رجل يعترف بفضله جميع الطوائف
والملوك فالمشركون كانوا معترفين متشرفين بفضله مستبشرين بذلك بانهم من اولاده و
اليهود والنصارى والمسلمون كلهم معظمون له معترفون بجلال قدره فلا جرم ذكر الله تعالى
حكاية حاله في معرض الاحتجاج على المشركين واعلم ان هذا المنصب العظيم وهو اعتراف اكثر
الخلق بفضله وعلو مرتبته لم يتفق للخليل والسبب فيه ان بين العبد وبين الرب معاهدة
كما قال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وابراهيم عليه السلام وفى بعهد العبودية والله تعالى شهد
بذلك على سبيل الاجمال تارة وعلى سبيل التفصيل اخرى اما الاجمال ففي ايتين احدهما قوله
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وهذه شهادة من الله تعالى بانه اتم عهد العبودية والثاني
قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اما التفصيل فهو انه ناظر في اثبات التوحيد
وابطال القول بالشركاء والانداد مع ابيه وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا وناظر ايضا في هذه المسئلة مع قومه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى اخره وناظر
مع ملك زمانه في هذه المسئلة ايضا فقال ربي الذي يحيي ويميت ثم ناظر ايضا مع قومه
بالفعل وهو قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ان القوم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين
يروى لما وضع في المنجنيق صاحت السموات والارضون وكل المخلوق الا الثقلين وقالوا يا ربنا
ليس في الارض احد يعبدك ويوحدك غير ابراهيم ثم انه يحرق بالنار ائذن لنا في نصرته
فاوحى الله تعالى الى السماء والارض والجبال اذا استغاث بكم فاغيثوه وان استنصركم فانصروه
وان دعاني انا وليه وناصره وكفى بي وليا فلما ارادوا القاءه في النار فقال يا احد يا صمد بك
استغيث وعليك اتوكل حسبي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل فجاء ملك المطر عرض نفسه
عليه فلم يلتفت وجاء خازن الريح فقال ان شئت اذنت للريح فيفرق النار في شرق الارض

وغربها فلم

وعز بها فلم يلتفت فرمى من المنجنيق فقبل ان يصل الى النار قال جبرئيل عليه السلام الانجاء وقتى وعرض نفسه عليه وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا قال جبرائيل افلا من غيرها الله تعالى فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي فان قيل الستم رويتم انهم كلما ارادوا القاءه في النار دعى الله واستغاث به ثم ذكرتم انه في هذه الحالة لم يذكر شيئا فالفرق بين الحالتين قلنا الانسان قبل الوقوع في البلاء لا يكون طمعه منقطعا عن النفس فيستعد عليه البلاء فعند ذلك قد يشتغل بالدعاء اما عند الوقوع فيه ينقطع طمعه عن النفس والاحتجاب عن الرب الا الاشتغال بالنفس فاذا ازال ذلك الحجاب تجلى في قلبه نور جلال الله فحينئذ يستنكف ان يرجع الى الله في خلاص النفس وفي بعض الروايات انه لما قال له جبرائيل لم لا تستعين بالرب تعالى فقال على ذا تاما على النفس قال الخليل النفس معيوبة لا خطر لها فان علام الغيوب بنجاة الجسم المعيوب فقال جبرائيل استعن على القلب فقال الخليل القلب للرب فليعمل الرب بما شاء بالقلب فقال جبرائيل استعن على الروح فقال الخليل الروح عارية والعارية موداة فقال جبرائيل استعن على النار قال الخليل من او قد النار قال العدو وقال من قضى به قال الحبيب قال الخليل ارض بحكم الحبيب فلما انقطع نظر الخليل عن الوسايط والاسباب فالحق ايضا رفع الوسايط والاسباب فقال تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ثم انه عليه السلام بعد هذه الواقعة ابتلى بالولد فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فعند هذا كان ابرهيم عليه السلام من الفتيان سلم نفسه للعرفان ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان وكمل عهد عبوديته ثم انه سأل بعد ذلك ربه فقال واجعل لي لسان صدق في الاخرين فوجب في كرم الحق تحقيق مطلوبه في هذا السؤال فلا جرم اجاب دعاءه وقبل نداءه وجعله مقبول جميع الفرق والطوائف الى اخر القيمة ولما كان العرب مقرين بفضله لا جرم جعل الله مناظرته مع قومه حجة على مشركي العرب **المقدمة الثانية** اعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في الوجوب والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين احدهما حكيم

يفعل



بفعل الخير والثاني سفيه يفعل الشر اما الاشتغال بعبادة غير الله ففي الذاهبين اليه كثيرة فمنهم عبدة الكواكب وهم فريقان منهم من يقول انه تعالى خلق هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها فهذه الكواكب المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبد هذه الكواكب ثم ان هذه الكواكب مشتغلة بعبودية الله تعالى وطاعته ومنهم قوم ينكرون الصانع سبحانه ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهي المدبرة لهذا العالم وهؤلاء هم الدهرية الخالصة وممن يعبد غير الله سبحانه هم النصارى الذين يعبدون المسيح عليه السلام ومنهم ايضا عبدة الاوثان والاصنام واعلم ان ههنا بحثا مهما لا بد منه وهو انه لا دين اقدم من دين عبدة الاوثان وذلك لان اقدم الانبياء الذين وصل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد على عبدة الاوثان على ما اخبر الله عنه في قوله وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فعلمنا ان دين عبدة الاصنام كان موجودا قبل نوح عليه السلام وهو باق الى الان بل اكثر سكان اطراف العالم مستمرون عليه والمذاهب الذي هذا شانه يمتنع ان يكون معلوم البطلان بضرورة العقل لكون العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضروري يستحيل اتفاق الكثير من العقلاء عليه فظهر انه ليس دين عبدة الاصنام كون الصنم خالق السماء والارض والعلماء ذكروا فيه وجوها الاول ان الناس لما رأوا ان تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فانه بحسب قرب الشمس وبعدها عن سمت الرأس يحدث الفصول الاربعة وبسبب حدوث الفصول الاربعة حدثت الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم ان الناس رصدوا احوال سائر الكواكب واعتقدوا ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية وقوعها في طوالع الناس فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثر الخلق كون المصدر لاحوال هذا العالم والحوادث فيها هذه الكواكب وتأثيراتها ولما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها ثم منهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذاتها ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها محكوما للاله

الاكبر الا انهم قالوا هي مخلوقة للاله الاكبر وخالقة لاحوال هذا العالم وهؤلاء هم
الذين اعتقدوا انها وسائط بين الاله الاكبر وبين اصحاب هذا العالم وعلى كلا التقديرين
فالقوم اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها والخضوع لها ثم انهم لما راوا ان الكواكب قد يستتر
عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم
الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهي الياقوت والالماس واتخذوا
صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام وغرضهم من هذه
الاصنام عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها فهذه الاصنام عندهم كالقبلة والمعبود
عندهم في الحقيقة هو تلك الكواكب وعند هذا البحث يرجع حاصل دين عبدة الا
صنام الى عبدة الكواكب واما الانبياء صلوات الله عليهم فلهم ههنا مقامان احدهما اقامة
الدلالة على ان هذه الكواكب لا تفعل شيئا والثاني انه بتقدير انها تفعل شيئا لكن دلائل الحدوث
حاصلة فيها فلا بد فيها من ان تكون مخلوقة لاله قديم ازلي والاشتغال بعبادة الاصل اولى من الاشتغال
بعبادة الفرع ومما يدل على صحة ما رويناه من عبدة الاوثان انه تعالى لما حكى عن الخليل انه قال
لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وفي هذا الكلام دليل ان
عبادة الاصنام جهل وضلال ثم لما اشتغل بذكر الدليل اقام الدليل على ان الكوكب والشمس
والقمر لا يصلح شيء منها للالهية وهذا يدل على ان عبادة الاوثان يرجع حاصلها الى القول بالهية
الكواكب والشمس والقمر والا لم يكن بين قوله اتتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال
مبين وبين قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا تعلق ولا مناسبة واذا عرفت هذا ظهر انه لا طريق
الى ابطال القول بعبادة الاوثان الا بابطال كون الشمس والقمر والكواكب آلهة وهو الذي حكى الله
عن ابرهيم في هذه الآية الوجه الثاني في شرح حقيقة مذهب القائلين بعبادة الاوثان ما ذكره
ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي قال في بعض مصنفاته ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا
يقولون بالله وبملائكته الا انهم كانوا يعتقدون انه تعالى جسم ذو صورة كاحسن ما يكون

من الصور



من الصور وهكذا ايضا الملائكة صور حسنة الا انهم كلهم قد احتجبوا علينا بالسماء فلا جرم
اتخذوا صورا وتماثيل انيقة المنظر حسنة الرواء على الصورة التي كانوا يعتقدونها في صورة
الاله والملائكة ثم يعتكفون على عبادتها قاصدين بذلك طلب الزلفى الى الله تعالى والى ملائكته
فان صح ما ذكره ابو معشر فالسبب في عبادة الاوثان اعتقاد الجسمية في الله سبحانه الوجه الثالث
ان اصحاب الاحكام من المنجمين كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين
ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وقت خاص فانه ينفع في احوال مخصوصة نحو
السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم
ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ولما طالت الازمنة فالجهال
نسوا مبدأ الامر واشتغلوا بعبادتها ومما يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في آخر
هذه الآية حكاية عن ابرهيم عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم بالله وذلك لانه عليه السلام
في الهيئة تلك الاصنام وحسن عبادتها خوفه بوصول البلاء اليه من تلك الاصنام وقال تعالى
ايضا حكاية عن قوم هود عليه السلام انهم قالوا الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء الوجه الرابع
انه كلما مات منهم رجل كبير في اعتقادهم بحيث يعتقدون فيه انه مجاب الدعوة مقبول الشهادة
عند الله اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد ان ذلك يصير شفيعا لهم يوم القيمة
على ما حكى الله عنهم في هذه المقالة في قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقالوا ايضا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى الوجه الخامس لعل القوم اتخذوا هذه الاصنام محاريب لصلواتهم
وطاعتهم يسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما دامت هذه الحالة ظن الحمقى
من القوم انها هي المعبود الوجه السادس لعل القوم كانوا من المجسمة او من الحلولية اعتقدوا
جواز حلول الله في بعض هذه الاجسام فعبدوا هذه الاجسام على هذا التاويل فهذه هي
الوجوه التي يمكن حمل مذهب عبدة الاصنام عليها وبالله التوفيق واذا عرفت هاتين المقدمتين
فلنرجع الى تفسير هذه الآية اما قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر ففيه مسئلتان المسئلة الاولى

فان قولان الاول انه والد ابراهيم ولهم في ذلك دلائل **الحجة الاولى** ظاهر لفظ القرآن
في هذه الآية تدل على ذلك ثم ان ظاهر هذه الآية متأكد بآيات اخرى منها قوله في سورة مريم
اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر وقال ايضا وما كان استغفار ابراهيم لابيه الى قوله
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وكل هذه الآيات يدل على ان والد ابراهيم كان كافرا عابدا
للوثن **الحجة الثانية** ان العرب سمعوا هذه الآية وكانوا احرص الناس على تكذيب الرسول واعظم
الناس رغبة في براءة شجرة النسب عن كل عيب فلو كان آزر لم يكن والد ابراهيم لتسارعوا الى
تكذيبه ولاتخذوا ذلك غنيمة عظيمة في الطعن فيه **الحجة الثالثة** انه ذكر تعالى وتقدس في
قصة ابراهيم عليه السلام مع ابيه في آيات كثيرة ولم يذكر اسم العم في القرآن فيتعذر حمل لفظ الاب
في هذه الآية على العم **والقول الثاني** ان آزر لم يكن والد ابراهيم واحتجوا بوجوه الاولى ان آباء
الانبياء عليهم السلام ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد فبهذا التقدير الآية
دالة على ان جميع آباء محمد عليه السلام كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع بان والد ابراهيم ما كان
من الكافرين اقصى ما في الباب ان يحمل قوله وتقلبك في الساجدين على وجوه اخرى منها انه لما نسخ
فرض قيام الليل طاف الرسول عليه السلام تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه
على ما يظهر منهم من الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ما سمع من دندنتهم بذكر الله فقوله
وتقلبك في الساجدين طوفه عليه السلام على الساجدين في تلك الليلة ومنها المراد ويراك حين
تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين كونهم فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده
لانه كان اماما لهم ومنها انه لا يخفى على الله حالك كلما قمت وصليت مع الساجدين في الاشتغال بامور
الدين ومنها المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله اتموا الركوع والسجود فاني اراكم من وراء
خلفي فهذه هي الوجوه الاربعة وان كانت الآية محتملة لها الا ان الوجه الثاني ما ذكرناه والآية ايضا
محتملة له والروايات وردت بالكل ولا منافاة بين هذه الوجوه فوجب حمل الآية على الكل ومتى صح ذلك

ثبت



ثبت ان والد ابراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الاوثان ومما يدل على ان آباء محمد عليه السلام
ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات
وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده عليه السلام مشركا **الحجة الثانية** على ان
آزر لم يكن والد ابراهيم عليه السلام ان هذه الآية دالة على ان ابراهيم شافه آزر بالغلظة
لا يجوز وهذا يدل على ان آزر ما كان والد ابراهيم انما قلنا ان ابراهيم شافه آزر في هذه
الآية بالغلظة لوجهين الاول انه قرئ واذ قال ابراهيم لابيه آزر بضم آزر وهذا يكون محمولا
على النداء ومخاطبة الاب ونداءه بالاسم من اعظم انواع الجفاء والثاني انه قال لآزر
اني اراك وقومك في ضلال مبين وهذا من اعظم انواع الايذاء فثبت انه عليه السلام شافه
آزر بالغلظة وانما قلنا ان مشافهة الاب بالغلظة لا يجوز لوجوه الاول قوله تعالى وقضى
ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وهذا عام في حق الكافر والمسلم وقال تعالى ولا تقل
لهما اف ولا تنهرهما وهذا ايضا عام والثاني انه تعالى لما بعث موسى عليه السلام الى فرعون
امره بالرفق معه فقال فقولا له قولا لينا والسبب في ذلك ان يصير هذا رعاية لحق تربية فرعون
فههنا الولد اولى بالرفق مع الاب الثالث ان الدعوة مع الرفق اكثر تأثيرا في القلب واما التغليظ
فانه ينفر المستمع عن القبول ولهذا قال تعالى لمحمد عليه السلام وجادلهم بالتي هي احسن فكيف
يليق بابراهيم هذه الخشونة مع ابيه وقت الدعوة الرابع انه تعالى حكى عن ابراهيم الرفق الشديد
مع هذا المسمى بالاب وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ثم ان
ذلك الانسان اغلظ معه في القول وهو قوله لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ثم ان ابراهيم
ما ترك الرفق الشديد مع هذا المسمى بالاب بل قال سلام عليك سأستغفر لك ربي واذا كانت
عادة ابراهيم في الرفق والقول الحسن هذا فكيف يليق ان يظهر الخشونة والغلظة مع ابيه فثبت
بهذه الحجة ان آزر ما كان والد ابراهيم **الحجة الثالثة** على ان آزر ما كان والد ابراهيم انه جاء في كتب
التواريخ ان اسم ابيه تارخ واما آزر فهو عم ابراهيم عليه السلام ثم ان القائلين بهذا القول

اجابوا عن دليل اصحاب القول الاول فقالوا القرآن وان دل على تسمية آزر بالاب الا ان هذا لا
يدل على القطع بكونه والدا له وذلك لان لفظ الاب يطلق على العم قال تعالى حكاية عن اولاد يعقوب
عليه السلام نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق فسموا اسمعيل ابا ليعقوب مع
ان اسمعيل كان عما ليعقوب عليهما السلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي
ابي يعني العباس وايضا يحتمل ان آزر كان ابا لام ابراهيم وقد يقال له الاب قال ومن ذريته
داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم عليه السلام مع ان ابراهيم كان جده
من قبل الام ولهذا ظهر الجواب في الحجة الثانية وذلك لان تسمية العم بالاب مشهور في اللغة العربية
فلهذا السبب ما كذبوه في هذه الاية هذا تمام الكلام في تقرير هذا القول واعلم ان القول الاول
اولى وذلك لان ظاهر لفظ الاب يدل على الوالد اما التمسك بقوله وتقلبك في الساجدين فهو
محمول على سائر الوجوه وما يحمله على انه روحه كان يتقلب من ساجد الى ساجد محافظة على ظاهر
الاية التي تمسكنا بها وهو قوله لابيه آزر واما الحجة الثانية فجوابها انكم تمسكتم بعمومات دالة
على انه لا يجوز اظهار الخشونة مع الاب فنقول انا قلنا بما ذكرتم ثم سلمت تلك العمومات عن هذا
التخصيص الا انه وجب حمل لفظ الاب على المجاز ولانا اجرينا لفظ الاب على الحقيقة لزمنا القول بادخال
التخصيص في تلك العمومات كما بينا في اصول الفقه ان مهما وقع التعارض بين المجاز والتخصيص
فالتزام التخصيص اولى فكان الترجيح لجانبنا والله اعلم اذا عرفت هذه المسئلة فنقول الذين
قالوا ان آزر ما كان والد ابرهيم لهم قولان منهم من قال انه كان عم ابرهيم وقال سعيد بن المسيب
ومجاهد ان آزر اسم الصنم وعلى هذا الوجه في الاية قولان الاول ان ذلك الرجل انما سمي
بهذا الاسم لانه جعل نفسه مختصا بعبادته ومن بالغ في محبة احد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب
قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم والثاني ان يكون المراد عابد آزر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه المسئلة الثانية قرئ آزر بالنصب وهو عطف بيان لابيه وبالضم على النداء
وسألني بعضهم فقال قرئ آزر بها تين القرائتين واما قوله وقال موسى لاخيه هرون بالنصب

وما قرئ



وما قرئ بالضم فما الفرق فقلت قراءة بالضم محمولة على النداء والنداء بالاسم استخفاف
بالمنادي والاستخفاف بالمنادي لائق بقصة ابرهيم عليه السلام لانه كان كافرا مصرا على كفره
فحسن ان يخاطب بالغلظة زجرا له عن ذلك القبيح واما قصة موسى عليه السلام فقد كان موسى
يستخلف هرون على قومه فلما كان الاستخفاف لا يليق بهذا الموضع فلا جرم ما كانت القراءة
بالضم جائزة اما قوله اتتخذ اصناما آلهة فالمعنى ظاهر وفيها مسائل المسئلة الاولى
الناس اختلفوا في تفسير لفظ الاله والاصح انه هو المعبود وهذه الاية تدل على هذا القول لانه
ما اثبتوا للاصنام الا وصف المعبودية وبهذا السبب قال ابرهيم اتتخذ اصناما آلهة يدل هذا
على ان تفسير لفظ الالهية هو المعبود المسئلة الثانية هذه الاية تدل على ان وجوب معرفة الله
والاشتغال بشكره معلوم بالعقل وذلك لان ابرهيم عليه السلام حكم عليهم بالضلال ولولا
الوجوب العقلي والا لما صح ذلك وهذا الاستدلال ضعيف المسئلة الثالثة اشتمل كلام ابرهيم
في هذه الاية على الحجة العقلية على فساد مذهبهم من وجهين الاول ان قوله اتتخذ اصناما آلهة
يدل على انهم كانوا يقولون بكثرة الالهة الا ان القول بكثرة الالهة باطل على ما دل عليه قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والثاني انه لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد
كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل على انها وان كثرت فلا منفعة فيها البتة اما قوله تعالى اني اراك
وقومك في ضلال مبين فالمعنى ظاهر اما قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين ففيه مسائل المسئلة الاولى الكاف في كذلك للتشبيه وذلك اشارة
الى غائب جرى ذكره وههنا والذي جرى ههنا ذكره فما قيل هو انه عليه السلام استقبح عبادة الاصنام
بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ومثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام
نريه ملكوت السموات والارض وههنا دقيقة عقلية وهي ان نور جلال الله سبحانه ظاهر لا يغيب
منقطع ولا زائل البتة والارواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك الانوار الا لاجل حجاب
وذلك الحجاب ليس الا الاشتغال بغير الله سبحانه وتعالى واذا كان الامر كذلك فبقدر ما يزول هذا الحجاب يحصل ذلك التجلي

فقول ابراهيم اتتخذ اصناما الهة اشارة الى الاشتغال بغير الله فان كل ما سوى الله وهو
صنم انه عليه السلام استقبح ذلك بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فلما ازال الحجاب
بالكلية لا جرم تجلى له ملكوت الله تعالى بالتمام فقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض معناه بقدر زوال تلك الظلمات حصلت له هذه الانوار فظاهر ان قوله
وكذلك منشأ لهذه الفائدة الشريفة الروحانية فان قيل هذه الاراءة قد حصلت في
الزمان فيما تقدم وكان الاولى ان يقال وكذلك ارينا ابراهيم ملكوت السموات والارض فلم
عدل عن هذه اللفظة الى قوله وكذلك نري قلنا الجواب عنه من وجوه الاول ان يكون
تقدير الاية وكذلك كنا نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فيكون هذا على سبيل
الحكاية عن الماضي والمعنى انه لما حكى الله عنه انه شافه اباه بالكلام الحق تعصبا للدين
الحق فكانه قيل فكيف بلغ ابراهيم هذا المبلغ العظيم في قوة الدين فاجاب بانا كنا نريه
ملكوت السموات والارض من وقت الطفولية لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه الوجه
الثاني في الجواب هو اعلى واشرف مما تقدم وهو ان نقول انه ليس المقصود من اراءة الله ابراهيم
ملكوت السموات والارض هو مجرد ان يرى ابراهيم هذا الملكوت بل المقصود ان يراها فيتوصل بها
الى معرفة جلال الله وقدسه وعلوه وعظمته ومعلوم ان مخلوقات الله تعالى وان كانت متناهية
في الذوات وفي الصفات الا انها في جهات دلالتها على الذات والصفات غير متناهية فان اهل
الاصول قالوا الجوهر الفرد يدل على قدرة الله وحكمته من جهات دلالتها على الذات والصفات غير
متناهية وذلك لان ذلك الجوهر الفرد يمكن وقوعه في كل واحد من الاحياز التي لا نهاية لها بدلا
عن الاخر ويمكن اتصافه بكل واحد من الصفات التي لا نهاية لها بدلا عن الاخر ثم كل واحد من هذه
الاحوال التقديرية على كمال قدرة الله وقدرته لان كلها احوال جائزة محتاج الى المرجح
واذا كان الجوهر الجزء الذي لا يتجزى كذلك فكيف القول في كل ملكوت الله تعالى فثبت ان دلالة
ملكوت الله على نعوت جلاله وكمال عظمته وعزته غير متناهية وحصول العلم التي لا نهاية لها دفعة واحدة

قال اهل الاصول الجوهر الفرد يدل على قدرة الله وحكمته

على التفصيل



على التفصيل في العقل البشري محال فاذن لا طريق الى تحصيل تلك المعارف الا بان
يحصل بعضها عقيب البعض لا الى نهاية ولا الى اخر وهذا يتعلق بالمستقبل لا بالماضي فلهذا
السبب لم يقل وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض بل قال وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر الى الله اما السفر في الله فانه
لا نهاية له المسئلة الثانية الملكوت هو الملك والتاء كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة
واعلم ان في هذه الاراءة قولان الاول ان الله تعالى اراه الملكوت بالعين قالوا ان الله تعالى
شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي وحيث ينتهي اليه فوقية العالم وشق له الارض
الى حيث ينتهي تحتية العالم فرأى ما في السموات من العجائب والبدائع ورأى ما في باطن الارض من العجائب
والقول الثاني ان هذه الاراءة كانت بمعنى البصيرة والعقل لا بعين البصر واحتج القائلون
على صحة هذا القول بوجوه الحجة الاولى ان ملكوت السموات عبارة عن ملك السموات والملك عبارة
عن القدرة وقدرة الله لا ترى وانما تعرف بالعقل وهذا لازم الا ان يقال المراد بملكوت
السموات والارض الا انه يصير على هذا التقدير لفظ الملكوت عديم الفائدة وانه لا يجوز الحجة الثانية
انه تعالى ذكر هذه الاراءة في اول الاية على سبيل الاجمال وهو قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض ثم فسرها بعد ذلك بقوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا فجرى هذا الاستدلال
كالشرح والتفسير لتلك الاراءة فوجب القول بان تلك الاراءة كانت عبارة عن هذا الاستدلال
الحجة الثالثة انه تعالى قال في اخر الاية وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والرؤية بالعين
لا تصير حجة على قومه لانهم كانوا غائبين عنها وكانوا يكذبون ابراهيم فيها بل وما كان يجل
لهم التصديق في تلك الدعوى بلا معجزة على صدق دعواه وانما كانت الحجة عليهم الاستدلال بالنجوم
من الطريق الذي نطق به القران فان تلك الدلالة ثابتة في حقهم كما كانت ثابتة في حقه الحجة
الرابعة ان اراءة جميع العالم دفعة واحدة تفيد العلم الضروري بان للعالم الها قادرا على
كل الممكنات ومثل هذه الحالة لا يصلح للانسان عندها استحقاق المدح والتعظيم الا ترى ان الكفار

الملكوت هو الملك

في هذه الاراءة قولان

في الآخرة يعرفون الله تعالى بالضرورة وليس لهم في تلك المعرفة مدح ولا ثواب وأمّا
الاستدلال بالمخلوقات على الصانع القادر الحكيم فذلك هو الذي يفيد المدح والتعظيم
الحجة الخامسة أنه تعالى كما قال في حق ابراهيم وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
فكذا قال في حق هذه الامة سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وكما كانت هذه الاراءة
بالقلب لا بالبصر لان الاراءة بالبصر كانت حاصلة للكفار فكذا في حق ابراهيم يجب أن يكون
كذلك الحجة السادسة انه عليه السلام لما تمم الاستدلال في النجم والقمر والشمس قال بعده اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فحكم على السموات والارضين بكونها مخلوقة لاجل
الدليل الذي ذكره في النجم والقمر والشمس وكذلك الدليل لو لم يكن عاماً في حق السموات
والارضين لكان الحكم العام بناء على الدليل الخاص خطأ فثبت ان ذلك الدليل كان عاماً و
كان ذلك النجم والقمر والشمس كالمثال الاراءة الملكوت فوجب أن يكون المراد من اراءة الملكوت
تعريف كيفية دلالة تغيرها على حدوثها وعلى الافتقار الى المدبر المؤثر فيكون هذه الاراءة
بالقلب لا بالعين الحجة السابعة ان اليقين عبارة عن العلم المستفاد بالتأمل اذا كان مسبوقاً
بالشك وقوله تعالى وليكون من الموقنين كالعلة لتلك الاراءة فيصير تقدير الآية نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض لاجل أن يصير من الموقنين فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من النظر
في الدليل وجب أن يكون تلك الاراءة عبارة عن الاستدلال الحجة الثامنة ان جميع المخلوقات الله
سبحانه دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهو انها محدثة ممكنة وكل ممكن
فهو محتاج الى الصانع واذا عرف الانسان هذا الوجه الواحد فقد كفاه ذلك في الاستدلال على
الصانع وكانه بمعرفة هاتين المقدمتين فقد طالع جميع المكونات بعين عقله وسمع شهادتها
بالاحتياج والافتقار بسمع عقله وهذه الرؤية رؤية باقية غير زائلة البتة ثم انها غير شاغلة
عن الله بل شاغلة للقلب والروح بالله أما رؤية العين فالانسان لا يمكنه أن يرى بالعين اشياء كثيرة
دفعة واحدة على سبيل الكمال الا ترى أن من نظر الى صفحة مكتوبة فانه لا يرى من تلك الصفحة رؤية





كاملة الا حرفاً واحداً فان حدق نظره في حرف آخر وشغل بصره به صار محروماً عن ادراك الحرف
الواحد عن ابصاره فثبت ان رؤية الاشياء الكثيرة دفعة واحدة غير ممكنة وبتقدير ان يمكن
ذلك الا ان هذه الرؤية غير باقية وبتقدير ان يكون باقية لكنها شاغلة عن الله سبحانه الا ترى ان
الله تعالى مدح محمداً صلى الله عليه وسلم في تركها فقال ما زاغ البصر وما طغى فثبت ان هذه الدلائل
على أن حمل هذه الاراءة على رؤية القلب أولى فان قيل رؤية القلب بهذا التفسير حاصلة لجميع الموحدين
والمستدلين يشتركون في معرفة حدوث العالم والاستدلال به على الصانع فأما الاستغراق في هذا
الاستدلال والتأمل في كل واحد من الممكنات والمحدثات في عالم الاجسام والارواح وذرة الارضين
والسموات ثم ترقي هذه الحالة من كل حين وآن ولحظة وزمان على ما هو المراد من قوله تعالى نري
ابراهيم بدلالة قوله ارينا ابراهيم فهذه الحالة لا تحصل الا لعظام الانبياء صلوات الله عليهم
وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام المسئلة الثالثة اختلفوا في الواو في قوله وليكون
من الموقنين وذكروا وجوهاً الاول الواو زائدة والتقدير نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض ليكون من الموقنين الثاني التقدير نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل بها
وليكون من الموقنين الثالث أن يكون هذا كلاماً مستأنفاً لبيان علة الاراءة والتقدير وليكون
من الموقنين نريه ذلك الرابع ان الاراءة قد تحصل ويصير سبباً لمزيد الضلال كما في حق فرعون
قال تعالى ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وأبى وقد يصير سبباً لمزيد الهداية واليقين فلما احتمل
هذين الاحتمالين قال في حق ابراهيم عليه السلام انا اريناه هذه الآيات ليراها فيكون من الموقنين
لا من الجاحدين المسئلة الرابعة اليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التأمل
ولهذا المعنى لا يوصف علم الله تعالى باليقين لان علمه غير مسبوق بالشبهة وغير مستفاد من التفكر
واعلم ان الانسان في اول ما يستدل فانه لا ينفك عن شبهة وشك من بعض الوجوه فاذا كثرت
الدلائل وتوافقت صارت سبباً لحصول اليقين وذلك لوجوه الاول انه يحصل لكل واحد من تلك
الدلائل نوع تأثير وتقوية فلا يزال القوة تتزايد حتى ينتهي الى الجزم الثاني ان كثرة الافعال

سبب لحصول الملكات وكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جار مجرى
تكرار الدرس الواحد وكما ان كثرة التكرير تفيد الحفظ المتأكد الذي لا يزول عن القلب فكذا
ههنا الثالث ان القلب عند الاستدلال الاول كان مظلما جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد
بالدليل الاول امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة القلب فحصل فيه حالة شبيهة بالحالة الممتزجة
من النور والظلمة واذا حصل الاستدلال الثاني امتزج نوره بالحالة الاولى فيصير اشرق واتم وكما
ان الشمس اذا قربت من المشرق ظهر نورها في اول الامر وهو الصبح فكذلك الاستدلال الاول يكون
كالصبح الاول وكما ان نور الشمس لا يزال يتزايد بسبب تزايد قربها من سمت الرأس فاذا وصلت
الى قرب سمت الرأس حصل نوره التام فكذا العبد كلما كان تدبره في مراتب مخلوقات الله تعالى
اكثر كان شروق نور المعرفة والتوحيد اجلى الا ان الفرق بين شمس المعرفة وبين شمس العالم ان
لارتقاء شمس العالم وتصاعدها حدا معينا ومطلعا معينا اما شمس المعرفة والتوحيد فلا
نهاية لتصاعدها ولا غاية لتزايدها فقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اشارة
الى مراتب الدلائل والبينات وقوله تعالى وليكون من الموقنين اشارة الى درجات انوار التجلي وشروق
شمس المعرفة والتوحيد اما قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا فاعلم ان الفاء في قوله تعالى فلما
جن عطف على قوله تعالى واذ قال ابراهيم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان
كان قد رأى رؤيا عبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر ذلك الملك بذبح
كل غلام يولد فحبلت ام ابراهيم به وما اظهرت حبلها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت به
الى كهف في جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرائيل عليه السلام ووضع اصبعه
في فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبرائيل وكانت الام تأتيه احيانا وترضعه
وبقي على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له ربا فسأل الام فقال من ربي فقالت انا فقال
ومن ربك فقالت ابوك فقال للاب من ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم جهلهما بربه فنظر
من باب ذلك ليرى شيئا يستدل به على الرب فرأى النجم الذي كان اضوأ النجوم في السماء فقال

هذا



هذا ربي الى آخر القصة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال ان هذا كان بعد البلوغ وجريان
القلم عليه ومنهم من قال ان هذا كان قبل البلوغ واتفق اكثر المحققين على فساد القول الاول واحتجوا
عليه بوجوه الحجة الاولى ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر غير جائز على الانبياء بالاجماع
الحجة الثانية ان ابراهيم عليه السلام قد عرف قبل هذه الواقعة ربه بالدليل والدليل على ذلك
انه تعالى اخبر عنه انه قبل هذه الواقعة قال لابيه آزر اني اراك وقومك في ضلال مبين الحجة الثالثة
انه تعالى حكى عنه انه دعا اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالرفق حين قال يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وحكى في هذا الموضع انه دعا اباه الى التوحيد وترك
الاصنام بالكلام الخشن واللفظ الموحش ومن المعلوم ان من دعا غيره الى الله فانه يقدم الرفق على
العنف واللين على الغلظة ولا يخوض في العنف والتغليظ الا بعد المدة المديدة والناس الشديد
فدل هذا على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان دعا اباه الى التوحيد مرارا واطوارا ولا شك
انه انما اشتغل بدعوة ابيه بعد فراغه من مهم نفسه فثبت ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان عرف
الله بجلاله مدة الحجة الرابعة ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض
حتى رأى فوق العرش والكرسي وما تحتها الى تحت الثرى ومن كان منصبه ومنقبته في الدين كذلك
وعناية الله تعالى الى هذا الحد كيف يليق به ان يقول بربوبية الكوكب الحجة الخامسة ان دلائل
الحدوث ظاهرة في الافلاك والكواكب من خمسة عشر وجها شرحناها في باب كيفية دلالة خلق
السموات على الصانع القديم ومع هذه الوجوه الظاهرة كيف يليق باعقل العقلاء واعلم العلماء
الحجة السادسة انه قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقوله لاكونن عبارة عن المستقبل
وهذا يقتضي انه غير حاصل في الحال وجاهل بالله لا شك انه ضال الحجة السابعة انه تعالى قال في
وصف ابراهيم عليه السلام اذ جاء ربه بقلب سليم الحجة الثامنة انه تعالى مدحه فقال ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اي آتيناه رشده وصغره وظاهره وكنا به عالمين ونظيره
الله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته الآية الحجة التاسعة قال وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض

ولیکون من الموقنین ای لیکون بسبب تلك الاراءة من الموقنین ثم قال تعالی فلما جن علیه
اللیل رأی کوکبا والفاء یقتضی التراخی فدلت الفاء فی قوله تعالی فلما جن علیه اللیل دلت علی ان
هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابرهیم علیه السلام من الموقنین العارفین بربه **الحجة العاشرة**
ان هذه الواقعة انما حصلت بسبب مناظرة ابراهیم علیه السلام مع قومه والدلیل علیه انه
تعالی لما ذکر هذه القصة قال وتلك حجتنا اتیناها ابراهیم علی قومه ولم یقل علی نفسه فعلم ان
هذه المباحثة انما جرت مع قومه لاجل ان یرشدهم الی الایمان والتوحید لا لاجل ان ابرهیم کان
یطلب الدین والمعرفة لنفسه **الحجة الحادی عشرة** ان القوم یقولون ان ابراهیم علیه السلام انما اشتغل
بالنظر فی الکواکب والقمر والشمس حال ما کان فی الغار وهذا باطل لانه لو کان الامر کذلك
فکیف یقول یا قوم انی بریء مما تشرکون مع انه ما کان فی الغار لا قوم ولا صنم **الحجة الثانیة عشرة**
قال تعالی وحاجه قومه قال اتحاجونی فی الله وقد هدان وکیف یحاجونه وهم بعد ما رأوه
وهو ما رأهم وهذا یدل علی انه علیه السلام انما اشتغل بالنظر فی النجم والقمر والشمس بعد
ان خالط قومه ورأهم یعبدون الاصنام ودعوه الی عبادتها فذکر قوله لا احب الافلین
ردا علیهم وتنبیها لهم علی فساد قولهم **الحجة الثالثة عشرة** انه تعالی حکی عنه انه قال للقوم وکیف
اخاف ما اشرکتم ولا تخافون انکم اشرکتم بالله وهذا یدل علی ان القوم کانوا خوفوه بالاصنام
کما حکی عن قوم هود انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ومعلوم ان هذا
الکلام لا یلیق بالغار بل بمخالطة القوم **الحجة الرابعة عشرة** ان تلك اللیلة کانت مسبوقة بالنهار
ولا شك ان الشمس کانت طالعة ثم غربت فکان ینبغی ان یستدل بغروبها علی انها لا تصلح للالهیة
واذا بطلت صلاحیة الشمس للالهیة بطل ذلك فی القمر والنجم بطریق الاولی هذا اذا قلنا ان هذه
الواقعة کان المقصود منها تحصیل المعرفة لنفسه اما اذا قلنا المقصود منها الزام القوم والحامهم
فهذا السؤال غیر وارد لانه انما اتفق مکالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة
الی ان طلع القمر وطلع الشمس وعلی هذا التقدیر فالسؤال غیر وارد فثبت بهذه الدلائل الظاهرة





انه لا یجوز ان یقال ان ابراهیم قال علی سبیل الجزم هذا ربی واذا بطل هذا بقی ههنا احتمالان الاول
ان یقال هذا کلام ابراهیم علیه السلام ولکن لیس الغرض منه اثبات ربوبیة الکواکب بل الغرض منه
احد امور الاول ان ابرهیم علیه السلام لم یقل هذا ربی علی سبیل الاخبار بل الغرض منه انه یناظر عبدة
الکواکب وکان مذهبهم ان الکواکب ربهم والهتهم فذکر ابرهیم هذا القول الذی قالوه بلفظهم
وعبارتهم حتی یرجع الیه فیبطله کما ان الواحد منا اذا ناظر من یقول هو بقدم الجسم فیقول الجسم قدیم
فاذا کان کذلك فلم یره ولم نشاهده مرکبا متغیرا فهو انما قال الجسم قدیم اعادة لکلام الخصم حتی
یلزم علیه المحال فکذا ههنا قال هذا ربی حکایة لکلامهم ثم عقبه بما یدل علی فساده وهو قوله
لا احب الافلین وهذا الوجه هو المعتمد فی الجواب والدلیل علیه انه تعالی مدحه فی اخر هذه الایة علی
هذه المناظرة بقوله وتلك حجتنا اتیناها ابرهیم علی قومه **الوجه الثانی** ان قوله هذا ربی معناه ان
هذا ربی فی زعمکم واعتقادکم ونظیره ان یقول احد للمجسم علی سبیل الاستهزاء ان الهه جسم محدود
ای فی زعمه واعتقاده قال تعالی وانظر الی الهك الذی ظلت علیه عاکفا وقال تعالی ویوم ینادیهم
فیقول این شرکائی الذین کنتم تزعمون وکان علیه السلام یقول یا اله الالهة تأویله انه اله الالهة
فی زعمهم **الوجه الثالث** المراد منه الاستفهام علی سبیل الانکار الا انه اسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة
قرائن الحال علیه **الوجه الرابع** فی الایة اختصار والتقدیر یقولون هذا ربی ونظیره قوله تعالی واذ
یرفع ابراهیم القواعد من البیت واسمعیل ربنا التقدیر یقولون ربنا **الوجه الخامس** ان یکون ذلك علی
سبیل الاستهزاء کما یقال للذلیل ساد قومه هذا سیدکم علی سبیل الاستهزاء **الوجه السادس** انه علیه السلام
اراد ان یبطل قولهم بربوبیة الکواکب الا انه علیه السلام کان قد عرف من تقلیدهم لاسلافهم ونفور
طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة الی الله لم یقبلوه ولم یلتفتوا الیه فمال الی طریق لا یستدرجهم
الی استماع الحجة بواسطة الفلك صادرا فی الحقیقة عن الله بخلاف الواحد منا فانه لا تأثیر له
فی الفلك فلم یکن الاحیاء والاماتة الصادر بواسطة الفلك صادرین عن البشر فان قیل هذا
السؤال والجواب اللذین ذکرتم کیف یفهم من الایة باظهار ضرب من المساعدة لهم فی الظاهر مع طمانینة

بالايمان حتى يتمكن بعد ذلك من ابطال ما ذكروه وانما استحل ذكر هذه الكلمة لانه لم يكن طريق
الى الدعوة غيره فكان ذلك بمنزلة المكره على كلمة الكفر على اللسان قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان فاذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد فبان يجوز اظهار كلمة الكفر لتخليص عالم
من الناس عن الكفر والعبودية الابدية كان اولى وايضا المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى
قتل استحق الاجر العظيم ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة انهزم
عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم
ولو ترك الصلوة وقاتل استحق الاجر بل نقول ان من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على
الغرق والحرق وجب عليه قطع الصلوة لانقاذ ذلك الطفل او ذلك الاعمى عن ذلك البلى فكذا
ههنا ان ابراهيم عليه السلام تكلم بهذه الكلمة ليظهر من نفسه موافقة القوم حتى اذا اورد عليهم
الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم لذلك الدليل اتم وانتفاعهم باستماعه اكمل ومما يؤكد هذا الوجه
انه تعالى حكى عنه مثل هذا الطريق في موضع آخر فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا
عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على معرفة الحوادث المستقبلة فوافقهم
على تمسك ابراهيم على هذه القاعدة في الظاهر مع انه كان بريئا في الباطن ومقصوده ان
يتوسل به الى كسر الاصنام فاذا جازت الموافقة في الظاهر اهل التمسك بعلم النجوم لغرض كسر
الاصنام فلم لا يجوز اظهار كلمة الكفر باللسان لغرض ابطاله بالدليل القاطع وايضا المتكلمون
قالوا لا يقبح من الله اظهار خوارق العادات على يد من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله
مكذب لدعواه فلا يحصل التلبيس بسبب ظهور تلك الخوارق على يده لكن لا يجوز اظهارها
على يد من يدعي النبوة لانه يفضي الى التلبيس فكذا ههنا قوله هذا ربي كلام لا يفضي الى الاضلال لان
دلائل فساده جلية في اظهار هذه الكلمة منفعة عظيمة السابع والجواب ان القوم ما دعوه الى
عبادة النجوم وكانوا في تلك المناظرة اذا طلع النجم الدري قال عليه السلام هذا ربي اي هذا هو الرب
الذي تدعونني اليه ثم سكت زمانا حتى افل قال لا احب الآفلين اما الاحتمال الثاني وهو ان يقال





ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر قبل البلوغ فتقديره ان الله تعالى قد خص ابراهيم بالعقل الكامل
والقريحة الوقادة فخطر بباله قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربي
فلما شاهد كلية حركته قال لا يجوز ان يكون ربا وكذا القمر والشمس ثم بلغه الله تعالى في اثناء
هذا الفكر والاستدلال حد التكليف فقال في الحال اني بريء مما تشركون فهذا الاحتمال لا بأس به
وان كان الاحتمال الاول اولى بالقبول لما ذكرنا من الدلائل الكثيرة على ان هذه المناظرة انما جرت
لابراهيم وقت اشتغاله بدعوة القوم الى التوحيد اما قوله تعالى حكاية عن ابراهيم لا احب
الآفلين ففيه سؤالات الاول كيف يدل الافول على انه لا يصلح للربوبية اقصى ما في الباب ان
يقال الافول عبارة عن الحركة وكل ما يصح عليه الحركة فانه لا بد وان يكون اما متحركا واما
ساكنا فهو محدث الا انا نقول لكونه محدثا لا يمنع من كونه ربا لابراهيم وذلك لان القوم ما
كانوا ينكرون وجود الله بل كانوا يقولون انه تعالى خلق الشمس والقمر والنجوم ثم انه تعالى
فوض تدبير هذا العالم اليها فالبشر عبيد لهذه الكواكب ومخلوقة لها والكواكب مخلوقة
ومحدثة للاله الاكبر فاذا كان كذلك يلزم من افول الكواكب صحة قوله لا احب الآفلين اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ولا ايضا صحة قوله وما انا من المشركين الجواب من وجوه الاول
افول هذه الاجسام يدل على حدوثها يدل على انها مخلوقة لموجود قديم ازلي قادر ويجب ان يكون
قادرية ذلك القادر ازلية والا لافتقر حدوث قادريته الى قادر آخر ولزم التسلسل فاذا كانت
قادريته ازلية وجب ان تكون متعلقة بجميع الممكنات واذا كان كذلك امتنع وقوع شيء من الممكنات
الا بقدرته اذ لو وقع شيء من الممكنات لا بقدرته بل بقدرة غيره لكان ذلك الغير سببا لتعجيزه
عن ايجاده الشيء الذي كان مقدورا له وذلك محال لانه اقدر من غيره والاضعف لا يمكنه تعجيز
الاقدر واذا ثبت ان حدوث الاجسام يدل بهذه الوسايط على ان جميع المحدثات يوجد بقدرته
واذا كان كذلك كان المحدث والموجد للناس والحيوان والنبات والمعادن هو الاله القديم القادر
المختار جل جلاله فحينئذ يكون الكواكب معزولة عن ربوبية البشر وثبت بذلك ان افول الكواكب

يدل دلالة قطعية على صحة قوله لا احب الافلين وعلى صحة قوله اني برئ مما تشركون
اني وجهت وجهي الى اخر الاية واعلم ان هذا الوجه لا يتمشى الا على مذهب اهل السنة و
الجماعة في مسئلة خلق الاعمال **الوجه الثاني** في الجواب ان افول الكواكب يدل على حدوثها وحدوثها
يدل على افتقارها في وجودها الى القادر المختار ومن كان قادرا على خلق هذه الكواكب والبشر
بدون شيء من الوسايط اولى واليه الاشارة بقوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وبقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فثبت
بهذا الطريق كونه قادرا على خلق وكونه قادرا على تدبير هذا العالم السفلي بدون واسطة
الاجرام الفلكية اما كون الافلاك والانجم قادرة على الخلق والايجاد عالمة بمصالح اهل هذا
العالم ومفاسدها فذلك غير معلوم لان كل شيء يسنده المنجم الى الكوكب والفلك فالعقل
لا يستبعد اسناده الى اله الفلك واذا كان كذلك فحكم العقل طرح المجهول والاخذ بالمعلوم
فليسند تدبير هذا العالم السفلي الى اله الافلاك والانجم فلهذا السبب قال ابراهيم عليه السلام
اني برئ مما تشركون **الوجه الثالث** ان الافول كما دل على حدوث الافلاك والانجم دل حدوثها
على افتقارها الى الاله القديم القدير الخبير الذي يكون علمه في غاية الكمال وحكمته في غاية الجلال
واذا كان كذلك كان الاشتغال بخدمته وطاعته اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك والانجم
لانا بتقدير ان يكون مدبر هذا العالم السفلي هو الاله الاكبر فان الاشتغال بطاعة الاله الاعظم
اعراض عن الضعيف وتمسكا بالقوي الاقوى وهذا حسن في العقول اما لو كان مدبر هذا العالم
هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعة الافلاك والانجم اعراضا عن القوي وتمسكا بالضعيف
وهذا قبيح في العقول فعلمنا ان على جميع التقديرات صح قول ابراهيم عليه السلام لا احب
الافلين وصح ايضا قوله اني برئ مما تشركون **السؤال الثاني** الافول انما يدل على الحدوث
من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير فيكون الطلوع ايضا دليلا على الحدوث فلم ترك ابراهيم
عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في ذلك على الافول والجواب لا شك ان الطلوع

والغروب



والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث الا ان الدليل الذي يتمسك به الانبياء في معرض
الدعوة لا بد وان يكون ظاهرا جليا بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل والابله
دلالة الحركة على الحدوث وان كانت دلالة يقينية الا انها دقيقة لا يعرفها الا الاذكياء من
الخلق اما دلالة الافول فانها دلالة الافول على هذا المقصود اتم وايضا قال بعض المحققين
الهوي في حظيرة الافكار افول واحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص وحصة الاوساط
وحصة العوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان وكل ممكن محتاج والمحتاج لا يكون مقطعا
للحاجة فلا بد من الانتهاء الى ما يكون منزها عن الامكان حتى ينقطع الحاجات بسبب وجوده على ما قال
وان الى ربك المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول الحركة وكل متحرك محدث وكل محدث
فهو محتاج الى القديم القادر فلا يكون الافل الها بل الاله هو الذي احتاج اليه ذلك الافل
واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول والغروب
فانه يزول نوره ويبطل ضوؤه وسلطانه ويكون كالمعزول ومن كان كذلك لم يصلح للالهية فهذه
الكلمة الواحدة اعني قوله لا احب الافلين كلمة مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب
الشمال وكانت اكمل الدلائل وافضل البراهين **السؤال الثالث** لا شك ان تلك الليلة كانت
مسبوقة وكانت الشمس افلت في ذلك النهار السابق بعد ان كانت طالعة فاذا كان الافول
دليلا على انه لا يصلح للالهية فلم يتمسك ابراهيم ثم اذ اخرجت الشمس عن صلاحية الالهية
مع كبرها وجلاء ضوءها فبان يخرج النجم والقمر عن صلاحية الالهية كان اولى لا يقال
انه عليه السلام انما تربى في ذلك الكهف وهو اول ما نظر في ذلك الكهف الى الخارج كان
ليلا فراى الكوكب في تلك الساعة ثم بعده راى القمر ثم بعده راى الشمس لانا نقول انه
من البعيد ان يتربى الشخص العاقل في غار من اول طفوليته الى زمان بلوغه حد كمال العقل والتكليف
مع انه ما نظر من ذلك الغار الى خارج ذلك الغار في تلك المدة الطويلة وما كان يعرف بين النهار
وبين الليل وما كان نور الشمس يدخل في ذلك الغار من التراب هذا محال في العرف والجواب ان هذا

الاشكال لازم على من يقول انه عليه السلام انما شرع في هذه الواقعة لطلب معرفة الله لنفسه
اما على من يقول انه عليه السلام انما استدل بهذه الوجوه حال اشتغاله بالدعوة الى التوحيد
ومنع القوم عن عبادة الكواكب فالسؤال زائل لانه من المحتمل انه اتفق انه كان هو عليه السلام
جالسا مع اولئك الاقوام ليلة من الليالي ثم انه زجرهم عن عبادة الكواكب وبين لهم ان ذلك
ضلال وجهل فبيناهم في ذلك الكلام اذ وقع بصرهم على كوكب مضيء فوقعوا في تلك المناظرة
ثم لما افل ذلك الكوكب طلع الشمس فاعاد عليهم ذلك الكلام وبقوا فيه الى ان طلعت الشمس
فاعاد ابراهيم عليه السلام ذلك الكلام فهذا جملة ما يتعلق بتقرير دلائل ابراهيم عليه السلام
اما قوله فلما رأى القمر بازغا الى قوله انى برئ مما تشركون فلا اشكال فيه البتة الا في موضع واحد
وهو ان لقائل ان يقول الآية مشعرة بان في الليلة الواحدة طلع الكوكب ثم افل وبعده طلع القمر
ثم افل وهذا غير ممكن في الليلة الواحدة والجواب فيه قولان احدهما ان الكوكب كان في الربع
الغربي من الفلك فافل ثم بعد طلوع الفجر ووصف الى نصف السماء وانحدر الى الربع الغربي
فسمى توجهه الى الافول وهذه الاحوال يمكن حصولها في الليلة الواحدة والثاني طلوع الكوكب
وافوله كان في ليلة اخرى وطلوع القمر وافوله كان في ليلة اخرى واعلم ان القوم كانوا على
مذهب المفوضة ومعنى هذا المذهب انهم كانوا يقولون البشر عبيد الكواكب والكواكب
عبيد الله تعالى والدليل عليه ان ابراهيم عليه السلام قال يا قوم اني برئ مما تشركون وكونهم
مشركين يدل على انهم كانوا مقرين باثبات الاله وانما كانوا مشركين لانهم اثبتوا للشمس والقمر
والنجوم نصيبا من المعبودية وتدبير العالم فلما ابطل ابراهيم عليه السلام هذا المذهب تبرأ منه
ثم اقبل على التوحيد المحض فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا فكان قوله
اني برئ مما تشركون عبارة عن كلمة لا اله وقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض عبارة عن
كلمة الا الله فصار معنى كلمة لا اله الا الله مكشوفا في هذا المقام وهذا آخر الكلام في هذه الآية
الفصل الثاني في شرح مناظرة ابراهيم عليه السلام مع ملك زمانه وهي قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه

اما قوله



اما قوله تعالى الم تر فهي كلمة توقف بها المخاطب على امر تعجب منه ولفظها لفظ الاستفهام ونظيره قولهم
اما ترى الى فلان كيف يصنع معناه هل رأيت كفلان في صنعه كذا اما قوله الى الذي حاج ابراهيم
في ربه فقال مجاهد وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة
فقال حاججته فحججته اي غالبته فغلبته والضمير في قوله في ربه يحتمل ان يرجع الى ابراهيم ويحتمل ان
يرجع الى الطاغي والاول هو الاظهر بدليل قوله تعالى وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله والمعنى
وحاجه قومه في ربه اما قوله ان آتاه الله الملك ففيه قولان احدهما ان الهاء في آتاه عائدة
الى ابراهيم والمعنى ان الله آتى ابراهيم الملك واحتجوا على هذا القول بوجوه الحجة الاولى
قوله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما اي سلطانا بالنبوة و
القيام بدين الله عز وجل الحجة الثانية انه لا يجوز ان يؤتي الله الملك الكفار ومن يدعي
الربوبية لنفسه الحجة الثالثة ان عود الضمير الى اقرب المذكورين واجب وابراهيم اقرب المذكورين
الى هذا الضمير فوجب ان يكون هذا الضمير عائدا اليه القول الثاني وهو قول جمهور المفسرين
ان الضمير عائد الى ذلك الانسان الذي حاج ابراهيم واحتجوا عليه بوجوه الاول ان قوله آتاه
الله يحتمل ثلث تأويلات وكل واحد منها انما يصح اذا قلنا الضمير عائد الى الملك لا ابراهيم واحد
تلك التأويلات ان يكون المعنى حاج ابراهيم في ربه لاجل ان آتاه الله الملك على معنى ان
ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك ومعلوم ان هذا مما يليق بالملك
العاتي التأويل الثاني ان يكون المعنى انه جعل محاجته في ربه شكرا على ان آتاه ربه الملك
كما يقال عاداني فلان لاني احسنت اليه يريد انه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونظيره
قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وهذا التأويل ايضا لا يليق الا بالكافر والتأويل الثالث
انه حاج وقت ان آتاه الله الملك وهذا غير لائق بالنبي المعصوم فانه يجب عليه اظهار المحاجة
قبل حصول الملك وبعده اما الملك الكافر فانه لا يليق به اظهار هذا العتو لشدته الا ان
يحصل له الملك العظيم فثبت انه لا يستقيم لقوله ان آتاه الله الملك معنى تأويل الا اذا حملناه

على الملك العاتي الحجة التاسعة ان المقصود من هذه الآية بيان كمال ابراهيم عليه السلام في
اظهار الدعوة الى دين الحق ومتى كان الكافر سلطانا مهيبا حال ما كان ابراهيم عن ملك كان هذا
المعنى اتم فاما اذا كان ابراهيم ملكا وما كان الكافر كذلك فوجب المصير الى ما ذكرناه الحجة العاشرة
ما ذكره ابو بكر الاصم وهو ان ابراهيم عليه السلام لو كان ملكا لما قدر هذا الكافر على ان يقتل
احد الرجلين ويستبقي الآخر بل كان ابراهيم عليه السلام يمنعه من اشد المنع وهذا الاستدلال ضعيف
لانه من المحتمل ان يقال ابراهيم كان ملكا وسلطانا في الدين ومتمكنا من اظهار المعجزات وذلك
الكافر كان قادرا على الظلم فلهذا السبب امكنه قتل احد الرجلين وايضا فيجوز ان يقال انما قتل
احد الرجلين قودا وكان الاختيار اليه واستبقى الآخر اما انه لا قتل عليه او بدل الدية واستبقاه
وايضا فقوله انا احيي واميت خبر ووعد ولا دليل في القرآن على انه فعله ثم القائلون
بهذا القول اجابوا عن دلائل القائلين بالقول الاول اما الحجة الاولى وهي التمسك
بقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فجوابه ان هذه الآية
دالة على حصول الملك لآل ابراهيم وليس فيها دلالة على حصول الملك لابراهيم عليه السلام واما
الحجة الثانية وهو قولهم لا يليق بحكمة الله ان يؤتي الكفار الملك فجوابه ان المراد من الملك التمكين
والقدرة والبسط في الدنيا والخبر دل على انه تعالى قد يعطي الكافر هذا المعنى وايضا فلم
لا يجوز ان يقال انه تعالى اعطاه الملك حال ما كان مؤمنا ثم انه بعد ذلك كفر بالله تعالى واما
الحجة الثالثة وهي قولهم عود الضمير الى اقرب المذكورين واجب فجوابه ان هذا معارض بما
ان الروايات الكثيرة وردت بان الملك هو الذي حاج ابراهيم والله اعلم اما قوله اذ قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت ففيه مسائل المسألة الاولى الظاهر ان هذا الكلام جواب سؤال
سابق وذلك لانه من المعلوم ان الانبياء عليهم السلام انما بعثوا للدعوة والظاهر انه ادعى
الرسالة فان المدعو يطالب اولا باثبات ان للعالم الها الا ترى ان موسى عليه السلام قال
انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين واحتج موسى عليه السلام على اثبات الصانع





بقوله رب السموات والارض فكذا ههنا الظاهر ان ابراهيم عليه السلام ادعى الرسالة فقال
نمرود من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت الا ان تلك المقدمة حذفت لان الواقعة دلت
عليها ويحتمل ان يكون ابراهيم قد ذهب اليه ودعاه اولا الى التوحيد من غير ذكر النبوة المسألة الثانية
اعلم ان دليل ابراهيم عليه السلام كان في غاية الصحة وذلك لانه لا سبيل الى معرفة الله الا بواسطة
افعاله التي لا يشاركه فيها احد من القادرين والاحياء والاماتة كذلك لان الخلق عاجزون
عنها والعلم بذلك الاختيار ضروري فلا بد من مؤثر آخر غير هؤلاء القادرين الذين نراهم
ونشاهدهم حتى يكون مؤثرا في الاحياء والاماتة وذلك المؤثر اما ان يكون موجبا او مختارا
والاول باطل لانه يلزم من دوامه وعدم تغيره دوام الاثر وكان يجب ان لا يتبدل الموت بالحيوة
ولا بالعكس وذلك محال ايضا فانا نرى في الحيوانات اعضاء مختلفة الشكل والصفة و
الطبيعة والخاصية وتأثير الموجب بالذات لا يكون كذلك فعلمنا انه لا بد في الاحياء والاماتة
من موجود قادر مختار يؤثر بالقدرة والاختيار وذلك هو الله تعالى وهذا دليل متين في
غاية القوة وقد ذكره الله تعالى في مواضع في كتابه كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
وسنذكر ان شاء الله تقريره مفصلا مفردا فان قيل انه تعالى قدم الموت على الحيوة في آيات
منها قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقال الذي خلق الموت والحيوة وقال
ابراهيم عليه السلام في الثناء على الله والذي يميتني ثم يحيين فلم قدم في هذه الآية ذكر الحيوة
على الموت قلنا انه اذا كان المقصود من ذكر الدليل هو الدعوة الى الله وجب ان يكون الدليل
اظهر واوضح ولا شك ان عجائب الخلقة حال الحيوة اكثر واطلاع الانسان عليها اتم فلا جرم وجب
تقديم الحيوة ههنا في الذكر واما في تلك الآيات فالمقصود منها بيان تعديد الاحوال الماضية
فلا جرم وجب فيها تقديم الموت على الحيوة اما قوله انا احيي واميت فاعلم ان المشهور في كتب التفسير
ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بهذه الحجة دعا ذلك الكافر بشخصين فقتل احدهما واستبقى الآخر
وقال انا ايضا احيي واميت هذا هو المنقول في الكتب وهو عندي في غاية البعد وبيانه من وجوه

الحجة الاولى ان الظاهر من حاله عليه السلام انه شرح حقيقة الاحياء والاماتة على الوجه
الملخص فان ايراد الكلام المجمل المبهم عند ما يكون الغرض هو التفهيم والتعليم والزجر عن الباطل
والدعوة الى الحق لا يليق باقل الناس علما فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء ومتى
لخص الانسان حقيقة الاحياء والاماتة امتنع ان يشتبه على السامع هذه الاحياء والاماتة
التي اوردها الكافر في معرض المعارضة ويبعد في الجمع العظيم ان يكونوا في الحماقة بحيث لا
يعرفون هذا القدر من الفرق الحجة الثانية ان من بلغ في الجهالة والحماقة الى هذا الحد فاي
فضيلة يحصل للانسان بسبب الزامه وافحامه لكنه تعالى جعل افحامه سببا للفضيلة العظيمة حيث
قال فبهت الذي كفر واعلم ان القائلين بهذا القول قالوا ان الكافر لما اورد هذا السؤال
عدل ابرهيم عليه من ذكر ذلك الدليل الى دليل آخر فقال فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت
بها من المغرب فبهت الذي كفر وهذا ايضا في غاية البعد ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان
الانتقال عن الدليل الاول الى الدليل الثاني يوهم العجز والجهل وذلك يقتضي صيرورته
حقيرا في الاعين وصيرورته بحيث لا يلتفت الى قوله ولا يبالي بكلامه والانبياء عليهم السلام
يجب عليهم ان يصونوا انفسهم عن هذه الحالة لان هذه الحالة تخل بما هو المقصود من تبليغهم
ورسالتهم ويقتضي ان لا يلتفت القوم اليهم وان لا يقيموا لهم وزنا فثبت انه لا يجوز عليهم
الانتقال من دليل الى دليل الحجة الثانية ان هذا السؤال كان في غاية الركاكة والجواب عنه سهل
باد في بديهة كان القوم قد بلغوا في الحماقة والجهالة الى حيث لا ينتفعون بذكر الفرق
بين هاتين الصورتين كان التنبيه على الفرق اولى من الانتقال الى الدليل الثاني الحجة
الثالثة ان ذلك السؤال وان كان في غاية الركاكة الا انه وقع في اسماع الحاضرين فالسكوت
عن الجواب يقتضي بقاء تلك الشبهة على من نقد على انه لهم فرض مضيق فكيف يجوز
الاخلال به وليس لاحد ان يقول انه عليه السلام انما ترك ذلك الجواب لانه كان خائفا عن ذلك
لانا نقول لما لم يمنع الخوف من الملك عن ذكر الدليل الثاني فان لا يمنع من ذكر الفرق الذي هو

اوضح



اوضح واجلى كان اولى الحجة الرابعة انه انما كان يحسن الانتقال من دليل الى دليل آخر لو كان
الدليل الثاني اوضح واقوى وههنا ليس الامر كذلك لان جنس الحياة لا قدرة للمخلوق عليه و
اما جنس تحريك الاجسام فللمخلوق قدرة عليه ولا يبعد في العقل وجود ملك عظيم الجثة من
السموات والارض وانه يحرك السماء والدليل على ان هذا الاحتمال قائم قوله تعالى ويحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية والعرش اعظم من السموات بكثير فاذا لم يبعد ان يكون الملك حاملا للعرش
فاي تبعد في ان يكون محركا للسموات والشمس والقمر فثبت ان الاحياء لا يصلح الا من الله واما تحريك
السموات فانه يصح من غير الله واذا كان كذلك كانت دلالة الاحياء والاماتة على وجود الله سبحانه
اقوى واظهر من دلالة طلوع الشمس على وجود الله تعالى واذا ثبت هذا فنقول انه لا يليق بالنبي المعصوم
ان يترك التمسك بالدليل القوي ويلتزم العجز والانقطاع ويتمسك بعده بدليل ضعيف لا يقبل
التشبيه ويكون الداعي له الى كل ذلك سؤال فيه ركيك وفي غاية السقوط فان مثل هذا العمل لا يليق بالنبيين
الحجة الخامسة ان دلالة الاحياء والاماتة على وجود الصانع الحكيم اقوى من دلالة طلوع الشمس
على وجود الصانع من وجه آخر وذلك لانا نشاهد في ذات الانسان وصفاته التبدلات واختلاف
الحالات وتعاقب الصفات وكل ذلك ظاهر الدلالة على وجود الصانع المختار واما الشمس فلا نرى
في ذاتها ولا في صفاتها ولا في مجاري حركاتها شيئا من التبدلات بل القائلون بان المؤثر في وجود العالم علة
بالايجاب لا فاعل بالاختيار يعظم شبهتهم في هذه الصورة بانهم يقولون نرى احوال الشمس في الطلوع
والغروب باقيا على نهج واحد وطريقة واحدة وذلك يوهم ان حركة الشمس والقمر والكواكب بالطبع
لا بتحريك القادر المختار فثبت ان دلالة الاحياء والاماتة على وجود القادر المختار اقوى من دلالة طلوع
الشمس وغروبها عليه فكان الانتقال من الاول الى الثاني انتقالا من الاقوى الى الاضعف وهذا
لا يليق باحد من الاذكياء فضلا عن اكمل العقلاء الحجة السادسة ان نمرود لما بلغ في الحماقة
والوقاحة الى حيث عارض الاحياء والاماتة بذلك السؤال الركيك فكيف يؤمن عند الاستدلال
ابرهيم بطلوع الشمس من المشرق ان يقول طلوع الشمس من المشرق بفعلي فان كان لك اله قادر مختار فقل له حتى يطلعها

من المغرب وعند هذا التزم المحققون من المفسرين بانه لو اورد هذا السؤال لكان يجب في حكمة
الله تعالى ان يطلع الشمس من المغرب وايضا فعند طلوع الشمس من مغربها يصير الاستدلال
بطلوع الشمس من مشرقها ضايعا ايضا وحينئذ يصير دليله الثاني ضايعا كما ضاع دليله الاول
ومعلوم ان التزام هذه الكلمات لاجل ذلك السؤال الركيك غير لايق بالعقلاء الحجة السابعة
ان الفاء في قوله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب يدل على ان هذا الكلام
غير متعلق بالكلام وعلى قول هولاء المفسرين هذا دليل منقطع عن الكلام غير متعلق
فلا يبقى للفاء فائدة اصلا فظهر بهذه الوجوه ان تفسير كلام الله تعالى بهذا الوجه الذي
ذكروه ضعيف والمختار عندي في تفسير هذه الاية ان يقول ان ابرهيم عليه السلام لما احتج
على وجود الصانع بالاحيا والاماتة قال المنكر اتدعي الاحيا والاماتة من الله ابتداء
من غير واسطة الاسباب الارضية والسماوية ام تدعي صدور الاحيا والاماتة من الله بواسطة
الاسباب الارضية والسماوية اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فلا يدل على المقصود لان
الواحد منا يقدر على الاحيا والاماتة بواسطة الاسباب الارضية والسماوية فان الجماع يفضي
الى الولد الحي بواسطة الاسباب الارضية والسماوية وتناول السم قد يفضي الى الموت فلما ذكر
نمرود هذا السؤال اجاب ابرهيم عليه السلام بان قال هب ان الاحيا والاماتة حصلا من الله بواسطة
الاتصالات الفلكية لانه لابد لتلك الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية من فاعل ومدبر
فاذن المدبر لتلك الحركات الكوكبية والاتصالات الفلكية هو الله تعالى فكان الاحيا والاماتة
الحاصلان بواسطة الاسباب الفلكية فليست كذلك لانه لا قدرة للبشر على الحركات الفلكية
فظهر الفرق والحاصل ان الاحيا والاماتة وان حصلا بواسطة الاسباب الفلكية الا ان مدبر
الفلك هو الله سبحانه فكان الاحيا والاماتة الصادران عن الله تعالى بواسطة الفلك صادرا
في الحقيقة عن الله تعالى بخلاف الواحد منا فانه لا تاثير له في الفلك فلم يكن الاحيا والاماتة الصادران
عن الفلك صادرين عن البشر فان قيل هذا السؤال والجواب الذي ذكرتم كيف يفهم من الاية واي





مناسبة بينهما وبين ما هو المذكور في الاية قلنا من دأب القرآن على الايجاز لا على الاطناب
فيقول ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت محمول على الاحياء والاماتة المعتادين وهما
في ظاهر الامر موقوفان على الاسباب الطبيعية السفلية والاتصالات العلوية فقال نمرود انا احيي
واميت مثل هذا الاحياء والاماتة اللذين اشرت اليهما وهي الاحيا والاماتة الحاصلين بواسطة
الاسباب الفلكية فقال ابراهيم عليه السلام فان الله يأتي بالشمس من المشرق اي هب ان هذا الاحيا
والاماتة انما يحصل بواسطة الشمس لكن محرك الشمس هو الله سبحانه واما انت فلا قدرة لك
على تحريك الشمس بدليل انك لا يمكنك تحريكها من المغرب فظهر ان المذكور في الاية تنبيه على ما ذكرنا
الا انه تعالى انما ذكره على سبيل الايجاز والرمز على ما هو عادة القرآن واعلم انا لما فسرنا الاية بهذا
زالت تلك المطاعن باسرها وذلك لان هذا السؤال كلام لايق بالعقلاء فان كلام نمرود متعلق
بالاحيا والاماتة لا بد وان اورد عليه الطبيعي والمنجم عليه هذا السؤال ولا جواب عنه الا الجواب
المذكور في الاية ولا يكون فيه انتقال لا من الدليل الاول الى الدليل الاخر ويكون الكلام
الثاني متعلقا بالكلام الاول ويبقى الفاء في قوله فان الله يأتي بالشمس من المشرق دلالة
في تعلق الكلام الثاني بالاول ونظير هذا التقدير قوله تعالى في سورة النحل هو الذي انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الى قوله لايات لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل
والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم
في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون فمقطع الاية الثانية لقوم يعقلون
ومقطع الاية الثالثة لقوم يذكرون وفي ترتيب هذه المقاطع سر عجيب وذلك لانه تعالى
استدل في الاية الاولى على وجود الصانع المختار بحدوث الانواع المختلفة من النبات في الارض الواحدة
والماء الواحد الا ان هذا الدليل في هذا المقام غير تام وذلك لان القائل ان يقول حدوث الانواع
المختلفة من النبات انما كان لتاثير الكواكب والشمس والقمر ولما كان هذا السؤال انما يذكر على هذا الدليل
كان هذا الدليل قبل الجواب عن هذا السؤال غير تام فكان مجال التفكر والتدبر باقيا فلهذا السبب جعل مقطع

هذه الآية لقوم يتفكرون ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال من وجهين الاول قوله وسخر لكم
الليل والنهار الى قوله لعلكم تعقلون وشرح هذا الجواب ان يقال هب ان حدوث الانواع المختلفة
من النبات انما كان لتأثيرات الكواكب واختلاف الفصول الا ان حركات الكواكب لا بد لها من مؤثر
ولا يتسلسل بل لا بد من الاعتراف لشىء هو مسبب الاسباب ومدبر الكل فيكون الحدوث والنبات فى الحقيقة
واقعا بتدبير ذلك المدبر والمؤثر الاول وعند هذا تم الاستدلال ولا يبقى الفكر مجال فلا جرم
جعل مقطع هذه الآية قوله تعقلون يعنى ان كنتم كاملى العقل فاعترفوا بوجود الاله القادر
المختار فى هذا المقام بان الدليل قد تم ولم يبق بعده للفكر والنظر مجال وهذا التقرير هو بعينه
التقرير المذكور فى قصة ابرهيم عليه السلام فان المنكر لما قال الاحياء والاماتة من الاسباب الفلكية
من حيث انه يشبه ذلك الاحياء بالاحياء الصادر منا فعند هذا قال ابرهيم عليه السلام فلا بد
لتلك الاسباب الفلكية من مدبر وهو الله تعالى فلا جرم انقطع ذلك الكافر وسكت حتى قال
فى صفته فبهت الذى كفر فالحاصل ان المراد من قوله فبهت الذى كفر هو المراد من قوله ان فى ذلك
لآيات لقوم يعقلون والوجه الثانى من الجواب عن ذلك السؤال قوله وما ذرأ لكم فى الارض مختلفا
الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وتقرير هذا الجواب هو ان الارض والماء والهواء والشمس
والقمر لكل واحد طبيعة واحدة وتأثير واحد ونسبة هذه الاشياء بأسرها الى الكل واحدة نسبة
الغصن من اجزاء الشجرة الواحدة بل الى كل واحدة من اجزاء الورقة الواحدة على غاية صغرها
ونهاية رقتها واحدة فكان ينبغى ان يكون الاثر حاصلا على التسوية فلما رأينا فى الشجرة الواحدة
اختلافات كثيرة فى اجزائها بل شاهدنا فى الورقة الواحدة اختلافا فى لون وجهيها علمنا ان هذه
الآثار غير مستندة الى الطبايع والنجوم وانما جعل مقطع هذه الآية لقوله ان فى ذلك لآية لقوم
يذكرون لانه قد تقرر فى بداية العقول ان موجب بالذات يكون تأثيره بالتسوية ولاجل
قالت الفلاسفة المقتضى لشكل الجسم هو طبيعته وتأثير الطبيعة الواحدة لا بد وان يكون متشابها
فلا جرم قالوا يجب ان يكون شكل الجسم البسيط هو الكرة ثم انا نشاهد الاختلاف العظيم

فى خلقة



فى خلقة النبات والحيوان اما النبات فانك ترى الاترج قشره حارا رطبا وحماضه باردا يابسا
وبذره حارا يابسا فهذا شىء واحد حصلت فيه الطباع المختلفة وترى الرمان فيه ذلك القشر
الغليظ والشحم القابض العفص ثم ترى الحب فيه ذلك الماء اللطيف العذب وفيه ذلك النوى
الغليظ البارد اليابس القابض بل تجد الورقة اللطيفة احد وجهيها فى غاية الصفرة والوجه
الآخر فى غاية الحمرة ثم ترى فى وسط تلك الورقة اللطيفة عرقا ممتدا من اصلها الى طرفها ثم ترى
العروق الصغيرة منشعبة من ذلك العرق المتوسط ثم ينشعب من كل واحد من تلك الشعب شعب
اخرى بكيفية ارق من الشعر مرات فاذا شاهدت هذه الاختلافات الكثيرة فى التركيب فى اللون
والخاصية وكان قد تقرر فى عقلك ان الموجب بالذات يكون تأثيره متشابها لا مختلفا فكيف يجوز
من عقلك ان تقول ان تولد هذه الانواع المختلفة انما كان بسبب تأثيرات الانجم والافلاك
فهذا برهان قاطع على انه لا يمكن استناد الحوادث الارضية الى الافلاك والانجم ولاجل هذا
السر جعل مقطع هذه الآية قوله يذكرون يعنى الا يذكر ما كان مستقرا فى عقلك ان تأثير
الموجب بالذات لا يكون مختلفا مع انك تشاهد بحسك هذه الاختلافات الكثيرة فتأمل
ايها المسكين فى هذه الاسرار لتعلم ان القرآن بحر عميق لا ساحل له وبالله التوفيق واعلم انا
لما شرحنا هذين النوعين من المناظرات لابراهيم عليه السلام لتعلقهما بالنجوم والشمس و
القمر فلنذكر سائر مناظراته فى التوحيد وان لم يكن لنا تعلق بالنجوم والشمس والقمر

## الفصل الثالث

فى شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام مع ابيه فى التوحيد قال الله تعالى فى سورة مريم واذكر فى الكتاب
ابرهيم انه كان صديقا نبيا الآية اعلم ان الغرض من هذه السورة من اولها الى آخرها بيان التوحيد
والنبوة والمعاد والمنكرون لتوحيدهم الذين اثبتوا معبودا سوى الله وهم فريقان منهم
من اثبت معبودا غير الله حيا عاقلا فاهما وهم النصارى ومنهم من اثبت معبودا غير الله جمادا
وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشتركا فى الضلال الا ان ضلال الفريق الثانى اعظم فلما بين
الله فى هذه السورة ضلال الفريق الاول وهم النصارى تكلم بعده فى شرح ضلال الفريق الثانى

وهم عبدة الاوثان فقال واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا والواو في قوله واذكر
عطف على قوله ذكر رحمت ربك عبده زكريا كانه لما انتهت قصة زكريا وعيسى عليهما السلام
قال يا محمد قد ذكرت لهم حال زكريا فاذكر حال ابرهيم وانما شرع في قصة ابراهيم لوجوه
الاول ان ابرهيم كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وطهارة دينه على ما قال ملة ابيكم
ابرهيم وقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه فكانه قال تعالى للعرب ان كنتم من المقلدين
لابائكم على ما هو قولكم انا وجدنا اباءنا على امة فمعلوم ان اجل ابائكم قدرا واعظمهم فخرا
وشرفا هو ابرهيم فكونوا مقلدين له في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين
فتاملوا في هذه الدلائل التي ذكرها ابرهيم لتعرفوا فيها فساد عبادة الاوثان وبالجملة
فاتبعوا ملة ابرهيم اما تقليدا او استدلالا والثاني ان كثيرا من الكفار في زمن الرسول
عليه السلام كانوا يقولون كيف نترك دين ابائنا واجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابرهيم
عليه السلام وبين انه ترك دين ابيه وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على
متابعة الاب ليعرف الكفار ان ترجيح جانب الاب على جانب الدليل رد على الاب الاكبر الذي
هو ابرهيم والثالث ان كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون الاستدلال
على ما قالوا انا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى عن ابرهيم التمسك بطريقة الاستدلال
تنبيها لهؤلاء الجهال على سقوط هذه الطريقة ثم انه تعالى قال في صفة ابرهيم انه كان صديقا
نبيا وفي الصديق قولان احدهما انه كان بليغا في كونه صادقا وهو الذي يكون عادته الصدق
لان هذا البناء ينبئ عن ذلك يقال رجل خمير وسكير للمولع بهذه الافعال والثاني انه
يكون معناه كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهورا به والاول اولى وذلك لان المصدق بالشيء
لا يوصف بكونه صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك التصديق فيعود الامر الى الاول
فان قيل الدليل على قول الثاني قوله تعالى اولئك هم الصديقون قلنا انما سماهم صديقين
لكونهم صادقين في ذلك التصديق واعلم ان النبي يجب ان يكون صادقا في كل ما اخبر لان الله تعالى

في الصديق قولان

صدقه



صدقه ومصدق قول الله صادق والا لزم الكذب في حق الله وهو محال فيلزم من هذا
ان يكون الرسول صادقا في كل ما يخبر عنه ولان الرسل شهداء الله تعالى على الناس على
ما قال فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والشهيد انما
يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل فما قولك في ابرهيم عليه السلام حيث كذب ثلث كذبات
وهو قوله بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم وقوله هذه اختي قلنا معاذ الله ان يكذب
ابراهيم وسنحتج في هذا الكلام في باب عصمة الانبياء فثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا
وظاهر انه لا يجب ان يكون كل صديق نبيا فلهذا السبب وصفه اولا بكونه صديقا ثم بعده وصفه
بكونه نبيا واما النبي فسيجيء في باب النبوات تفسيره وقوله كان صديقا قيل انه صادق وقيل
انه وجد صديقا نبيا اي كان من اول وجوده الى انتهائه موصوفا بالصدق والديانة
وهذا يؤكد ما ذكرنا ان قوله هذا ربي في مقام المناظرة ابطالا لهذا القول عليهم وما كان
في معرض الاخبار اما قوله يا ابت فالتاء عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا
يجمع بين العوض والمعوض منه وقد يقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء ثم اعلم انه تعالى
حكى ان ابرهيم تكلم مع ابيه باربعة انواع من الكلام النوع الاول قوله لم تعبد ما لا يسمع و
لا يبصر ولا يغني عنك شيئا وصف الاوثان بصفات ثلثة كل واحد منها قادح في المعبودية وبيانه
من وجوه الاول ان العبادة غاية التعظيم فلا يليق الا بمن له غاية الانعام وهو الذي يكون قادرا
على خلق اصول النعم وفروعها كما قررناه في تفسير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الثاني
ان بداهة العقل حاكمة بانه لا يجوز الاشتغال بشكر من لا نعمة له عليك فاذا لم يجز الاشتغال
بشكره فلان لا يجوز الاشتغال بطاعته وعبادته كان اولى الثالث انه اذا لم يسمع ولا يبصر ولا يميز
من مطيعها عمن يعصيها فاي فائدة في عبادتها وهذا يدل على ان الاله يجب ان يكون عالما بكل المعلومات
من الكليات والجزئيات حتى يكون العبد امنا من وقوع الغلط في الثواب والعقاب والرابع ان الدعاء
مخ العبادة فالوثن اذا لم يسمع دعاء الداعي فاي منفعة في عبادته واذا لم يبصر تقرب من يتقرب

النوع الاول

اليه فاي فائدة يحصل من ذلك التقرب والخامس ان السامع البصير الضار النافع افضل ممن
كان عاريا عن هذه الصفات والانسان موصوف بهذه الصفات والصنم عار عنها فيكون الانسان
اشرف وافضل من الصنم واقدام للاشرف الاعظم على عبودية الارذل للاخس لا يليق بالعقلاء
والسادس انها اذا كانت لا تضر ولا تنفع لم يحصل اليها رغبة ولا منها رهبة فاي فائدة
في عبادتها والسابع انها اذا لم يقدر على حفظ نفسها عن اضعف الحيوانات كما قال تعالى ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز لا يقدر على
صيانة نفسها عن الكسر والازلال وان الله تعالى اخبر عن ابرهيم عليه السلام انه كسرها وجعلها جذاذا
فاذا كان لا تحفظ نفسها عن الكسر والافساد فاي رجاء للغير فيها والثامن انه تعالى نزه نفسه عن الشرك
في سورة النحل فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ثم احتج عليه بوجوه الاول بخلقه السموات والارض فقال
خلق السموات والارض تعالى عما يشركون الثاني بخلقه الانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم
مبين الثالث بخلق الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم الى قوله والخيل والبغال والحمير الرابع
بخلقه النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب الخامس بخلقه البحر فقال وهو الذي
سخر البحر السادس بخلقه الارض فقال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ثم ختم ذكر هذه الدلائل
باعادة المقصود وهو نفي الشركاء والانداد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون فكل ذلك
اشارة الى ان التسوية بين النافع والضار وبين من لا يضر ولا ينفع في العبادة سفه التاسع ان
ابرهيم عليه السلام عاب الاصنام من ثلثة اوجه من حيث انها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر فكانه
قال العبادة لا يليق الا لرب وهو فانه يسمع بدليل قوله اجيب دعوة الداع اذا دعان ويبصر بدليل
قوله انني معكما اسمع وارى ويقضي الحوائج بدليل قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه العاشر قال تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال في سورة لقمان عقيب هذه الاية قل الحمد لله
بل اكثرهم لا يعلمون فقوله قل الحمد لله معناه الشكر لله على اعترافهم بذلك وقوله بل اكثرهم لا يعلمون معناه

انكم اقررتم

مطلب حجج الوحدانية



انكم اقررتم بان المدبر هو الله تعالى فكيف تشتغلون بعبادة غير الله فان الاقدام على هذا العمل
مع الاقرار بذلك القول لا يليق بمن له عقل وفهم ومعرفة فان قال قائل المنجم قد ذكروا ان عبدة الاوثان
معبودهم هو الكواكب في الحقيقة فكيف تتوجه هذه الدلائل عليهم الجواب انا بينا في تفسير قوله لا احب
الافلين انه على كل التقديرات الاعراض عن مدبر الافلاك والانجم والاشتغال بعبادة الافلاك والانجم
او بعبادة اصنامها وتماثيلها عين الجهل فانه لما دلت الدلائل على افتقار الافلاك والانجم الى الاله
الخالق المدبر وثبت ان خالق الافلاك والانجم لا بد وان يكون قادرا على خلق الناس لان القادر على
الاقوى قادر على الاضعف كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال تعالى اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم واذا كان الامر كذلك كان الاشتغال
بخدمة رب الافلاك والانجم اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك وقد سبق تقرير هذا المعنى على
الاستقصاء **النوع الثاني** من كلام ابراهيم عليه السلام مع ابيه قوله يا ابت اني قد جاءني من
العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا واعلم ان هذه الاية فيها اشارة ان روح النبي عليه السلام الكاملة
يتميز عن سائر الارواح بمزيد الكمال والجلال وتقريره وهو ان العالم عالمان عالم المحسوس وعالم
المعقول والمعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال في المحسوس والا لكان متخيلا موهوما والمحسوس
لا يكون محسوسا حتى تثبت له مثال في المعقول والا لكان سرابا معدوما واذا عرفت هذا فنقول
عالم الروحانيات عالم عظيم لا يعرف عددهم وانواعهم واصنافهم واجناسهم الا الله تعالى ولا بد
فيه من مدبر مطاع نافذ للامر في جميع الروحانيات وهياكل الروحانيات هي العرش والكرسي والكواكب
ولا بد وان يكون ذلك المدبر من جنسهم والافلاك والكواكب فلا بد وان يكون كاملا بالفعل
لان الاخراج من القوة الى الفعل لا يحصل الا ممن كان مبرأ عن القوة خارجا الى الفعل من كل الوجوه
واما العالم الجسماني فهذا يجب ان يكون فيه مدبر كامل من جميع الوجوه ويكون نافذ القضية في جميع
الجسمانيات ويكون تدبيره اخراج ما بالقوة الى الفعل في ابناء جنسه فمدبر العالم الروحاني
هو الروح الاعظم ومدبر العالم الجسماني هو الرسول الاعظم ثم يجب بين الروح والرسول مناسبة

النوع الثاني

العالم عالمان عالم المحسوس وعالم المعقول للمعقول مثال في المحسوس وبالعكس

علوية وملاقات وعقلية فيكون الروح الاعظم مصدرا ويكون الرسول الاعظم مظهرا
فالروح مبدأ والرسول نهاية واول الفكر آخر العمل واذا عرفت ان الرسول مدبر الجسمانيات
باخراج ما فيها من الكمالات من القوة الى الفعل عرفت المراد من قول ابرهيم عليه السلام اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا وههنا اسرار عظيمة وقد نبهنا على نوع منها
**النوع الثالث** قوله يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا والمعنى لا تطعه
فانه عاص لله فنفره بهذا الوصف عن القبول منه لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم ان ابرهيم
عليه السلام لامعانه في الاخلاص في طاعة الله فلا جرم لم يذكر من جنايات الشيطان الا كونه
عاصيا لله ولم يذكر البتة كونه عدوا لآدم كان النظر في عظم ما جاء في معصية الله غمر فكره
واطبق على ذهنه وهذا كما ان عيسى عليه السلام اول ما تكلم ذكر ما يدل على تنزيه الله ولم يذكر
على ما يدل على براءة امه لان اشتغاله بتنزيه الله يشغله عن الالتفات بحال الام وايضا فان
معصية الله لا تصدر الا عن ضعيف الرأي ومن كان كذلك كان حقيقا بان لا يلتفت اليه فان قيل
ان هذا القول يتوقف اثباته على امور احدها اثبات الصانع والثاني اثبات الشيطان والثالث
ان الشيطان عاص لله والرابع انه لما كان عاصيا لله لم يجز طاعته في شيء من الاشياء والخامس
ان الاعتقاد الذي كان يعتقده والد ابرهيم مستفاد من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة
التي يوردها الانسان على خصمه كونها مركبة من مقدمات مسلمة معلومة ولعل والد ابرهيم
كان منازعا في كل هذه المقدمات فكيف يحسن ابرهيم ذكر هذا الكلام قلنا الحجة المعقول
عليها في ابطال مذهب ابيه هو الذي ذكره اولا من قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا فاما هذا الكلام فجرى مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر والتأمل
في تلك الدلالة **النوع الرابع** قوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن وفي قوله اخاف
قولان قال الفراء معناه اعلم والاكثرون يقولون انه محمول على الظاهر وحمل هذا اللفظ على العلم
انما يجب لو كان ابرهيم عالما بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراؤه على الظاهر

فانه

النوع الثالث

مطلب



فانه كان يجوز في ابيه ان يؤمن فيصير من اهل الثواب ويجوز فيه ان يموت على الكفر فيبقى من اهل
العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لا قاطعا واعلم ان من يظن وصول ضرر الى غيره فانه لا يسمى خائفا الا
اذا كان بحيث يلزمه من ذلك الضرر تألم قلبه كما يقال انا خائف على ولدي اما قوله فتكون للشيطان وليا
فذكروا في الولي وجوها الاول ان استوجب عذاب الله كان مع الشيطان والولاية سبب للمعية فاطلق
اسم السبب على المسبب مجازا وانما لم يجز حمله على الولاية الحقيقة لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين وقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وحكي عن
الشيطان انه يقول لهم اني كفرت بما اشركتمون من قبل الثاني ان يحمل العذاب على الخذلان تقديره
اني اخاف ان يمسك خذلان الله فتصير موالي للشيطان فيبرأ الله منك كما قال ومن يتخذ
الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا الثالث وليا اي تاليا للشيطان تليه كما يسمى المطر الذي
يأتي تاليا وليا فان قيل قوله ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا يقتضي ان تكون
ولاية الشيطان اسوء حالا من العذاب فما معنى ذلك الجواب ان رضوان الله اعظم واشرف من الثواب
كما قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فوجب ان يكون ولاية الشيطان التي هي في مقابلة
رضوان الله اكبر من العذاب واعظم فهذا هو الاشارة الى تفسير هذه الكلمات الاربعة التي ذكرها ابرهيم
عليه السلام لابيه واعلم انه نبه على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امره باتباعه في النظر والا
ستدلال وترك التقليد ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة في المعقول ثم ختم الكلام بالوعيد
الزاجر عن الاشتغال بما لا ينبغي ثم انه عليه السلام اورد هذا الكلام الحسن اللطيف مقرونا باللطف والرفق
فان قوله في مقدمة كل كلام يا ابت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده
الى الصواب وختم الكلام بقوله اني اخاف وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وانما فعل ذلك
لوجوه الاول قضاء حق الابوة كما قال تعالى وبالوالدين احسانا والارشاد الى الدين الحق من اعظم
الاحسان واذا انضاف اليه رعاية الادب والرفق كان ذلك نورا على نور الثاني ان الهادي الى الحق لا بد
ان يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام لا على سبيل العنف فيصير مانعا من الاستماع والقبول الثالث ما روى ابو هريرة

رضي الله عنه قال رسول الله عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسّن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسّن خلقه اني اظله تحت
عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري قوله تعالى اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم
اعلم ان ابرهيم لما دعى اباه الى التوحيد فذكر الدليل على فساد عبادة الاوثان واردف
ذلك الدليل بالوعظ البليغ واورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق قابله ابوه بجواب بضد
ذلك فقابل حجته بالتقليد فانه لم يذكر في مقابلة حجته الا قوله اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم
فاصر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم
وقابل رفقه في قوله يا ابت بالعنف حيث لم يقل له يا بني بل قال يا ابرهيم وانما حكى الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخفف على قلبه ما كان يصل اليه من اذى المشركين فيعلم ان الجهال
منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة واعلم قوله اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم ان كان
المراد منه الاستفهام فهو خذلان لانه قد عرفت منه بما تكرر من وعظه وتنبيهه ووعده
ووعيده انه راغب عن ذلك فما فائدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فالاعراض
عن حجر لا يضر ولا ينفع ان التعجب كل التعجب الاقدام على عبادتها اما قوله لئن لم تنته لارجمنك
ففي الرجم قولان الاول انه الرجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله تعالى والذين يرمون
المحصنات اي بالشتم ومنه الرجيم اي المرمي باللعن قال مجاهد الرجم كله في القران بمعنى
الشتم والثاني انه الرجم باليد وعلى هذا التفسير ففيه وجوه الاول لارجمنك باظهار
امرك للناس ليرجموك فيقتلوك الثاني لارجمنك بالحجارة لتتباعد عني الثالث
قال المؤرج لارجمنك لاقتلنك بلغة قريش الرابع قال ابو مسلم لارجمنك المراد منه الرجم بالحجارة
الا انه قد يقال ذلك في معنى الطرد والابعاد على سبيل الاتساع والدليل عليه انه اراد الطرد قوله
تعالى واهجرني مليا فقوله واهجرني فيه بحثان الاول عطف واهجرني على معطوف عليه محذوف يدل عليه
لارجمنك والتقدير لارجمنك فاحذرني واهجرني الثاني في قوله واهجرني قولان احدهما المراد واهجرني





في القول والثاني واهجرني بالمفارقة من الدار والبلد وهو كهجرة الرسول عليه السلام والمؤمنين
اي تباعد حتى لا اراك وهذا الثاني اقرب الى الظاهر اما قوله مليا ففيه قولان الاول مليا اي مدة
بعيدة مأخوذ من قولهم اتى على فلان ملاوة من الدهر اي زمان بعيد الثاني مليا بالذهاب عني قبل ان
اثخنك فلا تقدر ان تذهب من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له قادرا عليه ثم ان ابرهيم
عليه السلام لما سمع من ابيه هذا الجواب اجابه بامرين احدهما انه وعده التباعد منه وذلك لان اباه
لما امر بالتباعد اظهر الانقياض وقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقال واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المبطل اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة
بالاحسان ويجوز ايضا ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعد الاستغفار ثم انه
لما ودعه بقوله سلام عليك ضم اليه ما دل على انه وان بعد عنه الا ان شفقته عليه باقية وهو قوله
ساستغفر لك ربي واحتج من طعن في عصمة الانبياء بهذه الاية تقريره ان ابرهيم استغفر لابيه وابوه كان
كافرا والاستغفار للكافر غير جائز فثبت بمجموع هذه المقدمات ان ابرهيم فعل ما لا يجوز وانما قلنا
انه استغفر لابيه لقوله تعالى في هذه الاية سلام عليك ساستغفر لك ربي وايضا واغفر لابي انه كان من
الضالين واما ان اباه كان كافرا فذلك بنص القران واما الاستغفار للكافر غير جائز فيدل عليه وجهان
الاول قوله تعالى وما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين والثاني قوله تعالى في سورة
الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فامر بالتاسي
بابرهيم الا في هذا الفعل فدل على ان هذا الفعل معصية والجواب قوله الاستغفار للكافر غير جائز قلنا
الكلام عليه من وجوه الاول ان القطع على ان الله تعالى يعذب الكافر لا يعرف الا بالسمع فلعل ابرهيم
عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لابيه الثاني ان الاستغفار
قد يجيء بمعنى الاستبطاء قال تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى
يسألون ربنا ان لا يعجل عقابكم جزاء في الدنيا الثالث انه عليه السلام انما استغفر لابيه انه كان يرجو منه الايمان
فلما ايس من ذلك ترك الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجى منه الايمان

والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله تعالى وما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ثم قال تعالى بعد ذلك وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية على انه انما وعده بالاستغفار بشرط ان يؤمن فلما لم يؤمن فقد
الشرط فلا جرم لم يوجد المشروط فان قيل اذا كانت القضية كذلك فلم منعنا من التاسي به
في هذا المعنى قلنا الاية تدل على انه لا يجوز لنا التاسي به في هذا المعنى لان المنع من التاسي
لا يدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشياء هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا يجوز لنا التاسي به مع انه كان ذلك مباحا للرسول الرابع لعل هذا الاستغفار كان من باب
ترك الافضل وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله انه كان بي حفيا اي لطيفا رفيقا
يقال احفى فلان في المسئلة بفلان اذا لطف به وبالغ في الرفق والمراد به انه تعالى لكثرة الطافه
بي وانعامه علي عودني في الاجابة فاذا استغفرت حصل المراد كانه جعل بذلك على تعيين
انه ان تاب غفر الله له ذلك الوجه الثاني من الجواب قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من
دون الله والاعتزال عن الشيء هو التباعد عنه والمراد اني افارقكم في المكان وافارقكم
في طريقتكم ايضا وابعد عنكم واشتغل بعبادة ربي الذي ينفع ويضر فانكم بعبادة الاصنام
سالكون طريقة الهلاك فواجب علي مجانبتكم ومعنى قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا
اي ارجو ان لا اكون كذلك وانما ذكر هذا الكلام على سبيل التواضع كقوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله شقيا مع ما فيه من التواضع ففيه تعريض بشقاوتهم في دعاء
الهتهم على ما قررناه لابيه في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا قوله تعالى فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا
وجعلنا لهم لسان صدق عليا واعلم ان احدا لا يخسر على طاعة الله فان ابرهيم عليه السلام لما اعتزلهم
في دينهم وبلدهم واختار الهجرة الى ربه ما ضره ذلك في الدين ولا في الدنيا بل نفعه فعوضه الله
اولادا انبياء ولا منصب في الدين اعظم من ان يجعله الله رسولا الى خلقه يوجب عليهم طاعته

والانقياد



والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظم المنزلة في الاخرة فصار جعله تعالى ابناءهم انبياء
من اعظم النعم في الدنيا والاخرة ثم بين تعالى انه مع ذلك وهب لهم من رحمته اي وهب
لهم مع النبوة اشياء اخرى وانهم في اكبرها ويدخل فيه المال والجاه والاتباع والنسل
الطاهر والذرية الطيبة ثم قال تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا ولسان الصدق الثناء الحسن وعبر
باللسان عما يحصل باللسان واستجاب الله دعوته في قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين
فصيره قدوة حتى ادعى كل اهل الاديان انهم على دينه وملته وقال تعالى ملة ابرهيم حنيفا و
ثم ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا قال بعض العلماء ان الخليل عليه السلام اعتزل عن الخلق على ما قال
واعتزلكم وما تعبدون من دون الله لا جرم بارك الله في اولاده فقال ووهبنا له اسحق
ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وتبرأ من ابيه في الله على ما قال فلما تبين له انه عدو لله
تبرأ منه لا جرم سماه الله ابا المؤمنين فقال ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ليذبحه
في الله على ما قال فلما اسلما وتله للجبين لا جرم فداه الله كما قال وفديناه بذبح عظيم
واسلم نفسه لله كما قال اسلمت لرب العالمين فجعل النار بردا عليه فقال يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم واشفق على هذه الامة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم لا جرم
اشركه الله في الصلوة فانهم يقولون في اخر التشهد كما صليت وباركت على ابرهيم وعلى
ال ابرهيم وكان وافيا في اداء طاعة ربه كما قال وابرهيم الذي وفى لا جرم جعل الله موطئ
قدمه مباركا فقال واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله فقال فانهم
عدو لي الا رب العالمين لا جرم اتخذه الله خليلا فقال واتخذ الله ابرهيم خليلا ليعلم
صحة ما ذكرنا انه لا يخسر على طاعة الله احد

## الفصل الرابع في شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام

مع قومه بكسر الاصنام قال تعالى في سورة الانبياء ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا
به عالمين اعلم انه تعالى قبل شروع في شرح هذه الواقعة مدح ابرهيم عليه السلام بقوله ولقد
اتينا ابرهيم رشده من قبل وفيه مسائل المسئلة الاولى في الرشد قولان الاول انه النبوة والحجة

من ذهب الى هذا القول بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى انما يخص بالنبوة من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقوقها ويحترز عن كل ما لا يليق بها ويجتنب عما ينفر قومه من قبول تكاليفها ويتأكد هذا بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته ويتأكد ايضا بقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما والقول الثاني ان الرشد هو الاهتداء لوجوه الاول الصلاح في الدين والدنيا قال تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقال في سورة هود عليه السلام اليس منكم رجل رشيد وقال قوم شعيب له انك لانت الحليم الرشيد ومرادهم لانت السفيه الضال ذكروه على سبيل الاستهزاء وقال تعالى وما امر فرعون برشيد وفيه قول ثالث وهو ان يدخل النبوة والاهتداء الى كل المصالح تحت اسم الرشد اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا الا وقد عرف ذاته وصفاته وافعاله ودله ايضا على مصالح نفسه ومصالح قومه وكل ذلك من الرشد واعلم ان لفظ الرشد جاء في القرآن على خمسة اوجه اما الاول فالاول قال تعالى قد تبين الرشد من الغي الثاني الاسلام قال تعالى في الاعراف وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا الثالث الهداية قال تعالى في سورة البقرة لعلهم يرشدون وقال في سورة الكهف ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا وقال ايضا في هذه السورة على ان تعلمن مما علمت رشدا وقال في سورة الحجرات اولئك هم الراشدون الرابع معرفة المصالح في امور الدنيا قال تعالى في سورة النساء فان انستم منهم رشدا والخامس فعل الصواب على سبيل الاطلاق قال في سورة الجن فاولئك تحروا رشدا ويقرب منه قوله في سورة الكهف ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فالاول الثلثة مختصة بالدين والوجه الرابع مختصة بالدنيا والوجه الخامس يعم الكل ما يتعلق بالدين وما يتعلق بالدنيا والله اعلم **المسئلة الثانية** احتج اصحابنا على ان الايمان يحصل بخلق الله بهذه الآية وذلك لانا بينا ان لفظ الرشد يتناول الاهتداء الى كل مصالح الدين والدنيا واعظم وجوه الاهتداء الى مصالح الدين وهو معرفة الله سبحانه فكان معرفة الله اعظم وجوه الرشد والله تعالى قال ولقد اتينا





ابرهيم رشده فدل هذا على ان ايمان ابراهيم انما حصل بتخليق الله وايجاده اجاب الكعبي عن هذه الحجة بان مثل هذا الكلام انما يقال فيمن عرض عليه ما ينفعه واذا قبله يقال ان فلانا اوتي الرشد وهذا كمن اعطى المال لولدين فقبله احدهما وثمره ورده الآخر اخذه ثم ضيعه فيقال فلان اغنى ابنه فيمن ثمر المال ولا يقال فيمن ضيع المال الجواب ان هذا الكلام مشوش ونحن قد بينا ان لفظ الرشد يتناول الايمان والله تعالى نص على انه اتاه رشده فكان هذا صريحا في ان الله تعالى اتاه ايمانه واعطاه معرفته اما قوله من قبل ففيه وجوه الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جرير الطبري اتينا ابراهيم رشده من قبل نبوته واهتدائه من قبل موسى الثاني اتينا ابراهيم رشده في صغره قبل بلوغه حين كان في الغار وهذا قول من حمل الرشد على الاهتداء الى وجوه المصالح والا لزم ان يحكم بنبوته قبل البلوغ الثالث قال ابن عباس في رواية الضحاك المراد حين كان في صلب آدم عليه السلام حين اتخذ الله ميثاق النبيين الرابع وهو انه اشارة الى العناية الازلية والى ان السعيد من سعد في بطن امه والى قوله عليه السلام جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة يعني انه جرى القضاء الازلي والحكم الابدي بجعله من السعداء وقال ابو يزيد انه تعالى يحدث السعادة في هذا اليوم وذلك من مذهب اهل السنة انه تعالى قضى بسعادته في هذا اليوم فحصلت هذه السعادة من نتائج ذلك القضاء الازلي والمعتزلة يقولون انه اشتغل بالايمان فيصير اشتغاله بالايمان موجبا على الله تعالى ان يقضي بالسعادة وهذا في غاية البعد لان العقل يقتضي ان يكون صفة المخلوق متصرفة في صفة الخالق ولهذا قال ابو بكر الواسطي لا اريد ان يرضيه طاعتي ويغضبه معصيتي والمراد انه لا ينبغي ان يجعل طاعة العبد ومعصيته مؤثرين في رضاء الرب وغضبه ولكن رضاه اوقع العبد في الطاعة وغضبه يوقعه في المعصية حتى يكون الخالق متصرفا في المخلوق لا ان يكون المخلوق متصرفا في الخالق اما قوله تعالى وكنا به عالمين والمراد منه ما هو المراد من قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والمعنى انه تعالى علم اختصاصه بصفات قدسية باحوال عجيبة واسرار بديعة وهو انفرد في معرفة

قال ابو بكر الواسطي

وموظبته على طاعته واقباله على الدعوة الى الله وبالجملة فكانت رتبته في الارواح كالشمس
التي تنير الظلمات وتزيل الضلالات لجهالات ونظير هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه ادل فهما
اذا شرحت جلال كماله واما قوله اذ قال لابيه وقومه فقال صاحب الكشاف اذ اما ان يتعلق
باتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون والتماثيل اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلت الشيء
بالشيء اذا شبهته وذلك الممثل يسمى بالتمثال واعلم ان القوم كانوا يتخذون لكل كوكب تمثالا
مخصوصا على ما هو المشهور من مذهب اصحاب الطلسمات فجعل ابرهيم هذا القول منه ابتداء كلام
لينظر فيما عساهم يوردونه من شبهة حتى يبطلها عليهم قال صاحب الكشاف لم ينو للعاكفين مفعولا
بل اجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها فان قيل لم يقل
عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم قلنا لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على
اما قوله تعالى قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين واعلم ان القوم لم يذكروا في الجواب الا طريقة التقليد
الذي يوجب مزيد الانكار عليهم لانهم اذ كانوا على خطاء من امرهم لم يعصمهم من هذا الخطاء ان اباءهم
ايضا سلكوا هذا الطريق واعلم ان عبادة الكفار في اكثر الامر التعويل على التقليد ونظيره
قوله تعالى في المائدة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون وقال في يوسف وكاين من اية
في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم مشركون وقال في لقمان واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله الاية وقال في الزخرف بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون وقال في ص اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب الى قوله
الا اختلاق وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها واعلم ان الشعير يوكل ويذم فلا
ترى في الدنيا انسانا الا وهو يذم التقليد ثم انه اذا فتشت عن حاله تراه غرقا في التقليد

من فوقه



من فوقه الى قدمه والخروج عن طريقة التقليد والتعويل على الدليل نعمة عظيمة من الله سبحانه يخص
بها من يشاء من عباده فلنبحث عن الاسباب الموجبة لتسلط التقليد على اكثر الخلق فنقول ههنا
وجوه الاول يروى عن الخليل بن احمد البصري انه قال الناس على اربعة اقسام رجل يدري ويدري
انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري
ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك
شيطان فاجتنبوه وقال بعضهم الرجل اذا سئل فقال لا ادري فذلك في المدح اقوى من قوله ادري
فاعترض بعضهم عليه فقال انما يعظم منصب الرجل بيدري لا بلا يدري فقال المجيب لكن قوله لا
ادري ثمرة يدري لانه يدري وقوله ادري ثمرة لا ادري لانه لا يدري انه لا يدري الثاني ان الانسان
لا ينبغي ان يسام الانسان من المسائل الاصولية والدلائل العقلية وذلك لان هذه العلوم
والمباحث نتائج العقل فمن كرهها فقد كره العقل ومن كره العقل فلينظر الى المجنون فانه انما
قيد بالسلاسل لانه [illegible] احد العقل وهو في الحقيقة فيه معذور فمن رضي بالتقليد وطرح العقل
بالاختيار اولى ان يقيد بالسلاسل كما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه
الثالث ان ادم عليه السلام كان في الجنة فترك النظر في مسئلة واحدة من مسائل الفروع وهو ان
المراد من قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة النوع ام الشخص فاخرج عن الجنة فمن ترك النظر في مسئلة
واحدة من مسائل الفروع اخرج عن الجنة فالخارج عن الجنة النظر في كل مسائل الاصول كيف يدخلها
الرابع ان الرسالة اقل مرتبة من الربوبية ثم ان الرسول عليه السلام لما اتى الصديق وقال انا رسول الله
اليك قال ما الحجة قال ذلك السر الذي ذكرته مع اهلك في بيتك فان ذلك سر لم يطلع عليه احد
الا الله فلولا ان الله اخبرك والا ما عرفته اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاذا
كانت الرسالة دون الالهية ثم انها لا تثبت بالتقليد من لسان اعبد الخلق فكيف يحصل معرفة الربوبية
من لسان الاباء والاسلاف بل ههنا ما هو اقوى من كل ذلك وهو انه تعالى قال لموسى عليه السلام
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فقال ارني عند الدعوى فاي الدليل فجعل الله دليله عليه ان جعله

بحيث لم يسمع ذلك الكلام بجميع اعضائه حتى برجليه فحينئذ علم المقصود فلما لم يكف كلام
الحق في معرفة الحق فكيف يكون كلام الخلق في معرفة الحق الخامس انصف من نفسك فانه تعالى
لا يطلب منك الا الانصاف قال الاصوليون رجل اعتقد ان الله منزه عن الجسمية والمكان تقليدا
وبقي عليه سبعين سنة فهو من اهل النار ولو انه قرب اجله فقال يا الهي تبت عن ذلك التقليد
والآن لا اعلم انك على العرش ام لا واجوز كلا الامرين واشرع في النظر والتفكر حتى اعرف
الحق ثم انه لم يجد مهلة النظر حتى مات في تلك الساعة قالوا انه من اهل الجنة فعند اعتقاده
الجازم التقليدي هو كان من اهل النار وان كان ذلك الاعتقاد حقا وعند التردد كان من اهل
الجنة وما ذلك الا انه انصف حتى اعترف التجوز بالعجز السادس روي ان عليا رضي الله عنه
رجع عن بعض الغزوات وكان حصته من الغنيمة ما ملا يديه فاتاه سائل فجعل يختار اخف
الطوايح فعلم ان ذلك من وسوسة ابليس فاخذ الكل ودفعه الى السائل اذ هو اكبر من
الجهاد الذي رجع عنه ودخل على النبي مستبشرا فقال النبي عليه السلام ما فعلت فقال رجعت
عن الجهاد وقص عليه القصة فقال ظننت انك ازلت صاحب شبهة عن شبهته والنكتة ان هذا
يدل على ان من تعلم وعلم ثم اشتغل بالتعليم كان هذا خيرا ممن صار غنيا واعطى وبذل المال
حتى افنى لان فائدة اعطاء المال في الدنيا وفائدة اعطاء العلم في الآخرة ابد الآباد
ودهر الداهرين السابع روي ان واحدا اراد خدمة ملك فقال الملك اذهب فتعلم حتى تصلح
لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال امسك عن التعلم فقد
صرت اهلا لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا وحين رأيتني اهلا لخدمتك
رأيت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك لجهلي فلما تعلمت ان الباب
باب الرب واعلم ان القوم لما قالوا انا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابهم ابراهيم عليه السلام
قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين يعني ان الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المتمسكين
به فعند ذلك اسعد وانه صدق الكلام ولشدة الفرق بذلك التقليد فقالوا اجئتنا بالحق

ام انت

حظ والنكتة



ام انت من اللاعبين واعلم ان القوم لما توهموا انه انما يقول ذلك الكلام على سبيل المزاح اظهر
ابراهيم عليه السلام في ذلك الوقت مما يعملون به انه مجد في اظهار ما قاله وذلك بالقول اولا ثم
بالفعل ثانيا اما الطريقة القولية فهي قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
وانا على ذلكم من الشاهدين اما وجه دلالة السموات والارض على اثبات الصانع الحكيم القدير
فقد تقدم شرحه والمعنى ان الخالق الذي خلق السموات والارض لمنافع العباد هو الذي يحسن ان
يعبد لان من يقدر على ذلك فهو الذي يرجى نفعه ويخاف ضره فيرجع حاصل هذه الطريقة الى
الطريقتين المتقدمتين احديهما ان السموات والارض مخلوقة محدثة كما قال لا احب الآفلين
والثاني قبح عبادة الاصنام كما قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فهذه
الطريقة مشتملة على تينك الطريقتين قال صاحب الكشاف الضمير في فطرهن للسموات
والارض او التماثيل فكونه للتماثيل ادخل في الاحتجاج اما قوله وانا على ذلكم من الشاهدين
فالاولى ان المقصود المبالغة في التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح انسان او ذمه
اشهد انه كريم او ذميم الثاني انه قوله وانا على ذلكم من الشاهدين معناه اني قادر على اثبات
ما ادعيته بالحجة واني لست مثلكم في ادعاء ما لا اقدر على اثباته بالحجة وذلك انكم
ما قدرتم على اثبات مذهبكم الاعلى قولكم انا وجدنا آباءنا لها عابدين واما الطريقة
الفعلية وهي قوله وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين واعلم ان القوم لغاية
حماقتهم لما لم ينتفعوا بالدلائل القولية عدل ابراهيم عليه السلام الى الفعل وفي كيفية القصة
وجهان الاول قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على اصنامهم فسجدوا لها ثم عادوا
الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابراهيم عليه السلام لو خرجت معنا فخرج معهم فلما
كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي الضعفاء من الناس
نادى وقال وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين واحتج هذا القائل بقوله تعالى
قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الثاني قال الكلبي كان ابراهيم عليه السلام من اهل بيت

ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابرهيم عليه السلام
بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اني اشتكي رجلي
غدا فذلك قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح في الغد معصوبا براسه فخرج
القوم لعيدهم ولم يتخلف احد غيره وقال وتالله لاكيدن اصنامكم وسمعه رجل منهم هذا
القول فحفظ عليه ثم ان ذلك الواحد اخبر غيره وانتشر ذلك الخبر في جماعة فلذلك قال الله
تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم واعلم ان كلا الوجهين ممكن وتمام القصة ان ابرهيم عليه السلام
لما دخل بيت الاصنام وجد سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب
وفي عينه جوهرتان مضيئتان بالليل فكسر الكل بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق
الفاس في عنقه اما قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم فاعلم ان الجذاذ القطاع من الجذ وهو
القطع وفيه سؤالات الاول لم قال فجعلهم جذاذا وهذا الجمع لا يليق الا بالعقلاء والجواب من حيث
اعتقدوا فيها انها كالناس وانها تعظيم وتقرب اليها ولعل فيهم من يظن انها تضر وتنفع السؤال
الثاني ما معنى قوله الا كبيرا لهم قلنا يحتمل الكبير في الخلقة وفي التعظيم وفي الامرين جميعا واما
قوله لعلهم اليه يرجعون فيحتمل رجوعهم الى ابرهيم عليه السلام ويحتمل رجوعهم الى الكبير
اما الاول ففيه من وجهين الاول ان يكون لعلهم يرجعون الى الدين الحق وهو القول بالتوحيد
ويعدلون عن الباطل وعبادة الاوثان الثاني انه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما اشتهر
فيهم انه هو الذي يكره دينهم ويسب آلهتهم اما الثاني وهو قول الضمير يرجع الى الكبير ففيه وجهان
الاول لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم الكبير في حل المشكلات فيقولون لذلك الكبير كيف
كسر هؤلاء وبقيت انت صحيحا وكيف علق الفاس في رقبتك وهذا قول الكلبي وهو بناء على شدة
حماقتهم فلعلهم يعتقدون فيها انه يجيب ويتكلم الثاني انه عليه السلام انما قال ذلك مع علمه
انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم وان قياس من يسجد له ويعبد ان يرجع اليه في حل المشكلات اما قوله
قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي من فعل هذا الكسر والحطم بشديد الظلم انه معدود





في الظلمة اما الجراة على الالهة الحقيقية بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا
في كسرها وتماديا في الاستهانة بها اما قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم والمعنى
انهم كانوا من قبل قد عرفوا منه وسمعوا ما يقوله في آلهتهم فغلب على قلبهم انه هو الفاعل
ولو لم يكن الا قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لكفى واعلم انه لا بد ههنا من الكلام
في الفتوة يقال ان ابرهيم عليه السلام وصف بالفتوة لانه استعمل الفتوة في كل الاشياء
اعطى البدن للنيران والمال للضيفان والولد للقربان ويحكى ان جبرائيل عليه السلام جاء فوقف
في وسط غنمه وكان له غنم كثير حتى قيل انه كان عدد كلابه اثني عشر الف كلب كل كلب مطوق
بطوق وقلادة من ذهب فقال جبرائيل بصوت سبوح قدوس ربنا رب الملائكة والروح فنظر ابرهيم عليه السلام
يمنة ويسرة فلم ير احدا فقال ايها العبد الذي يذكر الله لك غنمي فاذكره ثانيا فذكره ثانيا
فاعطاه الثلث فذكره ثالثا فاعطاه الثلث الثالث فذكر رابعا فوهب منه الكلاب مع ما على اعناقها
من الاطواق فذكر خامسا فوهب منه العبيد الذين كانوا يحفظون الاغنام فذكر سادسا فقال ما بقي
لي ملك فاستعبدني فاوحى الله الى جبرئيل لم تعذب خليلي فاظهر عند ذلك جبرئيل نفسه وقال
حقا انه لله خليلا وهذه الاغنام والعبيد كلها مردود عليك انا جبرئيل لا احتاج الى شيء
منها فقال يا جبرئيل هذا شيء اخرجته من ملكي لوجه الله فلا اعيده الى ملكي وقد وقفته على
جميع المسلمين ياكل كل من هو عليه وقال بعض الحكماء راس الفتوة قول لا اله الا الله الا ترى في
قصة اصحاب الكهف قال انهم فتية آمنوا بربهم سماهم فتية لانهم آمنوا بربهم فلما كان ابرهيم دعى العالمين
الى الله تعالى كان باسم الفتوة اولى اجتمع ابو حفص الحداد مع الجنيد في بغداد فسأله عن الفتوة فقال
ابو حفص اذكروا انتم فانكم اصحاب البيان والعبارة وقال الجنيد الفتوة اسقاط الرؤية وترك
النسبة بالفتية فقال ابو حفص ما احسن ما قلت لكن الفتوة عندي اداء الانصاف وترك
المطالبة بالانصاف فقال الجنيد قوموا يا اصحابنا فقد زاد ابو حفص على آدم وذريته وسأل
ابو حفص وحداد من العيارين بنيسابور عن الفتوة فقال يا ابا حفص تسألنا عن فتوتنا فقال

واعلم انه لا بد ههنا من الكلام في الفتوة

راس الفتوة

معنى الفتوة

اجبت عن الفصليين فقال اما فتوتنا معشر الشطاديين فكل ما نقول باللسان وفينا واما
فتوتكم معشر العارفين فما تقولونه بالشرع الله تقوى به فقال ابو حفص لو سألت عنه لما
كنت اهتدى اليه وقال الفضيل بن عياض سيد الفتيان يوسف الصديق عليه السلام وذلك
لانه تحمل المحن العظيمة من اخوته ثم لما قدر عليهم ما قابلهم البتة بل قال لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وقيل الفتوة انه لا تؤخر ولا تقدم ولا تعتذر وقيل انه لا تخاصم في الاخرة احدا او
لا تخاصم احد وقيل الفتوة بذل المجهود والرضا بالموجود وترك طلب المفقود وحفظ الحدود
والسكون الى الموعود والقيام بخدمة المعبود واعلم انه تعالى سمى في القرآن بالفتى خمسة اشخاص
سمى ابراهيم عليه السلام في هذه الاية بالفتى وسمى يوسف بتراود فتاها عن نفسه وسمى الخزنة
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم ويوشع واذ قال موسى لفتيه واصحاب الكهف اذ اوى الفتية
الى الكهف وانما سمى ابراهيم عليه السلام بالفتى لانه كان وافيا بعهود الله تعالى قال وابراهيم الذي
وفى وسمى يوسف عليه السلام بالفتى لانه كان حافظا العهود عزيز مصر وهو قوله انه ربي احسن
مثواي وسمى خزنة يوسف فتيانا لان الخازن يكون امينا حافظا للمال وسمى يوشع
فتى لانه كان حافظا لاسرار موسى عليه السلام قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة وسمى اصحاب الكهف
فتية لانهم كانوا يبغضون اعداء الله لن ندعو من دونه الها ويحبون الله تعالى قال تعالى فقالوا
ربنا رب السموات والارض وقد وقع في الخبر ان واحدا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأل حاجته
فقال النبي عليه السلام لعلي بن ابي طالب احسن اليه فذهب علي وجاء ومعه دينار وخمسة
دراهم ورغيف تام ونصف رغيف فسأل الرسول عن كيفية الواقعة فقال لما ان هذا السائل
لما سأل وقع في قلبي ان اعطيه دينار ثم قلت يكفيه خمسة دراهم ثم قلت يكفيه رغيف واحد ثم
قلت يكفيه نصف رغيف ثم طردت الوسوسة عن قلبي وجئت بكل هذه الاشياء فقال عليه السلام
لا فتى الا علي واعلم انه قيل الفتوة على اقسام احدها الفتوة باليد وروي ان عليا رضي الله عنه كان
يحارب كافرا فقال الكافر اعطني سيفك فدفع علي سيفه اليه فقال له ذلك الكافر مجنون انت

صرح القرآن بالفتى خمسة اشخاص

الفتوة بالاسلام

الفتوة باليد

لم دفعت

١٠٦

لم دفعت سلاحك الى والى خصمك والمطلب قتلك فقال سألت ويقبح بالفتيان يرد
السؤال فانا المستعملة الفتوة معك فان انت قتلتني كان ترك الفتوة منك وثانيها
الفتوة بالعين كما قال المحبا عليه السلام كما قال ما زاغ البصر وما طغى وروي ان رجلا تزوج بامرأة
فقبل الدخول بها ظهر بالمرأة جدري فقال الرجل ظهر في عيني نوع ضعف وظلمة ثم قال عميت
ففرقت اليه المرأة ثم ان المرأة ماتت بعد عشرين سنة ففتح الرجل عينيه فقيل له في ذلك فقال عميت
ولكن تعاميت حذرا ان تحزن المرأة فقيل له سبقت الفتيان وثالثها الفتوة بالمال يحكى ان
واحدا من الحاج نام بالمدينة فتوهم ان هميانه سرق فخرج فرأى جعفر الصادق فتعلق به وقال
اخذت هميانی فقال كم كان فقال الف دينار فادخله داره واعطاه الف دينار فرجع الرجل
الى داره فرأى هميانه في بيته فاستحيى فخرج الى الصادق معتذرا اليه ورد عليه الدنانير فابى ان يقبلها
وقال شيء اخرجته من يدي لا استرده فقال الرجل من هذا فقالوا جعفر الصادق وحكي عن الشبلي انه
قال خطر ببالي اني بخيل ولئيم فقلت اجرب نفسي فنويت ان كل ما اوجده في هذا اليوم اهبه لاول
شخص اراه فلا ثم جاء في الحال الخادم من دار الخلافة ووضع عندي صرة فيها خمسون دينارا
فاخذتها وخرجت من الدار فرأيت حجاما يحلق رأس اعمى فدفعت الصرة الى الاعمى فقال الاعمى
ادفعها الى هذا الحجام فقلت انها ذهب فقال الاعمى ما هذا البخل ثم اخذها ودفعها الى الحجام
فقال الحجام انا نويت ان احلق رأس هذا الفقير لله تعالى ولا اخذ الذهب والحاصل ان ذلك
الذهب ما قبله الاعمى ولا الحجام ورابعها الفتوة بالنفس يقال ان واحدا من السلطان ذهب اليه
واحد من غلمان الملك مختفيا فطلب السلطان منه فانكره فضرب الف سوط فاسلم فاتفق انه
احتلم تلك الليلة وكان البرد شديد فلما اصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك
فقال استحييت من الله ان اصبر على ضرب الف سوط لاجل مخلوق ولا اصبر على مقاساة الماء البارد
لاجل امر الله وخامسها الفتوة بالمهجة كما قيل لبعض الزهاد لو ان الله اعطاك الدنيا بكليتها ما
ذا تفعل قال اجعلها كلها لقمة واضعها في فم مجوسي حتى يصل العدو الى العدو ويلقى الحبيب الحبيب

الفتوة بالعين

الفتوة بالمال

الفتوة بالنفس

الفتوة بالمهجة

وقال بعضهم ان الله تعالى سمى ثلث فرق رجالا لا احد لها الذين لا يمنعون الدنيا عن خدمة
المولى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والثاني رجال يتطهرون عن النجاسة
رجال يحبون ان يتطهروا والثالث رجال يقتلون في مقام العبودية رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه ثم يقول بالفارسية جوانمردان بود كه بجوانى مردى شود يعنى اين سه
حصلت عادت شود دل از مشغول بود بغير از خداى عز وجل دور دارد وجامه
دل را از لوث دنيا دور دارد وتن خود را بر طريق بندگى آزاد دارد وقيل سأل
شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق عن الفتوة فقال ما تقول انت فقال شقيق ان
اعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال جعفر بن محمد الصادق الكلاب عندنا بالمدينة
كذلك تفعل فقال يا ابن رسول الله ما الفتوة ان اعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا
قوله تعالى قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون وفي قوله لعلهم يشهدون وجهان
الاول انهم كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فارادوا ان يجيئوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه الثاني لعلهم يشهدون فيبصرون ما يصنع به فيكون ذلك
زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله قوله تعالى قالوا أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم واعلم
ان في الكلام حذفا وهو فأتوا به فقالوا له أانت فعلت طلبوا منه الاعتراف بذلك
ليقدموا على ايذائه فظهر منه ما انقلب الامر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه قال بل فعله كبيرهم وغرضه
منه اظهار جهلهم في عبادة الاوثان فان قيل قوله بل فعله كبيرهم كذب الجواب للناس فيه قولان
الاول انه ليس بكذب وهو قول جمهور المحققين وذكروا في الاعتذار عنه وجوها الاول ان قصد
ابراهيم عليه السلام لم يكن الى ان ينسب ذلك الفعل الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب
تعريضي وهذا كما قال صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت مشهور بحسن الخط أانت كتبت هذا
وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره
لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما

استهزاء

سؤال مهم



استهزاء به واثبات ذلك للقادر الثاني ان ابراهيم عليه السلام غاضبته تلك الاصنام حين
ابصرها مصطفة مزينة وكان غيظه من كبيرها اشد لما رأى من تعظيم القوم له اشد فاسند الفعل
اليه لانه هو السبب في اقدامه على كسرها والفعل كما يسند الى مباشره فقد يسند ايضا الى
الحامل عليه الثالث ان يكون ذلك حكاية لما يلزم على مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله
كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا وعلى اشد منه الرابعة انه كان غير
غير مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم ابتداء الكلام وعن الكسائي انه كان يقف عند قوله بل فعله
كبيرهم ثم يبتدئ فيقول هذا فاسألوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لان الانسان
اكبر من كل صنم السادسة ان يكون في الكلام تقديم وتأخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا
ينطقون فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين
امتنع كونهم ناطقين السابعة قرأ محمد بن سميقع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل
كبيرهم والقول الثاني وهو قول طائفة من اهل الحكايات ان ذلك كذب واحتجوا بما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلث كذبات كلها في ذات الله تعالى قوله اني سقيم وقوله
بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي وفي خبر آخر ان اهل الموقف اذا سألوا ابراهيم الشفاعة
قال اني كذبت ثلث كذبات وهذا القول باطل اما الخبر الذي رووه فلان الكذب الى رواته اولى
من ان يضاف الى الانبياء عليهم السلام والدليل القاطع عليه انه لو جاز الكذب في مصلحة على الانبياء
وباذن الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما اخبروا عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع
ثم ان ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام ان في المعاريض لمندوحة عن
الكذب واما قوله اني سقيم فلعله كان به سقم او يكون ذلك محمولا على انه سيصير كذلك كقوله تعالى انك
ميت اما قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ففيه وجوه الاول ان ابراهيم عليه السلام
لما نبههم على قبح طريقهم فتنبهوا فعلموا ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على جهل وغرور والثاني قال
مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انتم الظالمون لابراهيم حيث تزعمون انه كسرها مع ان

الفاس في رقبة الصنم الكبير الثالث انتم الظالمون لانفسكم حيث سألتموه عن هذا
السؤال حتى انه اخذ يستهزئ بكم في الجواب اما قوله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما
هؤلاء ينطقون فقال صاحب الكشاف نكست قلبته فجعلت اسفله اعلاه وفي المعنى وجوه
الاول انهم لما تفكروا وعلموا انهم هم الجاهلون والظالمون ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك
الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل وتقريره ان هذه الاصنام مع انها غير ناطقة فهي
آلهة معبودة الثاني انهم انقلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم من الخجالة والانكسار من
كلام ابراهيم الثالث قال ابن جرير ثم نكسوا على رؤسهم معناه انهم احتجوا على ابراهيم بما كان
في الحقيقة حجة عليهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فاقدام هذا الكلام للحيرة التي
لحقتهم والمعنى نكست حجتهم فاقيموا الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم اما قوله افتعبدون
من دون الله الآية فالمعنى ظاهر فهو الكلام الذي ذكره ابراهيم عليه السلام لابيه وقد سبق
شرحه ثم يحتمل انه قال لهم ذلك وقد عرفوا صحة قوله ويحتمل انه قال لهم ذلك وقد ظهرت الحجة
وانهم لم يفعلوا وهذا هو الاقرب لقوله افتعبدون فلقوله افلا يعقلون قوله تعالى قالوا حرقوه
وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين واعلم انه ليس في القرآن من القائل لهذا القول والمشهور انه
نمرود بن كنعان بن سنجار بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وقال انما الذي قال
حرقوه رجل اسمه هيبر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة واما كيفية القصة
فقال مقاتل لما اجمع القوم على احراقه حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان امرأة لو مرضت قالت ان
عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم نقلوا له الحطب على الدواب اربعين يوما فلما اشتعلت
النار اشتدت وصارت بحيث لو مر الطير في اقصى الهواء لاحترق ثم اخذوا ابراهيم عليه السلام ورفعوه
على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السماء و
الارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة يا ربنا ليس في ارضك احد يعبدك





غير ابراهيم وانه يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال سبحانه ان استغاث بكم فاعينوه وان لم يستغث
الا بي فانا وليه وكافيه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الرياح ان شئت طيرت النار
في الهواء وجاء ملك البحار النجاء ربي فقال ان شئت سلطت البحار على هذه النار وجاء
ملك السحاب فقال ان شئت مطرت على هذه النار بحيث لا يبقى منها اثر فقال عليه السلام لا حاجة
اليكم فلما وضع في المنجنيق ورمي به قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك
لا شريك لك فجاء جبرائيل عليه السلام وقال يا ابراهيم هل لك من حاجة قال اما اليك فلا قال
فسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال
ابن عباس رضي الله عنهما ولو لم يتبع بردها بسلام لمات ابراهيم عليه السلام من بردها
قال ولم يبق يومئذ في الدنيا نار الا طفيت واخذت الملائكة بضبعي ابراهيم واقعدوه
في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ولم تحرق النار منه الا وثاقه وبعث الله ملك
الظل اليه فقعد الى جنبه يؤنسه واتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة وقال يا ابراهيم ان ربك يقول
اما علمت ان النار لا تضر احبابي وقال انه عليه السلام بقي في تلك النار اربعين يوما او اكثر
ثم ان نمرود نظر من صرح له واشرف على ابراهيم فرآه جالسا في روضة ورأى الملك قاعدا الى
جنبه فنادى نمرود يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي حتى
خرج منها فلما خرج منها قال له نمرود من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي
ليؤنسني فيها فقال نمرود اني مستقرب الى الهك بالقربان لما رأيت من قدرته فيما صنع بك واني
ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم عليه السلام لا يقبل الله ذلك منك ما دمت على دينك
فقال يا ابراهيم لا استطيع ترك ملكي ولكني اذبحها ثم ذبحها له ثم كف عن ابراهيم ثم ههنا لطائف
اللطيفة الاولى حصل هناك ناران نار الدنيا ونار محبة المولى فظنوا ان نار الدنيا يحرقه
لكن نار محبة المولى اقوى فهذه النار ابطلت نار نمرود وهكذا يكون يوم القيمة فان جميع
الخلق يدخلون جهنم كما قال وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فتجتمع هناك ناران

قال ابراهيم عليه السلام لا اله الا انت

ثم ههنا لطائف

نار جهنم ونار حب المولى ثم ان نار المحبة تبطل نار جهنم وتدفعها كما قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا وقال عليه السلام حاكيا عن ربه جل جلاله جز يا مؤمن فان نورك
اطفا لهبي الثانية ان ابراهيم عليه السلام قال في الظاهر للشمس والقمر هذا ربي فالقاه الله تعالى
في النار ثم لما كان القول صورة بلا معنى لا جرم صير الله تعالى هذه النار صورة بلا معنى وفي ذلك
تنبيه على ان كل من قال هذا القول فانه لا يخلص عن النار الثالثة الملائكة قالوا ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك فقط واعجبوا بتسبيحهم فالقى الله تعالى خليله في النار حتى سبح الخليل في
وسط النار ويقول حسبي الله ونعم الوكيل فقال الحق انتم تسبحون في وسط الرحمة وهو
يسبح في وسط النار ليظهر حكمة قال اني اعلم ما لا تعلمون الرابعة ان ابراهيم عليه السلام كان
ابدا يخاف النار ويقول ابدا اوه من النار ولهذا قال الله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب فقيض
الله نمرود وقال اجج نارا عظيمة والق ابراهيم فيها حتى جعل النار بردا وسلاما على
ابراهيم لكي يعلم ابراهيم عليه السلام ان الخوف ليس من النار بل من خالق النار الخامسة من كنت
معه برحمتي جعل النار له ماء كما في حق ابراهيم ومن كنت حربا عليه جعلت الماء نارا كما في
فرعون كقوله اغرقوا فادخلوا نارا السادسة ان ابراهيم عليه السلام لما ناظر في الملكوت
قال لا احب الافلين ثم ناظر مع الملك فقال فان الله يأتي بالشمس من المشرق ثم ناظر
مع ابيه فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ثم ناظر مع القوم فقال
بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن ثم ناظر معهم بالمعاملة وكسر الاصنام و
جعلها جذاذا ثم القي النار فقال حسبي الله فقال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما اليك
فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فلما انتهى الى هذا الحد كان خرج من طبع البشر
بالكلية وصار ملكا مقربا فالحق تعالى قال ان ابراهيم انسلخ من طبيعة البشرية فيا نار انت
ايضا انسلخي من طبيعتك كوني بردا وسلاما على ابراهيم وللحد بوحد السابعة لما القي
في النار ظن الخلايق كلهم ان النار تحرقه وظن ملك المطر والرياح والسحاب ذلك فعرضوا

انفسهم



انفسهم عليه فلم يلتفت ابراهيم اليهم وكان قلبه مشغولا برحمة ربه فقال الله تعالى علمي بالاشياء
غير علمكم فيها فانتم تنظرون الى ظاهر ابراهيم ولا تعرفون باطنه وانا اعرف ظاهره وباطنه
وانتم تنظرون الى ظاهر النار فتعرفون منها الاحراق والافساد وانا اعلم ظاهرها وباطنها والان
قد انكشف لكم انكم لا تعلمون باطن ابراهيم لانه لم يلتفت احد منكم وقت الحاجة وساكشف
لكم انكم لا تعلمون باطن النار يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم حتى تعلموا يا ايها الملائكة انه
لا عبرة بظواهر الاشياء ان حقايقها لا يعرفها احد غيري فحينئذ يظهر لكم صدق قولي اني اعلم
ما لا تعلمون فكذلك كنتم رأيتم من ظواهر بني آدم الشهوة والفساد والقتل وكنت اري من بواطنهم
العلم والحكمة والعبودية الثامنة كان الحق سبحانه قادرا على ان يمنع نمرود عن ذلك العمل من اول
الامر لكنه تعالى اراد ان يظهر للملائكة انقطاع ابراهيم الى الله تعالى واعراضه عن كل الوسايط وتبرّيه
عن ذلك لان ابراهيم عليه السلام ادعى هذه البراءة بقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين وفي قوله
لا احب الافلين وفي قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وفي قوله وما انا من المشركين
وفي قوله ومحياي ومماتي لله رب العالمين وفي قوله اسلمت لرب العالمين فكل هذه الاحوال ايدل
على انه بلغ في مقام الرضا بقضاء الله الى الغاية القصوى فكان الحق سبحانه عالما بصدقه في هذه الدعاوي
فانه يمنع نمرود عن علمه ليظهر للملائكة صدق ابراهيم عليه السلام في هذه الدعاوي وتبين للخلق
انه فني عما سوى الله ولم يبق له حيوة ولا قوة الا بالتوجه الى حضرة الله سبحانه وتعالى التاسعة
قال بعضهم نار الدنيا احقر من ان يخاطبها الله تعالى ولكنه خطاب مع نار الجنة ونار المحبة المعرفة فقال
كوني بردا وسلاما على ابراهيم والغرض ان يغني ابراهيم عليه السلام بالكلية في نار المحبة والمعرفة العاشرة
بقي ههنا سؤلان الاول ان ابراهيم عليه السلام لم يخف من النار وموسى خاف من العصا حين صارت حية
لقوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى والجواب لان انقلاب العصا حية فعل الخالق ونار نمرود
فعل المخلوق والرسول المعصوم يخاف الله ولا يخاف غير الله السؤال الثاني لم يحصل لمحمد صلى الله عليه وسلم
واقعة مثل هذه الواقعة والجواب بل وقعت قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم

فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل كما
انقلب الخليل بنعمة من الله وفضل واعلم ان هذه الكلمة وهي قول حسبنا الله ونعم الوكيل تفيد
النجاة من الهموم والغموم عن عبد الله بن طلحة الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
عند هم او غم عشر مرات حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم اذهب الله
غمه ومن سلم على عشر فكانما اعتق رقبة وكان لفتح الموصلي اربعمائة درهم عند صديق له
يتجر فيه فارسل الى الصديق ان احمل الي المال فقال وهل ظهرت مني خيانة فقال لا ولكن احملها
الي فحملها اليه فتصدق بها على المساكين ثم جلس فريدا وحيدا وقال لا احب ان يكون اعتمادي على
شيء غير الله حسبي الله ونعم الوكيل فلما قربت وفاة ابي يزيد البسطامي قال لاصحابه اتى علي ثمانون
سنة اشتهي ان اقول مرة حسبي الله ولم اقدر عليه فقالوا كنا نظن انه لا يمر بك ساعة الا و
لسانك رطب من ذكر الله فقال لم اقل ذلك لاني لو قلت حسبي الله ثم ملت الى الدنيا والآخرة
يقول الله تعالى كذبت يا ابا يزيد لو كنت احسبك لما اشتغلت بغيري قوله تعالى يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم ففيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما المراد انه تعالى جعل النار بردا وسلاما لا ان خطاب الجماد لا يجوز لان
هناك كلام كقوله كن فيكون اي يكونه لا ان هناك امر وكلام والاكثرون على انه حصل
هذا القول ثم هؤلاء لهم قولان احدهما وهو قول السدي ان القائل هو جبريل عليه السلام
والثاني وهو قول الاكثرين ان القائل هو الله سبحانه وتعالى وهذا هو اللائق بالظاهر المسئلة الثانية
ذكروا في كيفية برد النار وجوها الاول انه تعالى ازال عنها ما كان فيها من الحر والاحراق و
ابقى ما فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل شيء قدير الثاني انه تعالى خلق في جسم ابراهيم عليه
السلام كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم الثالث انه تعالى خلق بينه
وبين النار حائلا يمنع من وصول اثر النار اليه قال المحققون الاول اولى لان ظاهر قوله يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم عليه السلام من تاثيرها





الا ان النار بقيت كما كانت واعلم ان كثيرا من جهال الاطباء والطبيعيين ينكرون هذه الحالة
ويقولون من المستحيل زوال صفة الاحراق عن جرم النار وهذا قول باطل ويدل عليه وجوه
الاول ان الاجسام متماثلة فكما ان جسم الماء يقبل البرد والرطوبة فكذا جسم النار يقبلها
وكما ان جسم النار موصوف بالحر واليبس فكذلك جرم الماء قابل لهما واذا كان الامر كذلك ثبت
انه يمكن انقلاب الماء نارا او انقلاب النار ربما ان هذا في نفسه ممكن الوجود وثبت ان للعالم
صانعا قادرا على جميع الممكنات فوجب القطع بكونه قادرا على تبريد النار الحجة الثانية انا
نشاهد شعلة النار اذا تصاعدت انطفت ولا معنى لذلك الانطفاء الا ان الجرم اللطيف
الهوائي حين كان موصوفا بالاشراق والاحراق كما انا نشاهدها فاذا تصاعدت زالت عنها صفة
الاشراق فصار هواء واذا كان الامر كذلك علمنا ان جرم النار الموصوف بالاشراق والاحراق لا يبعد
في العقل زوال هاتين الصفتين عنه فثبت ان انقلاب جرم النار الى البرد امر جائز ممكن الوجود
الحجة الثالثة انا اذا اشتددنا منفذ الكير والححنا عليه بالنفخ فانه يشتعل النار فيه وما ذاك
الا ان الهواء المحتقن داخل الكير يتسخن بسبب الحاح النفخ فيه فاذا قوي التسخن يشتعل نارا
فعلمنا ان الهواء يمكن ان ينقلب نارا واذا امكن انقلاب الهواء نارا امكن ايضا انقلاب النار
هواء باردا الحجة الرابعة ان اهل الطبايع يقولون الحيوان والنبات انما يتولد من امتزاج الطبايع
الاربعة واذا كان كذلك لزمهم الاعتراف بان جرم النار موجود في ابدان النبات والحيوان وما
ذاك الا ان جرم النار انكسرت حرارته وحصلت فيها حرارة معتدلة لايقة بابدان الحيوان والنبات
واذا كان الامر كذلك ثبت ان حرارة النار مع بقائها نارا قابلة للانكسار واذا كان الامر كذلك
ثبت ان انقلاب النار بردا وسلاما امر ممكن الوقوع في نفسه الحجة الخامسة ان عند الاطباء القوى
الجاذبة والقوة الهاضمة انما يقوى على افعالها بمشاركة الحرارة الغريزية وزعموا ان الحرارة
الغريزية عبارة عن جوهر النار الذي صار جزءا من بدن الحيوان ومن المعلوم ان هذه الحرارة الغريزية
غير محترقة فعلمنا انه على قولهم النار تقبل الانكسار في الحر لا يمكن انكار ما ذكرنا الحجة السادسة انا نشاهد

ان النعامة تبلع الحديدة المحماة وان السمندر يعيش في النار ولا يحترق فيها البتة واذا كان هذا ممكنا في الحيوانات الخسيسة فاي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله تعالى في حق الرسول المعصوم الحجة السابعة انا نرى النار مستولية على احراق جميع الاحجار والاجساد الا حجرا واحدا هو سلطان الاحجار كلها وهو الياقوت وجسدا واحدا هو سلطان كل الاجساد وهو الذهب والسبب في انه لا ولاية للنار على هذا الحجر وهذا الجسد من الاشياء المنسوبة الى الشمس فاذا حصل في الاحجار والاجساد حجر وجسد لا ولاية للنار عليهما بسبب انتسابهما الى الشمس فكيف يستبعد ان يحصل في النوع البشري شخص لا يكون للنار ولاية عليه بسبب مزيد اختصاصه بحضرة خالق الشمس والقمر وبالجملة فكل من حصر امر قدرة الله تعالى وحكمته على مقدار ما الفه وشاهده كان عن المعقول خارجا وفي تيه الجهل والجا اما قوله وسلاما على ابراهيم فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كما ان الحر كذلك بل لا بد في الكل من الاعتدال ثم في تحصيل الاعتدال في الكيفيات طرق احدها ان يقدر الله بردها وحرها بالمقدار الذي لا يوذي ولا يفسد الثاني ان يجعل بعض اجزاء النار بردا وبعضها بتركها على حرارتها فحينئذ يختلط الحار بالبارد فيحصل الاعتدال الثالث ان يخلق تعالى في جسمه مزيد حر فيسلم من ذلك البرد الشديد بل ينتفع به ثم ههنا سؤالات الاول هل صارت كل النيران في ذلك الوقت بهذه الصفة الجواب الثاني المذكور في القرآن اسم الماهية فيلزم حصول هذا البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل بل اختص هذا الحكم بتلك النار والمعجز على هذا التقدير اعظم لان اختصاص تلك النار المضيئة بهذه الحالة يدل على ان المقصود رعاية حال ابراهيم عليه السلام هل يجوز ما روي انه تعالى لو لم يقل سلاما لهلك البرد على ابراهيم الجواب هذا بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل من جهة الله فهو القادر على الحر والبرد هل يجوز ان يقال انه كان في النار انعم عيشا منه في سائر حواله والجواب لا يمتنع ذلك لما فيه من مزيد النعمة ويجوز ايضا ان يقال انه انما صار انعم عيشا هناك لعظم ما ناله من السرور بخلاصه من ذلك الامر العظيم وتعظيم سروره بحسب خيبة اعدائه وبظهور دلائل دينه

الله تعالى



الله تعالى اما قوله واردوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين فالمعنى ارادوا ان يغلبوه فصاروا مغلوبين غالبوه بالجدل فلقنه الله الحجة المكينة ثم عدلوا الى القوة فخلصه الله منهم عذبهم قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وفي الاخبار ان هذه الواقعة كانت في حدود بابل فنجاه الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة واختلفوا فيها قيل انها مكة لقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة وقيل انها ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله والسبب في بركتها في الدين ان اكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا منه فانتشرت شرائعهم وآثارهم الدينية منه واما في الدنيا فلانه تعالى بارك فيها بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب العيش قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين اعلم انه تعالى بعد ان ذكر انعامه على ابرهيم وعلى لوط عليهما السلام بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه بذكر سائر النعم التي خص ابرهيم عليه السلام وهو قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة العطية الخاصة وكذلك النفل ويسمى الرجل الكثير العطاء نوفلا وللمفسرين ههنا قولان الاول قال ابن عباس رضي الله عنه وابي بن كعب رضي الله عنه ان ابراهيم عليه السلام لما سأل ولدا وهو قوله تعالى رب هب لي من الصالحين فاجاب الله تعالى دعاءه ووهب له اسحق واعطاه يعقوب من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشيء المتطوع به من الادميين فكانه قيل ووهبنا له اسحق اجابة لدعائه ووهبنا له يعقوب نافلة على ما سأل كالصلوة النافلة التي هي زيادة على الفرض وحكي على هذا القول بكون النافلة هو يعقوب خاصة والقول الثاني وهو ان النافلة ههنا مصدر من وهبنا وهو مصدر من غير لفظ الفعل ولا فرق بين ذلك وبين قوله ووهبنا هبة او ووهبنا له هبات عظيمة وفضلا من غير ان يكون جزاء مستحقا وهذا الوجه اقرب لانه تعالى جمع بينهما ثم ذكر قوله نافلة ولما صلح ان يكون وصفا لهما فهو اولى والنعمة الثانية قوله تعالى

وفي الاخبار

نافلة

ثم ههنا سؤالات الاول

وكلا جعلنا صالحين اى وكلا من ابراهيم واسحق ويعقوب انبياء مرسلين وقال
آخرون عاملين بطاعته مجتنبين محارمه وهذا الوجه اقرب لان لفظ الصلاح يتناول الكل
لانه تعالى قال بعد هذه الاية واوحينا اليهم فعل الخيرات ولو حملنا الصلاح على النبوة لزم
التكرار واحتج اصحابنا هذه الاية على ان افعال العباد مخلوقة له لانه قوله جعلنا صا
لحين يدل على ان ذلك الصلاح من قبل الجاعل الجاعل بانه لو كان كذلك لما مدحهم على كونهم
صالحين وعلى كونهم ائمة وعلى كونهم عابدين ولما اثنى عليهم بسبب هذه الخصال ومدحهم
عليها علمنا انها افعالهم واذا ثبت هذا فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول ان يكون
المراد انه سبحانه اعطاهم من لطفه وتوفيقه فصلحوا لاجله الثاني ان المراد انه تعالى سماهم بذلك
كما يقال في زيد انه فسق فلان وفضله وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصدقا عند الناس وكما
يقال في الحاكم انه زكى فلانا وعدله اذا حكم بذلك واعلم ان هذه الوجوه مختلفة اما اعتماد
على المدح والتعظيم فيجيء الجواب عنه واما الحمل على اللطف فباطل لان فعل الالطاف عام في
حق المكلفين فلا بد في هذا التخصيص من مزيد فائدة وايضا فلان قوله جعلته صالحا كقوله
جعلته متحركا فحمله على تحصيل شيء سوى الصلاح ترك للظاهر واما الحمل على التسمية فهو مجاز
اقصى ما في الباب انه قد يصار اليه عند الضرورة في بعض المواضع وههنا لا ضرورة فيه وايضا فانه
تعالى لما اخبر عنه كان وقوعه واجبا والا لزم انقلاب خبر الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وذلك
محال والمفضي الى المحال محال النعمة الثالثة قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وفيه قولان
احدهما لجعلناهم ائمة يدعون الناس الى دين الله والطاعة بامرنا الثاني قول ابي مسلم ان
هذه الائمة هي النبوة واحتج اصحابنا بهذه الاية على امرين احدهما في مسئلة خلق الافعال
على ما تقدم تقريره والثاني ان الدعوة الى الحق والمنع عن الباطل لا يكون الا بامر الله تعالى لانه
لو لم يكن الامر معتبرا لما كان في قوله بامرنا فائدة النعمة الرابعة واوحينا اليهم فعل الخيرات
وهذا يدل على انه تعالى خصهم بشرف النبوة وذلك من اعظم النعم على الاب ثم انه تعالى بين اصناف





نعمته عليهم بين ذلك اشتغالهم بعبوديته فقال وكانوا لنا عابدين كانه سبحانه لما وفى بعهد الربو
بية في الاحسان والانعام فهم ايضا وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبودية

الفصل الخامس في تقرير مناظرة اخرى لابراهيم عليه السلام في تقرير توحيد قال تعالى في سورة
الشعراء واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها
عاكفين اعلم انه تعالى ذكر في اول السورة شدة حزن محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كفر قومه
وهو قوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم انه تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف
محمد عليه السلام ان مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى عليه السلام ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم
ليعرف محمد عليه السلام ان حزن ابراهيم بهذا السبب كان اشد من حزنه لان من عظم المحنة على ابرهيم عليه
السلام ان يرى اباه وقومه كانهم في النار وهو لا يتمكن من انقاذهم فقال لهم ما تعبدون وكان
ابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاوثان ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق
العبادة في شيء كما يقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم يقول الرقيق جمال وليس
بمال ثم انهم اجابوا ابراهيم عليه السلام بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين والعكوف الاقامة على
الشيء وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل واعلم انه كان يكفيهم في الجواب
ان يقولوا نعبد اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة على الجواب وهو قولهم فنظل لها عاكفين
وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا للابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام فقال ابراهيم عليه السلام
منبها على فساد مذهبهم هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وهذا هو الحجة التي
ذكرناها في سورة مريم وشرحناها بالاستقصاء فعند هذا قال القوم بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون فاجاب ابراهيم عليه السلام بقوله افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فكل ذلك
قد تقدم تفسيره في الفصل الذي قبل هذا الفصل ثم قال فانهم عدو لي الا رب العالمين واعلم انه عليه
السلام ما ذكر للاعداء الا بهذه الكلمة الواحدة ثم مدح الحق سبحانه بالفاظ كثيرة وفيه تنبيه على ان
الاشتغال بعيب الاعداء اشتغال بالاعداء وهو مانع من الله تعالى فكان تقليله اولى ثم ان الاستقصاء

ومنه أسئلة الأول

يجب أن يكون بالاشتغال بالثناء على الله تعالى وفيه أسئلة السؤال الأول كيف يكون الصنم عدوا وهو جماد الجواب من وجوه الأول قال تعالى في سورة مريم في صفة الأصنام كلا سيكفرون بعبادتهم قيل في تفسيره أن الله تعالى يحيي ما عبدوه من الأصنام حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم دعلى هذا الوجه يصير هذه الأوثان أعداء لهؤلاء الكفار في الآخرة فأطلق إبراهيم عليه السلام لفظ العداوة على هذا التأويل الوجه الثاني في الجواب أن الكفار لما عبدوها وعظموها وجعلوا إليها طلب المنافع والمضار فنزلت منزلة الأحياء العقلاء في اعتقاد الكفار ثم أنها صارت أسبابا لانقطاع الإنسان عن السعادة ووصوله إلى الشقاوة فلما جرت هذه الأصنام منزلة الأحياء وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب للمضرة لا جرم جرت مجرى الأعداء الثالث أن المراد من قوله فإنهم عدو لي العابدون دون الأصنام التي هي المعبودة السؤال الثاني فلم قال فإنهم عدو لي ولم يقل فإنها عدو لكم الجواب أنه عليه السلام صور المسئلة في نفسه على معنى أني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وأراهم أنها نصيحة نصح بها نفسه فإذا تفكروا قالوا إن إبراهيم ما نصحنا إلا بما نصح نفسه به فيكون ذلك الداعي للقبول السؤال الثالث لم لم يقل فإنهم أعداء لي الجواب لفظ العدو والصديق يقع على الواحد والجماعة قال الله تعالى وهم لكم عدو ثم قال إبراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين واعلم لما حكى عنه أنه استثنى رب العالمين حكى عنه ما وصفه به مما يستحق العبادة لأجله وهي أربعة أنواع من الصفات الصفة الأولى قوله الذي خلقني فهو يهدين واعلم أنه تعالى أثنى على ذاته بهذين الوصفين فقال سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى واعلم أنا نفرض مثالا واحدا ونحقق فيه معنى الخلق والهداية فنقول الإنسان مخلوق من قالب هو من عالم الخلق ومن قلب هو من عالم الأمر وتركيب البدن الذي هو من عالم الخلق فقدم على إيجاد الروح الذي هو من عالم الأمر على ما قال فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية إشارة إلى تركيب المزاج وتعديل الأشباح ونفخ الروح إشارة إلى اللطيفة الربانية النورانية وتمام هذا التقرير يجيء في قوله ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين

الثاني

الثالث

اعلم





ثم فيه دقيقة

وبالجملة فالخلق إشارة إلى تعديل البدن والهداية إشارة إلى إبداع القوى المدركة والمحركة فيه ثم فيه دقيقة وهي أنه قال خلقني فذكره بلفظ الماضي وقال فهو يهدين ذكره بلفظ المستقبل والسبب فيه أن خلق الذات لا يتجدد ساعة فساعة بل لما حصل بقي إلى الأمد المعلوم أما الهداية فهي أمر يتكرر في كل حين وأوان سواء كانت الهداية في الدنيا أو في الدين فبين تعالى أنه هو الذي خلقه في الماضي وأنه هو الذي يهديه في المستقبل في كل حين وأوان إلى وجوه المصالح بضروب الهدايات الثانية قوله والذي هو يطعمني ويسقين وقد وصل فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق وذلك لأنه تعالى إذا خلق الطعام وملكه منه فلو لم يكن مما يتمكن معه من أكله والاغتذاء به بنحو الشهوة والقوة والتمييز لم يكمل هذه المنفعة وذكر الطعام والشراب ونبه على ما عداهما وقال بعضهم يطعمني طعام المعرفة ويسقيني شراب المحبة وقيل الذي يطعمني طعام المناجاة ويسقين شراب الوصول إلى الدرجات وههنا بحث وهو أنه روى الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي في كتاب نوادر الأصول عن عقبة بن عامر أنه عليه السلام قال لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله يطعمهم ويسقيهم واعلم أن المرض سبب لانقطاع عشق القلب على البدن لتواتر الآلام والأوجاع عليه وكلما كان ذلك العشق أقل كان حب الدنيا أقل ومرض القلب ليس إلا حب الدنيا فعلى هذا كلما كان مرض البدن أتم كان عود القلب إلى الصحة أتم وكلما ازداد للقلب طهارة من درن الذنوب وسقم حب الدنيا كان شبع القلب بأغذية المعرفة وريه بشراب المحبة أتم ومما يدل على ما قلنا أن أقل الناس أكلا الأنبياء ثم الأولياء وكلما كان العبد أكثر حظا من اليقين كان أقل أكلا وقد روي عن عامر بن عبد القيس أنه داوم شهرا لا يأكل شيئا وقال إبراهيم التيمي لقد أتى علي شهر ما أكلت طعاما ولا شرابا إلا حبة عنب أكرهوني عليها وما أنا بصائم وإني لأقضي حوائجي وقال عليه السلام الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد فالمؤمن إنما يشبع فمعنى قوله عليه السلام فإن الله يطعمهم ويسقيهم أنه يطهر قلوبهم من الذنوب وإذا طهرهم من تحليهم بعد ذلك باليقين فأشبعهم وأرواهم وإذا قوي القلب ابتهج بمعرفة ربه وصار فرحا بخدمة ربه

وههنا بحث

واعلم

طهارة

وبالمحول في طاعته وبمجالسة الملائكة المقربين صار الجسد بحيث لا يحتاج الى الغذاء الا
ترى ان الانسان اذا ناله فرح شديد صار بحيث ينسى الحاجة الى الطعام هذا كله كلام الشيخ محمد بن
علي الترمذي ثم قال رحمه الله وللقلوب مع الله شان لا يعرفه الا اهل القلوب الصفة الثالثة قوله
واذا مرضت فهو يشفين وقال الجنيد رحمه الله اذا مرضت بوحشة الخلق شفاني بانس الحق و
قال الشبلي واذا مرضت من هم الاشتياق شفاني بلذة التلاق وفيه سؤال وهو انه لم قال مرضت دون
امرضني والجواب من وجوه الاول ان المرض انما يحصل باستيلاء بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلاء
يحصل بسبب ما فيها من التنافر الطبيعي اما الصحة فهي لا تحصل الا عند بقاء الاخلاط على اعتدالها
وبقاؤها على اعتدالها انما يكون بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها الى الصحة انما يكون
ايضا بسبب قاهر يقهرها الى العود الى الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مشتاقة الى التفرق
والنزاع فان حدوث المرض انما كان بسبب طباع الاخلاط وحدوث الصحة انما كان بسبب الله سبحانه
قهرها على الاجتماع والاعتدال والثاني وهو ان الشفاء من اعظم نعم الله سبحانه على الانسان والمرض
ليس كذلك ومن عادة الله تعالى ان كل ما كان منفعة ولذة فانه يضيفه الى نفسه وكل ما كان
الما فانه لا يضيفه الى نفسه الا ترى انه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب في قلوبهم الايمان
ولما آل الامر الى المشقة ما اضافها الى نفسه فقال كتب عليكم القصاص في القتلى كتب عليكم الصيام
فلما كانت عادة الله جارية برعاية هذه الدقيقة لا جرم ان ابرهيم عليه السلام اعتبر هذا المعنى
فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى الله سبحانه قال وانه نقضية بقوله والذي يميتني ثم يحيين فاعلم
ان الموت سبب لخلاص الروح عن زحمة البدن والاتصال بحضرة الله ورحمته فكيف يعد ذلك
من المكاره ولهذا قال عليه السلام من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة والسبب انه عليه السلام
كان عالما بان وفاته يقع في شهر ربيع الاول فكان شديد الاشتياق اليه اما المرض فانه لا يخلص
الروح فيه من البدن بل يبقى في الزحمة الثالث ان غرض الخليل في هذا المقام اظهار لسان الشكر لا
اظهار لسان الشكوى واضافة المرض الى الله شكاية فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى الله

ليكون



ليكون ابلغ في الشكر الرابعة قوله والذي يميتني ثم يحيين وقد شرحنا في تفسير قوله الذي خلق
الموت والحيوة وفي تفسير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الخامسة والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وهو اشارة الى ما هو المطلوب عند كل عاقل من الخلاص عن العذاب
والفوز بالنجاة واعلم ان ابرهيم عليه السلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله من اول الخلق الى
آخر الابد في الدار الآخرة وههنا سؤالات الاول لماذا قال اطمع والطمع عبارة عن الرجاء وانه
عليه السلام كان قاطعا بذلك الجواب من وجوه ثلثة الاول ان هذا الكلام لا يستقيم الا على مذهبنا
حيث قلنا انه لا يجب لاحد على الله شيء الثاني لعله عليه السلام قال هذا الكلام قبل النبوة
الثالث غرضه موافقة كلام الله في قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكما علق الله تعالى
ذلك بالمشية وافقه الخليل فعلقه بالطمع وهذا من غاية حسن الادب السؤال الثاني لم اسند
الخطيئة على نفسه مع ان الانبياء منزهون عن الخطايا الجواب لعله ذكر هذا الكلام قبل
النبوة او محمول على ترك الاولى السؤال الثالث لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وهو تعالى
انما يغفر في الدنيا الجواب لان اثر هذا الغفران انما يظهر يوم الدين السؤال الرابع ما فائدة
لي في قوله ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين الجواب من وجوه الاول ان الجود افادة ما ينبغي لا لغرض وهذا
هو صفة الحق فقط اما كل من سواه فله فيه غرض فان الاب اذا عفا عن ولده والسيد اذا عفا عن
عبيده بذلك انما يكون لطلب الثواب او للخوف من العقاب او لجلب المدح والثناء او لدفع الرقة الجنسية
عن القلب واذا كان كذلك لم يكن المقصود من العفو رعاية جانب المعفو عنه بل رعاية جانب النفس
اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي اما الحق سبحانه فانه كامل لذاته فيمتنع ان يحصل له صفة كمال
لم يكن او يزول عنه نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا لرعاية جانب المعفو عنه فقوله والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني هو الذي اذا غفر كان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل امر عائد اليه
البتة الثاني كانه يقول الهي خلقتني لي ولاجلي لا لاجلك حين خلقتني ما كنت موجودا واذا لم اكن
موجودا استحال تحصيل شيء لاجلي ثم مع هذا فانت خلقتني اما لو عفوت كان ذلك العفو لاجلي فلما خلقتني

او لا مع انی ما کنت محتاجا الی لک الخلق فلان یغفر لی ولاجلی مع انی فی نهایة الاحتیاج الی
الی العفو کان الیق بفضلك ورحمتك الثالث ان ابرهیم علیه السلام لشدة استغراقه فی بحر المعرفة
شدید الفرار عن الالتفات الی الدنیا والی الوسائط ولذلك لما قال له جبرئیل الك حاجة قال اما
الیك فهنا قال اطمع ان یغفر لی خطیئتی یوم الدین ای ارید ان یغفر لی خطیئتی بمجرد انی عبدك
ومحتاج الیك وخاضع بین یدی رحمتك لا لان تغفرها لی بواسطة شفاعة شافع واعلم ان
الاحوال ثلثة اما الماضی او الحاضر او المستقبل وقد ذکر الخلیل نعم الله تعالی علیه فی هذه الاحوال
الثلثة اما فی الماضی فهو قوله الذی خلقنی فهو یهدین واما فی الحاضر فهو قوله والذی هو یطعمنی
ویسقین واذا مرضت فهو یشفین واما فی المستقبل فهو اما فی الدنیا واما فی الاخرة اما فی الدنیا
فهو قوله والذی یمیتنی ثم یحیین واما فی الاخرة فهو قوله والذی اطمع ان یغفر لی خطیئتی یوم الدین
فما احسن هذا الترتیب قوله رب هب لی حکما والحقنی بالصالحین واعلم ان کل ما مضی ثناء علی
الله تعالی وقوله رب هب لی حکما والحقنی بالصالحین دعاء وتقدیم الثناء علی الدعاء واجب
بحکم النقل والعقل اما النقل فکما فی هذه الایة وایضا روی النبی علیه السلام عن رب العزة من
شغله ذکری عن مسئلتی اعطیته افضل ما اعطی السائلین واما العقل فهو ان الداعی اذا قدم الثناء
علی الله استنار روحه بنور معرفة الله تعالی واتصل قلبه بعالم اللاهیة وسرادقات الصمدیة ومقامات
الفردانیة وارتفعت الحجب وتلألأت الانوار الالهیة فی القلب فیصیر القلب کالقمر اذا وقع فی مقابلة
الشمس فیکمل نوره واذا کمل نوره قوی تأثیره فاذا اتبعه بالدعاء صارت تلك القوة الحاصلة
بسبب الذکر والثناء معینا علی تحصیل المطلوب فلهذا المعنی وجب تقدیم الثناء علی الدعاء کما فعله الخلیل
فی هذا المقام فان قیل لم لم یقتصر ابرهیم علیه السلام علی الثناء فان الدعاء استعانة بطلب الحاجة وهو
مانع من الاستغراق لاسیما وروی عنه انه قال حسبی من سؤالی علمه بحالی فی هذا المقام
کان مشغولا بدعوة الخلق الی الحق بدلیل انه قال ههنا فانهم عدو لی الا رب العالمین فلاجرم
ذکر الثناء اولا ثم الدعاء ثانیا لاجل تعلیم الخلق اما لما خلی بنفسه اقتصر علی الثناء وهو قوله حسبی

فی سؤالی

واعلم



واعلم

من سؤالی علمه بحالی واعلم ان ابرهیم علیه السلام طلب من الله انواعا من المطالب المطلوب الاول
قوله رب هب لی حکما والحقنی بالصالحین ولقد اجابه الله تعالی الیه حیث قال وانه فی الاخرة
لمن الصالحین واعلم ان النفس الانسانیة لها قوتان قوة نظریة عاقلة وقوة عملیة فاعلة فالقوة
النظریة عبارة عن القوة التی باعتبارها تقبل الجلایا القدسیة من العالم الغیب والقوة العملیة
عبارة عن القوة التی باعتبارها یقوی علی تدبیر هذا البدن وذلك لان کمال الانسان فی ان یعرف
الحق لذاته والخیر لاجل العمل به فقوله رب هب لی حکما اشارة الی سعادة القوة النظریة وقوله
والحقنی بالصالحین اشارة الی سعادة القوة العملیة وانما قدم سعادة القوة النظریة علی سعادة
القوة العملیة لان القوة النظریة مقدمة علی القوة العملیة بالشرف وبالذات والدلیل علیه
الوجوه التی ذکرناها فی الفصل الاول فی بیان ان علم الاصول اشرف من علم الفروع وانا فسرنا معرفة
الاشیاء بالحکم وذلك لان الانسان لا یعرف حقایق الاشیاء الا اذا استحضر فی ذهنه صور الماهیات
ثم نسب بعضها الی البعض بالنفی او الاثبات فتلك النسبة هی الحکم ان کانت تلك القضیة النسبیة الذهنیة
مطابقة للنسبة الخارجیة کانت النسبة الذهنیة ممتنعة التغیر وکانت مستحکمة قویة فمثل هذا
الادراك یسمی حکمة وحکما وهو المراد من قوله علیه السلام ارنا الاشیاء کما هی واما الصلاح فهو کون
القوة العملیة متوسطة بین طرفی الافراط والتفریط وذلك لان الافراط فی احد الجانبین تفریط
فی الجانب الاخر وبالعکس فالصلاح لا یحصل الا بالاعتدال ولما کان الاعتدال الحقیقی شیئا واحدا
لا یقبل القسمة البتة والافکار البشریة فی هذا العالم قاصرة عن ادراك ذلك الحد علی سبیل الحقیقة
لاجرم لم ینفك البشر البتة عن الخروج عن ذلك الحد وان قل الا ان خروج المقربین عنه فیکون فی
القلة بحیث لا یحس به وخروج العصاة عنه یکون متفاحشا جدا فقد ظهر بهذا ان احتیاج کل
احد الی ان یستعین بتوفیق الله فی تحصیل هذا الصلاح سواء کان نبیا او ولیا فظهر بهذا احتیاج
ابرهیم علیه السلام علی ان یقول والحقنی بالصالحین المطلوب الثانی فی هذا الدعاء قوله واجعل
لی لسان صدق فی الاخرین واعلم ان مراتب السعادات ثلثة النفسانیة والبدنیة والخارجیة فالنفسانیة

فی الصلاح

احتاج

واعلم ان مراتب السعادة

فقسمنا كمال القوة النظرية وهو المراد بقوله هب لي حكما وكمال القوة العملية وهو المراد بقوله
والحقني بالصالحين واما البدنية فقسمنا وهو الصحة والجمال واما الخارجية فقسمنا المال
والجاه والمال اشد جسمانية لانه ملك الاعيان والجاه اشد روحانية لانه ملك الارواح
وان ابراهيم عليه السلام طلب لسعادات النفسانية بقسيمها ولم يلتفت الى السعادات البدنية لعلمه
بانها غير باقية واما السعادة الخارجية فطلب منها قسما واحدا وهو الجاه والثناء الحسن وهو المراد بقوله
واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقد اعطاه الله ذلك وهو قوله وتركنا عليه في الآخرين فان
قيل واي غرض له في ان يمدح ويثني الجواب من وجهين الاول وهو على لسان الحكمة الاولى ان الارواح
البشرية قد بينا انها مؤثرة في الحكمة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا فيعجز عن التاثير فاذا اجتمع
منها طائفة فربما قوي مجموعها على عجز منه الاحاد عنه وهذا المعنى مشاهد في المؤثرات الجسمانية
اذا ثبت هذا فالانسان الواحد اذا كان بحيث يثني عليه الجمع العظيم ويمدحونه فربما صار انصراف هممهم
الاجتماع اليه سببا لفيضان زيادة كمال عليه من عالم القدس الثاني وهو ان عوالم الخلق ربما كانوا
غير مستعدين لقبول الانوار من عالم القدس فاذا اتصل هذه الارواح بالارواح القوية التي هي
للانبياء فاذا تجلت الانوار الالهية في تلك الارواح القوية النبوية انعكس لي من تلك الانوار الى هذه
الارواح الضعيفة المتعلقة بها بسبب شدة المحبة فيحصل لهذه الارواح الضعيفة نوع من السعادة بسبب تلك
العلاقة والوجه الاول على الجواب جعلنا الثناء والمدح سبب الحصول مزيد السعادة للممدوح وفي
الوجه الثاني جعلناه ذلك الثناء والمدح سبب الحصول مزيد السعادة للمادح والوجه الثالث وهو
كلام اهل الظاهر ان من صار ممدوحا فيما بين الناس بسبب ما كان له من الفضائل فانه يصير ذلك المدح
داعيا للمادح الى اكتساب مثل تلك الفضائل التاويل الثاني لقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين
انه سال ربه ان يحصل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعيا الى الله تعالى وذلك هو محمد عليه السلام فالمراد
من قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين بعثة محمد عليه السلام التاويل الثالث قال بعضهم المراد اتفاق اهل
الاديان على حبه ثم انه تعالى اعطاه وذلك لانك لا ترى اهل دين الا ويحبون ابرهيم عليه السلام المطلوب

الثالث



الثالث قوله واجعلني من ورثة جنة النعيم واعلم انه لما فرغ من طلب اسباب السعادات في الدنيا طلب
بعده سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث وسنذكر السبب في انه تعالى لم يسمي الجنة ميراثا
المطلوب الرابع قوله تعالى واغفر لابي انه كان من الضالين والكلام فيه قد تقدم في الفصل الثالث
من تفسير قوله سلام عليك ساستغفر لك ربي المطلوب الخامس قوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون
وفيه سؤالات الاول انه لما قال اولا واجعلني من ورثة جنة النعيم امتنع الخزي لانه متى حصلت
الجنة فقد زال الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم
والسوء على الكافرين فكان نصيبا للكافر فقط كيف يخاف منه الرسول المعصوم قلنا كما ان حسنات
الابرار سيئات المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل احد ما يليق به
السؤال الثاني قوله يبعثون ضمير عن اي شي والجواب انه ضمير العباد لانه معلوم وان لم يكن مذكورا
وضمير الضالين واعلم ان في الآية وجوها من النكت الاول قيل معنى الآية لا يطالبني يوم القيمة
لصدق الخلة فلا يقال يا ابرهيم ادعيت انك خليل الله فهات صدق الدعوى والنكتة ان ابرهيم
عليه السلام لما خاف من هذا المقام افلا تخاف ايها المذنب ان يطالب يوم القيمة بحق الايمان والتوحيد
كما قال ليسئل الصادقين عن صدقهم الثاني الخليل عليه السلام لما قال ولا تخزني يوم يبعثون
لم يظهر جوابه في نص القرآن ثم ان الله تعالى اعطى هذا الامان لامة محمد عليه السلام فقال يوم
لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه اما قوله الا من اتى الله بقلب سليم اعلم ان الله تعالى الزم بهذا
الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفي تفسير القلب السليم وجوه
الاول كان المراد منه سلامة القلب عن الجهل والاخلاق الذميمة كما ان سلامة البدن عبارة عن
ما ينبغي من المزاج والتركيب وضده عبارة عن زوال احد تلك الامور الثاني ان السليم هو
الذي فرغ من خشية الله الثالث السليم هو الذي سلم واسلم وسالم واستسلم وهذه الاحوال كانت
حاصلة لابرهيم عليه السلام كما قال تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين قال الشبلي
رحمه الله القلب السليم كقلب الخليل كان يسير قلبه من جانب التحت الى الوفاء ومن الفوق الى الرضاء ومن اليمين

الى العطاء ومن اليسار الى ترك الهوى ومن القدام الى اللقاء ومن الخلف الى البقاء **الفصل**
**السادس** فى تفسير استدلال نوح عليه السلام قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا قال مقاتل ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله
عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فرجعوا فيه الى نوح عليه السلام فقال نوح
استغفروا ربكم من الشرك حتى يفتح عليكم ابواب النعمة واعلم ان الاشتغال بالايمان وسائر
الطاعات سبب لانفتاح ابواب الخيرات ويدل عليه وجوه **الحجة الاولى** ان الكفر سبب لخراب
العالم قال تعالى فى صفة كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا ان دعوا للرحمن ولدا الى قوله الا اتى الرحمن عبدا فلما كان الكفر سببا لخراب العالم وجب ان يكون
الايمان سببا لعمارة العالم **الحجة الثانية** الايات الدالة على هذا المعنى منها هذه الاية ومنها
قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقال ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا
نحن نرزقك **الحجة الثالثة** انه تعالى ما خلق الجن والانس الا ليعبدون فاذا اشتغلوا بتحصيل
المقصود حصل ما يحتاج اليه فى الدنيا على سبيل التبعية **الحجة الرابعة** انه تعالى قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون بين انك مخلوق لاجل عبادته ثم قال خلق لكم ما فى الارض جميعا
فبين ان جميع الارض مخلوق لك ثم انه تعالى قال اوفوا بعهدى اوف بعهدكم فلما وفيت بعهد العبودية
فهو المراد بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لا بد وان يفى الحق بعهد الربوبية فهو المراد
بقوله خلق لكم ما فى الارض جميعا **الحجة الخامسة** روى ان عمر رضى الله عنه خرج يستسقى
فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء
المجدح ثلثة كواكب مخصوصة ونوء يخصوص فيه غرضه انه شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة

التى



التى لا تخطى **الحجة السادسة** ان قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا يحتمل ان يكون
المراد منه انزال الغيث والمطر على ما هو ظاهر اللفظ ويحتمل ان يكون المراد منه فتح ابواب
السماء بامطار التوفيق والهداية والارشاد ويجب حمل اللفظ عليها جميعا اما الاول
فما روى ان الحسن جاءه رجل وشكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكى اليه آخر من
الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامر الكل بالاستغفار فقال له بعض القوم
اتاك رجال يشكون اليك انواعا فامرت الكل بالاستغفار فتلا هذه الاية واما الثانى
فروى عن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم
ذنوبا وتحقيقه من جهة العقل ان الاستغفار اذا قوى على الرفع بعد الثبوت فلان يقوى
على الدفع والمنع كان اولى فان قيل لم قال انه كان غفارا ولم يقل انه الآن غفار قلنا
المراد منه انه كان غفارا فى حق كل من استغفره كانه قال لا تظنوا ان غفاريته انما
حدثت الان بل هو ابدا هكذا فكان آخرتكم هذا الذنب والمعصية فلا جرم فكذلك فقر
هو الغفارية قوله تعالى يرسل السماء عليكم مدرارا واعلم ان الخلق مجبولون على محبة
الخيرات العاجلة ولذلك قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب لا جرم علمهم الله
تعالى ان ايمانهم بالله يجمع مع الحظ الوافر فى الاخرة الخصب والغناء فى الدنيا والاشياء التى
وعدهم من منافع الدنيا فى هذه الاية خمسة اولها قوله يرسل السماء عليكم مدرارا
وفى السماء وجوه الاول ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض الثانى ان
المراد بالسماء هو السحاب الثالث المراد بالسماء المطر من قوله اذا نزل السماء بارض قوم
والمدرار الكثير الدرور وهو مفعال مما يستوى فيه الذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة
معطار ومتفال والنعمة الثانية قوله ويمددكم باموال وهذا لا يختص بنوع واحد من
المال بل يعم الكل والنعمة الثالثة قوله وبنين ولا شك ان كثرة الاولاد الذكور سبب
لبقاء الذكور واشتداد الظهر والنعمة الرابعة قوله ويجعل لكم جنات اى البساتين

والنعمة الخامسة قوله ويجعل لكم انهارا فبدأ بذكر هذه النعم بانزال الماء من السماء
وختمها باخراج الماء من الارض والسبب فيه انا بينا ان تولد النعم في هذا العالم انما يكون
بنزول الماء من السماء الى الارض واعلم انه تعالى لما امرهم بالاستغفار ووعد على الاستغفار بهذه
المنافع اكد ذلك ورغب فيه فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا وفيه وجوه الاول ان يكون
التقدير ما لكم لا تأملون من الله وقارا وتعظيما يفعله في حقكم كان القوم لما قيل لهم انكم
متى استغفرتم الله اعطاكم هذه النعم الكثيرة فالقوم استبعدوا ذلك فقالوا
كيف ان يعطينا هذه النعم العظيمة بمجرد الاستغفار فاجيبوا بقوله ما لكم لا ترجون
لله وقارا اي ما لكم لا ترجون من الله ان يفعل في حقكم هذا التوقير والتعظيم مع انه
فعل في حقكم ما هو اعظم واجل منه وهو انه خلقكم اطوارا الثاني ان القوم كانوا
يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه السلام فامرهم الله بتوقيره وترك الاستخفاف فقيل
لهم انكم اذا وقرتم نوحا كان ذلك لاجل الله تعالى فما لكم لا ترجون لله وقارا اي توقيره
لاجل الله تعالى ولاجل امره وطاعته فان كل ما يأتي به الانسان لاجل الله فانه لا بد
وان يرجو منه خيرا الوجه الثالث وهو ان يكون المراد من الوقار الحلم وترك التعرض والمعنى
ما لكم لا تأملون ان يترك الله معاجلتكم بالعذاب بحلمه ولطفه في امهالكم لتؤمنوا
وقوله لله بيان من ثبت له الوقار الوجه الرابع ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر
فكانه قال ما لكم وعند هذا تم الكلام ثم قال على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار لا ترجون
لله وقارا اي لا ترجون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ثباته و
بقاءه لخفتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف برسله وامره والمراد من قوله ترجون اي
تعتقدون لان الراجي للشيء معتقد له ثم انه تعالى امر في هذه الاية بتعظيم الله استدل
على التوحيد بوجوه من الدلائل الحجة الاولى حجة مأخوذة من الانفس وهي قوله وقد خلقكم
اطوارا وفيه وجهان الاول قال ابو الليث الطور المرة يعني حالا بعد حال فانه كان ترابا

اولا



اولا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة الثاني قال ابن الانباري الطور الحال والمعنى خلقكم
اصنافا مختلفين لا يشبه بعضهم بعضا كما قال واختلاف السنتكم والوانكم واعلم
انه تعالى خلق البشر بحيث لا يشبه بعضهم بعضا في الصورة والحكمة فيه انه لو حصلت المشابهة
لحصل الاشتباه فما كان يتميز زوج هذه المرأة عمن لم يكن زوجها ولا عبد هذا الانسان
من عبد غيره وح لم يتميز الحلال عن الحرام والمستحق عن غير المستحق وذلك يفضي الى زوال
المصالح وحصول المفاسد فلهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية تخصيص كل شخص بصورة
مخصوصة معينة ثم انه من اعظم الدلائل على القادر المختار لان الاب والام وتأثير الطبايع والنجوم
والافلاك واحدة ثم يكون مع هذا التشابه والتشارك يكون كل واحد منهم مختصا بصورة مخصوصة
معينة فهذا لا يكون الا بتأثير القادر المختار روي انه واحد المتعظم من الشطرنج عند عمر رضي الله
عنه وقال انه رقعة مختصرة ثم انه يقع فيه انواع غير متناهية من اللعب فقال عمر رضي الله عنه رقعة
الوجه اصغر من رقعة الشطرنج ولكل عضو من اعضاء الوجه موضع معين من الوجه لا يتغير
عنه فان العين لها موضع معين وكذلك الانف والفم ثم مع هذا يقع فيه من الاختلاف
ما لا نهاية له فانك لا ترى انسانين في المشرق والمغرب يتماثل صورتهما من كل الوجوه وهذا يدل
على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته الحجة الثانية على التوحيد حجة مأخوذة من الافاق وهو
قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
واعلم انه تعالى تارة يبدأ بدلائل الانفس وبعدها بدلائل الافاق كما في هذه الاية وذلك لما
ذكرنا ان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه فلا جرم بدأ بالاقرب فالاقرب لان الاقرب اعرف وتارة
بدأ بدلائل الافاق ثم بدلائل النفس اما لان دلائل الافاق اشهر واعظم او لانها اشرف واعلم ان
هنا في الحقيقة دلائل ثلثة اولها السموات السبع الطباق وقد تقدم في الباب المتقدم كيفية
دلالتها على الصانع المختار وثانيها كون القمر نورا وثالثها كون الشمس سراجا وانه تعالى وصف
الشمس والقمر بانواع من الصفات الصفة الاولى ذكر كون القمر نورا والشمس سراجا في ايات احديها في هذه

واعلم

تخصيص كل شخص بصورة

صحابي

الحجة الثانية من الافاق

دلائل الافاق والانفس

الايات وقال في يونس هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل الاية وقال
وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واعلم
ان الاستقراء يدل على ان احوال هذا العالم مختلفة بحسب اختلاف انوار الشمس والقمر فلنبتدئ
ذلك في الشمس اولا ثم في القمر ثانيا اما تاثيرات انوار الشمس في هذا العالم ففي وجوه الاول
التاثيرات الحاصلة بسبب اليوم والليلة وذلك لانا نرى جميع الحيوانات في الليل كالميت فاذا
طلع نور الصبح ظهرت في ابدان الحيوانات قوة الحيوة وكلما كان طلوع ذلك النور اكثر كان
ظهور قوة الحيوة في الابدان الحيوانية اكمل ثم كلما طلع قرص الشمس بالتمام يرى الناس
وسائر الحيوانات يبتدئ بالحركة والقوة والاشتداد وما دامت الشمس صاعدة الى
وسط سمائهم كانت حركتهم في الزيادة والقوة فاذا مالت الشمس عن وسط السماء اخذت
حركاتهم وقواهم في الضعف ولا يزال يتزايد ذلك الضعف الى ان غابت الشمس كلما
ازدادت غيبوبة نور الشمس ازدادا لضعف والفتور والنقصان في الابدان الحيوانية
وفي القوى المدركة والمحركة ورجعت الحيوانات الى بيوتها وحجرها كالميتات المعدومة فاذا
طلعت الشمس عليهم في اليوم الثاني رجعوا الى الحالة الاولى من الحيوة وقوة الحركات الوجه
الثاني في تاثيرات الشمس بحسب حركاتها اليومية وبيانه انها لو كانت واقفة في موضع
واحد كاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتدت البرودة في سائر المواضع ولكنها تطلع
في اول النهار من المشرق فيقع ما يحاذيها من جانب المغرب ثم لا يزال يدور ويغشي جهة
بعد جهة حتى ينتهي الى طرف المغرب فتشرق حينئذ على الجوانب الشرقية وحينئذ لا يبقى
موضع مكشوف في المشرق والمغرب الا ويأخذ حظا من شعاع الشمس الوجه الثالث في تا
ثيرات الشمس بحسب الفصول الاربعة وبيانه وهو انه لو لم يكن للشمس حركة في الميل لكان
تاثيرها مخصوصا بمدار واحد وكان سائر المدارات تخلو عن المنافع الحاصلة منه
وكان يبقى كل واحد من المدارات الجنوبية والشمالية على كيفية واحدة فان كانت

حارة

حارة افنت الرطوبات واحالتها كلها الى النارية ولم يتكون المتولدات فيكون الموضع
المحاذي لممر الشمس على كيفية الاحراق والبعيد عنه جدا على كيفية متوسطة فيكون
في موضع صيف دائم يوجب للاحتراق وفي موضع شتاء دائم يوجب الجمود والتحجر
وفي موضع ربيع دائم او خريف ولا يتم فيه النضج اما اذا حصل للشمس ميل تارة الى الجنوب
وتارة الى الشمال حصلت في كل بقعة من بقاع الارض هذه الفصول الاربعة التي هي معينة على
النشو والنماء وحصول مصالح الحيوانات والنباتات الوجه الرابع في تاثيرات حركة الشمس من حيث
انها يتم الدورة في سنة واحدة وذلك لانا لو قدرنا ان الشمس يتحرك حركة بطيئة لكان هذا
الميل قليل النفع وكان التاثير شديد الافراط وكان يعرض قريبا مما لو لم يكن له ميل ولو كانت حركتها
اسرع من هذه المنافع لما كملت المنافع ما تمت فاما اذا كانت هذه الحركة لا في غاية السرعة
ولا في غاية البطوء حصلت المنافع المذكورة والمصالح المذكورة الوجه الخامس في تاثيرات الشمس
بحسب قربها من سمت الراس وبعدها عنه اعلم ان كل موضع يكون الشمس بعيدا عن سمت الرؤس
اشتد البرد فيه وهو ميل الموضعين اللذين تحت القطبين فانه لا يتكون هناك حيوان ولا ينبت
فيه نبات من شدة البرد ويكون هناك ستة اشهر نهارا وستة اشهر ليلا ويكون هناك رياح
عاصفة جدا وثلوج متوالية ويدل عليه البحر الارمني فانه اقرب الى مدار الشمس من الموضع المذكور
بقريب مع انه يشتد فيه الرياح العواصف ويشتد ظلمته حتى انه لا يتمكن ركوبه لشدة برده و
ظلمته ويستدل عليه ايضا بحر الشام فانه اذا حصلت الشمس في اوائل العقرب الى ان يحصل في اول
الحوت ففي هذه الاشهر الاربعة لا يستطيع الناس ركوب هذا البحر الوجه السادس في تاثيرات
الشمس في احوال الحيوانات بحسب قربها من سمت الرؤس وبعدها عنه اعلم ان الاستقراء يدل
على ان السبب الظاهر لاختلاف الناس في اجسامهم والوانهم واخلاقهم وطبايعهم وسيرهم
اختلاف احوال الشمس في الحركة وذلك لان الناس ثلثة اصناف احدها الذين يسكنون خط
الاستواء الى المحاذات ممر راس السرطان وهم يسمون بالاسم العام السودان لان الشمس يمر

واعلم احوال العالم
وجه اول
وجه ثاني
وجه ثالث
وجه رابع
وجه خامس
بحر ارمني

على سمت رؤسهم في السنة اما مرة او مرتين فتحرقهم وتسود ابدانهم وشعورهم
والذين مساكنهم في غاية القرب من خط الاستواء فهم الزنج والحبشة والشمس لقوة
تأثيرها في مساكنهم يحرق شعورهم وتسودها وتجعلها جعدة كثيفة وتجعل وجوههم
قحلة وجثتهم عظيمة واخلاقهم وحشية واما الذين مساكنهم اقرب الى محاذاة ممر رأس
السرطان فالسواد فيهم اقل وطبايعهم اعدل واخلاقهم انس واجسامهم اوصف كاهل
الهند واليمن وبعض المغاربة وكل العرب والقسم الثاني الذين مساكنهم على ممر رأس
السرطان الى قريب من محاذات بنات النعش الكبرى وهم يسمون بالام العالم البيضان
فهولاء لاجل ان الشمس لا تسامت رؤسهم وايضا لا يبعد عن مسامتة رؤسهم بعد
كثير لم يعرض لهم شدة من الحر والبرد فلاجرم صارت الوانهم متوسطة ومقادير اجسامهم
معتدلة واخلاقهم حسنة كاهل الصين والترك وخراسان والعراق وفارس والشام
ثم هولاء كل من كان اميل منهم الى ناحية الجنوب كان اتم في الذكاء والفهم لقربه من
منطقة البروج وممر الحركات المتحيرة وبحق حركاتهم اليق بحركات الكواكب السيارة في
السرعة والخفة ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق فهم اقوى نفسا واشد تذكيرا لان المشرق
يمين الفلك لان الكواكب تطلع منه والانوار من جانبه تظهر واليمين ولا شك انه اقوى
ومن كان الى ناحية المغرب فهم الين نفسا واشد تأنيثا واكثر كتمانا للامور والقسم الثالث
الذين يكونون مساكنهم محاذية لبنات النعش الصغرى وهم الصقالبة والروس فانهم لكثرة
بعدهم عن ممر البروج وحرارة الشمس صار البرد عليهم اغلب والرطوبة الفضلية اكثر
لانه ليس عندك من الحرارة ما ينشفها فكذلك صارت الوانهم بيضاء وشعورهم سبطة شقرا
وابدانهم عظيمة رخصة وطباعهم مائلة الى البرودة واعلم ان كل واحد من هذين الطرفين
الاقليم الاول والسابع يقل فيه العمران وينقطع بعضه عن بعض لغلبة الكيفيتين الفاعليتين
ثم لا يزال يزداد العمارة في الاقليم الثاني والسادس والخامس ويقل الخراب فيهما واما الاقليم الرابع فانه

القسم الثاني

وعظم

متواصل

متواصل العمارات قليل الخراب وذلك لفضل الوسط على الاطراف باعتدال المزاج الوجه
السابع في تأثيرات الشمس بحسب قربها وبعدها من الارض اعلم ان الموضع التي تسامتها
حضيض الشمس وهي البرية الجنوبية وهي محرقة نارية لا يتكون فيها حيوان البتة واما البلاد
المتقاربة لتلك المواضع فسكانها كلهم سود الالوان على التفصيل الذي ذكرناه واما المواضع
التي تسامتها اوج الشمس فهي في جانب الشمال وهي غير محترقة بل معتدلة واعلم ان التفاوت
الحاصل بسبب قرب الشمس من الارض في الحضيض وبعدها من الاوج ليس بكثير بل قليل ثم
ان بسبب التفاوت القليل صار الجنوب محترقا فعلمنا بهذا ان الشمس لو صارت الى فلك الثوابت
لفسد الطبايع من شدة البرد ولو انها انحدرت الى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية فلهذه
الحكمة جعل الباري جل ثناؤه الشمس وسط الكواكب السبعة ليكون بحركتها المعتدلة وقربها
المعتدل تبقى الطبايع والمطبوعات في هذا العالم على حد الاعتدال فاما اهل الاقليم الاول فلاجل
قربهم من حضيض الشمس كانت سخونة الهواء بهم شديدة فلاجرم هم اكثر سوادا لان تأثير
الشمس فيهم اشد واهل الاقليم الثاني سمر الالوان واما الاقليم الثالث والرابع فاعدل الاقاليم
مزاجا بسبب اعتدال الهواء وايضا فغاية ارتفاع الشمس انما يكون عند كونها في ابعد بعدها
عن الارض فلاجرم صار اهل هذه الاقاليم معدنا للاشخاص الفاضلة والصور الجميلة واما الاقليم
الخامس فسخونة الهواء هناك اقل من الاعتدال بقدر يسير فلاجرم صار في حيز البرد والثلوج
فصارت طبايع اهلها اقل نضجا من طبايع اهل الاقليم الرابع لان بعدهم عن الاعتدال قليل
واما اهل الاقليم السادس والسابع فاهلها مجوس ولغلبة البرد والرطوبة عليهم اشتد
بياض الوانهم وزرقة عيونهم وعظمت وجوههم واشتدت فقد ظهر ان صور الناس و
اشكالهم انما تختلف بحسب اختلاف احوال الشمس فهذا اشارة الى كيفية تأثيرات الشمس
واما القمر فتأثيراته من وجوه الاول انا لا نرى ابدان الحيوانات في وقت زيادة ضوء القمر تكون اقوى
واسخن وبعد الامتلاء يكون اضعف وابرد ويكون الاخلاط التي في بدن الانسان مادام

القمر زائداً في ضوئه فانها يكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسناً فاذا انتقص ضوء القمر تناقصت
قصت هذه الاحوال الثاني ان التجارب الطبية دلت على ان احوال البحرانات مربوطة باحوال
زيادة ضوء القمر ونقصانه الثالث ان يكثر البان الحيوانات في النصف الاول من الشهر ويتناقص
في النصف الثاني الرابع ان الانسان اذا نام في ضوء القمر حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل
ويهيج عليه الزكام والصداع واذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة تحت ضوء القمر تغيرت
طعومها وروايحها ولاصحاب التجارب اعتبارات كثيرة في هذا الباب ويكفينا هذا القدر
في بيان منفعة كون الشمس ضياء والقمر نوراً فان قيل ان ظاهر كلامكم في هذا الفصل
مشعر في ان المؤثر في احوال هذا العالم هو الشمس والقمر وكلامكم في الابواب المتقدمة صريح
في ان المؤثر هو قدرة الله تعالى فكيف الجمع بين القولين الجواب ليس ان قول الخبز مشبع
والماء مروٍ وانا كنا نعتقد ان خالق الشبع والري هو الله تعالى فكذلك هاهنا اليس تعالى
قال هو الذي خلق الموت والحيوة وقال والذي يميتني ثم يحيين وقال الله يتوفى الانفس حين
موتها ثم قال قل هل يتوفيكم ملك الموت ثم قال اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فحصول الموت
والوفاة منسوبة الى الله بالتخليق والايجاد ومنسوب الى ملك الموت بالامر بقبض الارواح ومنسوب
الى اتباع ملك الموت لاجل انهم يباشرون اعمالا اجرى الله عادته بخلق الموت عقيبها فكذلك
هاهنا الله تعالى اجرى عادته بخلق الحوادث المختلفة بحسب قرب الشمس وبعدها فتلك
الحوادث منسوبة الى قدرة الله تعالى بالتخليق والايجاد ومنسوبة الى الشمس على سبيل اجراء
العادة **الصفة الثانية** من صفات الشمس والقمر كونهما مسخرة قال تعالى في الاعراف ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الاية وقال في الرعد الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها الاية وقال في الزمر خلق السموات والارض بالاية واعلم ان هذا التسخير
من وجوه الاول انها مع غاية ثقلها بقيت في جو السماء وذلك لا يكون الا بتسخير الله تعالى
وحفظها في جو السماء الثاني انها متحركة بالاستدارة على نهج واحد لا يقع في كل الحركات اختلاف

بالبطوء



بالبطوء والسرعة ولا بالرجوع والاستقامة ولا بالارتفاع والانخفاض بل لكل واحد
منها سير مقدر ونهج مقدر وجهة مقدرة وذلك لا يكون الا بتسخير مسخر وتقدير مقدر
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً واعلم ان العقول قاصرة عن معرفة منافع
لكل واحد من الكواكب في كل واحد منها في القرب والبعد والحركة والجهة ولكن العقل انما
دل على بعض المنافع والحكم وجب ان يقاس الباقي عليه فيقطع بان الله تعالى في كل واحد منها حكماً
مخفية واسراراً مطوية لا تصل اليها عقول الخلق ولا ينتهي الى مباديها اوهام الملائكة المقربين
فضلاً عن اوهام البشر فيكون الغاية القصوى لنا ان نعرف بجلال خالقها وكمال حكمة مدبرها
كما قال ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار **الصفة الثالثة** كون القمر
آية الليل والشمس آية النهار قال تعالى في بني اسرائيل وجعلنا الليل والنهار آيتين وقال في سورة
يس والشمس تجري لمستقر لها الى قوله كل في فلك يسبحون فهذه الايات دالة على ان سيرها وحركتها
لحكمة بالغة وعلى ان هذه الحركات تنتهي بالاخرة الى الانقطاع والسكون فغاية كل متحرك سكون
ونهاية كل متكون ان لا يكون وهذا الذي حكم بان الشمس والقمر لا يدرك كل واحد منهما صاحبه انما
يكون الآن فاما عند نهايتها الى الانقطاع فهناك يجتمعان كما قال في سورة القيمة فاذا برق البصر
وخسف القمر وجمع الشمس والقمر فتأمل الآن في ضوء هذه الكواكب ثم اعرف زوال الضوء عنها
في العاقبة كما قال تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وتأمل الآن في حركاتها العجيبة
ثم اعرف انتهاء حركاتها الى السكون كما قال تعالى يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار فهذه جملة
الكلام في صفات الشمس والقمر **الجملة الثالثة** قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم اخراجاً واعلم انه تعالى رجع هاهنا الى دلائل الانفس وهو كالتفسير لقوله خلقكم اطواراً
فانه تعالى بين انه خلقهم من الارض ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها مرة اخرى واعلم ان كيفية خلق
الانسان من التراب سيأتي شرحها في باب خلقة الانسان واعلم ان في قوله انبتكم من الارض نباتاً
بحثان الاول في معنى هذه الاية وجهان الاول معنى قوله انبتكم من الارض الاب الاول من الارض فهو آدم عليه السلام

واعلم ان العقول

الحركات منتهية الى الانقطاع

والله انبتكم من الارض نباتاً

والثانى انبت الكل من الارض لانه تعالى انما يخلق البشر من النطفة والنطفة متولدة من الاغذية المتولدة من الارض البحث الثانى كان ينبغى ان يقال انبتكم من الارض انباتا لكنه لم يقل ذلك بل قال انبتكم من الارض نباتا والمعنى انبتكم من الارض فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وذلك لانه انما ذكر هذا استدلالا على اثبات الصانع والانبات صفة الله وتخليقه وصفة الله تعالى غير محسوسة فلا يمكن الاستدلال بها على وجود الصانع اما النبات صفة المخلوق وهى مشاهدة محسوسة فيمكن الاستدلال بها على وجود الصانع فكان العدول عن لفظ الانبات الى لفظ النبات لهذه الدقيقة اللطيفة الحجة الرابعة قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا واعلم ان شرح صفات الارض قد تقدم فلا نعيده

## الفصل السابع

في شرح مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون فى اثبات الصانع المختار سبحانه وتعالى واعلم انا قبل الخوض فى شرح تلك المناظرة نقدم مقدمات لا بد منها المقدمة الاولى ان كتب القصص ناطقة بان فرعون كان يدعى كونه خالقا للسموات والارض والنبات والحيوان حتى ذكروا ان ابليس متى ذهب الى دار فرعون فهو فى المستراح فقرع الباب فقال من انت فقال ابليس فهل يخفى على رب الخلق ما وراء الباب فلما دخل عليه ابليس قال فرعون من شر منا قال ابليس انت قال لم قال لانى اطوف المشرق والمغرب وكان منتهى امرى فى آدم انى قلت انا خير منه واما انت فمع نقصك وقصورك تقول انا ربكم الاعلى فكيف اكون شرا منك ثم خاف ابليس ان يرجع فرعون عن ظلمه وعتوه بسبب هذه الواقعة فقال وهل تعرف شرا منا فقال لا فقال الذى يستعمل عمل الآخرة فى كسب الدنيا وامثال هذه الحكايات فى كتب التفسير كثيرة واعلم انه يبعد عندى ان يقال انه كان يدعى انه خالق السموات والارض والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان فرعون وقومه اما ان يقال انهم كانوا عقلاء او مجانين فان كانوا عقلاء امتنع منه ادعاء كونه خالقا للسموات والارض لان العلم بفساد ذلك ضرورى وما كان كذلك امتنع وقوع الخلاف فيه بين العقلاء واما ان قلنا انهم كانوا مجانين فهذا باطل لوجوه احدها لو كان الامر كذلك لما كان يليق بحكمة الله تعالى ارسال



النطفة متولدة من الاغذية المتولدة من الارض

فيه دقيقة

مقدمات

قصة ابليس مع فرعون



الرسل وانزال الكتب عليهم وكيف وقد قال عليه السلام رفع القلم عن ثلث عن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ الحديث والثانى وهو ان مناظرات فرعون مع موسى تدل على انه كان فى غاية الخبث والمكر والدهاء وذلك لا يليق بالمجانين الثالث ان ضبط تلك الممالك وتسخير اولئك الاقوام الاكثرين لا يتاتى من المجنون الحجة الثانية ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام والدليل عليه انه لما هرب موسى منه الى مدين قال له شعيب عليه السلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين ويقال انه ما كان بين مصر وبين مدين الا ثمانية ايام مع هذا القصور فى ملك الدنيا كيف يجد العاقل من نفسه ان يدعى كونه خالقا للسموات والارض فثبت بما ذكرنا فساد هذا الكلام واحتج القائلون بذلك القول بانه تعالى حكى عنه انه قال انا ربكم الاعلى وحكى عنه فى سورة القصص انه قال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فادعى الربوبية فى الاية الاولى والالهية فى الاية الثانية ويدل ذلك على ما قلناه والجواب انا بينا بالدلائل القاطعة ان مثل ذلك الانسان اذا كان عاقلا لا مجنونا لا يدعى كونه خالقا للسموات والارضين فلا بد من تاويل لفظ الرب ولفظ الاله فنقول الرجل اذا كان دهريا لعله كان يظهر القول بانكار الصانع وكان يقول الافلاك والكواكب واجبة الوجود لذواتها وهى المؤثرة فى حوادث العالم واذا كان كذلك فلا امر ولا نهى ولا ثواب ولا عقاب ولا رسول ولا تكليف ثم انه يجب على ملك البلد ان يقوم بتحصيل مصالح الرعية ويجب على الرعية ان ينقادوا لاوامر ذلك فاذا كان الملك هو الذى يقوم بمصالحهم ويهتم بتربيتهم ويعتنى بشانهم كان ربا لهم ومربيا لهم واذا كان هو مربيا لهم ومنعما عليهم وجب عليهم ان يكونوا منقادين لاوامره وتكاليفه ومعترفين بعبوديته وعبادته واذا كان كذلك كان هو معبودا لهم والاله هو المعبود وكان مراده من ادعاء الربوبية والالهية هذا المعنى ويحتمل ايضا ان يقال انه كان من الصابئة وهو الذين يقولون ان البشر عبيد الكواكب والكواكب عبيد الاله الاكبر للعالم فلا جرم يجب على البشر عبادة الكواكب وعلى الكواكب

بين مصر ومدين ثمانية ايام

الجواب

يقول الدهرية ان الافلاك والكواكب واجبة الوجود

يحتمل ان يكون من الصابئة

دقيقة

عبادة الله تعالى والقائلون بهذا القول يسمون بالمعرضة واصحاب الوسائط وهذا القول
اقرب والدليل عليه قوله حكاية عن قوم فرعون ويذرك والهتك فاثبتوا الهة وهي اما
الكواكب واما الاصنام وعلى هذا التقدير فقوله انا ربكم الاعلى بمعنى انتم عبيدي
وتحت امري وانا عبد الشمس والقمر وهما عبد الاله الاكبر وقوله ما علمت لكم من اله غيري
معناه انا الهكم والهي هو الشمس والقمر هو الاله الاكبر فيرجع حاصل الكلام الى ان فرعون
امام من الدهرية واما من الصابئية فاما ان يقال انه كان يدعي كونه خالقا للشمس والارض
فهذا غير لائق بالعقل **المقدمة الثانية** انه تعالى حكى عنه في القصص انه قال يا ايها الملاء
ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان الى قوله واني لاظنه من الكاذبين وقال في المؤمن
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني
لاظنه كاذبا واعلم ان كثيرا من اهل الآثار روى انه لعنه الله لما امر ببناء هذا الصرح جمع هامان
عماله حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر
الخشب وضرب المسامير فشيد ذلك الصرح حتى بلغ مبلغا لم يبلغه بنيان احد
من الخلق فبعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام عند غروب الشمس فضرب بجناحيه فقطعه ثلث
قطع فقطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة وقعت في البحر
وقطعة بقيت منهدمة ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك ويروى في هذه القصة ان
فرعون ارتقى على ذلك الصرح ورمى بنشابة الى السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت النشابة
اليه ملطوخة بالدم فقال فرعون عند ذلك قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله تعالى
جبرائيل عليه السلام حتى ضرب ذلك الصرح ووضعوا على هذه الحكاية وجوها كثيرة من الكلمات
واعلم ان مثل هذا العمل لا يليق بالعقلاء ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان فرعون وقومه كانوا
من العقلاء فلا شك انهم كثيرا ما يكونون في اعلى جبل يكون من اعلاه الى اسفله فرسخ او فرسخين
ثم ان كل احد يرى السماء من اعلى ذلك الجبل ومن اسفله على قدر واحد من غير تفاوت البتة



ومن المعلوم ان وضع بناء يكون مقدار ارتفاعه في الهواء فرسخين كالمتعذر وبتقدير ان
يحصل ذلك فانه لا تفاوت قدر السماء في الحس بسبب الصعود على اعلاه ومتى كان كذلك
فالعاقل العارف بهذا الامر كيف يليق به ان يبني الصرح حتى يصعد منه الى السماء **الحجة الثانية**
ان الذي يقال انه رمى السهم الى السماء فرجع ملطخا فقال قتلت اله موسى هذا ايضا من السخف
الذي لا يليق بالعقلاء وكيف يليق بالعاقل ان يحاول ايصال السهم الى السماء وبتقدير ان يفعل
ذلك فكيف يمكنه ان يقتل اله السماء بهذا القدر من العمل فلعل اله السماء يكون مستترا بحجاب
ولو صل السماء لا يتصل اليه السهم تعالى الله عن هذه الاوهام الفاسدة علوا كبيرا اما هذه الكلمات
من احاديث العقلاء في شيء وانما هو من سخف ارباب الطامات الذين غرضهم تشويش قلوب الاغبياء
من المستمعين وكلام الله تعالى منزه عنه وعن امثاله وبتقدير ان هذه التهمة مشعرة بما
لمن اراد الطعن في القرآن بل الصواب عندنا في تفسير هذه الآية ان هذا الكلام من تتمة قوله ما علمت
لكم من اله غيري وذلك لان فرعون كان دهريا فقال لموسى عليه السلام هذا الاله الذي تدعيه وجوده
غير مشاهد ولا محسوس ولا دليل ايضا على وجوده فانه يكفي لحدوث الحوادث الارضية حركات
الاجرام الفلكية واذا كان غير معلوم بالضرورة ولا بالدليل فكيف يمكن اثباته فهذا هو مراده
من قوله ما علمت لكم من اله غيري ثم قال عند هذا الكلام على سبيل السخرية يا هامان ابن لي صرحا
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى ومثل هذا الكلام لا يقال على سبيل التحقيق بل على
سبيل الاستبعاد وبيانا انه لا سبيل له ونظيره قوله تعالى لمحمد عليه السلام فان استطعت ان تبتغي نفقا
في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية وليس المقصود بيانا انه يجب عليه ان يفعل ذلك حتى يأتيهم
بآية بل الغرض بيان انه لا سبيل الى ذلك فكذا في هذه الآية فهذا من تفسيرها والله اعلم بمراده
**المقدمة الثالثة** ان فرعون وان كان من المنكرين بوجود الصانع باللسان ولكن من الناس من قال
انه كان عارفا بقلبه بربه الا انه لعنه الله كان يظهر الانكار تكبرا وعنادا واحتجوا عليه بوجوه الحجة
الاولى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض

فمن نصب التاء في علمت كان هذا خطابا لموسى عليه السلام مع فرعون وهذا يدل على ان فرعون
كان عارفا بربه الثاني قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا صريح في المطلوب
الثالث قوله تعالى في القصص في صفة فرعون وقومه وظنوا انهم الينا لا يرجعون وهذا يوهم
انهم كانوا معترفين بالمبدأ منكرين للمعاد الرابع انه قال فرعون وما رب العالمين قال موسى
رب السموات والارض قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية
وهو يذكر ما يدل على الصفة الخارجية عن الماهية فان الخلاقية صفة خارجة عن الماهية وهذا يدل
على ان فرعون ما كان نازعا في وجود الصانع بل كان يطلب الماهية الخامس لما قال فمن ربكما يا موسى اجابه
موسى بقوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال اهل اللغة الذي كلمة تقتضي وصف
العارف بجمل معلومة وهذا يدل على انه كان قد تقرر عند فرعون ان الخلق والهداية لا بد لهما من
قادر فاعل مختار السادس قوله في الاعراف ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فالقوم لما قالوا لموسى ادع
لنا ربك يكشف عنا هذا الرجز دل على انهم كانوا معترفين بوجود الاله تعالى الحجة السابعة انا
قد دللنا على ان فرعون كان عاقلا والا لما حسن بعثة الرسول اليه ويوجه التكليف عليه لما كان
من العقلاء شهدت تغير احواله في نفسه وبدنه وفي ابائه واجداده بافتقاره الى الصانع حكيم
مدبر ولهذا قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فهذا ما قيل في هذا الباب
وبالجملة وقد كان كافرا اعظم الكفر سواء كان كفره بسبب الجهل او بسبب العناد ولما فرغنا من هذه
المقدمات فلنرجع الى المقصود ونقول ان سؤال فرعون عن موسى عليه السلام في اثبات الصانع على وجهين
احدهما انه سأل عن الصانع بكلمة من والثاني انه سأل عنه بكلمة ما اما السؤال بكلمة من فهو في
سورة طه قال تعالى حكاية فمن ربكما يا موسى واما السؤال بكلمة ما فهو في سورة الشعراء قال
تعالى حكاية عن فرعون قال فرعون وما رب العالمين وقبل الخوض في التفسير لا بد من الفرق بين
السؤالين فنقول المطلوب بسؤال من التعيين الحاصل بسبب الصفات العرضية تقول من هذا الرجل فنقول

في جوابه



في جوابه انه فقيه عربي وما يجري مجرى هذه الصفات واما المطلوب بسؤال ما هو التعيين الحاصل بسبب الماهية ومقدمات الحقيقة تقول ما هذا الشيء فيكون جوابه انه جسم او جوهر
او عرض او غير ذلك اذا عرفت هذا فنقول علمنا بصفات الله تعالى من قدرته وعلمه وارادته
متقدم على علمنا بحقيقة ذاته المخصوصة وكنه ماهيته وذلك لان العلم بكنه الحقيقة
اما ان يحصل للبشر وان امكن حصوله للبشر الا ان هذه المرتبة يكون متأخرة عن العلم بقدرته
وعلمه بل كنه حقيقته المخصوصة متقدم بالربوبية على صفاته لان الذات موصوفة والموصوف
متقدم على الصفة الا ان المحكي في القرآن هو كيفية التوسل بالدلائل الى معرفة الله و
اذا كان كذلك كان السؤال بمن في سورة طه وذكر السؤال بما في سورة الشعراء وهذا
شيء عجيب فلنذكر البحث عن هذين الموضعين الموضع الاول قوله تعالى حكاية عن فرعون قال
فمن ربكما يا موسى وفيه سؤالات الاول لم قال فمن ربكما يا موسى ولم يقل فمن الهكما الجواب لانه
اثبت نفسه ربا لموسى وهو قوله الم نربك فينا وليدا فذكر على سبيل التعجب كانه قال انا ربك
فلم تدعي ربا اخر وهذا الكلام يشبه بكلام نمرود وذلك لان ابراهيم عليه السلام لما قال ربي
الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت ولم يكن الاحياء الذي ذكره شبيها بالاحياء الذي
تمسك به ابراهيم الا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى عليه السلام ربوبية الله تعالى ذكر فرعون
كونه ربا لموسى عليه السلام وما كان بين الربوبية التي ذكرها موسى وبين الربوبية التي ذكرها
فرعون مشابهة الا في اللفظ السؤال الثاني ان فرعون طول المناظرة في سؤال ما ولم يطول
في سؤال من فما الفرق الجواب الفرق ما ذكرنا ان المطلوب في سؤال من معرفة الصفات وهذا مقام
واضح ليس فيه الشبهات كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا جرم
ترك فرعون فيه التطويل اما المطلوب بسؤال ما هو فهو كنه الماهية وذلك مقام صعب كما قال تعالى
وما قدروا الله حق قدره فلهذا السبب طول المناظرة فيه السؤال الثالث ان فرعون قال بعد هذا
الكلام فما بال القرون الاولى واي تعلق لهذا الكلام بما قبله ثم ان موسى عليه السلام اجاب بقوله قال علمها

متقدما على السؤال بما فلا جرم
دا على الله تعالى هذا الترتيب فذكر
السؤال بمن صح

عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم عاد مرة اخرى الى ذكر دلائل اثبات الصانع وهو قوله
الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا فكيف وقع ذلك الكلام الاجنبي في البين الجواب
قد بينا ان الدلائل الدالة على اثبات الصانع وقدرته وعلمه وحكمته في غاية القوة والظهور
ولا يمكن القاء شيء من الشكوك والشبهات فيه فلما طالبه فرعون بسؤال من كان جوابه في غاية
الظهور وعجز فرعون عن القاء الشكوك والشبهات فيه فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بكلام
جنبي عنه لئلا يظهر قوة كلامه فيسأله عن تواريخ المتقدمين فيعرف موسى عليه السلام انه
غرضه تشويش ذلك الكلام عليه فلم يلتفت اليه بل دفعه بقوله قال علمها عند ربي في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى يعني لا فائدة لنا في هذا السؤال وهذا الجواب ثم رجع الى تقرير الكلام
الاول فقال الذي جعل لكم الارض مهدا فتامل هنا في سعي المبطلين في اخفاء الحق وانظر الى
قوة قلب المحققين وعدم التفاتهم الى لغوهم وجهلهم ومن انصف علم ان كل اية من هذا الكتاب
الكريم معجز ظاهر فضلا عن كل هذا الكتاب السؤال الرابع ما وجه دلالة قوله ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه ثم هدى على وجود الصانع الجواب اعلم ان هذا الدليل هو الذي حكاه الله تعالى
عن ابراهيم في قوله الذي خلقني فهو يهدين وهو الذي ذكره الله لمحمد عليه السلام في قوله سبح اسم ربك
الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وفقه وهذا الدليل على سبيل التفصيل ان الخلق
عبارة عن تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة عن ابداع القوى المدركة والمحركة في تلك
الابدان فخلق جوهر الابدان مقدم على ابداع القوى فيها ولذلك قال تعالى فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فالتسوية للقالب ونفخ الروح عبارة عن ابداع القوى فيه وقال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا اخر فظهر ان الخلق مقدم على الهداية فلهذا المعنى
قدم الله تعالى الخلق في الذكر على الهداية ثم اعلم ان الشروع في شرح عجائب حكمة الله تعالى
في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له ومن اراد تصنيفا مشتملا على جميع تلك الوجوه
فذلك التصنيف هو جميع عالم الاجسام والارواح واما عالم الاجسام فخذ من اعلى سطح العرش

ما الى اسفل

١٢٥

ما الى اسفل سطح تحت الثرى وغص بفكرك في كل ذرة من ذراتها فانك تجد الدقائق الدالة
على كمال قدرة الله وحكمته بحرا لا ساحل له فمن ذا الذي يمكنه ان يعرف تمام حكمة الله تعالى في خلقه
جناح بعوضة ومن الذي يمكنه ان يعرف كيفية تخليقه لبدن البعوضة في تركيب اعضائه وتاليف
الاعظام والعروق والاعصاب ونفخ الروح فيه وابداع الحواس الخمسة والذهن فاذا عجز عقلك
عن معرفة البعوضة فاين انت من معرفة الخلق والهداية في اجزاء السموات والارض قوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ثم اذا عرفت ضعف عقلك في عالم الاجسام فانتقل منه الى
عالم الارواح واعرف ان عالم الاجسام في عالم الارواح كالقطرة في البحر فكيف يمكنك تفاصيل
عالم الارواح مع انك عاجز عن معرفة روحك حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فعند هذا
تشاهد عجزك وقصورك عن معرفة اقل الاشياء وعن الاحاطة باقل شاهد من شواهد جلال الله
دلائل قدس الله وعزته وهذا اخر مقام الصديقين كما قال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام و
البحر يمده الاية وان اردت امثلة هذا المعنى فتامل في الابواب الاتية المشتملة على عجائب خلقة
السموات والارض والشمس والقمر في الابواب المتقدمة المشتملة على عجائب خلقة الانسان والحيوان
والنبات اما السؤال الثاني وهو السؤال على ذكر الله تعالى في سورة الشعراء ففيه سر واعلم ان
هذا البحث لا يمكن الا بتقديم مقدمة عقلية وهي انه اذا كانت حقيقة من الحقائق مجهولة فتعريفها
اما ان يكون بنفسها او بما يكون داخلا فيها او مقوما لها او بما يكون خارجا عنها ولاحقا بها او بما
يتركب من القسمين اعني الامور الداخلة والامور الخارجة اما تعريفها بنفسها فمحال لان المعرف
معلوم قبل المعرف فتعريف الشيء بنفسه يقتضي تقدم الشيء على نفسه وهو محال واما تعريف تلك
الحقيقة بالامور الداخلة في قوام الماهية فهذا في حق واجب الوجود محال لوجهين الاول ان هذا
انما يتاتى في الحقيقة التي يكون مركبة من اجزاء القوام وذلك في حق واجب الوجود محال لان كل مركب
فهو محتاج الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فكل مركب فهو مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته
فما ليس بممكن لذاته فهو غير مركب من الاجزاء واذا لم يكن مركبا من الاجزاء فانه يمتنع تعريفه باجزائه

وكل مفتقر الى غيره صح

الثاني انه بتقدير ان يكون واجب الوجود مركبا من الاجزاء الا ان اجزاء ماهية غير معلومة فيمتنع
تعريفه باجزائه ولما ثبت فساد هذين القسمين ثبت انه لا يمكن تعريف واجب الوجود الا بلوازمه
وآثاره ثم ان تلك اللوازم والآثار قد يكون خفية وقد يكون جلية ولا يجوز تعريف الحقايق
باللوازم الخفية بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية واظهر آثار واجب الوجود نتايج قدرته
وحكمته هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما اذا عرفت هذه المقدمة فنقول
ان فرعون لما سال موسى بسؤاله عن وقوله فمن ربكما يا موسى فوجد كلام موسى في غاية القوة عدل
عن ذلك السؤال الى سؤال آخر وهو السؤال بما لان الجواب عن هذا السؤال في غاية الصعوبة ويمكن
القاء الشبهات فيه فقال وما رب العالمين فقال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
والمعنى انكم لما سالتم في الجواب عن السؤال الاول وهو السؤال بلفظة من وجب انتهاء هذه
المحسوسات الى موجود واجب الوجود لذاته وثبت ان واجب الوجود لذاته فرد مطلق منزه عن
الكثرة في حقيقته وماهيته وثبت ان الفرد المطلق المنزه عن الكثرة من جميع الوجوه لا يمكن تعريف
حقيقته الا بذكر لوازمه وآثاره الظاهرة الجلية وثبت ان اظهر آثار واجب الوجود لذاته
هو هذا العالم المحسوس ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته وذاته المخصوصة الا بذكر انه خالق هذه
السموات والارضين فقوله ان كنتم موقنين بحقيقة هذه المقدمات فاعلم انه لا جواب عن سؤالكم
الا هذا الذي ذكرت ولما ذكر موسى هذا الجواب قال فرعون لمن حوله الا تستمعون اظهر التعجب
من كلام موسى عليه السلام يعني انا اطلب الجواب الدال على الماهية وهو يذكر الجواب الدال على الصفة
وهذا الجواب هو جواب السؤال بمن وانا اطلب جواب السؤال بما فاين احدهما عن الآخر وتمام
الاشكال ان تعريف الماهية بلوازمها لا يفيد معرفة تلك الماهية لانا اذا قلنا في تعريف شيء
انه الذي يلزمه اللازم الثاني فهذا يتوجه عليه سؤال وهو ان تلك الحقيقة هل هي معلومة ام لا
فان كانت معلومة فلا حاجة الى تعريفها بذكر هذا اللازم وان لم يكن معلومة فكيف نعلم
انه يلزمها هذا اللازم لان قولنا يلزمها هذا اللازم تصديق والتصديق مسبوق بالتصور فلو كان

التصور

التصور مستفادا من هذا التصديق لزم الدور فثبت ان قوله رب السموات والارض لا يصلح جوابا
عن قوله وما رب العالمين فعند هذا اجاب موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاولين
فكأنه عدل عن تعريف تلك الحقيقة بخالقية السماء والارض الى تعريفها بكونه خالقا لنا
ولآبائنا وذلك لانه لا يمتنع ان يمتنع احد ان يعتقد ان السموات والارض واجبة لذواتها
فهي غنية عن الخالق والموجد الى ان يظهر فساد هذا الاعتقاد بالبرهان اما لا يمكن ان يعتقد
احد في نفسه وآبائه واجداده كونهم واجبة لذواتها لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا
بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك لا يكون ممكنا محدثا فيظهر جدا افتقاره الى
المحدث والموجد فلهذا السبب عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول الى هذا الكلام فعند
هذا قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى اني سالته عن الماهية فاجاب
بذكر الصفة فلما تكرر عليه هذا الجواب ذكر جوابا مثل الجواب الاول فان المذكور في الجوابين
هو الصفة الخالقية وذكر الصفة لا يصلح جوابا عن السؤال الطالب للماهية فهذا مجنون حيث
لا يفهم السؤال بعد التكرير عليه مرتين قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما
بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق آخر اوضح مما تقدم وذلك لان الجواب الاول اشارة
الى دلائل الآفاق والجواب الثاني اشارة الى دلائل الانفس معا ان قوله رب المشرق والمغرب
اشارة الى دلائل الآفاق وقوله وما بينهما اشارة الى دلائل الانفس فاذا تأملت فيه
علمت ان موسى عليه السلام لم يترك في عالم المحسوسات شيئا يدل على الله الا وقد ذكره لان
دلالة عالم المحسوسات على الله تعالى اما من الآفاق ومن الانفس ومنهما معا واعلم انه اراد
بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وبالمغرب غروب الشمس وظهور الليل والامر ظاهر
في ان هذا التدبير المحكم العجيب لا يحصل الا بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه وهذا هو بعينه
طريقة ابراهيم مع نمرود فانه قال ربي الذي يحيي ويميت وهو الذي قوله موسى في قوله
ربكم ورب آبائكم الاولين ثم لما طلب نمرود بتمام الدلالة قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس

من المشرق فأت بها من المغرب فهو عين قول موسى رب المشرق والمغرب وما
بينهما واعلم ان موسى عليه السلام انما قال ههنا ان كنتم تعقلون لانه لما اثبت بالبرهان
القاهر انه لا يمكن تعريف الحقيقة بنفسها ولا يمكن تعريف حقيقة واجب الوجود
باجزائها لما ثبت انه فرد صمد منزه عن التركيب ولا يمكن ايضا تعريفه بما يتركب من الداخل
والخارج لانه يقتضي كون تلك الماهية مركبة ولما بطلت هذه الاقسام الثلثة لم يبق
طريق الى تعريف تلك الحقيقة الا بذكر لوازمها وآثارها الظاهرة فكانه قال وان كنت
من العقلاء ويفهم الكلام ويميز بين الحق والباطل فاعلم انه لا سبيل الى تعريف
حقيقته الا بهذا الطريق الذي ذكرت وهذا آخر هذه المناظرة وهو في غاية الشرف و
الجلالة واعلم ان فوائد هذه المناظرة انها تدل على انه ليس بجسم ولا متحيز ولا مشكل
لانه لو كان كذلك لكان الجواب الكاشف عن الماهية ممكنا فحينئذ يكون جواب موسى
عليه السلام بالحد وسؤال فرعون حقا ولما كان القول بذلك باطلا علمنا انه منزه عن
الجسمية والجوهرية والحيز وبالله التوفيق ولما كان ختم هذه المناظرة على التمسك
بشروق الكواكب وغروبها فلنذكر ههنا كيفية الدلالة

## الفصل الثامن

في شرح كيفية
دلالة الشروق والغروب في آيات احديها انه ذكر بلفظ الوحدان فقال رب المشرق والمغرب
ومنها انه ذكر بلفظ التثنية فقال رب المشرقين ورب المغربين ومنها انه ذكر بلفظ الجمع
فقال رب المشارق ورب المغارب ومنها انه تعالى عبر عن الشروق والغروب بعبارة اخرى
فقال والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وقال في سورة الفلق قل اعوذ برب الفلق وهو
اشارة الى زمان الطلوع ثم قال ومن شر غاسق اذا وقب وهو اشارة الى زمان الغروب
ومنها انه تعالى خص اولا زمان الطلوع بالذكر فقال فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وخص زمان الغروب بالذكر فقال والنجم اذا هوى
وقال ابراهيم عليه السلام لا احب الآفلين وههنا مباحث المبحث الاول وهو ان الطلوع والغروب

حالتان



حالتان عجيبتان يدلان على الافتقار الى الخالق الحكيم المدبر وذلك لانا اذا نظرنا الى
الكوكب اول طلوعه من افق المشرق فانه يطلع مستنيرا متلألئا مثل النار ليس في نوره
كدورة ولا غبرة ولا ظلمة واذا نظرنا اليه وهو من افق المغرب تراه قد ذهب نوره ورونقه
حتى ان الشمس مع عظم جرمها وكمال نورها اذا قربت من الغروب فانه يذهب نورها ورونقها
واذا اعتبرنا هذه الاحوال علمنا ان اول طلوع الكوكب يشبه ولادة الصبي ولذلك فان
اهل النجوم جعلوا الدرجة الطالعة من الفلك دليل الحيوة قالوا كما ان الولد ظهر في هذا العالم
بعد ان كان غير ظاهر كذلك ظهرت هذه الدرجة في تلك الساعة بعد ان كانت غير ظاهرة
فلما حصلت المشابهة بينهما من هذا الوجه جعل تلك الدرجة دليلا على حيوته ثم ان الكوكب
بعد طلوعه يزداد كل لحظة تصاعدا وقوة ونورا واستعلاء وكمالا ولا يزال كذلك الى
ان يقرب من وسط السماء والى هذا الوقت يشبه حاله حال الآدمي في زمان النشو والنماء
ثم اذا قربت الشمس من وسط السماء فهنالك تبقى زمانا على حالة واحدة لا يشاهد منها اخذ
الارتفاع ولا اخذ الانخفاض وهذه الحالة من الشمس وسائر الكواكب يشبه حال الانسان في زمان
الشباب ومدة الوقوف وهي مدة التي لا يظهر فيها زيادة ولا نقصان ثم ان الشمس والكوكب
بعد ذلك يقع في الربع الغربي من الفلك لا يزال يأخذ في الانحطاط قليلا قليلا الا انه لا
يظهر بسبب ذلك الانحطاط نقصان في نورها وقوتها وحرارتها وهذه الحالة من الكوكب يشبه حالة
الانسان في سن الكهولة وآخر هذا الوقت هو اول وقت صلوة العصر ثم من بعد صلوة العصر يأخذ
قوة الشمس في النقصان الظاهر والانحطاط البين فينتقص نورها ويقل ضوءها ويعظم امتداد
ظلها ولا يزال يتزايد هذه النقصانات الى ان يصل الكوكب الى افق المغرب في هذه الحالة من الشمس
والكوكب يشبه سن الشيخوخة واما غروبهما من افق الغرب فلا يكون الا بعد ذهاب نورهما واصفرار
لونهما ونقصان قوتهما وارتعاش ذاتهما وسقوطها في النظر على وجه الارض ثم انهما تغرب فتصير كانها
فنيت وبطلت وهذه الحالة يشبه حال الانسان عند الموت فانه اولا يذهب نور وجهه ويبطل حسن

صورته وتصفر لونه وتضعف قوته ويأخذه الارتعاش والضعف ثم يسقط على وجه
الفراش بحيث لا يمكنه ان يرفع رأسه ثم انه بعد ذلك يموت باذن الله تعالى فهذه الاحوال الان
للشمس والقمر وسائر الكواكب يشبه الاحوال الاربعة لكل حيوان ونبات اعني سن النمو و
سن الكهولة وسن الشيخوخة ثم حصول الموت بعد ذلك ثم ان الشمس اذا غربت بقيت آثارها
في افق المغرب وهو الشفق ثم بعد ذلك يزول ذلك الشفق ولا يبقى في هذا العالم من آثار
الشمس شيء البتة وهذا يشبه ان الانسان اذا مات بقي بعد موته ذكره وآثاره اياما قليلة ثم
انه يبطل ذلك الذكر وتلك الآثار ولا يبقى في الدنيا منه اثر ولا خبر فهذه الاحوال الخمسة للشمس
يشبه الاحوال الخمسة للانسان فلهذا السبب اوجب الشارع الحكيم الصلوات الخمسة في هذه الاوقات
الخمسة وما احسن هذا الترتيب وما اشد مطابقة الحكمة الشرعية والنبوية على الحكمة العقلية
الروحانية واعلم انك متى تأملت في جميع الاجرام الفلكية العلوية والسفلية والابداعية
والعنصرية ظهر لكل عاقل انها عند الشروق والتصاعد اخذت في الكمال بعد ان كانت ناقصة
وعند الانحدار من وسط السماء الى نهاية الغروب واخذت في النقصان بعد ان كانت كاملة و
وتوارد هذه النقصانات بعد الكمالات والكمالات بعد النقصانات على سبيل الدوام والاستمرار على انه
لا كمال لها بذواتها ولا نقصان لها من انفسها بل هي تحت تسخير مسخر وتدبير مدبر قاهر يتصرف
فيها بقدرته ويجريها على حسب ارادته ومشيته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

**البحث الثاني** في الشروق والغروب وهو انه تعالى لما اخذ ذلك الكوكب في الغروب ترى كوكبا
اخر في مقابلته من افق المشرق واخذ في الطلوع وترى كوكبا اخر قد بلغ وسط السماء وكوكبا اخر
قد وقع في الربع الغربي وقرب من الغروب فاذا اعتبرت هذه الاحوال تراها مشابهة لاحوال
الخلق في هذا العالم فانسان يموت وانسان يولد وثالث في تلك الساعة يبقى طفلا ورابع شابا
وخامس كهلا وسادس شيخا وكذا ان كواكب السموات مختلفة الاحوال فبعضها سعد وبعضها نحس وبعضها
قوي النور وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب من وسط الفلك وبعضها واقع في اطراف الفلك وبعضها

الظهور صح

بعد ... تبدل





في الشرف والبيت والمثلثة وبعضها في الوبال والهبوط والخلو عن الحظوظ فكذلك ترى اشخاص
هذا العالم بعضهم في السعادة وبعضهم في النحوسة وبعضهم في الغنى وبعضهم في الفقر وكذا
القول في الدولة والعلو والذلة والسقوط وكما ان مدبر العالم العلوي دبر نظام تلك الكواكب
مع اختلافها في الطلوع والغروب والنورانية والضعف من غير ان يختل شيء من احوالها
فكذلك تدبير احوال اشخاص العالم السفلي مع اختلافهم في السعادة والشقاوة والغنى والفقر
وعند هذا يلوح لك شمة من اسرار قوله كل يوم هو في شأن وقوله لا يشغله شأن عن شأن وقوله يدبر
الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وتمام الكلام في هذه المباحث العميقة ما اليه الاشارة
في سورة الاعراف وهو قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الاية فقوله والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ما ذكرناه من كيفية التسخير والتدبير وقوله الا له
الخلق والامر فيه سر عجيب وحكمة عالية وهي انك لما شاهدت في اجزاء السموات والكواكب
والارض آثار التسخير والتدبير يقع في قلبك ان تعرف وجه الحكمة في كل واحد منها على سبيل
التفصيل فحينئذ يقال لك قف في درجتك ولا تتعد طورك ولا تلق عقلك في بحر لا ساحل له
ولا تتكلف صعود جبل لا نهاية له ولا تطمع في الوصول الى ما هو فوق فهمك وعقلك ودرك
فانك لست من رجال هذه الاسرار ولا في حدقة عقلك قوة الاطلاع على هذه الانوار ولكن
اعترف لنفسك بالعجز والذلة والقصور واعترف لخالق الامر والحكمة والعزة والسلطان
والعلو والكبرياء تبارك الله رب العالمين ومدبر الاجسام والارواح والعلويات والسفليات
اجمعين ثم اذا تركت الخوض في ذلك التفصيل واعترفت بهذا التعظيم على سبيل الاجمال فعند هذه
الحالة ارجع الى نفسك واعتبر حال عجزك وقصورك واشتغل بالدعاء والتضرع فههنا غاية
درجات الصديقين ونهاية خطرات افكار العارفين وليس وراء العقول مطار ولا مسرح ولا
للامكان مجال والخطى والى الاشارة بقوله تعالى في آخر هذه الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية
فاجل هذه التلميحات التي اشتمل عليها القرآن العظيم وما اشرف هذه الرموز الحاصلة في طي آيات

هذه الموجودات على سبيل الاجمال بغاية
الجلالة ونهاية الكبرياء وقل الا له الخلق

الذكر الحكيم فو الله الذي لا اله الا هو انه لا يخطر ببال هذا المسكين الكاتب لهذا الكتاب ولا
يدور في خياله طريق احسن ولا انفع ولا اجذب للارواح البشرية والعقول الانسانية الى الحضرة
القدس الاحد الصمد من هذه البيانات الالهية والاسرار العلوية ونظير هذه الاية في اخر
آل عمران انّ في خلق السموات والارض الى قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى وقوع العقل
في هذا البحر الذي لا ساحل له وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى رجوع العقل من طلب
هذه التفاصيل والبحث انه يقتصر على الثناء الجميل والتعظيم وقوله فقنا عذاب النار اشارة
الى الاشتغال بالدعاء والتضرع عقيب حصول هذه الحالة **البحث الثالث** في الاستدلال
بكيفية الطلوع والغروب على وجود الخالق المدبر اعلم ان التعبير عن المشرق والمغرب
بلفظ الوحدان اشارة الى مشرق الشمس ومغربها اما قوله رب المشرقين ورب المغربين فا
لمراد طلوع الشمس والقمر وغروبهما واما قوله برب المشارق والمغارب ففيه قولان الاول
المراد منها طلوع الشمس والقمر والنجوم الثاني المراد منها مطالع الشمس ومغاربها وذلك لان الشمس
من اول اليوم الذي يحصل في النقطة الاولى من السرطان وهو اليوم الاول من الصيف الى ان يحصل
في النقطة الاولى من الجدي وهو اليوم الاول من الشتاء فمجموعه ستة اشهر تطلع كل يوم من مطلع اخر
وذلك مائة وثمانون مطلعا ثم انها في اول الشتاء الى اول الصيف وهو ايضا ستة اشهر يرجع
فيطلع من تلك المطالع باعيانها ولما كان للشمس مائة وثمانون مشرقا ومائة وثمانون مغربا
كان المراد من قوله رب المشارق والمغارب هذه المشارق والمغارب واذا عرفت هذا فنقول
الاستدلال باحوال المشارق والمغارب على الخالق المدبر الحكيم في غاية الظهور وذلك لان هذه
الاجسام الفلكية والاجرام الكوكبية لا يمكن ان يكون حركاتها لنفس طبايعها ويدل عليه وجوه
الاول ان الاجسام متساوية في الجسمية وتمام الماهية وحكم الاشياء المتساوية في الذات
وتمام الماهية التساوي في اللوازم والاحكام واذا كان كذلك فكل ما صح على كل واحد منها
صح على الباقي واذا كان كذلك كان اختصاص كل ذلك الكوكب بطبعه وحيزه وشكله وحركته لا بد

وان يكن



وان يكون لاجل القادر المختار **الحجة الثانية** ان الشيء الذي يكون مهروبا عنه بحكم الطبيعة
يمتنع ان يكون مطلوبا بمقتضى نفس تلك الطبيعة وههنا الاجرام الفلكية متحركة بالاستدارة
وكل ما كان متحركا بالاستدارة فان كل نقطة تفرض كونها مهروبا عنها يمكن ان يفرض كونها
مطلوبا فان المهروب عنها هو نفس طلبها ونفس التوجه اليها فثبت ان هذه الحركات ليست
بالطبيعة **الحجة الثالثة** لو كانت هذه الحركات طبيعية لوجب ان يكون شروقها وغروبها على نهج واحد
وطريقة واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعة وجب بقاؤها وعدم تغيرها لكنا بينا
ان الشمس تطلع كل يوم من مشرق آخر وتغرب في مغرب آخر فثبت بهذه الدلائل ان حركات هذه الافلاك
ليست لها من ذواتها ولا طبايعها فلا بد وان يكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر وقهر قاهر
يحركها على حسب مشيته ومقتضى ارادته فتبارك الله رب العالمين فان قيل لم لا يجوز ان يقال
ان حركاتها بسبب انها احياء مختارة قلنا هب ان الامر كذلك الا ان على هذا التقدير يكون كل
واحد منها مخصوصا باختيار خاص وارادة خاصة فيعود طلب العلة لذلك الاختصاص ولا
ينقطع الطلب ولا يزول الحاجة الا عند الانتهاء الى القضاء الالهي والتقدير الازلي السرمدي
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن الايات الواردة في هذا الجنس في القرآن قوله تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس واعلم ان الخنس جمع
خانس والخنوس الانقباض والاختفاء فيقال خنس من بين القوم والخنس في الحديث الشيطان
يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله خنس اي انقبض منه ولذلك سمي الخناس الكنس جمع كانس
وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست الظباء في كنسها وتكنست
المرأة اذا دخلت هودجها تشبه بالظبي اذا دخل الكناس اذا ثبت هذا فنقول المعتبرون من المفسرين
ذكروا في الخنوس والكنوس وجهين الاول ان ذلك اشارة الى رجوع الكواكب واستقامتها
فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه الحالة عجيبة وفيها
اسرار عظيمة باهرة فلهذا المعنى اقسم الله بها والقول الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه واختاره مقاتل

وقتادة انها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة
عن ظهورها للبصر في الليل وعندي فيه قول ثالث وهو ان هذه الكواكب السبعة السيارة
تختلف مطالعها ومغاربها على ما فسرناه وشرحناه ولا شك ان لها مطلعا واحدا ومغربا واحدا
هما اقرب المشارق والمغارب الى سمت رؤسنا ثم انها تأخذ في التباعد قليلا قليلا عن ذلك
المطلع الى سائر المطالع حتى تصل الى غاية بعدها عن سمت رؤسنا ثم ترجع من ذلك الموضع
قليلا قليلا حتى تصل الى سمت رؤسنا فخنوسها عبارة عن هذا المطلع الذي هو اقرب
المطالع الى سمت الراس وكنوسها عبارة عن عودها اليه فعلى التفسير الاول يكون القسم واقعا
بالخمسة المتحيرة وعلى القول الذي ذكرته يكون القسم واقعا بجميع السيارات السبعة وعلى
القول الذي ذكره امير المؤمنين يكون القسم واقعا بجميع الكواكب سواء كانت من السيارات او
من الثوابت واعلم انه تعالى لما اقسم بها يدل ذلك على اختصاصها باثار عجيبة واحوال شريفة
لا تصل العقول البشرية اليها على ما حققنا الكلام فيه في تفسير قوله في اخر ال عمران الذين
يذكرون الله قياما وقعودا الى قوله وقنا عذاب النار ومما نزيده هنا انه تعالى ابتدأ من
اعمال الصديقين بالذكر فقال الذين يذكرون الله ثم بين انهم يصلون من الذكر الى الفكر والنهاية
بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وههنا اشكال وهو انه تعالى قال في الذكر الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فجعل الذكر المعتبر اللائق بهذا المقام ذكر الله
لا ذكر غيره ثم جعل نهاية هذا الذكر الفكر فكان يجب ان يكون هذا الفكر هو الفكر في الله لكنه
لم يقل ذلك بل جعل الفكر اللائق بهذا المقام الفكر في خلق السموات والارض وهذا اشتغال بغير الله
فكيف تعقل ان يجعل ذكر الله اولا ومبدأ والفكر في غير الله نهاية وكمالا والجواب انا بينا في مناظرة
موسى عليه السلام مع فرعون ان الفكر في الله ممتنع وانه لا يمكن التوصل الى جلال الله وعظمته
الا بالنظر في مخلوقاته ومبتدعاته وهذا متأيد بقوله عليه السلام تفكروا في الخلق ولما كان اشرف
مخلوقاته المحسوسة هو عجائب السموات والارض كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس لا جرم جعل

الغاية



الغاية القصوى لسير افكار المقربين والنهاية العظمى لغايات انظارهم ان يتفكروا في عجائب
خلق السموات والارض ثم انا بينا فيما قبل ان الخاطر اذا وقع في هذا الموضع كان الاولى ردعه
عنها ومنعه عن الخوض فيها والاقتصار على الثناء المبهم والتعظيم المجمل كما في قوله تعالى في
الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم قال بعده الا له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين وهذا هو الثناء ثم قال بعده ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهذا هو الدعاء وقال
في ال عمران ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم قال بعده ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
هو الثناء ثم قال فقنا عذاب النار وهو الدعاء فهو الكدرة التي وجدناها في قعر بحر القران
وهي اشرف المطالب واعظم الرغائب وما ذلك الا بتوفيق وهدايته وما هو الا من فضل الله
ليبلوني ااشكر ام اكفر فيا رب الارباب واله الالهة زدنا من فضلك واحسانك يا ارحم الراحمين
اما قوله والليل اذا عسعس فقال اهل اللغة عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا ادبر
وعسعس اذا اقبل ثم منهم من قال المراد ههنا اقبل الليل لانه على هذا التقدير يكون القسم واقعا
باقبال الليل وهو قوله والليل اذا عسعس وبادباره وهو قوله والصبح اذا تنفس ومنهم
من قال المراد بقوله عسعس ادبر ثم قوله والصبح اذا تنفس اي امتد ضوءه وتكامل فقوله
والليل اذا عسعس اشارة الى اول طلوع الصبح وقوله والصبح اذا تنفس اشارة الى تكامل
طلوع الصبح ونظيره قوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر اما قوله والصبح اذا تنفس اي
اذا اسفر وهو كقوله والصبح اذا اسفر ثم في كيفية التشبيه قولان احدهما اذا اقبل الصبح
اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على سبيل المجاز والثاني انه شبه الليل المظلم
بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن في قلبه فاذا تنفس وجد راحة
فههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس واعلم ان في طلوع الشمس
وغروبها احوالا عجيبة فالاول ان طلوع الشمس شبيه بتكوين العالم وتخليقه في اول وقت كونه
فيكون غروبها شبيها بتخريب العالم عند قيام القيمة وتقرير هذا التشبيه ان الظلمة صفة عدمية

فهي شديدة المناسبة للعدم الاصلي المستمر من الازل الى وقت حدوث العالم فكما ان في
اول الليل يكون الظلمة مستقرة في جميع اقطار السموات واكناف الارض فكذلك كانت ظلمة العدم
مستقرة من الازل الى الابد مما كان هناك لا لوح ولا قلم ولا انوار ولا ظلم ولا اسماء ولا ارض
ولا طول ولا عرض ولا ذوات ولا صفات بل كان الله ولم يكن معه شيء غيره وكما ان في آخر الليل
يتعلق بحار الظلمات بنهر النور ويكون ذلك النور محفوفا بالظلمات التي لا حد لها فكذلك ظهر
في آخر ليل الازل نهر من نور ايجاد الله وتكوينه وهذه المخلوقات متناهية والممكنات الباقية
على العدم غير متناهية والمتناهي بالنسبة الى غير المتناهي قليل من كثير فهذه الحالة شبيهة بظهور
نور الصبح في بحار ظلمات الليل واذا عرفت هذا ظهر ان طلوع النور مسبوق بتراكم ظلمات
العدم وظهر ايضا ان الانوار الساطعة والممكنات من الوجود اقل من الممكنات الباقية في ظلمات
العدم لا جرم قدم الله تعالى ذكر الظلمات على النور وعبر عن الظلمات بلفظ الجمع وعن النور بلفظ
المفرد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فتامل في هذه
الاسرار فهذه حالة يشبه طلوع الصبح بطلوع صبح الايجاد والتكوين من
مشرق احسان الله وفضله وعنايته **البحث الثاني** غروب الشمس في آخر النهار شديد
التشبيه باماتة الاحياء وقت قيام القيمة وبقاء الخلق جامدين خامدين ليس لهم حس ولا
حركة في الليل يشبه بقاء الخلق فيما بين النفختين على العدم المحض ثم انتباه الخلق وقت
الصبح يشبه قيام الخلق عند الحشر والبعث وتقرير هذا الكلام وهو ان النفخ في الصور يحصل ثلث
مرات اولها نفخة الفزع قال تعالى في سورة النمل ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة الاحياء قال الله تعالى في الزمر
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون وهذه الاحوال الاربعة بعينها موجودة في الشمس وذلك ان غروبها في المغرب يشبه نفخة
الفزع فان الشمس اذا غربت في مغربها يستولي الخوف والفزع على الحيوانات ويتوجه كل واحد منها



الى مأويه ومسكنه واذا غرب الشفق بالكلية فذلك يشبه نفخة الصعق وهناك
يسكن كل حيوان وينام ويصير الكل خامدا وجامدا وكانه صار ميتا او صعقا وما
الا من شاء الله من الحيوانات التي لا ينام وهذا الاستثناء المذكور حاصل في الآية ههنا ايضا
واما طلوع الصبح فذلك يشبه نفخة البعث والاحياء وذلك لان الشمس اذا قربت من مشرقها
فكانها ينفخ روح النور في اموات عالم الظلمات وهكذا ايضا حالة النفخة الثالثة لاسرافيل
عليه السلام فانه يصل من قوة تلك النفخة اثر الحيوة الى جميع الاموات واعلم ان شابهة هذه الاحوال
الثلثة من الشمس من اقوى الدلائل على صحة هذه الاحوال في يوم البعث ويوم القيمة وذلك
لان الارواح اعظم واقوى من الاجسام فاذا لم يبعد ان يكون في عالم الاجسام مخلوقات الله
تعالى جسم له هذه التاثيرات الثلثة فاي بعد ان يكون في عالم الارواح من مخلوقات الله ملكا
يكون له هذه التاثيرات الثلثة وعند هذا الاعتبار انظهر صدق اقاويل الانبياء
عليهم السلام فيما اخبروا عنه من معرفة المبداء ومعرفة المعاد اما معرفة المبدا فهو ان
عالم الاجسام مع ملكها وهو الشمس وعالم الارواح مع ملكها وهو اسرافيل عليه السلام
كلهم مستغرق تحت سرادقات العزة وعتبات الالهية واما معرفة المعاد فهو قياس عالم الارواح
على عالم الاجسام فكما ان كواكب السموات مختلفة بالعظم والصغر والكمال والضعف فكان
الشمس كالسلطان لها باسرها وهي مع وحدتها مستولية على كل الكواكب والكل مقهورون تحت
صولته مختفون تحت شروق نوره كذلك يجب ان يكون في عالم الارواح شيء كالسلطان لجميع
الارواح ويكون الكل تحت رايته ومقهورين تحت جلالته واليه الاشارة بقوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفا وهو المسمى بيمين رب العزة في قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه ثم قد شهدت الفطرة السليمة ان الارواح كالمبدء والاجسام كالمظهر ومحل
ولحمه الارواح والاجسام مفتقر بعضها الى البعض ومحتاج بعضها الى البعض من اصدق الشواهد
واظهر الدلائل على افتقار الارواح والانوار والظلمات بسبب وحدتها الى الكريم الواحد الاحد الصمد

الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شیء خلقنا
زوجين فثبت بما ذكرنا ان التأمل فى كيفية طلوع الشمس وغروبها مفتاح عظيم لانفتاح
انوار عالم اليقين وتجلى اضواء سرادقات الجلال

## الفصل التاسع فى كيفية الاستدلال

على اختلاف الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى اعلم ان الايات الدالة
على هذا النوع من البحث نوعان احدهما الايات الدالة على تعظيم احوال الليل والنهار
والثانى الايات المشتملة على حكمة خالق الليل والنهار اما النوع الاول فهى كثيرة فى
القرآن فاوله قوله تعالى فى سورة البقرة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولى الالباب والمقصود من هذا الكلام فى السورتين واحد وقال فى الاعراف ان ربكم
الله الذى خلق السموات والارض الاية واعلم ان فى نظم هذه الاية الثلثة اسرار عجيبة فالاول
انه تعالى ابتدأ فى هذه الايات الثلثة بذكر السموات والارض ثم ذكر عقيبها احوال الليل والنهار
والسبب فى هذا الترتيب ان تخليق السطح المقعر من الفلك الاعظم ظهر المكان وتحريك السطح
المحدب منه ظهر الزمان فالمكان اقرب الينا من الزمان وقد عرفت ان التعليم المفيد هو الذى يبدأ
فيه من الاظهر فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى فلما كان المقصود من هذه الايات ذكر الدلائل
الدالة على جلال الله وقدسه لاجرم وقع الابتداء بذكر خلق السموات والارض فان ذلك
مشعر بالمكان ثم وقع الانتقال منها بذكر الليل والنهار وانه مشعر بالزمان ونظيره قوله تعالى فى
سورة الانعام قل لمن ما فى السموات والارض قل لله فهذا اشارة الى ان المكان وكل ما فى المكان
ملكه وملكه ثم قال وله ما سكن فى الليل والنهار وهو اشارة الى ان الزمان وكل ما فى الزمان ملكه
وملكه فالمكان والمكانيات والزمانيات والزمان والزمانيات شاهدة معترفة بدلالة على كونه تعالى
منزها عن علايق المكان والمكانيات والزمان والزمانيات ومن سمات الحدوث والامكان ومتشابهات
الاركان والافلاك ومن نظائره ايضا قوله فى صفة السماء رفع سمكها فسويها وهو اشارة الى
المكان ثم قال واغطش ليلها واخرج ضحيها وهو اشارة الى الزمان

## النوع الثانى

من لطائف هذه الايات





انه جعل هذه الدلائل فى سورة البقرة ايات لقوم يعقلون وجعلها فى سورة آل عمران
لايات لاولى الالباب وفى سورة الاعراف انتقل من الغيبة الى الحضور فقال ان ربكم الله الذى
خلق السموات والارض فى ستة ايام والسبب فى هذا الترتيب على ما يخطر بالبال والله اعلم باسرار
كلامه ان درجات المحققين ثلثة اولها الذين يستدلون باحوال السموات والارض على وجود
الصانع المختار واليه الاشارة بقوله فى سورة البقرة لايات لقوم يعقلون والثانى الذين
صاروا مكاشفين بكيفية دلالة كل واحد من اجزاء الارضين والسموات على وجود الصانع
وحكمته وعدله وعلمه وذلك لانا بينا ان لكل واحد من اجزاء الارضين والسموات دلالات
لها على كمال القدرة الله وحكمته فاذا صار الانسان مكاشفا باحوال تلك الدلالات حتى يصير
عقله غريقا فى بحار تلك الدلائل فهذا الانسان قد ترقى من ظاهر عالم العقل الى اوج عالم
الاسرار الالهيات واليه الاشارة فى سورة آل عمران بقوله لايات لاولى الالباب والثالث ان الانسان
فى المقام الاول والثانى كان مشغولا بمطالعة الدلائل بقدر اشتغال العقل بمطالعة الدلائل
يحصل الحرمان عن الاستغراق فى نور جلال الله تعالى فاذا كملت درجة الانسان فى مقام الاستدلال
نودى من مطيات الصمدية وسرادقات الجلال والكبرياء اخلع نعليك فان كل دليل فهو مركب
من مقدمتين لا محالة لا ازيد ولا انقص فهاتان المقدمتان كالنعلين فى قدمى العقل بهما يتمكن
العقل من السمو من الخلق الى الخالق ومن الممكن الى الواجب فاذا وصل الى بيداء الصمدية وبساط الجلال
الالهية يؤمر بخلع هذين النعلين فاذا قال العبد لم اخلعهما قيل انك بالواد المقدس طوى
فمن وصل الى الوحدة كيف يلتفت الى الكثرة ومن وجد المدلول كيف يبقى مشغولا بالدليل وحينئذ
يترقى من مقام الغيبة الى الحضور والشهود فيصير مخاطبا من الحق بالحق فى الحق الى الحق
فيسمع من غير واسطة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وسمعت بعض
المحققين ان اول الدرجات يقول العبد ما رأيت شيئا الا ورأيت الله بعده وفى وسط السير
يقول ما رأيت شيئا الا ورأيت الله معه وفى اخر الدرجة يقول ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله

وذلك لانه في المقام الاول يستدل بغير الله على الله وفي المقام الثاني يستدل بالله
على الله وفي المقام الاخير يستدل بعين الله على الله وهذه المراتب الثلثة مطابقة لهذه
الايات الثلثة واعلم ان دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم وجوه الاول كون الليل
والنهار مختلفين كما في هذه الاية وقال في يونس ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله
في السموت والارض لايات لقوم يتقون وقال في الحج ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل وان الله سميع بصير وقال في الفرقان وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
لمن اراد ان يذكر وقال في الزمر يكور الليل في النهار ويكور النهار على الليل ثم المفسرون في هذا
الاختلاف يحتمل وجهين الاول انه افتعال من قولهم خلفه يخلفه اذا ذهب الاول وجاء
الثاني فاختلاف الليل والنهار عبارة عن تعاقبهما في المجي والذهاب ومنه يقال فلان يختلف
ذهابه وكل شي بعده شي اخر فهو خلفه ولهذا في قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
الثاني المراد اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والزيادة والنقصان وعن بعضهم وجه
ثالث وهو ان الليل والنهار كما يختلفان في الطول والقصر والازمنة فهما يختلفان ايضا في الامكنة
فان الاصح ان الارض كرة واذا كان كذلك فهو الساعة التي تشير اليها هي ههنا وقت الصبح و
في موضع اخر وقت طلوع الشمس وفي موضع اخر وقت العصر وفي موضع اخر وقت المغرب
وفي موضع اخر نصف الليل وعلى هذا القياس جميع الاحوال المختلفة في الليل والنهار حاصل
في هذه الساعة الواحدة بحسب كل واحد من بقاع الارض هذا اذا اعتبرنا البلاد المختلفة
في الطول اما في البلاد المختلفة في العرض وكل بلد يكون عرضه الشمالي اكثر كانت ايامه الصيفية
اقصر ولياليه الشتوية بالضد فهذه هي الاحوال المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف اطوال
البلدان وعروضها وهذا ايضا هو المراد من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل
الوجه الثاني من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم قوله تعالى في القصص وهو
الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون اما كلمة هو فيجيء تفسيرها

يختلفان فلان اذا كان ينوب اليه ويجيء غدوة فذهابه خلفه يجيئه وبعشيه خلف

فيها



فيها باسماء الله تعالى واما كلمة لا اله الا هو فقد تقدم تفسيرها ثم انه تعالى اردف ذلك
بصفات ثلثة الصفة الاولى قوله له الحمد في الاولى والاخرة وفيه ابحاث البحث الاول بيان
حقيقة الحمد والفرق بينه وبين المدح والشكر والثاني ان قوله له الحمد دال على ان غيره
لا يستحق الحمد والثالث ان اهل الاخرة مشغولون بالحمد كما في هذه الاية وكما في قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي احلنا دار المقامة من فضله واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وتحقيق الكلام في هذه المباحث سيجيء ان شاء الله تعالى
في تفسير سورة الفاتحة الصفة الثانية قوله وله الحكم والمعنى انه لا حكم في الدنيا والاخرة
الا له اما في الدنيا فلان حكم احد سواه لا ينفذ على الغير الا بواسطة حكمه فلولا امر الله
وحكمه لما نفذ على العبد حكم سيده وعلى الزوجة حكم زوجها وعلى الولد حكم والده
وعلى الرعية حكم السلطان وعلى الامة حكم الرسول ونظيره قوله تعالى لله الامر من قبل ومن
بعد وقوله الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين واذا تاملت كما ينبغي ان الحق هو الحاكم في الحقيقة
واما في الاخرة فلا شك انه تعالى له الحكم والقضاء كما قال يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله الصفة الثالثة قوله واليه ترجعون يعني مرجع كل احد
الى حكمه وقضائه لا تصرف لاحد في ذلك اليوم كما قال واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا الى اخر الاية واعلم انه تعالى لما بين انه هو المستحق للحمد اتبع هذا الكلام ببعض
ما به يستحق الحمد وهو ايجاد الليل والنهار فقال قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله
عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
واعلم ان وجه الاستدلال بهذا المعنى على الصانع الحكيم من وجوه الاول انه لا بد من النهار ليحصل
فيه الضوء فيتيسر الحركة عند الابصار ولا بد من الليل ليحصل الظلمة فيه فيحصل السكون عند ذلك
الاستاد واما انه لا بد من الحركة فلان الانسان محتاج الى تحصيل المطعوم والملبوس واعداد المسكن

وسائر المصالح وكل ذلك مما لا يتهيأ الا عند السعي والجد في التحصيل وذلك لا يتيسر
الا في ضوء النهار وأما انه لا بد من السكون فلان الانسان اذا سعى وتحرك كثيرا تعب واحتاج
الى النوم والراحة ليزول تلك الاعياء والتعب الوجه الثاني في كيفية الاستدلال انه بتقدير
ان يسكن الله الشمس في موضع معين في الفلك او اوقف الفلك عن الحركة فحينئذ يدوم
النهار في ذلك الجانب من الارض ويعظم السخونة فيه ويدوم الليل في الجانب الآخر من الارض
ويعظم البرودة فيه وحينئذ يخرج كل واحد من جوانب الارض عن صلاحية العمارة وسكنى
الحيوانات الوجه الثالث انه بتقدير تعاقب الليل والنهار فلو كان الليل اطول مما هو الآن او
كان النهار اطول مما هو الآن لبطلت المنافع ايضا الا ترى ان تحت القطبين يكون نصف
السنة نهارا ونصفها ليلا الآن هناك لا يصلح لتولد الحيوانات ولا التولد النبات وظهر ان المنافع
لا يحصل الا بتعاقب الليل والنهار ومع التعاقب لا بد وان لا يكون الليل في غاية الطول وان
لا يكون النهار في غاية الطول ومتى حصل التعاقب بين الليل والنهار وكان لكل واحد منهما
مدة معتدلة ومقدار معتد لحصلت المنافع وصلحت الامكنة والازمنة لسكنى
الحيوانات الوجه الرابع ان كل واحد من الليل والنهار يصير لمجيء الآخر مغلوبا فلولا قهر قاهر
وتدبير مدبر لامتنع ان يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا وهذا يدل على ان لهما
محدثا واحدا وفيه ايضا دلالة على البعث لان الليل ياتي على النهار فيتلفه حتى لا يبقى
من اثر النهار شيء ثم النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل شيء ثم انهما بقيا
على هذا التعاقب دائما فلما قدر المدبر سبحانه على اعادة الليل الذي ذهب وبطل فقد دل ذلك
على انه قادر على اعادة ما اماته وافناه وان لم يبق له اثر الوجه الخامس ان قوله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل دليل على فساد قول الثنوية ان فاعل الخير غير فاعل الشر لان
الامر لو كان كما ذكروا لكان الاله الذي يأتي بالنور غير الاله الذي يأتي بالظلمة فاذا غلب اله النور اله
الظلمة فالغالب لا يصير مغلوبا فوجب ان لا يزول النهار ولا يحصل الليل فلما لم يكن كذلك

علمنا



علمنا ان الليل والنهار والظلمة والنور بتدبير مدبر واحد وتقدير مقدر واحد وهو
الله رب العالمين وفي هذه الآية سؤالات السؤال الاول ما معنى السرمد في اللغة
الجواب السرمد هو الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم
ثلثة سرد وواحد فرد الثاني هلا قال بنهار تبصرون فيه كما قال بليل تسكنون فيه الجواب
ان منافع الليل هو السكون والنوم هو الراحة اما منافع النهار فكثيرة يطول تعدادها
الثالث لم قال في الليل افلا تسمعون وفي النهار افلا تبصرون الجواب لان الليل عبارة عن
الظلمة وهي غير مرئية لاجرم قال في بقائها افلا تسمعون والنهار عبارة عن الضوء وهو
مرئي فلهذا قال افلا تبصرون وقال الكلبي في قوله افلا تسمعون معناه افلا تطيعون
من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطأ والضلال النوع الثالث من وجوه
دلالة الليل والنهار على الصانع الحكيم قوله تعالى في آخر هذه الآية ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون واعلم ان تقرير هذا الوجه
ان الليل والنهار ضدان والضدان يكون كل واحد منهما مبطلا لذات الآخر ولمنفعته اما
الليل والنهار فانه لا يحصل الانتفاع باحدهما الا عند حصول الآخر فقلب طبيعة
الضدين من المعارضة الى المعاونة مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وانما قلنا انه لا يحصل
المنفعة الا بتعاقبهما وذلك لانه لو دامت الظلمة دامت البرودة وتعذرت الحركات فتهلك
الحيوانات ولو دام الضوء دامت السخونة ولم يحصل النوم ويستولي الاعياء والتعب على الحيوانات
فيموت الكل فظهر ان الانتفاع باحدهما لا يمكن الا عند حصول تعاقبهما ومن المعلوم ان قلب
طبيعة الضدين عن المعارضة الى المعاونة لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم انه تعالى بين في هذه الآية
ان الازدواج بين الليل والنهار لاغراض ثلثة لتسكنوا في الليل وليبتغوا من فضل الله بالنهار
وليشتغلوا بالشكر على هاتين المنفعتين النوع الرابع من وجوه دلالة الليل والنهار على الصانع
الحكيم قوله تعالى في سورة الفرقان وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا

وفي سورة عم وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا اما قوله و
جعلنا نومكم سباتا فقد طعن فيه بعض الملاحدة فقال السبات هو النوم فيصير التقدير و
جعلنا نومكم نوما والجواب عنه ان السبت في اصل اللغة هو القطع يقال سبت الرجل راسه
يسبته سبتا اذا حلق شعره وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا اي قطعا وعند هذا يحتمل
الاية وجوها الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم منقطعا لا دائما فان النوم بمقدار الحاجة
من انفع الاشياء اما دوامه فهو من اضر الاشياء فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله
تعالى في معرض الانعام الثاني ان الانسان اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه التعب فسميت
تلك الازالة سبتا وقطعا وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي راحة وليس
غرضه منه ان السبات اسم للراحة بل المقصود ان النوم يقطع التعب ويزيله فحينئذ يحصل الراحة
الثالث قال المبرد وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه
تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يغالب النوم كانه قيل وجعلنا نومكم
نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض
الشديدة اما قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فقال القفال اصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه
الانسان ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل
لباسا لهم والمراد ساترا لهم واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة الليل تستر الانسان عن
العيون اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا يحب الانسان اطلاع غيره عليه قال المتنبي
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وايضا فكما ان الانسان بسبب اللباس
يزداد جماله ويتكامل قوته ويندفع عنه اذى الحر والبرد ويندفع عنه اذى التعب الجسماني
واذى الافكار الموحشة النفسانية ولهذا السبب فان المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة
اما قوله وجعلنا النهار معاشا فاعلم ان في المعاش وجهين الاول انه مصدر يقال عاش يعيش عيشا
ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا التقدير لابد فيه من اضمار وجعلنا النهار وقت معاش

والثاني



والثاني ان يكون معاشا مفعلا وظرفا للتعيش وعلى هذا لا حاجة الى اضمار ومعنى كون النهار معاشا
ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم في النهار لا في الليل والله اعلم النوع الثاني
من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم واعلم ان قوله وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار اشارة الى الليل وقوله والشمس تجري لمستقر لها اشارة الى النهار وفي قوله والشمس
تجري لمستقر لها قاعدة اقوال اصحها انها تجري وتتحرك لان تمامها عند انقضاء الدنيا لا تزال
تجري حتى تنتهي الى الوقت الذي تنقضي الدنيا فيه وفي ذلك الوقت تقف وتستقر وتترك الحركة
ولنذكر هنا النهار افضل ام الليل وفي ترجيح كل واحد من الطرفين وجوه اما الذين يفضلون
النور على الظلمة فيه تمسكوا الوجوه الاول في مباحث متفرقة في هذا الباب النوع الاول في المباحث
المتفرقة على كون القمر هلالا اعلم انه تعالى فرع على كون القمر هلالا ابحاثا يتعلق بعلم الاصول و
التوحيد وابحاثا يتعلق بعلم الفروع والتكليف اما ما يتعلق بعلم الاصول فهو قوله تعالى في يس
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار وكل في فلك يسبحون ونظيره قوله تعالى في سورة السماء انشقت فلا اقسم بالشفق
والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فقوله اذا اتسق فاعلم ان اصل الاتساق الاجتماع يقال وسقته
فاتسق كما يقال وصلته فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح
كما يقال منتظمة قال ابن عباس رضي الله عنه اذا اتسق اي اذا استوى واجتمع وتكامل وتم وامتلا
وذلك ليلة ثلث عشرة واما ما يتعلق بعلم الفروع فهو قوله في سورة البقرة يسئلونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج فلنتكلم في شرح هذين الاصلين اما الاية الاولى فاعلم انه تعالى جعل الزمان
مقدرا من اربعة اوجه السنة والشهر واليوم والساعة اما السنة فهي عبارة عن جعل الزمان الى
من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك بحركتها الخاصة على خلاف الحركة اليومية الى ان تعود الى تلك
النقطة بعينها والقوم اصطلحوا على جعل تلك النقطة الاعتدال الربيعي وهي اول الحمل واما الشهر فهو عبارة

عن حركة القمر عن نقطة معينة من الفلك الخاص به الى ان يعود الى تلك النقطة ولما كان اظهر
احوال القمر وضعه مع الشمس وظهوره اوضاعه من الشمس هو الهلال الغربي مع ان القمر هذا
الوقت يشبه الموجود والمعدوم والمولود الخارج من الظلم لا جرم جعلوا هذا الوقت مبدأ
للشهر واما اليوم بليلته فهو عبارة عن مفارقة نقطة من دائرة معدل النهار نقطة من دائرة
الافق او نقطة دائرة الافق ونقطة من دائرة نصف النهار وعودها اليها فالزمان المقدر بهذا
المقدار عبارة عن اليوم بليلته ثم ان المنجمين اصطلحوا على تعيين دائرة نصف النهار مبدأ لليوم
بليلته واما اكثر الامم فانهم جعلوا مبادئ الايام بلياليها من مفارقة الشمس افق المشرق و
عودها اليه من الغداة واحتج من نصر مذهبهم بان الشمس افق المشرق وعودها عند طلوعها
كالموجود بعد العدم فجعله اولا اولى وعلى هذا القول فزمان الليل عبارة عن مدة كون الشمس
فوق الارض وفي شريعة الاسلام يفتتحون النهار من وقت طلوع الفجر في وجوب الصلوة و
الصوم وغيرهما من الاحكام وعند المنجمين مدة الصوم في الشرع هي زمان النهار كله مع زيادة
من زمان الليل معلومة المقدار محدودة المبدأ واما الساعة فهي على قسمين مستوية ومعوجة
فالمستوية جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم وليلة والمعوجة من اثني عشر جزءا من يوم وليلة
فهذا هو الكلام المختصر في تعريف السنة والشهر واليوم والساعة اذا عرفت هذا فنقول اما السنة
فهي عبارة عن دورة الشمس فيحدث بسببها الفصول الاربعة وذلك لان الشمس اذا حصلت في الحمل فاذا تحركت
من هذا الموضع الى جانب الشمال اخذ الهواء في جانب الشمس شيئا من السخونة لقربها من مسامتة
الرؤس ويتواتر الاسخان الى ان يصل الى اول السرطان وحينئذ تشتد الحر ما دامت في السرطان و
الاسد لقربها من سمت الرؤس ثم ينكسر قليلا قليلا الى ان يصل الى الميزان وحينئذ يطيب الهواء ويعتدل
ثم يأخذ الحر في النقصان والبرد في الزيادة ولا يزال يزداد البرد الى ان يصل الشمس الى اول الجدي
وحينئذ يشتد البرد وما دامت في الجدي والدلو فالبرد يكون في غاية الشدة الى ان ينتهي الى اول الحمل
فحينئذ يطيب الهواء ويعتدل وعادة الشمس الى مبدأ حركاتها وتمت السنة وحصلت الفصول الاربعة





التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ومنافع الفصول الاربعة مشهورة في الكتب
واما الشهر فهو عبارة عن دورة القمر في الفلك الخاص فمن المعلوم ان نوره مستفاد من الشمس
ولابد ان يكون احد نصفيه مضيئا بالتمام الا انه عند الاجتماع يكون نصفه المضيء وهو النصف
الفوقاني فلا جرم نحن لا نرى في تلك الحالة من نوره شيئا وعند الاستقبال يكون نصفه
المضيء مواجها لنا فلا جرم نراه مستنيرا بالتمام وكلما كان القمر اقرب الى الشمس كان المرئي
من نصفه المضيء اقل مواجها لنا فلا جرم لا نراه مستنيرا وكلما كان ابعد كان المرئي من نصفه
المضيء اكثر ثم انه من وقت الاجتماع الى وقت الاستقبال يكون كل ليلة ابعد من الشمس فلا
جرم نرى كل ليلة ضوءه اكثر ومن وقت الاستقبال الى وقت الاجتماع يكون كل ليلة اقرب
الى الشمس فلا جرم نرى كل ليلة ضوءه اقل ولا يزال يقل ويقل حتى عاد كالعرجون
القديم فهذا ما قال له اصحاب النجوم واما الاصوليون فهم يقولون القمر جسم والشمس جسم و
الاجسام كلها متماثلة في الجسمية والاشياء المتساوية في تمام الماهية يمتنع اختلافها
في اللوازم فاذن حصول الضوء في جرم الشمس والقمر امر جائز الوجود لا يمتنع عدمه وكما ان
كذلك امتنع رجحان وجوده على عدمه الا بترجيح الفاعل المختار وكل ما هو فعل الفاعل
المختار فان ذلك الفاعل يكون قادرا على ايجاده وعلى اعدامه وعلى هذا التقدير فلا حاجة
على اسناد هذه الاختلافات الحاصلة في نور القمر الى قربها وبعدها من الشمس بل الحق ان
حصول النور في جرم الشمس انما كان بسبب ايجاد القادر المختار واذا كان كذلك كان الامر قادرا على
ازالة النور عن جرمه فحينئذ يكون ضرورة الشمس مظلمة في ذاتها امرا جائزا وحينئذ ينفتح باب في الدين
وهو اليقين بصحة كل ما جاء في صفات الافلاك والكواكب يوم القيمة نحو قوله اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء كشطت واذا عرفت هذا ظهرت دلالة
اختلاف احوال القمر في الضوء والنور على الفاعل المختار الحكيم سبحانه في الاية سؤال الاول ما
معنى قوله والقمر قدرناه منازل الجواب معناه والقمر قدرنا مسيره منازل او لم منازل على حذف

الجاذ

او ذا منازل على حذف المضاف الثاني ما العرجون الجواب العرجون اصل العرجون قال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه الهلال لدقته ولانحنائه وتقويسه فهذا ما يتعلق بعلم الاصول من مباحث الهلال اما ما يتعلق بعلم الفروع فهو ان لقائل ان يقول لخالق العالم ومدبره لم خصص جرم القمر بهذا الاختلاف فنقول لعلماء الاسلام في هذا المقام جوابان احدهما ان يقال ان فاعليته لا يمكن تعليلها بغرض ومصلحة ويدل عليه وجوه الاول ان كل من فعل فعلا لغرض فان كان وجود ذلك الغرض اولى به من ذلك الفعل لا وجوده كان ذلك الفاعل ناقصا بذاته مستكملا لغيره وذلك في حق الله تعالى محال وان لم يكن اولى به لم يكن غرضا الثاني ان من فعل فعلا لغرض فان قدر على تحصيل ذلك الغرض دون ذلك الواسطة كان فعل تلك الواسطة عبثا وان لم يقدر فهو عاجز الثالث لو كان فعله معللا بغرض فذلك الغرض ان كان محدثا افتقر احداثه الى غرض آخر وان كان قديما لزم من قدمه قدم الفعل وهو محال فلا جرم قالوا كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ولا يجوز تعليل افعال الله واحكامه البتة لا يسأل عما يفعل الجواب الثاني قول من يقول لا بد في افعال الله تعالى واحكامه من رعاية المصالح والحكم والقائلون بهذا القول سلموا ان العقول البشرية قاصرة في اكثر الامر عن الوصول الى اسرار حكمة الله في ملكه وملكوته الا ان الله تعالى اخبر عن الحكمة في اختلاف نور القمر في آيات منها قوله تعالى في سورة البقرة يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ومنها في قوله في يونس هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ومنها قوله في بني اسرائيل وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وقال في يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وشرح هذا المعنى ان يقول ان بتقدير الزمان بالشهور فيه منافع يتصل بعضها بالدين وبعضها بالدنيا واما ما يتصل منها بالدين فكثيرة منها الصوم قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن

ومنها



ومنها الحج قال الله تعالى الحج اشهر معلومات ومنها عدة المتوفى عنها زوجها قال تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومنها مدة الحمل والرضاع قال تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا ومنها النذور التي تتعلق بالاوقات في ايام لا يصل ولا سبيل الى معرفتها الا بالاهلة واما ما يتصل بالدنيا منها فهو كالمداينات والاجارات ومدة الحمل والرضاع وغيرها وكل ذلك مما لا يسهل ضبط اوقاتها الا عند وقوع الاختلاف في ضوء القمر وتحقيق الكلام فيه ان المصنف الذي يراعي الترتيب يقسم كتابه الى انواع ثم كل نوع منه الى ابواب ثم كل باب منه الى فصول حتى يكون الاطلاع على مضمون ذلك الكتاب اسهل وايسر وجملة هذا العالم تصنيف الله تعالى سبحانه ما اعظم شانه وهو يراعي التسهيل على المكلفين فقسم جملة الزمان الى السنين ثم قسم كل سنة الى اثني عشر شهرا كما قال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ثم قسم كل شهر الى الايام ثم قسم كل يوم الى الساعات ثم قسم كل ساعة الى الانفاس ثم قسم كل نفس الى اللمحات ثم قال انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ثم قسم كل لمحة الى الاجزاء التي لا تتجزى والآنات التي لا تنقسم ولما ظهر ان لاختلاف احوال القمر معونة عظيمة في تعيين الاوقات وتحديدها للوجوه التي ذكرناها لا جرم نبه الله تعالى على هذه النعمة بقوله قل هي مواقيت للناس والحج لان تعديد جميع تلك المنافع يفضي الى الاطناب والاقتصار على البعض دون البعض اهمال للبعض فلم يبق الطريق الا التنبيه على الكل بطريق الايجاز ومن منافع اختلاف ضوء القمر انه لو لم يحصل هذا الاختلاف لتاكد شبهة الفلاسفة في قولهم ان الاجرام الفلكية لا يمكن تطرق التغير الى احوالها فهو سبحانه بحكمته القاهرة ابقى الشمس على حالة واحدة واظهر الاختلاف في احوال القمر من وجهين احدهما المحو الذي في وجهه فان بعض اجزائه مخالف للبعض في كيفية النور والثاني ضوءه يختلف في كل يوم ثم جعل هذين النوعين من دليلا على كون هذه الاجرام قابلة للاختلاف والتغير حتى يدل ذلك على افتقار الشمس والقمر والنجوم والافلاك والعناصر الى معدد قادر حكيم النوع الثاني من المباحث

تحقيق الكلام

تقسيم جملة الزمان

اختلاف ضوء القمر لبعض الحكمة

المتعلقة بالبروج قال تعالى في سورة الحجر ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين
وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء بروجا وقال والسماء ذات البروج واليوم
الموعود واعلم انه تعالى كما ذكر البروج ذكر المنازل ايضا فقال في سورة يس والقمر قدرناه
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل والكلام في
المباحث المتعلقة بالبروج والمنازل طويل الا انا نذكرههنا من ذلك طرفا قليلا فنقول اما
البروج ففيها مباحث الاول وهو انا بينا ان مصالح هذا العالم لا ينتظم الا بالفصول الاربعة المتغايرة
فالحق تعالى قسم الفلك باربعة اقسام الربع الاول الذي متى كانت الشمس فيه كان الزمان ربيعا
والربع الثاني الذي متى كانت الشمس فيه كان الزمان صيفا والربع الثالث اذا حصلت الشمس
فيه كان الزمان خريفا والربع الرابع الذي متى حصلت الشمس فيه كان الزمان شتاء فقسم الفلك
الى هذه الارباع الاربعة ليحدث الفصول الاربعة في الارض ثم انه تعالى قسم كل فصل الى ثلثة اقسام
ابتداء ووسط وانتهاء والحكمة فيه ان الانتقال من احد الضدين الى الضد الاخر يوجب الامراض
والاسقام الشديدة فلما كان الشتاء باردة جدا جعل اول الربيع ضعيفا في الحرارة حتى ينتقل
الانسان من البرد الشديد الى الحر الضعيف ولا يصير الطبيعة مقهورة ثم ان ذلك الحر لا يزال
يتزايد ويقوى حتى يبلغ الى كمال الحر اللايق بالربيع فحينئذ يقع الانتقال منه الى الحر الشديد
الذي هو في الصيف فلا يصير طبايع الامزجة والابدان مقهورة فاول الربيع ضعيف الحر
لانه مجاور للشتاء واخر الربيع قوي الحر لانه مجاور للصيف وبهذا التدبير حصل الانتقال
من الضد الى الضد فلا يحصل الامراض والالام بسبب ذلك فلهذا المعنى اقتضت الحكمة الالهية ان
يقسم كل ربع من ارباع الفلك ثلثة اقسام احدها يكون مبدأ لذلك الفصل والثاني يكون
وسطا له والثالث يكون كمالا له فلاجل هذا الترتيب صار الفلك مقسوما باثني عشر برجا ثم
انه تعالى سير الشمس في هذه البروج كما قال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها
سراجا وقمرا منيرا فلاجرم صير السنة اثني عشر شهرا كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر

الاية

مسائل المتعلقة بالبروج

في البروج مباحث الاول

---

١٣٨

في عجائب البروج

الاية الوجه الثاني في عجائب البروج واعلم ان العوالم ثلثة العالم الاصغر وهو بدن الانسان
والعالم الاوسط وهو العالم السفلي بما فيه من العناصر الاربعة والعالم العلوي هو عالم السموات
والكواكب اما العالم الاوسط فمخلوق فيه اجرام اربعة الارض والماء والهواء والنار واثقل
الاجسام هو الارض فلاجرم جعل الارض تحت جميع طبايع الاربعة والماء اقل ثقلا منه فجعل
الماء محيطا بالارض ثم الهواء خفيف فجعل الهواء محيطا بجميع العناصر الاربعة فهذا هو
الترتيب المحكم الموصف المتقن ثم انه تعالى قلب هذا الترتيب في تخليق العالم الاصغر فجعل الارض
فوق الكل والنار تحت الكل والدليل عليه ان يافوخ الانسان فوق جميع اعضائه وهو عظم والعظم
بارد يابس وطبعه طبع الارض فجعل الارض فوق جميع الاعضاء ثم جعل الهواء تحت الارض
فان النفس هواء ومنفذ النفس هو الانف وهو تحت اليافوخ ثم جعل الماء تحت الهواء لان
معدن الماء هو الفم والفم تحت الانف ثم جعل النار تحت الماء لان معدن النار والحرارة الغريزية
هو القلب والقلب تحت الاعضاء في العالم الاوسط جعل الارض تحت الكل والنار فوق الكل
وفي العالم الاصغر قلب هذا الترتيب فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل ليظهر للعقلاء ان
السبب في حصول هذا الترتيب تخليق القادر المختار وتكوينه لا تأثير الطبيعة والخاصية واما
في العالم الاكبر فقد رتب هذه الطبايع على خلاف ما وقع ترتيبها من العالم الاصغر وفي العالم
الاوسط وذلك لان الحمل برج ناري ثم يجاوره الثور وهو ارضي ثم يجاوره الجوزاء وهو
هوائي ثم يجاوره السرطان وهي مائي فوقع الابتداء بالناري والانتهاء بالمائي وعلم
ان الحكمة في وقوع هذه الطبايع الاربعة في كل واحد من هذه العوالم الثلثة على ترتيب
اخر مخالف لترتيب غيره ليكون ذلك شاهدا بان الطبايع معزولة والخواص باطلة ولا
تأثير الا بقدرة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد الوجه الثالث
ان الترتيب العناصر الاربعة في هذا العالم الاسفل وقع بحيث يكون متجاورين منهما فانهما
يتشاركان في كيفية ويتباينان في اخرى مثلا الارض والماء يشتركان في البرد ويختلفان في الرطوبة

الطبايع معزولة واخواصها باطلة

واليبوسة والماء والهواء يشتركان في الرطوبة ويختلفان في الحرارة والبرودة والهواء والنار
يشتركان في الحرارة ويختلفان في الرطوبة واليبوسة قالوا والسبب فيه ان لا يتجاوز ضدان وكل الوجوه
ثم ان هذه الدقيقة صارت متروكة في ترتيب الطبايع في العالم الاكبر وذلك لان هناك قد تجاورت
البروج المتضادة الا ترى ان الحوت والحمل متضادان فذلك لان الحوت بارد رطب والحمل حار يابس
وهما متجاوران وكذلك الثور والجوزاء متضادان لان الثور بارد يابس والجوزاء حار رطب
وكذلك السرطان والاسد وكذلك السنبلة والميزان وكذا الجدي والدلو كل واحد من هذين البرجين
متضادان بكلتي الكيفيتين ثم هما متجاوران وهذا من ادل الدلائل على ان تجاور هذه البروج
ليس لاجل مشاكلة طبايعها ومجانسة ذواتها بل ذلك لايجاد القادر المختار الصانع الحكيم جل جلاله
وتقدست اسماؤه **الوجه الرابع** ان الشمس في غاية السخونة ومذهبكم ان الحمل برج حار يابس
ناري والسرطان برج بارد رطب مائي فلو كانت هذه التأثيرات حاصلة بسبب الطبيعة لكان
اذا حصلت الشمس في الحمل فقد حصل كوكب حار جدا في برج حار جدا فوجب ان يقوى السخونة
جدا واذا حصلت الشمس في السرطان فقد حصل كوكب حار جدا في برج بارد جدا فوجب ان ينكسر حره و
يضعف لكن ليس الامر كذلك فانه حين يحصل الشمس في الحمل يكون الحر ضعيفا وحين يحصل في السرطان
يكون الحر قويا فعلمنا ان قوة الحر ليس لتأثير الانجم والبروج بل بتقدير المقدر وتدبير الصانع
الحكيم فان قيل اذا حصلت الشمس في السرطان فههنا وان حصلت الشمس في البروج البارد والرطب
الا انها على سمت الرأس فلا جرم قوي الحر بهذا السبب قلنا هذا باطل لكونها في الاسد لان الشمس حال كونها
في الاسد تباعدت عن سمت الرأس مع ان الحر عند كون الشمس في الاسد اشد واقوى فهذه الا
عتبارات دالة على ان تغير احوال العالم بسبب تقدير الصانع المختار لا بسبب احوال الانجم والافلاك
**الوجه الخامس** ان القوم لما سلموا ان هذه البروج في الطبايع والماهيات فان واحد منهما يقتضي
السخونة واليبوسة والآخر يقتضي البرودة والرطوبة فلولا اختلافهما في الماهية والا لما
اختلفت آثارها واذا كانت هذه البروج مختلفة الطبايع والماهيات كان الفلك مركبا من اجسام

مختلفة



مختلفة الطبايع والحقيقة كما ان الانسان مركب من اعضاء مختلفة واجزاء غير متساوية في
الحقيقة والماهية وكل مركب فانه ينتهي لا محالة الى الانحلال والاختلاف ومباينة كل واحد
من تلك الاجزاء المتنافرة المتعاندة عن صاحبه وهذا يقتضي ان السموات تنشق وتخرب ولا
يبقى تركيبها وهو مطابق القرآن العظيم ولنكتف بهذا القدر من الكلام في البروج والمنازل

**النوع الثالث** في المباحث المتعلقة بالشفق قال تعالى فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق
والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق اعلم ان تركيب لفظ الشفق اصل في اللغة لدقة الشيء يقال
شيء شفق اذا كان رديا وذلك لضعف ورقة وجوده واشفق عليه اذا رق قلبه عليه والشفقة
رقة القلب ثم اتفق العلماء على ان الاسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا
فذهب عامة العلماء الى انه هو الحمرة وهو قول ابن عباس رضي الله ومقاتل ومن اهل اللغة قول
الليث والفراء والزجاج وعن ابي حنيفة رحمه الله في احدى الروايتين انه البياض وروى
اسد بن عمرو انه رجع عنه واحتج الاولون على قولهم بوجوه الاول قال الفراء سمعت بعض العرب
يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق **الحجة الثانية** ان الامة مجموعة على ان الشفق هو وقت
العشاء الاخيرة فوجب ان يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض لان البياض يمتد وقته ويطول البته
والحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس عن الافق فذلك يذهب اذا ذهبت الحمرة **الحجة الثالثة** ان
اشتقاق الشفق لما كان من الرقة ولا شك ان الضوء يأخذ في الرقة والضعف من عند غيبة الشمس
فيكون الحمرة شفقا اما من قال انه بياض فقد احتج عليه بوجوه **الحجة الاولى** انا بينا ان اشتقاق
هذا اللفظ يدل على الضعف والبياض الباقي ان ضعيف بعد الشمس فوجب ان يكون مسمى باسم
الشفق **الحجة الثانية** ان صلوة الصبح وصلوة العشاء واقعتان على الطرفين فلما كان وقت صلوة
الصبح بطلوع البياض وجب ان يكون صلوة العشاء لغروب البياض لما قوله تعالى والليل وما وسق
فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن ثم صار
اسما للحمل واستوسقت الابل اذا اجتمعت فانضمت قال القفال مجموع اقاويل المفسرين يدل على انهم

تركيب لفظ الشفق

مذهب عامة العلماء هو الحمرة

فسروا قوله تعالى وما وسق على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار و
تحرك ما يتحرك فيه من الهوام ثم هذا يحتمل ان يكون اشارة الى الاشياء كلها لاشتمال الليل عليها
فكانه قال تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال سعيد بن
جبير المراد من قوله وما وسق الاعمال التي عملت من الليل قال القفال يحتمل ان يكون ذلك
تهجد العباد فقد مدح الله المستغفرين بالاسحار لجاز ايضا ان يحلف بهم وانما قلنا ان
الليل اجمع هذه الاشياء كلها لان الظلمة كانها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات فلا جرم
صح ان يقال وسق الليل جميع هذه الاشياء قوله والقمر اذا اتسق فاعلم ان اصل الكلمة من الاجتماع
يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل قال ابن عباس رضي الله عنه والقمر اذا اتسق
اي استوى واجتمع وتكامل واشتد وذلك ليلة الرابع عشرة ثم قال لتركبن طبقا عن طبق
وفيه مسائل المسئلة الاولى قوله لتركبن طبقا على خطاب الانسان في يا ايها الانسان ولتركبن بضم
الباء خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس ولتركبن بكسر الباء على
خطاب النفس وليركبن بالياء على معنى ليركبن الانسان المسئلة الثانية الطبق ما طابق غيره
يقال ما هذا بطبق كذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق واطباق الثرى ما يطابق منه
ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة
لاختها ولنذكر وجوه المفسرين فنقول اما القراءة برفع الباء وهي خطاب الجمع فيحتمل وجوها
الاول ان يكون المعنى لتركبن ايها الانسان امورا واحوالا امرا بعد امر ومنزلا بعد منزل الى
ان يستقر الامر على ما يقتضي به على الانسان اوله من جنة او نار فحينئذ يحصل الدوام والخلود اما
في الثواب والعقاب ويدخل في هذه الجملة احوال الناس من حين يكون نطفة الى ان يصير شيخا
ثم يموت فيكون في البرزخ ثم ينقل اما الى الجنة واما الى النار الثاني ان يكون معنى الاية ان الناس
يلقون يوم القيمة احوالا وشدائد حالا بعد حال وشدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث
كائن والناس يلقون فيها الشدائد والاهوال الى ان يفرغ الله تعالى من حسابهم فيصير كل احد

الى ما

الى ما اعد له من جنة او نار وهو كقوله بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله يوم يكشف
عن ساق وقوله يوما يجعل الولدان شيبا الثالث ان يكون المعنى ان الناس ينقل احوالهم
فمن يتنعم يشقى ومن يشقى يتنعم وقوله خافضة رافعة وهذا التاويل مناسب لما قبل هذه الاية
كانه تعالى لما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء ظهره انه كان في اهله مسرورا وكان يظن ان لن يحور
بلى اخبر الله تعالى انهم يحورون ثم اقسم ان الناس يكونون في الاخرة يركبون طبقا عن طبق اي حالا
بعد حالهم في الدنيا والرابع ان يكون المعنى لتركبن طبقا سنة الاولين ممن كان قبلكم في
التكذيب بالنبوة والقيمة واما القراءة بنصب الباء من قوله لتركبن فيها اقوال الاول ان
يكون ذلك اشارة للنبي عليه السلام بالقهر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه قال
اقسم يا محمد لتركبن حالا بعد حال حتى تختم لك بجميل العاقبة ولا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في
كفرهم ويتفرع على هذا القول احتمالان احدهما ان يكون المعنى انه يركب كالطبق عليه بعد حال
خوف وشدة والاحتمال الثاني ان يكون المعنى ان الله تعالى يبدل له بالمشركين انصارا مسلمين
ويكون مجازا ذلك من قولهم طبقات الناس والقول الثاني ان يكون ذلك بشارة لمحمد عليه السلام بصعوده
الى السموات ليشاهد ملكوتها ويشاهد اجلال الملائكة له والمعنى لتركبن يا محمد السموات طبقا
عن طبق وقال تعالى سبع سموات طباقا وقد فعل الله ذلك على ليلة الاسراء وهذا القول مروي عن ابن
مسعود وعن ابن عباس رضي الله عنهما والقول الثالث لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة
بعد رتبة في القرب من الله تعالى والقول الرابع في هذه القراءة ان هذه الاية واردة في شرح احوال
السموات والمعنى لتركبن السماء يوم القيمة حالة بعد حالة وذلك لانها اولا تنشق كما قال اذا السماء
انشقت ثم تنفطر كما قال اذا السماء انفطرت ثم تصير وردة كالدهان وكالمهل على ما ذكر الله تعالى
هذه في ايات من القران وكانه تعالى لما ذكر في اول السورة انها تنشق اقسم في اخر السورة انها تنتقل
من احوال الى احوال وهذا مروي عن ابن مسعود النوع الرابع في المباحث المتعلقة بالاظلال
قال تعالى في سورة الرعد ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وقال اولم يروا

الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وقال في الفرقان الم تر كيف
مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا و
لنشرع من تفسير هذه الاية المذكورة في الفرقان فنقول انه تعالى استدل بحال الظل في
زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال على وجود الصانع الحكيم اما قوله الم تر ففيه وجهان
احدهما انه من رؤية العين والثاني انه من رؤية القلب وهو العلم فان حملناه على رؤية
العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مده ربك وان حملناه على العلم وهذا اختيار الزجاج
فالمعنى الم تعلم وهذا اولى وذلك لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى
في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير ممكن وكل ممكن فله مؤثر
فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب من هذا الوجه اولى المسئلة الثالثة المخاطب بهذا الخطاب
وان كان هو الرسول بحسب ظاهر اللفظ الا ان الخطاب عام في المعنى لان المقصود بالاية بيان
انعام الله بخلق الظل وجميع المكلفين مشتركون في انه يجب كونهم متنبهين لهذه النعمة
واستدلالهم بها على وجود الصانع الحكيم سبحانه والكلام الملخص يرجع الى وجهين الاول ان الظل
هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس
وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران وهذه الحالة اطيب الاحوال
لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها المزاج واما الضوء الخالص وهو الكيفية
الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر حس البصر ويفيد السخونة القوية وهي مؤذية فاذن
اطيب الاحوال هو الظل ولذلك وصف الجنة به فقال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول
انه تعالى بين ان هذا الظل من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان الناظر الى الجسم الملون وقت
الظل كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم وسوى اللون ولا يعرف ان الظل امر ثالث به يكمل الا
نتفاع بمحسوسات هذا العالم فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على اجسام هذا العالم زال ذلك
الظل فلولا وقوع ضوء الشمس على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا وحقيقة لان الاشياء انما





يعرف باضدادها ولولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس على الارض زال الظل
فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال تعالى ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا اي خلقنا الاظلال بما فيها من المنافع والخيرات ثم هدينا العقول الى معرفة وجودها
بان اطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود كيفية الظل الذي هو منشأ المنافع
الكثيرة ثم قبضناه اي ازلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس
ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب فلما كانت الحركة المكانية لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا
فكذا زوال الاظلال لو حصل دفعة واحدة لاختلت المصالح ولكن قبضها يسيرا يسيرا يفيد
رعاية المصالح العالم والمراد بالقبض الازالة والاعدام هذا احد التأويلين التأويل الثاني
انه لما خلق الله تعالى وتقدس الارض والسماء ولم يخلق الشمس والقمر والكواكب وقع ظل
السماء على الارض فحصلت ظلمة شديدة متكاثفة في الارض ثم انه تعالى خلق الشمس دليلا
عليه وذلك لانه بحسب حركات اضواء متحركة الاظلال فانهما متعاقبان متلازمان لا واسطة
بينهما فبمقدار ما يزداد الاخر ينقص الاخر وكما ان المهتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك
الاظلال مهتدية وملازمة للاضواء فهذا هو المراد من جعل الشمس دليلا عليها واما قوله ثم
قبضناه الينا قبضا يسيرا فاما ان يكون من انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصانها
فسمى ازالة الاظلال قبضا لها او يكون المراد من قبضها يسيرا يسيرا قبضها عند قيام الساعة
وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي يلقي الاظلال وكقوله يسيرا كقوله ذلك حشر علينا يسير
فهذا هو التأويل الملخص اذا عرفت هذا فنقول الاستدلال به على وجود الصانع المحسن الرحيم
ظاهر وذلك لان حصول الظل من نافع للاحياء والعقلاء واما حصول الضوء الخالص والظلمة
الخالصة فهو موجب للمضار لا للمنافع وذلك لان تركيب الانسان تركيب ضعيف والحواس
الانسانية لا يطيق ادراك الكيفيات القوية واعتبار ان النظر القوي يعمي البصر وسماع الاصوات القوية
يورث الصمم وملامسة الحر القوي او البرد القوي يورث الموت بل لا بد من الاعتدال في المدركات

والمحسوسات والظل كيفية معتدلة لكونها كيفية متولدة عن امتزاج النور والظلمة فثبت
ان كيفية الظل من المنافع العظيمة اذا ثبت هذا فنقول هذه الكيفية اما ان يكون من الواجبات
او الجائزات والاول باطل والا لما تطرقت التغيرات اليه فاذن هو من الجائزات فلا بد لوجوده
بعد العدم ولعدمه بعد الوجود من صانع قادر محسن رحيم مقدر هذه الاظلال في قوتها
وضعفها بالمقدار النافع ويقدر بقاؤها وانتقالاتها بالمقادير النافعة وما ذلك الا
انه سبحانه خصص الشمس والقمر والنجوم كل واحد منها بمقدار خاص من الضوء وبمقدار خاص من
قوة الاضاءة ومقدار خاص من قوة الاضاءة ومقدار خاص من الجهة في الحركة والبطوء والسرعة
وما ذلك الا من المحسن الرحيم الحكيم فهذا هو الكلام في الاستدلال لوجود هذا الاظلال على الصانع
واعلم ان للاظلال انواعا من الخواص العجيبة الخاصية الاولى ان الاظلال في نفسها متحركة الا
ان الحس لا يشاهد حركاتها البتة اما ان العقل قاطع بكونها متحركة وذلك لان الجسم مشاهد
بانتقال الظل من مكان الى مكان اخر ولولا حركتها والا لما حصل هذا الانتقال واما ان الحس لا
لا يشاهد حركاتها والامر فيه ظاهر **النوع الخامس** من المباحث المتعلقة بالنجوم واعلم انه تعالى
ذكر في القرآن انواعا من منافعها الاولى كونها زينة السماء والثانية كونها رجوما للشياطين
والله تعالى ذكرهاتين المنفعتين معا في ايتين احديهما قوله تعالى في الصافات انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد الى قوله فاتبعه شهاب ثاقب وثانيهما في سورة الملك
وهو قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال في سورة
الجن وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فلنتكلم في شرح هاتين
المنفعتين المنفعة الاولى وهي كون هذه النجوم زينة للسماء ومصابيح فيها فاعلم ان هذا
مشتمل على بحثين احدهما كونه زينة ومصابيح والثاني انها في السماء الدنيا اما انها زينة
للسما فلا شك فيه واما انه تعالى سماها مصابيح في سورة الملك وذلك لان المصابيح هي السرج
والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم





فيها بمصابيح اي بمصابيح لا يساويها مصابيحكم في الاضاءة - البحث الثاني ظاهر الاية يدل
على ان هذه الكواكب كونه في السماء الدنيا لكن اصحاب الهيئة والنجوم اتفقوا على ان هذه
الثوابت مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق اكثر السيارات واحتجوا عليه بان بعض هذه
الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان يكون كلها هناك وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك
لان الثوابت التي يكون قريبة من المنطقة واقعة في ممر السيارات ينكسف بهذه السيارات والمكسوف
لا بد وان يكون فوق الكاسف فهذه الثوابت هي فوق اكثر السيارات الكاسفة وانما قلنا
انه لما كان بعض الثوابت في الكرة الثامنة وجب ان يكون كلها في الكرة الثامنة لانها بالاسرها
متحركة حركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة واذا كانت هذه الثوابت متشابهة
في الحركة وجب ان يكون كلها مركوزة في كرة واحدة واعلم ان هذه الحجة ضعيفة فانه لا
يلزم من تشابه الثوابت كلها في الحركة كونها باسرها مركوزة في كرة واحدة لانه لا يمتنع في العقل
وجود كرة تحت كرة القمر تكون متشابهة في البطوء لكرة الثوابت ويكون الكواكب التي لا
ينكسف بهذه السيارات مركوزة في هذه الكرة السفلية التي هي السماء الدنيا اذ لا يبعد وجود
كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة الا ترى ان تمثلا جميع
السيارات سوى الشمس والقمر متحركة حركة بطيئة متشابهة بحركة فلك الثوابت وعلى هذا
التقدير لا يمتنع ان يكون اكثر هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فان قيل هب ان ما
ذكرتم محتمل الا انكم سلمتم ان هذه الكواكب الثابتة الواقعة في ممر السيارات المنكسفة مركوزة
في كرة فوق اكثر هذه السيارات السبعة وحينئذ يعود الاشكال في تلك الكواكب الجواب من وجهين
احدهما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح يقتضي ان يكون السماء الدنيا مزينة بمصابيح
وليس فيه دلالة على كل الكواكب في هذه السماء واما قوله في سورة والصافات انا زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب فصيغة الجمع وان كانت يفيد الاستغراق الا ان اطلاق لفظ العموم لارادة
الاكثر مجاز مشهور في القرآن الوجه الثاني في الجواب ان قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة

الكواكب لا يقتضي كون الكواكب موجودة فيها وذلك لان السموات اذا كانت شفافة فا
لكواكب سواء كانت في السماء الدنيا او كانت في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر
من السماء الدنيا وتلوح منها فعلى هذا التقدير تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح
المنفعة الثانية الكواكب كونها رجوما للشياطين يروى ان الجن كانوا يصعدون الى
السموات ويستمعون الاخبار ويرجعون الى السماء الدنيا ويقولونها على الخلق فكان يصير
ذلك سببا لتمكن الكهنة من الاخبار عن الغيوب فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم
حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي من هذه الكواكب بشهاب
فاحرقه فهذا هو السبب في انقضاض الشهب وهو المراد من قوله وجعلناها رجوما للشياطين
ومن الناس من طعن فيه واحتج بوجوه الاولى ان انقضاض هذه الكواكب امر مذكور في كتب
قدماء الفلاسفة قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ كرة
النار احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال السبب فيه
رمي الجن بالشعلة من النار الثانية ان هؤلاء الجن كيف يعقل ان شاهدوا واحدا والفا
من جنسهم كلما استرقوا السمع احترقوا ثم انهم مع ذلك يعودون الى مثل صنيعهم فان العاقل
اذا راى الهلاك في شيء مرة ومرة والف مرة امتنع ان يعود اليه من غير فائدة الثالثة روي
في الاخبار ان ثخن كل واحدة من السموات مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق
هذه السموات مع عظمها فهذا باطل لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور فقال هل ترى من فطور وما لها
من فروج ووصفها بالشدة فقال سبعا شدادا وان لم يقدر الجن على خرق اتصال السموات
فكيف يمكنهم ان يسمعوا اسرار الملائكة من هذا البعد العظيم ثم ان عقل ان يسمعوا اسرار الملائكة
من هذا البعد العظيم فلم لا يسمعون تلك الاسرار من الارض ايضا وحينئذ لا يبقى فائدة في تبعيدهم
من السماء الحجة الرابعة ان الملائكة ربما اطلعوا على الاحوال المستقبلة اما لانهم طالعوها من
اللوح المحفوظ او لانهم تلقفوها من وحي الله تعالى اليهم وعلى هذين التقديرين فلم لم يسكنوا عن ذكرها

حتى

حتى لا يتمكن الشياطين من الوقوف عليها لا سيما وقد وصفهم الله تعالى بقوله لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون فاذا لم ياذن الله تعالى لهم في ذلك الكلام لا يذكرونه واذا لم يذكروه
عجز الشياطين عن الوقوف عليه الخامسة ان القران دل على ان الشياطين مخلوقون من النار قال
تعالى وخلق الجان من مارج من نار والنار لا تحرق النار بل يقويها فكيف تعقل ان يقال ان
الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب السادسة انا ان ظننا ان هذا القذف
كان لاجل صون المعجزات عن شبهات الكهنة فلم دام ذلك بعد وفاة الرسول عليه السلام السابعة
انه تعالى قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين دل
هذا على انه تعالى خلق الكواكب لهاتين المنفعتين واذا كان احدى المنفعتين وهي التزيين
كانت موجودة قبل مبعث النبي عليه السلام وجب ان تكون المنفعة الثانية ايضا كانت
موجودة قبل المبعث الثامنة ان وصف هذا الانقضاض جاء في شعر الجاهلية قال بشر بن
ابي خازم والعير ترهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن
حجر وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يرد علينا العير
من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم التاسعة روى الزهري عن علي بن الحسين
عن ابن عباس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذا
رمي بنجم فاستنار فقال عليه السلام ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول
يموت عظيم او يولد عظيم فقال عليه السلام انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته قالوا فثبت بهذه الوجوه
ان هذه الشهب لا يجوز ان يكون المعنى فيها ما ذكرتم الجواب عن الشبهة الاولى انا لا ننكر ان هذه
الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لمنافع اخرى الا ان ذلك لا ينافي انها
بعد المبعث قد حصلت بسبب اخر وهو دفع الجن وزجرهم ويروى انه قيل للزهري اكان
يرمى في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي عليه السلام الجواب عن الثانية

انه اذا جاء القضاء والقدر عمي البصر فاذا قضى الله تعالى على طائفة منها الاحتراق لطغيانها وضلالها اوقع في قلوبها من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما يعينها على العمل المفضي الى الهلاك والبوار والجواب عن الثالثة ان البعد بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام اما ثخن كل فلك فلعله لا يكون عظيما والجواب عن الرابعة ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنه وذكر قصة الرمي بالنجم قال فقال عليه السلام انها لا ترمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم يسبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى السماء الدنيا ثم يستخبر اهل كل سماء ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى السماء الدنيا فيتخطف الجن فيرمون والجواب عن الخامسة ان النار قد تكون اقوى من نار اخرى فالاقوى يبطل الاضعف والجواب عن السادسة ما بينا ان الشهب كانت موجودة لسائر المنافع الا انها في زمان محمد عليه السلام شددت وغلظت لهذا المقصود الاخر فعند زوال بعض المقاصد لا يجب زوال وهذا هو الجواب عن بقية الشبهات في حكمة الشهب المنفعة الثالثة في تخليق الكواكب انه جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون المنفعة الرابعة انه يستدل بحركاتها المسخرة على وجود الصانع الحكيم قال في سورة الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره فهذه هي المنافع المذكورة في القرآن واهل التجارب ذكروا وجوها اخرى منها انه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك اذا تكاثف السحاب في الليل عظمت ظلمة الليل وذلك بسبب ان السحاب يحجب انوارها ولا يبعد ادخال هذه المنفعة تحت قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون فان ذلك القدر من الاضاءة اذا حصلت ترتب عليه الاهتداء ومنها انه يحصل بسببها تفاوت في احوال الفصول الاربعة وذلك لانها اجسام عظيمة نورانية فاذا قاربت الشمس كوكبا دريا مسخنا صار الصيف اقوى حرا وهو مثل نار تضم الى نار اخرى فانه لا شك ان يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه يستدل ببعض الكواكب على

معرفة



على معرفة القبلة ولا شك انها من المهمات واعلم انه تعالى بين ان له في تخليق البعوضة حكما عظيمة فقال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاذا كان خلقة البعوضة لا ينفك عن حكمة باهرة فكيف يجوز انفكاك خلقة هذه النجوم الشريفة والكواكب النورانية الدرية عن حكم شريفة واسرار قدسية فجميع اجزاء العالم بسمواته وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيوانه واعضاء حيواناته لا يخلو ذرة من ذراته عن حكمة كثيرة باهرة عرفناها او لم نعرفها فسبحان من هو الله العزيز الحكيم **الباب الثالث** في الاستدلال بخلق الانسان على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى وفيه فصول **الفصل الاول** في الحكمة في خلق الانسان اعلم ان هذه المناظرة هي التي شرحها الله تعالى في قوله واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اعلم انه تعالى لم يذكر في هذه الاية وجه الحكمة على التفصيل في تخليق ولم يزد على قوله اني اعلم ما لا تعلمون وللعلماء في هذا المقام طريقان الطريق الاول الطريقة الاجمالية التي ذكرها الله في هذه الاية وتقريرها انه تعالى قادر على جميع المقدورات ومنزه عن كل الحاجات عالم بكل المعلومات واذا كان الامر كذلك كان لا محالة عالما بان ما الذي ينبغي فعله وما الذي ينبغي تركه وكان عالما لا محالة بكونه غنيا عن كل ما لا ينبغي ومن كان غنيا عما لا ينبغي وكان عالما بكونه غنيا عما لا ينبغي امتنع اقدامه على فعل ما لا ينبغي واذا كان الامر كذلك ثبت ان كل ما يفعل الله لا يخلو من حكمة وصواب فانه منزه عن فعل العبث كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا ومنزه عن فعل اللعب كما قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ومنزه عن فعل الباطل كما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا بل كل ما فعله انما فعله بالحق كما قال ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقال الملك والملائكة بالحق كما قال ثم ردوا الى الله موليهم الحق ومتى علمنا ان الامر كذلك علمنا ان له في تخليق البشر حكما بالغة واسرارا شريفة ولكنه سبحانه وتعالى ما كشف تفاصيلها للبشر كما قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فوجب الاكتفاء بتلك الحكمة على الاجمال وترك الخوض في تفاصيلها

الطريق الثاني في بيان حكمة خلق الانسان على التفصيل وفيه وجوه الاول ان المخلوقات على اربعة
اقسام احدها الذي له عقل ولا شهوة لهم وهم الملائكة قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم وقال
يخافون ربهم من فوقهم والثاني الذي له شهوة ولا عقل له وهو كل الحيوانات سوى الانسان والثالث
الذي له شهوة وعقل وهو الانسان فان رجح شهوته على عقله التحق بالبهائم بل كان اضل كما قال
اولئك كالانعام بل هم اضل وان رجح عقله على شهوته التحق بالملائكة قال تعالى وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا والرابع الذي لا عقل له ولا شهوة له هي الجمادات ثم انه تعالى كان في العهد القديم
والزمان الاسبق خلق الاقسام الثلثة وبقي القسم الرابع وهو الذي يحصل فيه العقل والشهوة معا
فاقتضت قدرته التامة ومشيته الكاملة خلق هذا القسم لئلا يبقى شيء من الاقسام في محو وعلى
وجود ايجاده ونعمة ابداعه فعند هذا قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالت الملائكة
انك اذا جمعت بين الشهوة والغضب وبين العقل جاءت المنازعة ويتولد الفساد من الشهوة و
يتولد سفك الدماء من الغضب فقال مدبر العالم المحيط علمه بجميع الكليات والجزئيات اني اعلم
ما لا تعلمون ويحتمل والله اعلم بمراده ان يقال انه يحصل من تخليقهم وتكوينهم كمال حكمتي ورحمتي
وقدرتي ويحصل منه ايضا كمال حالهم ودرجتهم اما كمال قدرتي فلئلا يبقى هذا القسم محروما
عن اثر الجود واما كمال حكمتي فلانه وان كان الفساد والعقل يحصلان كثيرا الا ان الاكثر عدمهما وحصول
العبودية والتذلل وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل فهو غير لائق بحكمتي واما كمال حالهم
ودرجاتهم فمن وجوه العمل بمقتضى العقل مع قيام منازعة الشهوة كما في حق البشر فيحتمل في ظنونا
ان المراد بقوله اني اعلم ما لا تعلمون هو هذا المعنى والله تعالى اعلم باسرار كلامه **القسم الثاني** للمخلوقات
اعلم ان مخلوقات الله بحسب التقسيم العقلي على ثلثة اقسام فانها اما ان يكون ارواحا قدسية نورانية
بلا اجساد واما ان يكون اجسادا بلا ارواح واما ان يكون مركبة من الارواح والاجساد اما القسم الاول
فهم الملائكة ولهذا السر سماهم الله في القرآن روحا قال تعالى في سورة البقرة في صفة عيسى عليه السلام
وايدناه بروح القدس وقال نزل به الروح الامين وقال في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا وقال

في عم



في عم يوم يقوم الروح والملائكة صفا بل سمى انادهم من ارواح البشر روحا فقال في النحل
ينزل الملائكة بالروح من امره وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا واما القسم
الثاني اعني الذي يكون اجسادا بلا ارواح فهي الحيوانات والنباتات والمعادن فان قيل الحيوان له روح
فكيف ادخلته تحت القسم الذي لا روح له قلنا مرادنا من الروح الروح اللطيفة التي يقوى
على ادراك المعقولات والمجردات وليس لسائر الحيوانات هذا الروح ولما دخل في الوجود هذان
القسمان بقي القسم الثالث وهو الموجود الذي يحصل من الارواح بين الارواح العلوية و
الاجساد السفلية والارواح النورانية اللطيفة والاجساد الظلمانية الكثيفة فحصل من ذلك
الازواج الانسان فجسده من عالم الخلق وروحه من عالم الامر فلاجرم قال الا له الخلق والامر
وحصل جسده بالتسوية وروحه بالنفخ فقال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وكان
جسده من فطره هذا العالم ورفعه من فطرة العالم الاعلى فقال في فطرة جسده ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى تمام المراتب الستة ثم قال في فطرة روحه في المرتبة السابعة ثم
انشأناه خلقا آخر وذكر ان جسده من هذا العالم فقال قل انما انا بشر مثلكم وان روحه متوجه
الى ذلك العالم وهو قوله يوحى الي وبين ان طاعة الجسد هو الاشتغال بالعبادات وان طاعة الروح
هو التوكل على رب الارضين والسموات فقال في آخر هود فاعبده وتوكل عليه اعلم ان دلائل كمال
القدرة وجلال الحكمة في تخليق هذا النوع اتم واكمل وبيانه من وجوه الاول ان الروح علوي و
البدن سفلي ضدان والروح نوراني والبدن ظلماني والنور والظلمة ضدان والروح لطيف
والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان والروح سماوي والبدن ارضي والسماء والارض
ضدان والروح رحماني بدليل انه لا يرغب الا في معرفة الله ولا يفرح الا بخدمة الله ولا يميل
الا الى محبة ولا يبتهج الا بمطالعة انوار جلال الله ولا يطمئن الا بذكر الله ولا يستقر الا على
عتبة قدس كبرياء الله واما البدن فانه شيطاني شهواني فانه لا يغتذي الا بذرات العالم
الجسمانيات فلا يفرح ولا يقوى الا بالانغماس في الشهوات والظلمانيات واذا كان الامر على هذه الجملة

حصل بين الروح والجسد منافات عظيمة ومباينة تامة فالجمع بينهما يدل على قدرة تامة
وحكمة عالية الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين **الحجة الثانية** ان الشوق الى الله
مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام غير حاصل الا للبشر واعلم ان هذا الكلام لا يتخلص
الا بتقديم حقيقة الشوق فنقول ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم
يدرك من وجه آخر اما الذي لم يدرك بوجه من الوجوه اصلا فلا يشتاق اليه فان من
لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لم يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله وتمامه لا يشتاق
اليه لان الشوق طلب وطلب الحاضر محال ثم ان الشوق الى المحبوب يقع على وجهين احدهما
اذا رآه ثم غاب عنه بقي في خياله اثر تلك الصورة المحسوسة فاشتاق الروح الى ان ينقل ذلك
الاثر من عالم الخيال الى عالم الحس والوجه الثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره ولا سائر
محاسنه فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط واذا عرفت هذا فنقول هذان الوجهان غير متصورين
في حق الملائكة اما الوجه الاول فلان ذلك انما يمكن اذا ادرك ثم غاب ويمتنع في حق الملائكة
ان يغيب عنها شيء عرفوه فكل ما عرفوه فذلك العرفان حاضر لهم ابدا لا يتبدل ذلك العرفان
بالغفلة ولا ذلك الحضور بالغيبة وهذا هو المراد بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وبقوله عليه السلام ان الملائكة صافون لا يركعون
وراكعون لا يسجدون وبالجملة فاحوالهم باقية ومعارفهم دائمة وهم مصونون عن تغيرات
الاحوال وتبدلات المعارف فان حصل لهم شوق فذلك يكون من القسم الثاني اما الانسان
فان هذين القسمين لا يمكن وقوعهما له بالنسبة الى معرفة الله تعالى اما لازمان لكل العا
رفين ضرورة اما القسم الاول فلان الذي تجلى للعارفين من الالهية وان كان في غاية الوضوح
والجلاء الا انه يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان التخيلات لا تفتر في هذا العالم عن المحا
كيات والتمثيلات وهي مكدرة للمعارف وانما تمام التجلي في الآخرة حيث يزول الخيالات وتبطل
التمثيلات فهذا اخر نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح والقسم الثاني ان الامور الالهية

لانهاية

لانهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها ويكون الحاضر متناهيا والغائب غير
متناه ولو ان العارف خلق في اول وقت حدوث العالم ثم سار بالترقي في درجات المعارف الالهية
بل طار حول عرش الجلال استطرابا الى آخر وقت تخيله الخيال ويستحضره العقل من اواخر
اوقات اهل الجنة واهل النار لكان الحاصل من طيرانه وسيره متناهيا ويكون ما لم يصل
هو اليه غير متناه واذا كان الامر كذلك ظهر ان القسم الاول من الشوق يزول في الآخرة واما
القسم الثاني من الشوق الى الله تعالى فانه لا يزول البتة بل كلما كان السير اشد واكثر كان الشوق اكمل
واعظم واذا عرفت هذه المقدمة والقاعدة فنقول كل من بقي على حالة واحدة فان كانت تلك الحالة
موجبة للذة ثم بقيت فعند بقائها واستمرارها لا يبقى لذيذا وكذا اذا كان مولما فعند استمراره
لا يبقى مولما بل اللذة والالم لا يحصلان الا عند الانتقال من احد الجانبين الى الجانب الآخر واضرب
لهذا مثالا من المحسوس فاحوال الخلق بالنسبة الى الاغذية والطبيعة والاطعمة اللذيذة ثلثة
الاول حال الملوك المتنعمين المتوسعين في كل الاشياء اللذيذة الطيبة لا يلتذون بها
وذلك لانهم لما واظبوا على اكلها اعتادوها فلا جرم لا يلتذون بها والقسم الثاني الفقراء
الذين لا ياكلون الا الاطعمة الخشنة البشعة ولم يتفق لهم البتة تناول الاطعمة الطيبة
**القسم الثالث** الذين في اكثر الامر ياخذون الاطعمة الخشنة البشعة وقد يتفق لهم في بعض
الاحوال تناول الاطعمة الطيبة اللذيذة فهؤلاء اذا وجدوا طعاما فيه ادنى طيب ولذة
فانهم يستلذون بها في الغاية اذا عرفت هذا فنقول الملائكة المقربون وان كانت درجاتهم
في العرفان عالية الا ان تلك الدرجات باقية مستمرة كالملوك المتنعمين فانهم وان كانوا مواظبين
على الاغتذاء بانوار جلال الله والاستنشاق من نسيم روح الله الا انه لم يتفق لهم مرة في هذه
الحالة والانتقال عن هذه الدرجة وما وقعوا في ظلمة المعصية وانكساف ظلمات الذنوب واما
الحيوانات فحالهم يشبه حال الفقراء المواظبين على الفقر والصبر والبؤس والمسكنة والجوع والعري
ولم يتفق لهم انتقال من هذه الحالة الى حالة طيبة فلا جرم لم يكن لهم الم من الحالة التي هم فيها اما الانسان

فتارة يقع في ظلمات عالم الاجسام وتارة يتخلص منها الى انوار عالم القدس وبحار سرادقات
الجلال فينتقلون تارة من الشدة الى الرخاء واخرى من الرخاء الى الشدة فاذا انتقلوا
من الشدة الى الرخاء ومن الابتلاء الى النعماء عظم التذاذهم فلا جرم يحصل هناك من
اللذات والسعادات ما لا عين رأت ولا اذن سمعت واذا كانت اسباب هذه الغيبة بعد
الحضور والحضور بعد الغيبة متعاقبة على الارواح البشرية في دار الدنيا حصلت هناك الآلام
واللذات متعاقبة واللذة اذا حصلت بحيث يكون قبلها فقدان وبعدها توقع الحرمان كان
الالتذاذ بها اشد واكمل فهذا النوع من السعادة والبهجة حاصلة للانسان وغير حاصلة للملائكة
المقربين ولا لسائر الحيوانات فيمكن ان يكون المراد من قوله اني اعلم ما لا تعلمون هذه الحالة واليه
الاشارة بقوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فقوله وحملها الانسان اشارة الى تجلي
انوار عالم القدس في روح الانسان وقوله انه كان ظلوما جهولا اشارة الى طريان ظلمات النفس
الجسمانية والموانع الشهوانية النفسانية الوجه الثالث ان تخليق الملائكة اظهرت القدرة والحكمة
وذلك لان كمال قوتهم يدل على كمال قدرة خالقهم وكمال عصمتهم يدل على كمال خالقهم اما تخليق
البشر اظهر كمال الجود وكمال الرحمة اما كمال الجود فانه لا مناسبة بين التراب وبين رب
الارباب ثم انه برحمته وكرمه جعله مركز المحبة ومعدن المعرفة كما قال يحبهم ويحبونه واما كمال
الرحمة فلانه مع كثرة معاصيه اظهر فيه انواع العجايب واودع في قلبه نور عرفانه جل له
واجرى على لسانه ذكر توحيده وجعل عينه محلا لابصار الائه واذنه محلا لسماع كلامه فا
لملائكة بهم ظهرت القدرة والحكمة والبشر بهم ظهور الجود والرحمة الوجه الرابع ان الملائكة خلقوا
من الانوار اما اثار التركيب في البشر اكثر وذلك لانه تعالى خلقك من جوهرين الروح والبدن
واظهرك من شيئين الام والاب وكونك من شيئين المني والمذي وجعل لك مطيتين الليل والنهار
وغذاك بغذائين الطعام والشراب واعد لك دارين الجنة والنار كل هذا تحقيق صدق
قوله ومن كل شيء خلقنا زوجين الوجه الخامس ان العبد يعلم ربه بالقدس والعظمة وصفات الجلال

والاكرام



والاكرام مع انه ابعد الاشياء مشابهة له ومشاكلة ثم انه لا يعلم روحه ونفسه مع
انه هو كما قال تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ليعلم العبد ان كل
ذلك بسبب [illegible] التوفيق والارشاد لا بسبب الجد والاجتهاد القسم الثالث للموجودات
ان يقول الموجودات بحسب القسمة العقلية اربعة اولها موجود لا اول له ولا اخر له وهو الحق
سبحانه والثاني موجود له اول وله اخر وهو الدنيا والثالث موجود له اول ولا اخر له وهو
العبد في الاخرة اما القسم الرابع وهو الذي لا اول له وله اخر وهو محال لما ثبت في علم الاصول
ان ما ثبت قدمه استحال عدمه اذا عرفت هذا فنقول ايها العبد لك اول ولا اخر لك وكذلك
الاخرة لها اول ولا اخر لها فانظر انك كفو الدنيا او كفو الاخرة لا يخفى عليك انك كفو
للاخرة فلما كان الامر كذلك فالحق سبحانه خلق الملائكة للبقاء ابد الاباد في الاخرة وخلقك
ايضا ابد الاباد للبقاء في الاخرة الا ان اظهار القدرة والحكمة والرحمة في خلقك للبقاء
اتم من اظهارها بسبب خلق الملائكة وذلك لانها ذوات نورانية مبرات عن الاسقام والا
علال والامراض فلعله يخطر ببال احد ان بقاءها انما كان لكونها صافية نورانية ثم انه تعالى
[illegible] خلقك من اكثف الاشياء واشدها ظلمة وهو التراب وجعلك محل
الاسقام والاعلال ومنزل الافات والامراض ثم جعلك في البقاء الابدي كفوا للملائكة
المقربين ليظهر للخلق ان البقاء لا يحصل الا بابقائه والوجود لا يحصل الا بايجاده وابداعه
واعلم انك قد عرفت ان الدنيا لها اول واخر وهذا يقتضي انها لا تبقى البتة وكان من صفتها
انها لا تبقى فكذلك من صفتها ان الانسان كلما كان اشد قبضا للدنيا واشد امساكا لها كان
فوات الدنيا عنه اكثر والدليل عليه انه تعالى شبه الدنيا بالماء فقال انما مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء والماء اذا اغترفت منه بقي في يدك فاما اذا قبضت يدك لا يبقى من الماء
في يدك شيء وكلما كان ذلك القبض اشد كان عدم بقاء الماء في الكف اكمل فكذا الدنيا مهما
اخذتها لا بالحرص بما حصلت فاما اذا قبضت عليها بمخالب الحرص فاتت وخرجت عن يدك

فان قيل فرق بين البخيل الذي يمسك المال لكن ماله والسخي الذي ينفق المال بقليل ما قلنا
هذا خطأ لان الذي يظن انه يبقى عليه ماله ليس كذلك لانه يموت فيؤخذ ذلك المال من غير
حمد ولا اجر ولا يبقى عليه الا الخسران والذي ينفقه في سبيل الله يبقى كل ذلك في خزائن رحمة الله
كما قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق **القسم الرابع** في شرح المخلوقات فانها على ثلثة اقسام
اما كاملة لا يتطرق اليها النقصان وهم اصحاب العالم العلوي اجسامهم السموات وارواحهم الملائكة
واما ناقصة لا يتطرق اليها الكمال وهي الحيوانات والنبات والمعادن وبقي في التقسيم قسم ثالث
وهم الذين يكونون كاملين وتارة يصيرون ناقصين فاذا صاروا في حد الكمال كانوا فوق
العرش جالسين مع الملائكة في حضرة رب العالمين معتكفين على عتبة عزة مواظبين على
ذكر جلال الله تعالى متفكرين في مقاربته الى الله متوكلين على وجه الله مشتغلين
بحمد الله مستغرقين في محبة محترقين بنور عظمة الله وتارة ينزلون الى حد النقصان في مقام
الشهوة والغضب اما في مقام الشهوة فتارة يكون كخنزير راجيع ثم ارسل على النجاسات
وتارة كالذباب الذي كلما ذب آب الى القاذورات واما في مقام الغضب فتارة كالكلب
العقور واخرى كالجمل الصؤول والثالث كالنار المحرقة والسيول المغرقة فهو مع كونه
شخصا واحدا يصدق عليه انه ملك نوراني وشيطان ظلماني وخنزير حريص وحمار
صبور وكلب نابح وثعلب رواغ وفاسق خبيث وملك كريم ولا شك ان تركيب شخص
واحد يظهر منه الآثار المتناقضة والاحوال المتباينة ادل على كمال القدرة واعظم في
اظهار آثار الحكمة فلهذا السبب والله اعلم قال اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ان الانسان الموصوف
بهذه الصفات بعث الى هذه الدنيا ليكون مسافرا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الناس سفر
والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه مبدأ سفره والآخرة مقصده وزمان حيوته مقدار مسافته
وسنوه منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه ويسار به سير السفينة
براكبها وقد دعي الى دار السلام كما قال لهم دار السلام عند ربهم وقال والله يدعوا الى دار السلام ثم

ان دار

---



مطلب في شرح فضيلة الانسان

ان دار السلام اشرف البقاع واعز المواضع قال تعالى جنات تجري من تحتها الانهار وقال وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين لكن الطريق الى دار السلام مظلم جدا فهو برحمته يهتدى اليه وبفضله
يرشد اليه وباحسانه يدعوا اليه وبكرمه يسهل المشي اليه وبجوده يعفو عن الذنوب ويتجاوز عن
السيئات فلهذا المعنى قال اني اعلم ما لا تعلمون فهذا تمام الكلام في حكمة خلق الانسان **الفصل الثاني**
في شرح فضيلة الانسان قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر الآية واعلم ان
هذه الآية مشتملة على اربعة انواع من التشريفات النوع الاول قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وفيه
مباحث المبحث الاول اعلم انه سبحانه وتعالى بنى امرك في الاول والوسط والنهاية على الكرم وعرف
العدو بذلك ثم بنى الحق نهاية كرمك ثم شبهك في ذلك بالملائكة المقربين اما انه بنى اول امرك
على الكرم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فهذه
الآية اول آية انزلها الله تعالى على الرسول عليه السلام وقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اشارة الى اول وجودك فثبت ان اول آية انزل الله تعالى على محمد عليه السلام انما انزلها لبيان
كرمه وجوده في اول احوال تخليقك وايجادك وفيه دقيقة وهي ان اول امرك غير مبني على كونه
كريما بل على كونه اكرم الموجودات لانه قال اقرأ وربك الاكرم ويتأكد هذا الكلام الذي ذكرناه
لما روي ان آدم عليه السلام لما عطس قالت الملائكة له قل الحمد لله فقال الحمد لله فقالت الملائكة
يرحمك الله ولذلك خلقتك واما انه بنى وسط امرك على الكرم فهو قوله ولقد كرمنا بني آدم
واما انه بنى خاتمة امرك على الكرم فهو قوله يوم القيمة عند عجزك وشدة خوفك وعدم قدرتك
على تمهيد الاعتذار يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال المفسرون هذا تلقين للجواب و
المقصود ان يقول العبد يا رب غرني بك غاية كرمك فلما كان اول هذا الامر ووسطه وآخره مبنيا
على الكرم ظهر ان العبد لا يضيع في حال كرمه ولا يخيب مع كثرة نعمه فاما انه اعترف العدو بذلك
فلان اعدى الاعداء هو ابليس وقد اعترف بذلك حيث قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي واما
انه تعالى بنى نهاية كرمك فهو قوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم واما انه شبهك بالملائكة المقربين في هذه

الصفة فلانه تعالى وصف الملائكة بالكرم فقال في صفة جبرئيل عليه السلام انه لقول رسول كريم وقال في صفة يوسف عليه السلام ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقال في صفة الملائكة الذين كانوا ضيف ابرهيم عليه السلام هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين وقال في صفة جميع الملائكة بل عباد مكرمون ثم ههنا دقيقة وهي انه تعالى قال في صفة الملائكة انهم مكرمون من غير التشديد وقال في حق البشر ولقد كرمنا ذكره مع التشديد والمقصود من هذا التشديد بيان تكثير الكرامات في حق البشر قال ابو يزيد البسطامي ان انواع كرامات الله في حق البشر غير متناهية الا ترى الى قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما على سبيل التفصيل فهو من وجوه الاول منها تمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية دليله قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وكل مؤمن فهو متوكل على الله بدليل قوله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وقال عن الصحابة حسبنا الله ونعم الوكيل ثم قال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ومنها انه تعالى يمطر في كل ساعة على المطيعين مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ومنها انه تعالى يمطر على المجتهدين مطر الهداية قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنها انه يمطر على الشاكرين مطر قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومنها انه يمطر على المتذكرين مطر الهداية والبصيرة قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والاستقصاء في هذا الباب خارج عن وسع البشر وكله داخل تحت قوله ولقد كرمنا بني ادم البحث الثاني في قوله ولقد كرمنا بني ادم واعلم ان عطية الله تعالى لها اسماء كثيرة في القرآن احدها الفضل قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اي ينبغي ان يكون فرحكم بفضل الله عليكم لا باعمالكم وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة فانهم يقولون ان العبد وان اطاع ربه باعظم الطاعات من اول خلق العالم الى قيام القيمة فانه لا يدخل الجنة الا بلطفه ورحمته ولا يكون للعبد على ربه دين ولا حق ومما يدل على صحة هذا المعنى وجوه الاول ان هذا العبد ان اطاع فربما وجد من كان ازكى منه واكثر حذقا وعلما منه مع انه وقع في الكفر واذا كان كذلك فكلام هذين العبدين اعني

المطيع

١٤٩

المطيع والعاصي والمؤمن والكافر والمقر والمنكر يحتاج ان يصدر من كل واحد منهما كل واحد من هذين العملين بدلا عن الثاني فهذا المطيع لما اختار الطاعة مع انه كان يجوز منه ان يختار المعصية بدلا عن الطاعة فاما ان يقال حصل هذا الرجحان من غير مرجح وهو يفضي الى نفي الصانع او توقف الى مرجح وذلك المرجح ان كان من العبد عاد الطلب الاول ويفضي الى التسلسل وان كان من الله فحينئذ يكون صدور تلك الطاعة من الله نعمة في حقه واذا كان صدور الطاعة من العبد عين نعمة الله تعالى فكيف يستحق العبد بنعمة الله عليه في الدنيا نعم اخرى منه في العقبى فهذا برهان واضح من ضوء الشمس على ان كل ما يحصل فانه انما يحصل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الحجة الثانية وهو ان العبد الى ان يصير بحيث يقدر على ان يأتي بالطاعة ويحترز عن المعصية فقد سبق الله عليه نعما عظيمة كما قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فهو الذي خلقه بعد ان كان معدوما محضا كما قال وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ثم خلقه من التراب كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ثم ردده في اطوار الخلقة واكوار الفطرة ثم نفخ فيه الروح وخلق فيه الحيوة كما قال ثم انشأناه خلقا اخر ثم اعطاه القدرة كما قال الذي خلقكم من ضعف ثم اعطاه العقل والعلم كما قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا اعطاه الصورة الحسنة كما قال وصوركم فاحسن صوركم ثم اعطاه الاغذية والارزاق كما قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم انه تعالى بعد هذه النعم العظيمة الدنيوية انعم عليه بالنعم العظيمة الدينية وهو بعثة الرسول وانزال الكتب وازالة الختم والوقر والرين والغشاوة من قلبه واعطاه التوفيق والهداية والعصمة ثم ان هذا العبد بعد هذه النعم العظيمة ما اتى بطاعات قليلة كما يليق بقدرته القاصرة وعقله المختصر لا يحكم العقل بوقوع هذه الطاعات قضاء لحق تلك النعم العظيمة المتقدمة فاذا وقعت هذه الطاعة قضاء لحق تلك النعم السابقة امتنع صيرورتها موجبة لنعمة اخرى واذا كان الامر كذلك علمنا ان دخول الجنة يكون بمحض فضله ورحمته الحجة الثالثة هب انه يمكن

ان يصير عمل العبد علة لاستحقاق الثواب على الله تعالى الآن ان فرح العبد بما يعطيه
الله بفضله واحسانه يجب ان يكون اعظم من فرحه بما يجده من كسبه واجتهاده ومثاله ان من وجد
بكسبه دينارا او وجد من تشريف الملك العظيم خلعة نفيسة على سبيل الاعتزاز فان فرح كل
عاقل بما حصل من تشريف الملك يكون اتم واكمل من ذلك القليل الذي حصله بكسبه فاذا
كان الامر كذلك في السلطان المجازي في الملك المختصر فما ظنك بتشريف سلطان السلاطين
على سبيل الحقيقة في اعطاء الملك الابدي فلهذا قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا الحجة
الرابعة انه تعالى جعل اشتغال العبد بالطاعة مبدأ الخيرات وجعل اعانة الله على تلك الطاعات
غاية السعادات الاخروية انه قال اولا اياك نعبد ثم قال واياك نستعين وقال اولا والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وفي هذه دلائل كثيرة ومقصودنا ههنا من اقامة هذه الدلائل القاطعة
على صحة قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الاسم الثاني من اسماء عطية الله
تعالى المنة قال الله تعالى بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم وقال لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الواردة في الحديث المنان الحنان فان قيل اليس انه تعالى نهى رسوله
عن المنة فقال ولا تمنن تستكثر ونهى الامة عن المنة فقال ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
وبين ان المنة توجب الرياء فقال كالذي ينفق ماله رئاء الناس فاذا ثبت ان هذه الخصلة
مذمومة فكيف ارتضاها لنفسه الجواب انه تعالى اذا انعم على العبد ثم من عليه بتلك النعمة
صار العبد مشغولا بالمنة وصار غافلا عن النعمة والمنة صفة الحق والنعمة من جنس الخلق و
الاشتغال بصفة الحق اولى من الاشتغال بالخلق الاسم الثالث من اسماء عطية الله الحسنى قال
تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال يوسف عليه السلام وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وقال
موسى عليه السلام لقارون واحسن كما احسن الله اليك الاسم الرابع اللطيف قال تعالى الله
لطيف بعباده ومن لطفه ان نور قلبك بالهدى وجنبك عن الردى والهوى وجعلك من امة المصطفى
ووعدك ان يصونك عن العذاب بتحت الثرى ويحشرك في زمرة ارباب التقى ويقيك من عذاب

سقر

سقر ولظى ويدخلك الجنة المأوى ويعطيك الزيادة المذكورة في قوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة الاسم الخامس الهبة قال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
الاسم السادس الفتح قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق الاسم السابع الاكرام والتكريم كما في قوله ولقد كرمنا بني ادم و
التكريم هو جعل الشيء كريما انما يكون بحصول صفات الكمال فيه وحصول تلك الصفات لا يكون الا
بايجاد الحق وتكوينه فظهر ان التكريم لا يحصل الا باكرامه والحسنى لا يحصل الا من جوده واحسانه
البحث الثالث في قوله ولقد كرمنا بني ادم واعلم انه قد اختلف المفسرون في المراد بهذا التكريم
وذكروا فيه اقوالا كثيرة وطريق ضبط القول فيها ان نقول هذا التكريم اما ان يكون المراد منه
احوالا موجودة في جسد الانسان او احوالا موجودة في روحه او مجموعهما اما الاحوال الجسدانية
فيمكن حمل هذا التكريم على امور الاول ان يكون المراد ولقد كرمنا بني ادم بالصورة الحسنة
والذي يدل على ان الصورة الحسنة من جملة نعم الله تعالى على العبد وجوه الاول قوله تعالى
وصوركم فاحسن صوركم الثاني قوله تعالى صبغة ومن احسن من الله صبغة واعلم ان الصبغ ما
يلون به الثياب يقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وكسرها وضمها ثلث لغات صبغا وصبغا
بفتح الصاد وكسرها لغتان الصبغة فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها
الصبغ وذكروا في المراد بصبغة الله وجوها الاول المراد تركيبه وصورته وخلقته وفطرته
وعلى هذا القول فالاية تدل على كمال حسن صورة الانسان من وجهين الاول انه تعالى لما اضاف
هذه الصبغة الى نفسه وهذا يدل على كمالها كما في قوله بيت الله وناقة الله والثاني انه قال
ومن احسن من الله صبغة وهذا يدل على كمال هذه الصبغة والثاني المراد منه دين الله ثم
انه لما سمي دين الله بصبغة الله وجوها احدها ان بعض النصارى كانوا يغمسون اولادهم في
ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده قالوا الان
صار نصرانيا قال تعالى صبغة الله وهي الدين والاسلام لا صبغتهم نعم هذا السبب في اطلاق لفظ

الصبغ طريقة المشاكلة ونظيره قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وجزاء سيئة سيئة مثلها انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم يخادعون الله وهو خادعهم
ومكروا ومكر الله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون والثاني ان اليهود تصبغ ابناءها
يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى يعني يلقنونهم فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوب
اولادهم حب هذه الاديان لا الانسان يقال فلان يصبغ فلانا في الشئ اي يدخله فيه ويلزمه اياه
كما يجعل الصبغ لازما للثوب وانشد ثعلب شعر دع الشر وانزل بالنجاة تحرزا اذا انت
لم يصبغك في الشر صابغ والثالث انه سمى الدين صبغة لان هيئته تظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة
والصلوة وغيرهما قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود والرابع قال القاضي عبد
الجبار بن احمد لما ذكر صبغة الله متعلق بقوله قولوا امنا بالله ونحن له مسلمون فوصف
هذا الايمان الصادر منهم بانه صبغة ليبين ان المباينة بين هذا الدين الذي اختاره الله و
بين الدين الذي اختاره المبطل ظاهرة جلية كما تظهر المباينة بين الالوان والاصباغ الذي
يدركه الحس السليم الحجة الثانية قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واعلم ان
التقويم ان يصير الشئ على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال قومه تقويما فاستقام
وتقوم ثم ذكروا في هذا التقويم وجوها منها ما نقل عن يحيى بن اكثم وجماعة انه حسن الصورة
يحكى ان ملكا في زمانه خلى بزوجته في ليلة مقمرة فقال ان لم تكوني احسن من القمر فانت طالق
فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع الطلاق فقيل له خالفت شيوخك فقال
الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا والله تعالى حيث يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة احسن
الافعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب الحجة الثالثة ان كل شخص فله كمالان
احدهما من قبل جسمه وهو منظره والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان وكذلك
فرع اصحاب الفراسة في معرفة احوال النفس اولا الى الهيئات البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما

يوجد

يوجد صورة حسنة يدبرها نفس ردية فنقش الخاتم مقروء من الطين وطلاقة الوجه عنوان
ما في النفس وقال عليه السلام اطلبوا الحوايج من حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا
فاطلبوا احسن الوجه وحسن الاسم وحكى ان المأمون استعرض جيشا فمر به رجل قبيح الوجه
فاستنطقه فرآه الكن فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر له ولا باطن

كانت صباحة واذا وقع اثرها
في الباطن كانت فصاحة فصار
الرجل لا ظاهر له صح

الحجة الرابعة ان كمال الجسم من الفضائل قوله تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم واعلم ان
حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه الا ان حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه
الاول ان حسن الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة ولا شك ان
الحكمة افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل لا محالة من حسن الصورة الحجة الخامسة
ان يوسف عليه السلام اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة
وقع في انواع من البلايا منها ان اباه كان يحبه ازيد مما يحب الاخرين كما قال تعالى مخبرا عن
اخوته اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلا جرم قصدوا قتله كما قال تعالى حكاية
عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وثانيها انه وقع بسبب الحسن في ستر
الرق قال تعالى وشروه بثمن بخس وقع في تهمة مراودة المرأة قال وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه ورابعها انه وقع في الهم قال تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وخامسها
وقع في الخوف عن زوج تلك المرأة قال تعالى والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوء الا ان يسجن او عذاب اليم وسادسها انهم جعلوه في السجن بسبب هذه الواقعة وبقي هنالك
مدة طويلة قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين فهذه هي الافات الحاصلة بسبب حسن الصورة
واما الخيرات الحاصلة بسبب حسن السيرة ففي وجوه احدها انه لما كان عالما بعلم التعبير
خاطبوه بخطاب التعظيم واستفتوا منه تعبير تلك الرؤيا قال تعالى حكاية عنهم يوسف ايها الصديق
افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن وثانيها ان الملك لما وجد عنده هذا العلم طلبه واخرجه من
السجن قال تعالى وقال الملك ائتوني به وثالثها انه نال الرحمة عنه في هذا الوقت ببركة العلم

قال تعالى قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين والرابع ان
الملك اصطفيه لنفسه عن ذلك قال تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي والخامس ان الملك اثنى
عليه قال تعالى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يقل صبيح مليح والسادس ان يوسف
عليه السلام توسل الى ذلك الملك بحسن السيرة لا بحسن الصورة قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام
قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فثبت بما قلنا انه وقع في ستة انواع من البلاء
بسبب حسن الصورة ووصل الى ستة انواع من الخيرات بسبب حسن السيرة فيكون حسن السيرة افضل منه
الحجة الثالثة ان النسوة لما رأين يوسف عليه السلام قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم شبهن يوسف عليه السلام بالملك وذلك التشبيه كان في حسن السيرة لا في حسن الصورة
لانه عليه السلام دخل مطرق رأسه ولم ينظر الى واحدة منهن مع انه كان عليه السلام في اول زمان
الشباب واستيلاء الشهوة فلما شاهدن منه تلك السيرة الحسنة صارت صورته
في جنب سيرته مضمحلة ذاهبة حتى ان النسوة مع شدة شهوتهن لم يذكرن منه الصورة
وذكرن منه السيرة فدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة الرابعة ان حسن الصورة من
مفاخر النساء وحسن السيرة من مفاخر الرجال الحجة الخامسة انه تعالى لا يطلق في حقه
لفظ حسن السيرة الا ان المعنى حاصل لان افعاله كلها حسنة من حيث انها احسان وانعام ولطف
وكرم وهو تعالى منزه عن الصورة وهذا يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة
السادسة ان حسن الصورة لا يبقى الا اياما اما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا يبطل نتيجته
فدل هذا على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة هذا جملة الكلام في شرح قوله من قال
المراد بقوله ولقد كرمنا بني آدم حسن الصورة الوجه الثاني ان المراد من هذا التكريم
امتداد القامة وذلك لان الشيء كلما كان اكثر ارتفاعا وامتدادا كان اعلى في جنسه فان الاشجار
كلما كانت اكثر ارتفاعا كانت اشرف ولهذا السبب سمي كل ما جوز احاد جنسه بصفة الشرف بانه
العالي والفائق الوجه الثالث المراد بهذا التكريم انه تعالى مكن الانسان حتى مكنه من القعود والقيام

والاستلقاء



والاستلقاء والانبطاح واعلم انه تعالى خلق الخلق على اربعة اصناف في التركيب منها ما يشبه القائمين
وهي الاشجار والانبات ومنها ما يشبه الراكعين وهي البهائم ومنها ما يشبه الساجدين وهي الحشرات
التي يدب على بطونها ووجوهها ومنها ما يشبه القاعدين وهي الجبال والتلال ثم انه تعالى اقدر
الانسان على جميع هذه الهيئات ومكنه من ان يذكر الله على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم في كل ركعة واحدة فقد حصلت في تلك الركعة
الواحدة هذه الهيئات الاربعة وهي القيام والقعود والركوع والسجود فحينئذ يحصل له ثواب
هذه الاصناف الاربعة فاقدر الله تعالى الانسان على جميع الهيئات وهو المراد بقوله ولقد كرمنا بني آدم
الوجه الرابع في هذا التكريم انه تعالى خلق بني آدم من جوهر التراب وللتراب انواع من الفضائل
احدها الوصلة وذلك لانه تعالى خلق ابليس من النار كما قال خلقتني من نار وخلقته من طين
والنار سبب القطيعة والتراب سبب الوصلة والثاني ان التراب فيه امانة قال تعالى في كل سنبلة
مائة حبة وفيه لطيفة وهو انه تعالى خلقك من شيء فيه امانة فاجتهد حتى لا تبدل الامانة بالخيانة
ولاجل كون التراب امينا قبل آدم الامانة وهو قوله انا عرضنا الامانة على السموات الى قوله
وحملها الانسان والثالث ان التراب طاهر وطهور قال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ثم الطيبات
للطيبين فلاجل هذا السر اصطفى الله تعالى آدم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الاية ثم اصطفى
ابناءه فقال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ثم كرمهم فقال ولقد كرمنا بني آدم
والرابع التواضع والدليل عليه ان آدم عليه السلام لما اتى بالزلة قال في الحال ربنا ظلمنا انفسنا
ولما اتى ابليس المعصية فقال له ربه لم فعلت فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
فتكبر على الله ورد امر الله والخامس الطهارة قال عليه السلام الصعيد طهور المسلم والماء ايضا
طهور قال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ثم مزج الماء بالتراب طاهرا بطاهر وطهورا بطهور وعلم ان
النار لا يطفئ الا باحد الشيئين التراب والماء فجعل هذا الطين سببا لاطفاء نار الوسوسة في الدنيا
واطفاء نار جهنم في الآخرة الوجه الخامس في تفسير قوله ولقد كرمنا بني آدم قال ابن عباس رضي الله عنه

كرمناهم بالاكل بالاصابع وساير البهايم فانها تاكل بالفم واعلم انّ وجه التكريم في هذا المعنى من
وجوه الاول انّ الرأس محل العقل والفكر والذهن والاكل غذاء الشهوة والبطن ولا يليق
بالحكمة ان يسجد الرأس الذي هو معدن العقل والفكر لاجل الغذاء الذي هو نصيب النفس بل
جعلت اليد خادمة للرأس حتى انّ اليد ترفع اللقمة الى الفم كما تخدم العبد سيده وفيه لطيفة وهي
انه تعالى اعطاك عزا ان تخضع رأسك وتسجد لطلب الطعام فلا تختر بجهلك سجدة المخلوق لطلب
الطعام والوجه الثاني في شرح هذه النعمة انّ البهيمة تأخذ علفها بفمها ملطخة ملوثة اما الانسان
فانه ينظف طعامه باصابعه ويميز جيده عن رديه وهنا دقيقة وهي انه تعالى علق رعاية مصالح
البهايم بطبايعها حتى انها بطباعها تميز بين مصالحها ومفاسدها فتحترز وقت تناولها
العلف عما يؤذيها وتجتذب ما ينفعها وهكذا يكون كل الطيور والبهايم والحشرات من اول الامر
اما الانسان فانه علق رشده بعقله لا بطبعه حتى انّ الانسان قبل ظهور نور العقل فيه لا يميز
بين المنافع والمضار اما اذا حملنا هذا التكريم على الاحوال الروحانية ففيه وجوه الاول ولقد
كرمنا بني آدم بالعقل والفهم واعلم انه تعالى عظم امر العقل في كتابه من وجوه النوع الاول كثير
اسمائه ونحن نذكر ههنا بعضها فالاسم الاول العقل قال موسى عليه السلام في مناظرته مع فرعون
رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واوحى الله الى داود عليه السلام اذا رأيت
عاقلا فكن له خادما وقال عليه السلام اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له
ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك
وقال عليه السلام لا دين لمن لا عقل له لا يعجبنكم اسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله و
قالت الحكماء في تفسير هذا الخبر من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الخير
وايضا بالعقل قدر الانسان على القيام بامر الله في قوله تعالى قد افلح من زكيها وقدر على تحصيل
حرث الآخرة في قوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه قالوا ثمرة حرث الآخرة على التفصيل سبعة
اشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وامن بلا خوف وراحة



بلا شغل وعز بلا ذل وايضا اكثر المفسرين على انّ معنى قوله الله نور السموات والارض الله
هادي اهل السموات والارض ومعلوم انّ كمال تلك الهداية انما يحصل بالعقل وايضا العقل
نوعان غريزي وهو القوة المهيئة للعلوم الكلية البديهية ووجود هذه القوة في الطفل
كوجود النخلة في النواة والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو كمال هذه القوة ثم هذا المستفاد
ضربان ضرب يحصل للانسان حالا فحالا بلا اختيار منه ولا يعرف كيف حصل ومن اين حصل و
ضرب يحصل باختياره يعرف كيف حصل ومن اين حصل ولما انقسم العقل الى الغريزي و
المستفاد قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
اذا لم يكن مطبوعا كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والى القسم الاول اشار النبي عليه
السلام بقوله ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والى الثاني اشار بقوله عليه
السلام لعلي اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك لتسبقهم بالدرجات
والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة واعلم انّ لفظ العقل في اللغة اسم لما تقيد
به البعير لئلا وسمي هذا المعنى به تنبيها على عادتهم في تسمية المعقولات باسماء المحسوسات
تنبيها على انه هو الذي يمنع الانسان ويكون قيدا له عن الاقدام على ما لا ينبغي من الافعال الاسم
الثاني اللب قال تعالى ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقال في آل عمران انّ في خلق السموات
والارض الى قوله لآيات لاولي الالباب واعلم انّ اللب من كل شيء هو المقصود الخالص منه وهذا
الاسم يدل على انّ المقصود من الانسان انما هو العقل وكيف لا يكون كذلك اشرف الامور الصادرة
عن الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ثم من الظاهر انّ معرفة الحق اشرف من عمل
الخير ومعرفة الحق لا يمكن الا بالعقل فدل على انّ لب الانسان هو العقل الاسم الثالث النهى
ويحتمل ان يكون جمعا لنهية وان يكون اسما مفردا وجعل الها مفردا وجعل اسما للعقل الذي
انتهى عن الاشتغال بالمحسوسات وتوجه الى عالم المعقولات وبهذا المعنى احيل ارباب على تدبير
المحسوسات الى معرفة ما فيه من المعقولات كقوله تعالى في طه افلم يهد لهم كم اهلكنا الى قوله

لايات لاولى النهى وقال فيها ايضا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا الى قوله لايات لاولى
النهى **الاسم الرابع** الحجر واصله من الحجر اى المنع وهى ان يحجر الانسان نفسه عن فعل ما لا ينبغى قال تعالى
هل فى ذلك قسم لذى حجر **الاسم الخامس** الحجى من حجات الشئ قطعته ومنه الاحجية فكانه يسمى
العقل بهذا الاسم لكونه قاطعا بين الانسان وبين افعاله القبيحة **الاسم السادس** العلم لان
العلم ثمرة العقل ثم انه تعالى سمى العلم نورا والجهل ظلمة فقال تعالى الله ولى الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور وسماه ايضا روحا فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسماه
ايضا حيوة والجهل موتا فقال اومن كان ميتا فاحييناه فقال وما يستوى الاحياء ولا
الاموات وسماه ايضا ماء قال انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاذا كان العلم نتيجة
العقل وحال النتيجة من العلو والشرف كذلك فاعرف ان الاصل كيف يكون **النوع الثانى**
فى فضيلة العقل قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعنى لمن كان له عقل فجعل من لا عقل
له كانه لا قلب له ونظيره قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وقال من
خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب المراد بالقلب فى كل هذه الايات العقل وايضا قد اثبت
الله للقلب ابصارا ورؤية اما الابصار ففى قوله وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون
واما الرؤية فقوله ما كذب الفؤاد ما رأى وكذلك فى ابراهيم وكذلك نرى ابرهيم ملكوت
السموات والارض وقال الم تر الى ربك كيف مد الظل وسمى عدم ادراك العقل عمى فى ايات
منها قوله صم بكم عمى ومنها قوله لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومنها قوله
الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ولو ان المراد من العين
ههنا البصيرة لا البصر لما قال عن ذكرى لان الذكر لا يدرك بحاسة العين وكيف لا يكون فقد
البصيرة اعظم ضررا من فقد البصر وقد عرفت ان البدن بمنزلة الفرس والنفس بمنزلة الراكب
وضرر عمى الراكب الى الراكب نفسه اشد عليه من عمى فرسه وقال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون وقال ايضا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير فان قيل ان كان

للعقل



للعقل هذه الفضائل الكثيرة فلم قال اكثر اهل الجنة البله الجواب من وجوه الاول المراد
بالبله الجاهلون بامر الدنيا العالمون بالاخرة كما قال لابراهيم الا من اتى الله بقلب سليم الثانى
ان من عبد الله للجنة فهو ابله فحق من يعبده لكونه الها ربا ما لكا الثالث قال الحسن اكثر اهل
البله اى هم حشو الجنة كالعالم بالبله الوجه الرابع اكثر اهل الجنة البله وهم اهل المعاصى
الذين عفا الله عنهم واما العقلاء المطيعون فهو اهل الدرجات الاعلى الثالث فى تفسير قوله
ولقد كرمنا بنى ادم انه سبحانه خلق ما سواك لاجلك فقال فى الارضيات خلق لكم ما فى الارض
جميعا وقال فى السموات وسخر لكم ما فى السموات فجعل الارض فراشا لنا فقال الذى جعل لكم الارض
فراشا والسماء سقفا لنا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وجعل كل ما فى الارض رزقا
لنا فقال وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وجعل الشمس مؤذنا للصلوتنا
فقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وجعل القمر معرفا لاوقات صيامنا وحجنا فقال قل
هى مواقيت للناس والحج وزين السماء الدنيا بالكواكب لاجلنا فقال ولقد زينا بمصابيح
وجعل الكواكب علامات يهتدى بها فى اسفارنا فقال وعلامات وبالنجم هم يهتدون وجعل
الشمس متحركة حتى انا بحركتها نجد القبلة فى النهار وجعل القطب ساكنا حتى انا بسكونه
نجد القبلة فى الليل وخلق الانعام لغذائك وثيابك فقال والانعام خلقها لكم فيها
دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم سخر لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة قال ويخلق
ما لا تعلمون اى اعددت لكم فى الدنيا من المنافع ما لا تعلمون تفصيله ثم ذكر الرسول عليه السلام
عن الله تعالى مثله فى الجنة فقال اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ثم خلق النبات لاجلك فقال كلوا وارعوا انعامكم ثم انه قال اعطيناكم هذه الاشياء
بالفضل قبل الطاعة وبالكرم قبل السؤال كما قال واتاكم من كل ما سألتموه ثم جمع جميع النعم
فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الخاتمة اعظم من كل ما تقدم وذلك لان الانسان
لما لم يشتغل بالشكر بل لم يشتغل بتعديد نعم الله مهد برحمته عذره فى ترك ذلك الشكر

فقال انها الكثيرة وعقلك لايقدر على احصائها على التفصيل فكان هذا الترك للعجز
فكنت معذورا فيه وهو المراد بقوله وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ثم قال ان الله غفور
رحيم يعني غفور بستر عيبك في الدنيا رحيم بالتجاوز عن تقصيرك في الاخرة وقال في سورة
ابراهيم وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار وهذا اشارة الى القدر
الذي يقدر عليه من الشكر فانه لايفعله ويتغافل عنه الوجه الثالث في تفسير قوله ولقد
كرمنا بني آدم انه سخر قلبه لمعرفته ولسانه للشهادة وبدنه لخدمته ثم في القيامة يعطيه كل ما يتمنى
ويريد الى ان يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده الوجه الرابع انه جعل اباهم آدم رسولا الى
الملائكة حيث قال انبئهم باسمائهم ثم جعله مسجودا لهم حيث قال اسجدوا لآدم ثم لعن ابليس
لاجل مخالفته فقال اخرج منها فانك رجيم ثم اباح له الجنة فقال وكلا منها رغدا حيث
شئتما ثم انه لما وقع في الزلة تاب عليه فقال فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ثم اكرمه بالاصطفاء
فقال ان الله اصطفى آدم ثم خصه بالاجتباء من بعد العصيان فقال وعصى آدم ربه فغوى ثم
اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى ومعلوم ان اكرام الاب سبب لاكرام الابن الوجه الخامس انه
تعالى جعل فيهم الانبياء والرسل والامراء كما قال حكاية عن موسى عليه السلام اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الوجه السادس اكرمنا بالخط الحسن فقال
الذي علم بالقلم وقيل بالصوت الحسن وقيل بالخلق الحسن قال يزيد في الخلق ما يشاء الوجه
السابع اكرمنا بالفصاحة والبلاغة قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وقال عليه السلام
ان من البيان لسحرا وقال الحكماء المرء باصغريه الوجه الثامن انه تعالى اكرمنا بالاطعمة الصافية
اللذيذة كالسمن والعسل اما السمن فقال فيه من بين فرث ودم لبنا خالصا واما العسل
فقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وكذلك الزبد والسكر
ثم انه تعالى اباح الكل فقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
ثم من كرمه انه اعطى هذه الاغذية اللطيفة ثم اوقع في القلب ايثارها على الغير عند الحاجة

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق





اليها كما قال ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة حتى يجدونها يوم القيمة اكمل وان
كما قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق وعصمنا من حال من قال في صفته اذهبتم طيباتكم
في حيوتكم الدنيا الوجه التاسع اكرمنا بالامر والنهي وتشريفنا بالتكليف الا ترى انه لما كان
ولد الانسان اعز عليه من عبيده لاجرم يكون تكاليفه على ولده اكثر منها على عبده الوجه
العاشر قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولقد كرمنا بالدعوة الى الجنة قال تعالى والله
الى دار السلام واكرمهم بالدعوة الى الدار ووعد لقاء الملك الجبار كما قال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة الوجه الحادي عشر انه تعالى خلق الخلق اصنافا مختلفة ثم خص الحيوان بمزيد
الفضل والشرف وذلك لانه لو خلق العرش والسموات والشمس والقمر ولم يكن حيوانا
البتة لكان الكل عبثا لانه سبحانه منزه عن النفع والضر وليس هناك حيوان ينتفع به البتة
وكان خلق هذه الاشياء خاليا عن الحكمة اما لو خلق العرش وخلق البعوضة وقال خلقت
العرش لينتفع به هذه البعوضة خرج التخليق عن ان يكون عبثا ودخل في ان يكون حكمة فثبت
بهذا ان العرش يمكن جعله تبعا للبعوضة ولا يمكن جعل البعوضة تبعا للعرش فلهذا
المعنى قال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم فضل الادميين على كل الحيوانات كما قال
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم فضل الذكور على النساء فقال الرجال قوامون
على النساء ثم فضل على الكافر فقال وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ثم فضل
العلماء والمجاهدين اما العلماء فقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات واما المجاهدون فقال فضل الله المجاهدين على القاعدين ثم فضل الانبياء فقال
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ثم فضل اولي العزم فقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل اربعة منهم على الباقين وهم الخليل والكليم والروح
والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ثم فضل
محمدا صلى الله عليه وسلم على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما فتكرمك ان جعلك

على ملة ابرهيم ودين محمد صلوات الله على نبينا وعليه الوجه الثانى عشر فى تفسير
هذا التكريم انه كرمنا بالتقوى فقال ان اكرمكم عند الله اتقيكم والرسول عليه
السلام اتقى البشر لقوله وما ينطق عن الهوى ثم ابو بكر رضى الله عنه اتقى الامة فقال و
سيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى والجنة للمتقين قال فى صفة الجنة اعدت
للمتقين والحمد لله الذى جعلنا من امة اتقى الانبياء وهو محمد عليه السلام ومن محبى
اكرم الاتقياء وهو ابو بكر رضى الله عنه **البحث الرابع** فى قوله تعالى ولقد كرمنا
فان قال قائل انكم فسرتم هذا التكريم بهذه الوجوه الا ان فيه اشكالا وهو ان بنى ادم
فيهم المؤمنون والكافرون فكيف يليق هذه التشريفات بالكافرين الجواب من وجوه
الاول فيه تنبيه على دقيقة لطيفة وهو ان من ليس بمؤمن فكانه ليس من الاحياء بل ليس
من الموجودات الثانى ولقد كرمنا بنى آدم معناه ولقد كرمنا من بنى ادم كقوله تعالى و
اختار موسى قومه سبعين رجلا اى من قومه الثالث ان تفسير التكريم بالاحوال التى
تشترك فيها المؤمن والكافر وهو الصورة الحسنة والقد المستقيم والاغذية اللطيفة
وكون جميع المخلوقات مخلوقة لنا ويختص خواص اهل الايمان بهم وعند هذا القول التكريم
عام فى حق الكل والاصطفاء خاص الا ترى انه تعالى قال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل
ابرهيم وآل عمران على العالمين وقال الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وقال
فى حق موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وقال فى حق الامة ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الوجه الرابع فى الجواب انه تعالى عم المؤمنين والكافرين
فى تسعة اشياء فى الخلق والرزق والاقدار وارسال الرسل وانزال الكتب والامر والنهى
والترغيب والترهيب ثم خص المؤمن بسبعة اشياء احدها الهداية انك لا تهدى من احببت
ولكن الله يهدى من يشاء الثانى المحبة والزينة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم
الثالث التيسير فسنيسره لليسرى الرابع التوفيق ما شاء الله لا قوة الا بالله وقال وما توفيقى الا بالله

الخامس



الخامس كراهية الكفر وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان السادس القبول انما
يتقبل الله من المتقين السابع المغفرة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فهذا جملة الكلام فى تفسير قوله ولقد كرمنا **النوع الثانى** من التشريفات
المذكورة فى هذه الاية قوله وحملناهم فى البر والبحر اى اعطيناهم المراكب اما فى البر
فهى الخيل والبغال والحمير لاجل ركوبنا والجمال للركوبنا وحمل امتعتنا كما قال وتحمل اثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس واما فى البحر فهى السفن والزوارق وفيه نكتة
وهى ان الدنيا سجن المؤمن ودار البلاء ثم انه فى الدنيا اعطى انواع المركوبات والاخرة دار الكرم
والاحسان فكيف يترك فى القيمة بغير مركوب فلهذا قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
اى ركبين على الجنائب والنجائب وقال الصادق البر هو النفس والبحر هو القلب فمن حمله
فى النفس فقد اكرمه بنور التدبر ومن حمله فى القلب فقد اكرمه بنور التاييد وقال بعضهم
وحملناهم فى البر والبحر اى تكفلنا تحصيل مصالحهم فى كل الاحوال **النوع الثالث** من التشريفات
المذكورة فى هذه الاية قوله ورزقناهم من الطيبات اى اطعمناهم الاطعمة اللذيذة كالعسل
والسمن والزبد والسكر واما ساير الحيوانات فما رزقناهم شيئا من الخبث والاذى وذلك لان الجن ياكلون
العظم ودوابهم ياكلون الروث والبهايم يعتلفا التبن والعشب والطيور يلتقط الحب والسباع
ياكلون الجيف اما اغذية بنى ادم فهى نظيفة نقية ايها المسكين انا ما اطعمك الا الطيبات
فلا تتناول بسوء اختيارك لحم الميتة كما قال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
وقال بعضهم ورزقناهم من الطيبات اى تارة مطبوخا واخرى غير مطبوخ واما ساير الحيوانات
فيأكلون غير مطبوخة اصلا وقيل ورزقناهم من الطيبات المعرفة والمناجاة كما قال ابيت
عند ربى يطعمنى ويسقينى **النوع الرابع** من التشريفات المذكورة فى هذه الاية قوله وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا والكلام فى هذه الاية يتعلق بمسئلة تفضيل الملك على البشر
وسيجىء هذه بالاستقصاء قال كعب الاحبار الخلق ثلثة اصناف الملك ولهم عقل بلا شهوة

والبهايم لها شهوة بلا عقل والآدمي له كلاهما فمن كانت شهوته راجحة على عقله فهو اخس
من البهايم كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل فعلى هذا القياس من كان عقله راجحا على شهوته
وجب ان يكون افضل من الملائكة وايضا هذه المراتب الاربعة مجموعها غير مذكورة لاحد سوى
بني آدم وهذا يدل على انهم افضل واعلم ان قوله ولقد كرمنا بني آدم فيه تشريف عظيم وذلك
لان التكريم عبارة عن جعل الشيء كريما والكريم هو الذي يكون منشأ للكرم وهذا تنبيه على
انه تعالى جعل بني آدم مدبرا للحيوانات ومصلحا لاحوالها وضابطا لامورها على الوجه الاصلح
الاليق فيصير معناه كونه خليفة الله تعالى في الارض كما قال اني جاعل في الارض خليفة ثم قال
في المرتبة الثانية وحملناهم في البر والبحر وفيه اشارة الى اعلى درجاتهم وتعظيم مقاماتهم والتحقيق
فيه وهو ان الانسان كانه جالس على الحد المشترك الذي هو آخر مراتب العالم الارضي واول مراتب
العالم السماوي فنسبته الى الارضيات بالافعال والتدبير ونسبته الى السماويات بالانفعال والقبول
فقوله ولقد كرمنا بني آدم اشارة الى كونه متصرفا في السفليات فقوله وحملناهم في البر والبحر
اشارة الى فيضان انوار السماويات عليه ثم قوله ورزقناهم من الطيبات اشارة الى التنزيل الواصلة
اليه من عالم الغيب اما الى نفسه وروحه فبالعلم والحكمة والعصمة والتسديد واما الى
جسده وقالبه فبالاغذية الموافقة واما قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فهو
اشارة الى دقيقة عجيبة وذلك لان الملائكة ارواح عقلية محضة مطهرة عن علايق الحس
والخيال والشهوة والغضب والحيوانات اجساد محضة لا خبر عندها من عالم المعقول ومعنيات
العصمة اما الانسان فهو مستجمع للمرتبتين ومستحضر للدرجتين فهو مع الملائكة ملك ومع
السباع سبع ومع البهايم بهيمة ومع الشياطين شيطان فكونه مستجمعا لكل هذه الاحوال
يصلح ان يكون مرادا من قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والله تعالى اعلم بالمراد
كلامه **الفصل الثاني** في بيان ان الابقاء هو آدم عليه السلام اعلم ان المخلوقات على قسمين
منهم من كان في جملة المكلفين ومنهم من لم يكن كذلك واجمع العقلاء على ان المكلف افضل

الثالث صح

ممن



ممن لا يكون مكلفا وكيف لا يكون كذلك وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهذا نص صريح في ان المقصود من الخلق انما هو التكليف واذا كان كذلك فكلما بقي في
الخلق من ان يكون قائما بعهدة التكليف بقي عالم الخلق واذا لم يبق احد يقوم باداء
التكليف صار عالم المخلوقات عبثا والحكيم لا يرضى بالعبث فحينئذ يخرب السموات والارض
ويقيم القيمة واذا تاملت هذا علمت ان قيام السموات والارض والجبال والبحار ودوران
الشمس والقمر والنجوم كلها كالطفيل على قيام ذلك الشخص الاشعث الاغبر الذي يرده
الخلق ولا يقبله احد من الناس وهو قائم باداء تكاليف الله ومشتغل باداء العبودية و
السموات والشمس والقمر والنجوم والعناصر والمواليد باقية تبعا لبقائه فجملة ملوك الارض
انما ياكلون من فتات سفرته وانما يشربون من بقية ماء في كوزه وهذا هو المراد بقوله عليه
السلام ان لله عبادا في العالم هم السبب الاصلي في مصالح العالم فبهم يمطرون وبهم يرزقون
وفي كل جنس واحد هو اكملهم واجلهم وله اصحاب يقربون منه فذلك الاكمل الاقوى في القيام
بعهدة اوامر الله تعالى هو المسمى بقطب الارض والذين يقربون منه ولكنهم بعدما وصلوا
اليه فهم اصحابه واذا عرفت هذا فنقول اصناف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن و
الشياطين اما الملائكة فقد روي في الاخبار ان الله تعالى خلقهم من الريح وهذا الخبر متاكد
بوجوه عقلية احدها انهم قدروا على الطيران على اسرع الوجوه وثانيها انهم قدروا على حمل
العرش وذلك لان الريح صاعد بالطبع فيستقل بحمل الاشياء والثالث انهم سموا روحانيين
واشتقاق الروحاني من الريح وروي ايضا في بعض الاخبار انهم خلقوا من النور ثم هذه الرواية
ايضا متاكد بوجوه عقلية احدها انها صفت عن الكدورات واخلصت في طاعة الله رب الارض
والسموات والثاني انها توغلت بقوة نورانيتها في بحار عرفان جلال الله والثالث انهم بسبب تلك
النورانية تبرأت عن المعاصي والذنوب وعند هذا قال بعض الحكماء الاولى ان يجمع بين الروايتين
فنقول لا بد انهم من الريح وارواحهم من الروح فهؤلاء هم سكان عالم السموات واما الشياطين فهم كفرة

وأما ابليس فكفره ظاهر لانه قال وكان من الكافرين وأما سائر الشياطين فهم ايضا كفرة
بدليل قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ثم
انهم بأسرهم اعداء البشر بدليل قوله تعالى في صفة ابليس ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن وأما الجن فمنهم كافر ومنهم مسلم قال تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن
اسلم فاولئك تحروا رشدا فهذا هو الكلام في تفصيل احوال هذه الاجناس الثلثة اما الجنس
الرابع وهو الانسان والبشر فلا شك ان منهم مؤمن ومنهم كافر وأما اصلهم فهو شخص واحد
اول الاباء والذي يدل على انتهاء وجود هذه الاشخاص البشرية الى شخص واحد هو اول الاباء
وجوه الاول انه لو وجد انسان في الازل فذلك الانسان اما ان يقال انه كان مسبوقا بانسان
آخر او ما كان مسبوقا بانسان آخر فان كان مسبوقا بانسان آخر فالازلي مسبوق بغيره وهذا محال
لان الازل عبارة عن نفي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال وان لم يكن مسبوقا بانسان آخر
فذلك الانسان هو الانسان الاول فالاباء منتهية الى الاب الاول وهو المطلوب الثاني ان الانسان
لا ينفك عن تغير الحالات وتبدل الصفات لكن تغير الحالات في الازل محال وهذا يقتضي انه لم يوجد
احد من البشر في الازل واذا كان كذلك وجب القول بانتهاء الناس الى الانسان الاول الثالث
لو لم يكن للاباء مبدأ اول لتوقف حصول الواحد منا على انقضاء ما لا نهاية له لكن انقضاء
ما لا نهاية له محال والموقوف على المحال محال وكان ينبغي ان لا يوجد هذا المولود وحيث وجد علمنا
ان الذين انقضوا لهم اول ومبدأ الرابع لو حصل شيء من الناس في الازل لما فني لان الازلي لا يقبل
العدم الخامس ان الذين وجدوا فيما قبل لو لم يكن مبدأ لكانت اعدادهم غير متناهية ولو كان
كذلك لامتنع الانقضاء عليها لان انقضاء ما لا نهاية له محال السادس ان كل عدد داخل
في الوجود فهو قابل للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه فكل ما دخل في الوجود
فهو متناه السابع مجموع الاباء الذين لا نهاية لهم من الانسان والاباء الذين لا نهاية

هم



بالتعلل كما يمكن معلوقة بالتغالب اخصوا لعلم
بعجر الاولين ان الانسان صح صح صح

لهم من هذه السابق اكثر عددا من كل واحد من هاتين الجملتين وحدها فيكون كل واحد
من الجملتين وحده اقل من غير متناه والمجموع ضعف المتناهي فيكون الكل متناهيا الثامن
كل عدد موجود اما شفع او وتر وعلى التقديرين فهو متناه فكل عدد موجود فهو متناه
فثبت بهذه البراهين وجوب انتهاء الاباء الى الاب الاول التاسع انا لا نشاهد انسانا
يكون الا من نطفة الاب في رحم الام وهذا يقتضي ان يكون كل انسان مسبوقا بانسان آخر الجواب
ان المحققين من الفلاسفة اتفقوا على انه يمكن حدوث الانسان انما يتولد من اجتماع العناصر
الاربعة واذا كان كذلك وجب ان يكون المحدث لبدن الانسان هو الله تعالى اما المقدمة الاولى
فالدليل على صحتها ان هذه الاعضاء الحيوانية اذا احترقت ينفصل عنها ماء ورماد وعناصر
بخرة كثيرة عنها وذلك يدل على ان هذه الابدان الحيوانية مؤتلفة من هذه العناصر
الاربعة وانما قلنا انه لما كان كذلك كان محدثه هو الله تعالى وذلك لان هذه العناصر
الاربعة طبايع متضادة متنافرة موجبة للتباين مانعة من الاجتماع واذا كان الامر كذلك
فهي مع كونها متنازعة الى التباين لما اجتمعت افتقر اجتماعها الى جامع وذلك الجامع
اما ان يكون قوة حالة فيها او شيئا خارجا عنها والاول محال لان القوة الحالة فيها تكون حالة
في بسائطها او في الجسم المركب المتولد من امتزاجها فالاول باطل لانا بينا ان الطبايع الحالة
من تلك البسائط موجبة للتنافر والتباين فلا يكون موجبة لاجتماعها وامتزاجها
والقسم الثاني ايضا باطل لان القوة الحاصلة للجسم المتولد عن امتزاجها تبع لتلك الامتزاجات
فيتأخر عنها والمقتضي لتلك الامتزاجات متقدم عليها والمتأخر لا يكون نفس المتقدم فثبت
ان الجامع لهذه العناصر لا قوة حالة في بسايطها ولا قوة حالة في الجسم المتولد من امتزاجها
فاذن ذلك الجامع شيء مباين عنها وهو الله تعالى فثبت ان المحدث لهذه الابدان الحيوانية
هو الله تعالى واذا كان كذلك كان قادرا على احداثها كيف شاء واراد فيكون قادرا
على احداثها من سبق الاب والام وهو المطلوب الحجة الثانية ان الكيفية المزاجية الحاصلة

في ابتداء الحيوانات انما يحدث بايجاد الله تعالى لا لاجل امتزاج هذه العناصر فهي كالام
كذلك وجب ان يكون الله تعالى قادرا على ايجاد هذه الكيفية الملايمة كيف شاء واراد
من غير واسطة الاب والام وانما قلنا ان حدوث هذه الكيفية ليس لاجل امتزاج هذه العناصر
وذلك لان الحار والبارد اذا اختلطا فاما ان يكون تأثير كل واحد منهما في كسر الآخر
على التعاقب او معا والاول باطل لان العلة موجودة مع المعلول وعلة انكسار كل واحد منهما
هي قوة الآخر فلو حصل الانكسار لزم ان يحصل كون كل واحد منهما قويا حال كون كل واحد منهما
منكسرا وذلك محال والثاني ايضا محال لان احدهما لما انكسر بالثاني امتنع ان يصير المغلوب
بعد صيرورته مغلوبا غالبا وعلى هذا التقدير لا يكون هذا من اجل ان يكون كونا وفسادا
ولما بطل هذان القسمان ثبت ان حصول هذه الكيفية الملايمة للحيوان ليس لاجل امتزاج الطبايع
والعناصر بل كيفية يخلقها الله تعالى ويحدثها ابتداء واذا كان الامر كذلك كان الله تعالى
قادرا على خلقها كيف شاء واراد فيكون قادرا على احداثها في الجسم من غير سبق الاب والام
وهو المطلوب **الحجة الثالثة** هب ان حدوث تلك الكيفية انما يكون بسبب امتزاج العناصر
واجتماع الطبايع لكنا نقول ان ذلك المزاج انما حدث لان الاجزاء المخصوصة متقدرة
بمقدار مخصوص متصغرة تصغيرا مخصوصا اجتمعت واختلطت فلزم من اجتماعها واختلاطها
تأثير بعضها على بعض ولزم من ذلك تأثير حصول المزاج المخصوص للانسان ولزم حدوث ذلك
المخصوص حدوث النفس الانسانية فاذن مهما حصلت تلك الاجزاء المخصوصة بذلك التصغير
المخصوص وحصل اختلاط بعضها بالبعض حدوث الانسان بالتولد لكن حدوث تلك الاجزاء
المخصوصة بذلك التصغير المخصوص مع اختلاط بعض تلك الاجزاء بالبعض امر ممكن والمعلق
بالممكن ممكن فحدوث الانسان على سبيل التولد امر ممكن وهذه نكتة جدا متوجهة على
اصول الفلاسفة **الحجة الرابعة** ان الانقطاع النوع امر ممكن واذا كان كذلك وجب
ان يكون الحدوث على سبيل التولد ممكنا اما ان انقطاع النوع ممكن فلانه ليس بواجب ان يكون

عن كل



عن كل انسان واذا كان هذا الاحتمال قائما في كل واحد كان قائما في الكل فثبت ان انقطاع
النوع امر ممكن واذا كان كذلك وجب ان يكون الحدوث على سبيل التولد امرا ممكنا اذ لو لم يكن ممكنا
لوجب ان يقع الانقطاع الذي لا عود له **الحجة الخامسة** انا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات
بالتولد فقد يتخذ حيات من الشعر وعقارب من التبن والباذروج والفارة متولدة من
المدر والضفادع يتولد من المطر وجميع هذه الاشياء كما انها يحدث بالتوالد فهي ايضا يحدث
بالتولد وليس اذا انقطع هذا التوالد فلم نشاهد في سنين كثيرة وجب ان لا يكون له وجود
في الندرة عند تشكل نادر يحصل في الفلك لا يتكرر الا في حين **الحجة السادسة** ان اكثر
الناس يتعجبون من تولد الحيوانات من الطين ولا يتعجبون من تولدها في الرحم من الماء المهين وهذا
اعجب في الحقيقة وذلك لان الناس يقدرون على تصوير الحيوانات من الطين ومن الخشب ومن
الحديد كما هو موجود ولا يمكنهم ان يتصوروا حيوانا من الماء لان الماء جسم سيال لا يثبت
فيه الصورة فيكون هذه الحيوانات من المهين في الرحم اعجب في الحكم واعظم في القدرة من تكوينها
من الطين فان قال قائل اذا كان الصانع المختار قادرا على خلق الولد من دون الابوين فلم لم يخلق
هذا كذا ليكون الدلالة اقوى الجواب ان الحكمة فيه من وجوه الاول خلق البشر من غير هذا الوجه
يبطل التعارف بالانساب وفي بطلانه سقوط المصالح الكثيرة بين الناس في المعاملات
وقد نبه الله تعالى عليه فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية الثاني انه لو لم يحصل
التوالد لبطلت صلة الرحم وزال تعطف القرابات وبطل تلذذ الآباء بالابناء وتعزز الابناء با
الآباء وفيه زوال مصالح كثيرة من العالم وقد نبه الله تعالى عليه فقال وهو الذي خلق من
الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فكان معناه والله اعلم جعله نسبا لما فيه
من المصالح اللطيفة وكان قديرا على ان يوجده ابتداء الثالث ان العاقل قد امر بالتواضع
والاجتناب عن الكبرياء ثم ان العاقل اذا علم انه خلق من نطفة قذرة وسار في مخرج البول
مرة بعد مرة ونشأ في نجاسة يعتكف فيها ونبت لحمه وعظمه منها كان ذلك كاسرا للنخوة وقد

منه الله تعالى عليه فقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم مبنيا على
انه من كان كذلك لم يكن له ان يتكبر بل الواجب عليه ان يذل لخالقه ويخضع فثبت بهذا ان اصول
الفلاسفة شاهدة بامكان هذا المعنى واما شهادة الاصول الطلاسمية على صحتها فلا شبهة
فيها فعلمنا ان الطعن فيه باطل اذا ثبت ما ذكرنا فنقول ان القرآن دل على ان ذلك الاب الاول هو
آدم عليه السلام قال سبحانه يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الى آخر الاية واعلم
ان هذه الاية فيها اسرار وذلك لان الله تعالى افتتح سورتين من كتابه بهذا اللفظ احدهما اول سورة
النساء فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة والثانية سورة الحج فقال
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فاما السورة الاولى فهي سورة النصف
الاول من القرآن فان اولها الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم النساء واما سورة الحج فهي ايضا
سورة الرابعة من النصف الثاني فان اولها مريم ثم طه ثم الانبياء ثم الحج وفي كيفية ترتيبها في
السورتين عجايب احدها ان السورة الاولى اشارة الى حال مبدأ وكيفية التكوين والايجاد فلهذا
قال اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها والثانية اشارة الى حال المعاد
وكيفية الاعدام والافناء فانه قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم لا شك ان الايجاد مقدم
على الافناء ولهذا قدم الله تعالى الذكر فقال تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء فقد تقدم ذكر الايتاء على ذكر النزع فلهذا السبب قدم سورة النساء على
سورة الحج **واللطيفة الثانية** ان الايجاد بسبب الرحمة والاعدام بسبب الغضب وقال تعالى
سبقت رحمتي على غضبي فلا جرم قدم سورة الايجاد على سورة الافناء **واللطيفة الثالثة**
انه تعالى قال هناك ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ولم يقل في الحج ربكم الذي اقام الزلزلة
نظيره قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب عليكم القصاص في القتلى كتب عليكم الصيام فان
قيل الربوبية منشأ الرحمة واللطف والكرم فكيف يليق بهذه الكلمة التخويف الشديد
الحاصل من قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم قلنا من كمال الربوبية المؤدب الرحيم المشفق ان يضرب

ولده



ولده وان يهدده حتى يزداد سعيه في طلب المكارم والمعالي وهذا هو الجواب عن سؤال
من سأل عن قوله سنفرغ لكم ايها الثقلان غاية التهديد وقوله فباي آلاء ربكما تكذبان
اشارة الى تعديد الآلاء والنعماء فكيف يليق هذا بذلك لانا نقول التهديد من الاب المشفق
الرحيم في حق الولد الكسلان المتغافل يجري من اعظم النعم والجواب لك في ان المرأة ترضع ولدها
سنتين ثم انها تلطخ حلمة ثديها بالصبر والاشياء المرة ثم يضعها في الصبي كانها تقول له أف
لانقطع بهذه المرارة شيئا عليك وانما ذاك لغرض آخر وهو انه خلق لك في الدنيا نعيم لا يحصى
ولا ينالها الا بترك هذه المصة الواحدة فتجرع هذه المرارة حتى تصل الى تلك الخيرات الكثيرة
فكذا الرب اعد لك الجنان لكنك لا تصل اليها الا بتجرع كاس الموت في هذه الدار ثم ينقلك
الى محفل القيمة ثم ينقلك الى الجنة فكان الموت وهو تخريب هذا العالم اعظم النعم في حقك فلهذا
المعنى قال ان زلزلة الساعة شيء عظيم ومن الايات الدالة ان اول الاباء هو آدم عليه السلام
قوله تعالى في آخر سورة الاعراف هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الاية الا
ان فيها اشكالا وهو ان آخر هذه الاية دل على ان هذه النفس الواحدة اقدم على الشرك على ما قال
فلما آتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتيهما فتعالى الله عما يشركون ومعلوم ان الشرك لا يليق
بآدم عليه السلام فلا جرم قال المحققون من هذه النفس الواحدة قصي بن كلاب والشرك الصادر
منه هو انه سمى اولاده بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار **الفصل الرابع** في كيفية تخليق
آدم عليه السلام اعلم انه تعالى ذكر في كيفية تخليق آدم وجوها احدها انه مخلوق من التراب
قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال في سورة النجم هو اعلم بكم اذ
انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وقال في نوح والله انبتكم من الارض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا واعلم ان في قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون اشكالا وهو ان ظاهر الاية يقتضي ان قوله كن فيكون متأخر عن
تخليق آدم عليه السلام وهذا محال لانه لا بد وان يكون قوله كن فيكون متقدما على دخول آدم

وقال في حق اولاد آدم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى والله اعلم

في الوجود للجواب من وجهين الاول ان يحمل خلق آدم على خلق بدنه ويحمل قوله كن فيكون
على خلق روحه الثاني ان يحمل الخلق على التقدير وعند هذا يزول الاشكال لانه يحصل
التقدير في علم المقدر اولا ثم يحصل التكوين والتخليق مفرعا على ذلك التقدير والآية
الثانية ذكر فيها انه مخلوق من الماء قال تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا قال والله خلق كل
دابة من ماء وقال الم نخلقكم من ماء مهين وقال ايضا في الآية الثالثة انه مخلوق من الطين قال
تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين وقال ايضا اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والآية الرابعة
ذكر فيها انه خلقه من سلالة من طين قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين والآية
الخامسة انه مخلوق من طين لازب قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب والآية السادسة انه
مخلوق من صلصال كالفخار قوله تعالى في سورة الرحمن خلق الانسان من صلصال كالفخار والآية
السابعة انه مخلوق من صلصال من حمأ مسنون قال تعالى اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون
والآية الثامنة انه مخلوق من العجل قال تعالى خلق الانسان من عجل والآية التاسعة قوله
لقد خلقنا الانسان في كبد والآية العاشرة قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف الآية فهذه
مجموع هذه المراتب ولنشرح كل واحد منها فنقول اما المرتبة الاولى فهي انه مخلوق من التراب
والطين واعلم ان ابليس طعن فيه بسبب كونه مخلوقا من التراب والطين وفضل نفسه عليه
بسبب كونه مخلوقا من النار فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والعلماء ذكروا في تفضيل
التراب على النار وجوها الحجة الاولى ان التراب في غاية التواضع والنار في غاية التكبر فلما
خلق آدم من التراب ظهر منه التواضع فقال ربنا ظلمنا انفسنا ولما خلق ابليس من النار ظهر
منه الكبر فقال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الثاني ان التراب وان كان مظلما الا انه ستار
للعيوب والنار وان كانت مضيئة الا انها تدل على العيوب وتظهر الفضائح الثالثة ان التراب
يطفئ النار فلهذا السبب كان وجود آدم سببا لانطفاء رونق دين ابليس وايضا الشهوة

والغضب



والغضب والحرص مخلوقة من النار الا ترى ان الشهوة لا تعمل في الغذاء الا بواسطة
الحرارة واما ان الغضب نار فظاهر واما ان الحرص نار فكذلك لان خاصية الحرص من الانسان
كلما وجد من الدنيا اكثر صار حرصه اعظم كالنار كلما القيت فيها الخشب اكثر كان اشتعالها اعظم
واحتياجها الى الحطب الكثير اشد فثبت ان الشهوة والغضب والحرص كلها مخلوقة من النار ثم
انه تعالى اودع هذه الصفات في ذاتك فلا جرم خلقك من الطين وهو التراب والماء وكل
واحد منهما سبب لانطفاء النار فكان المقصود من خلق الانسان من التراب والماء ان يطفئ هذه
النيران فيبقى الانسان مصونا في الدنيا عن الخذلان وفي الآخرة عن دركات النيران الرابعة انه تعالى
خلق الانسان لخلافة الارض كقوله اني جاعل في الارض خليفة فجعلك من الارض فان خليفة الارض
اذا كان مخلوقا من الارض كان ارحم باهل الارض الحجة الخامسة انه اراد اظهار القدرة فخلق الشياطين
من النار التي هي في غاية الاشراق والضوء ثم ابتلاهم بظلمات الجهالات والضلالات وخلق الملائكة
من الهواء الذي هو الطف الاشياء واعطاهم كمال القدرة والقوة وخلق السموات من امواج مياه
البحر وابقاها معلقة في الهواء موصوفة بكمال الشدة كما قال في صفتها وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقال وما لها من فروج وقال سبعا شدادا وخلق آدم من التراب الذي هو اكثف الاشياء
واشد ظلمة واعطاه الطاعة والمحبة والمعرفة التي هي انور الاشياء واضوؤها والمقصود
من كل ذلك اظهار الضد من الضد ليكون ذلك برهانا او بيانا ظاهرا على انه هو الخالق بغير
احتياج والمدبر والمقدر بلا علاج ومزاج الحجة السادسة ان التراب سبب الوصلة دليله
قوله تعالى انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والنار سبب القطيعة ولما كان الامر
كذلك لا جرم حصل لآدم شرف الوصلة ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وحصل لابليس صفة
القطيعة اخرج منها فانك رجيم الحجة السابعة التراب فيه امانة والنار فيها خيانة
اما الاول فانك اذا القيت اليه كفا من الحنطة رد اليك جوالقا من الحنطة قال والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا واما ان في النار خيانة فلانها تحرق الاشياء

وتنفيها وايضا لما كان ادم من التراب لاجرم قبل الامانة كما قال وحملها الانسان وحفظها
على احسن الوجوه ولما كان في النار خيانة لاجرم ان ابليس عبد ربه سنين ثم خان في
تلك العبادة كما قال وكان من الكافرين الحجة الثامنة التراب طهور طاهر قال عليه السلام
التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج الماء ايضا طهور طاهر قال تعالى وانزلنا
من السماء ماء طهورا وجناب الحق طيب طاهر قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا
الطيب فلما كان التراب والماء طاهرين لاجرم كان ادم لكونه مخلوقا منهما طاهرا طيبا
ولما كان كذلك كان مخصوصا من رحمة الله بالمزيد كما قال الطيبات للطيبين الحجة التاسعة
روي ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة فالاغنياء طمعوا في ان ينزل في دارهم
فكانوا يأخذون بزمام الناقة ليجذبوها الى بيوتهم فقال عليه السلام دعوها فانها
مأمورة ثم انها سارت حتى وصلت الى باب ابي ايوب ونزلت هناك وما كان السبب
لذلك الا غاية فقر ابي ايوب وشدة انكساره وهذا ايضا متأكد بقوله عليه السلام حكاية عن ربه
تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي اذا عرفت هذا فنقول التراب اعظم المخلوقات انكسارا
وتذللا وتواضعا لانه تحت كل الاجسام والخلق يضعون اقدامهم عليه ويمشون عليه
فلما كان اعظم الاشياء نقصا وحقارة وهو التراب لاجرم صار محلا ومنزلا لمحبة ربنا
قال تعالى يحبهم ويحبونه فاما النار فانها تدعي العلو والرفعة والنورانية فكانت
صفة النار صفة لفرعون كما قال تعالى في صفته ان فرعون علا وكانت صفة التراب صفة
لموسى عليه السلام كما قال تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
فلاجرم صار التراب اعز الاشياء والنار ادناها الحجة العاشرة النار يعلوها الدخان
المظلم فنورها تحتاني وظلمتها فوقاني واما التراب فظلمته تحتانية ونوره فوقاني كما قال
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وايضا النار حسنة المنظر قبيحة المخبر فهي كالمنافق
وكالمرأة الفاجرة قبيحة المنظر حسنة المخبر وايضا النار ظاهرها نور وباطنها [illegible] والارض

بالضد



بالضد من هذه الصفات فالحاصل ان باطن الارض كله منفعة وباطن النار كلها مضرة ونظر
الخالق فيه على البواطن والاسرار لا على الظواهر فلاجرم عامل ادم بحسب باطنه وابليس ايضا
على وفق باطنه الحجة الحادية عشر ان نهاية السفل هي الارض ونهاية العلو هي العرش فالارض
احد اركان عالم الاجسام واما النار فليست في غاية العلو فان السموات والعرش والكرسي
كلها فوقها ولا في غاية السفل فان الهواء والماء والارض تحتها فكانت النار كاملة في مقام
من المقامات الحجة الثانية عشر ان النار سريعة الاشتعال سريعة الانطفاء كثيرة الاحتياج
الى الغذاء قليلة مدة البقاء اما الارض فانها تغذي ولا تتغذى تبقى ولا تفنى فثبت فضل
التراب على النار الحجة الثالثة عشر من الكلمات المشهورة قولهم كل شيء يرجع الى اصله فكانه قيل
يا ابليس خلقتك من النار لتكون مردك الى النار واما ادم فهو مخلوق من الطين والطين
خاصيته التواضع والتواضع سبب القرب من رحمة رب العالمين فلاجرم كان عاقبة ادم هو
رحمة رب العالمين كما قال ثم اجتباه ربه الحجة الرابعة عشر ان الارض في نفسها ليست بحسنة الوجه
ولا طيبة الرائحة الا انها تخرج جميع الاشياء التي لها حسن الوجه وطيب الرائحة والنار
حسنة الوجه الا انها سبب لحدوث الاشياء القبيحة وهو الاحتراق والدخان والفساد
والتنبيه ان العبرة بالسيرة لا بالصورة كما حققناه في تفسير قوله ولقد كرمنا بني آدم الحجة الخامسة عشر
الماء والتراب لا يحصل الانتفاع بهما الا عند فقدان الريح فانه اذا وصل الريح الى الماء تموج
وخرج عن حد النفع واذا وصل الى النار اطفأ النار فكانه قيل لادم كان في قلب ابليس ريح التكبر
فانطفأت ناره بذلك الريح فاياك ثم اياك عن ريح التكبر لئلا يصير التراب الذي خلقت منه
مؤذيا والماء الذي خلقت منه متموجا مهلكا فثبت بهذه الوجوه فضل التراب على النار واما
المرتبة الثانية فخلق ادم عليه السلام كونه مخلوقا من الماء قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء
وقال وهو الذي خلق من الماء بشرا وقال الم نخلقكم من ماء مهين وقال الم يك نطفة من مني يمنى
وفيه فوائد الاولى انه يكون صافيا يتجلى فيه نور جلال الله تعالى الثانية انه يكون سيارا رأسه فيكون

ابدا عابدا لله على قدم راسه قال تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض الثالثة انه يكون
طاهرا في ذاته قال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وايضا قال عليه السلام من توضأ تحاتت
ذنوبه كما تحات الورق عن الشجر زمان الخريف والنكتة فيه انه اذا كان استعمال الماء في ظاهر الاعضاء
يوجب زوال الذنوب فلان يكون خلقة اصل الاعضاء من الماء رافعا لتمكن الذنوب
كان ذلك اولى **والمرتبة الثالثة** في تخليق آدم عليه السلام كونه مخلوقا من سلالة من طين
والسلالة فعالة وهي بمعنى المسلولة لانها هي التي سلت والحكمة فيه ان يمتزج الكثيف واللطيف
والمتحرك والساكن والصافي والكدر فيكون ذلك دليلا على فردانية الصانع كما قال ومن
كل شيء خلقنا زوجين وفيه فائدة اخرى وهو ان من يمشي على الطين فربما يعلق به رجله ويسقط
تلوث ثوبه ولكنه لا يهلك ولا يكسر اعضاءه فلما كان الانسان موصوفا بالشهوة التي منبع
الفساد وبالغضب الذي هو منشأ سفك الدماء علم الحق انه لابد ان يزل رجله في السلوك
سبيل طاعة الله تعالى فاذا كان طينا تلوث بلوث المعصية ولكنه لا يهلك ولا ينكسر شيء من
اعضائه بل يقوم سليما كما قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله **والمرتبة
الرابعة** في تخليق آدم عليه السلام كونه مخلوقا من سلالة من طين لانها تسل من الطف اجزاء
الارض واعلم انه روي في الخبر انه عليه السلام قال ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا
فهذه اللطافة انما حصلت لذلك الطين بسبب هذا التشريف وقال لابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي وهذا كمال التشريف لآدم عليه السلام فان قيل قال تعالى في صفة تخليق الحيوانات
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فبين انه تعالى خلق الانعام بالايدي وذكر انه
انما خلق آدم باليدين وهذا يقتضي فضل الانعام على الانسان الجواب انه تعالى ذكر دقيقة
تنزيل هذه الشبهة فانه قال خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون فبين تعالى
اي انه انما خلق الانعام بالايدي لاجل مصالح الناس ورعاية لمهماتهم فكان هذا التشريف ايضا
عائدا الى البشر وفيه تنبيه على دقيقة كانه قال هيهات ذلك باليدين ما تحتاج اليه بعد

ع الا تسجد اذ امرتك نسخة اصل

٥ في خلق آدم نسخة

الحيوة



للحيوة من الماكول والملبوس والمركوب بالايدي وذلك لتعليمهم عناية بك بعد حيوتك اشد
من عنايته بك قبل وجودك ومن النكت اللطيفة هنا ما سمعت انه كان بنيسابور امرأة من عقلاء
المجانين كان يقال لها نازنين فكانت تقول مسكين ابن آدم جسده في يد الحق كما قال خمر طينة
آدم بيده اربعين صباحا وقلبه في اصبع الحق كما قال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن ثم انه مع انه لا يملك امر جسده والامر روحه صار التكاليف متوجهة عليه والاوامر
الالهية لازمة عليه **والمرتبة الخامسة** كونه مخلوقا من طين لازب واللازب هو اللازم وانما
سمي لازما ولازبا لان الملازب والملازم هو الملتصق بالغير والانسان اكثر الاشياء حاجة
فلاجرم كان اكثر الاشياء تمسكا بذيل رحمة الله واشد الاشياء التصاقا بجناب فضله ورحمته
**والمرتبة السادسة** كونه من صلصال من حمأ مسنون فاثبت له ثلثة انواع من الصفات الصفة
الاولى كونه صلصالا وهو الذي اذا حرك تصلصل كالخزف الذي يسمع من داخله صوت
والصفة الثانية كونه حمأ وهو الذي استقر في الماء وتغير لونه الى السواد والصفة الثالثة
المسنون وهو الذي تغيرت رائحته قال الله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ما يتغير
واصله لم يتسنن وقال تعالى فيها انهار من ماء غير آسن اي غير متغير واعلم ان كونه صلصالا اشارة
الى غاية ضعفه وقلة بقائه فان الطين الذي يصير صلصالا ينكسر ويتفرق بادنى سبب
وكونه من حمأ اشارة الى غاية ضعفه وقلة بقائه والاخلاق الظلمانية البهيمية التي
منشأها قوة الشهوة وكونه مسنونا وهو الرائحة المؤذية اشارة الى الاخلاق السبعية
التي منشأها قوة الغضب ونظيره قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
فالفساد منشأه من الشهوة وسفك الدماء منشأه من الغضب **واما المرتبة السابعة**
وكونه صلصالا كالفخار واعلم ان الصلصال قبل ان يصير فخارا لم يصلح لامر من الامور
فاذا جعل فخارا اصلح لان يجعل فيه الماء وذلك الماء اذا استقر فيه صار صافيا عذبا زلالا
فيكون ذلك اشارة الى مصيره صالحا لحفظ ماء العبودية وزلال المعرفة **واما المرتبة الثامنة**

وهو قوله خلق الانسان من عجل فاشهر الاول فيه ان المراد هو آدم وهو قول مجاهد وسعيد بن
جبير وعكرمة والسدي والكلبي قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شيء في آخر نهار يوم الجمعة
فلما دخل الروح رأسه ولم يبلغ اسفله قال يا رب استعجل بتمام خلقي قبل غروب الشمس
قال مجاهد فذلك قوله خلق الانسان من عجل وعن السدي لما نفخ فيه الروح وتمكن الروح
في رأسه عطس فقال الملائكة قل الحمد لله فقال فقال له الله سبحانه يرحمك ربك ولذلك خلقتك
فلما دخل الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب الى ثمار
الجنة قبل ان يبلغ الروح الى رجليه فهذا هو الذي اورثنا واولاده العجلة وللمفسرين اقوال
في تفسير العجل وقول المحققين خلق الانسان من عجل اي خلق عجولا وذلك على المبالغة كما
يقال للرجل الذكي هو نار يشتعل والعرب قد يسمي المرء بما يكثر فيقولون ما انت الا اكل ونوم
وما هو الا اقبال وادبار وهذا الوجه متأكد بقوله وكان الانسان عجولا وقال المبرد خلق
الانسان من عجل اي من شانه العجلة كقوله خلقكم من ضعف اي ضعيفا الثاني قال ابو عبيدة العجل
الطين بلغة حمير وانشد والنخل نبت بين الماء والعجل الثالث قال الاخفش من عجل اي من
تعجيل من الام وهو قوله سبحانه كن فيكون الرابع من عجل اي من ضعف وهو قول الحسن والمرتبة
التاسعة قوله لقد خلقنا الانسان في كبد وقيل في الكبد وجهان الاول قال صاحب الكشاف
الكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ثم اتسع في هذا اللفظ
حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة وقال الآخرون الكبد شدة الامر ومنه تكبد
اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم يغلظ ويشتد والفرق بين هذين القولين
ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد ثم اشتق منه الشدة وفي الثاني اللفظ موضوع
للشدة والغلظ ثم اشتق منه اسم هذا العضو المخصوص والوجه الثاني ان الكبد هو الاستواء
والاستقامة والوجه الثالث ان الكبد شدة الخلق والقوة اذا عرفت هذا فنقول اما على الوجه
الاول فيحتمل ان يكون المراد منه شدائد الدنيا فقط وان يكون المراد منه شدائد التكليف فقط





وان يكون المراد شدائد الآخرة وان يكون المراد منه كل هذه الوجوه اما ان حملناه على
شدائد الدنيا فيكون قوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي خلقناه في اطوار كلها شدة ومشقة
تارة في بطن الام ثم زمان الارضاع ثم بعد البلوغ يحصل وجوه المعاش ودفع ضرر
الاعداء ثم دفع ضرر الآلام والاسقام والنقص من الآفات النازلة من السماء والارض
واما الثاني وهو حمله على شدائد الدين فهو توجه التكاليف الشاقة عليه فالحسن
يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء ويكابد المحن في اداء العبادات والرضاء
بقضاء الله تعالى عند نزول الآفات والبليات واما الثالث وهو حمله على مشاق الآخرة
والموت ومسائلة الملك والظلمة القبرية ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار
اما في الجنة واما في النار واما الرابع وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق عندي
وعندي في الآية وجه آخر وهو انه ليس في هذه الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن انه لذة
فانما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص عن الم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو
خلاص عن الم الحر والبرد فاذا تفكرت علمت انه ليس للانسان الا الآلام او الخلاص عن الآلام
فهذا معنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي هو طول عمره يكون في مكابدة الآلام ومقاسات
المتعبات والموذيات وعند هذا الخوف يظهر انه لا بد من حكمة حكيم مدبر لهذا العالم من الحشر و
النشر والبعث يوم القيمة لان الحكيم الذي دبر خلق الانسان ان كان مطلوبه ان يولم الانسان
فهذا لا يليق بالرحمة وان كان مطلوبه ان لا يتألم وان لا يلتذ ففي تركه على العدم حصول هذا المطلوب
وان كان مطلوبه ايصال اللذة والنفع اليه فقد بينا انه ليس كذلك الحيوة لذة وانه تعالى
خلق الانسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة ومحنة فاذن لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى
لتكون تلك الدار دار السعادات والخيرات والكرامات واما على الوجه الثاني وهو تفسير
الكبد بالاستواء فقال ابن عباس رضي الله عنه في كبد اي قائما منتصبا وسائر الحيوانات تمشي منكسة
فهذه امتنان على الانسان بهذه الخلقة والمرتبة العاشرة من المراتب خلق الانسان قوله تعالى

الله الذى خلقكم من ضعف واعلم ان اضعف الانسان للبعد كما قال بعضهم يبتنه العرقة
ويوذيه البقة ويقتله الشرقة وقال هرون الرشيد لابن السماك عظنى فقال ان عطشت
ولم تجد شربة من الماء الا بكل ما تملكه ماذا تعمل قال اعطى واخذ قال فان احبس الماء
ولم يخرج الا ببذل كل ما تملكه ماذا تعمل قال اعطى حتى يخرج قال فان الشربة الواحدة من الماء
قيمة كل ما تملكه من تين وايضا فان البقة اصغر الحيوانات جثة واضعفها قوة وبنية ثم انها
قتلت نمرود اكبر ملوك بنى ادم واطغيهم واعظمهم سلطانا وروى ان الشافعى رحمه الله
حضر عند بعض الملوك العظماء فكان يحبسه النوم وكان الذباب يجلس على وجهه فيوقظه
ويوذيه ثم انه كان يلطم وجهه وخده عند طرد الذباب فقال فى اثناء هذه الحالة ما الحكمة
فى خلق الذباب فقال الشافعى فى الحال لتذل به عظماء الملوك ويظهر عجزهم عن دفعه وقال
الدينورى البيان اخذ الادمى سلاحه وسيفه ودرعه فجاء العقرب يلسعه بحمته مثل راس ابرة
فيشغله ذلك عن كل ما هو فيه ويتورم جلده ويتألم اعضاؤه حتى لا يمكنه ان يقبض على سيفه
وقالت الذبابة البيان اعظمهم سلطانا واشدهم هيبة اذا قعد على سرير ملكه مع الهيبة والعظمة
فانه يجئ احدنا من المطبخ او من الخلاء ملوثات اليدين والجناحين فيقعد على وجهه وثيابه
ويوذيه ويلطخه ولا يقدرون على الاحتراز منا وقالت الهوام والحشرات البيان اذا قعد احدهم
فى مجلسه وكبره ويجئ احدنا فيدخل فى ثيابه فينزعه ويزعجه واذا اراد ان يبطش منا يصفع
نفسه بيده وتلطم خده بكفه وذلك دليل عجز الانسان وتمام البيان فيه قوله يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له الاية فهذا هو الكلام فى مراتب خلق الانسان عند وجوده وقبل هذه
المراتب كلها العدم المحض قال الله تعالى ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقال فى سورة الانسان
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهذه الحيوة الدنياوية كانت معدومة
من الازل الى الان وسيصير معدومة من الان الى الابد فانظر الى طول مدة الازل وطول مدة الابد
ثم انظر الى هذه الحيوة المحفوفة بهذين الطرفين حتى تعرف حقارة هذه الحيوة وضعتها بل انظر فيها الطاعات لتسوجب بها

الثواب



الثواب الابدى والسعادة السرمدى فحينئذ يصير هذا الحقير عظيما وهذا الصغير كبيرا
وبالله التوفيق الفصل الرابع فى عجايب تكوين الاجنة اعلم انه تعالى خلق الخلق فخالفه فخلق السماء
من الدخان قال ثم استوى الى السماء وهى دخان وخلق الارض من زبد البحر على ما نقل عنه عليه السلام انه
قال ان الله سبحانه خلق جوهرة لطيفة فنظر اليها بعين الهيبة فصار ماء ثم سلط على الماء حرارة فارتفع
منه زبد فخلق الارض وخلق الجنة من رحمته والنار من غضبه قال تعالى سبقت رحمتى غضبى وخلق
الملائكة من النور كما قال النبى عليه السلام ان الله خلق الملائكة من النور وخلق الجن من النار قال تعالى
وخلق الجان من مارج من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال ابليس خلقتنى
من نار وخلقته من طين وخلق ادم من التراب كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من
تراب وخلق حوا من اعضاء ادم قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وخلق عيسى من الريح قال تعالى ومريم بنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا
وخلق اولاده من النطفة قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
فى قرار مكين وخلق ساير الحيوانات من الماء قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء وخلق ناقة صالح
من الصخرة قال تعالى لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله ثم كل هذه الاشياء مخلوقة من المواد فهذه
المواد يمتنع ان يكون مخلوقة من مواد اخرى والا لزم التسلسل ويمتنع ان يكون هذه المواد قديمة
لانها محل الحوادث وكل ما كان محل الحوادث فهو حادث فهذه المواد محدثة فهى مخلوقة لله تعالى
خلقها عن العدم المحض فالسبب الصرف وتارة يحدث بعض الاشياء عن البعض ثم ههنا يجب ان
يتأمل وهو ان كل قادر سوى الله تعالى فانه لا يمكنه التصرف الا فى نوع واحد فالخياط يتصرف فى الثياب
والحداد يتصرف فى الحديد واما الحق تعالى فهو المتصرف فى المعدومات والموجودات على وفق الحكمة و
مطابقة المصلحة ففى ههنا يظهر كمال قدرة الله تعالى ثم ههنا دقيقة اخرى وهو انه تعالى اذا
خلق شيئا من شئ جعل مرجعه اليه الا ترى ان الملائكة لما كان اصلهم من النور فهم لما طعنوا فى البشر
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لكنهم ما بقوا مستمرين على ذلك الطعن بل رجعوا الى مقتضى اصلهم

والثانى الصرف فمثاله انه تعالى تارة يحدث الاشياء عن العدم المحض صح

وهي النورانية وعادوا الى الصلح والاستغفار فقال تعالى حكاية عنهم ويستغفرون للذين
امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وعيسى كان اصله نفخة جبرائيل لاجرم عاد بالاخرة
الى عالم الافلاك فقال تعالى اني متوفيك ورافعك الي وقال بل رفعه الله اليه وكذا البشر
لما كان اصله من التراب لاجرم بالاخرة يرجعون الى التراب ويصيرون ترابا كما قال منها خلقناكم
واذا علم العبد ان مصيره الى التراب والفناء زالت محبة الدنيا عن قلبه واعرض عن الدنيا وعلم
انه يجب عليه الاهتمام بعمارة والاقبال على طاعة الله تعالى واذا عرفت هذه المقدمة فنقول
انه ذكر في القران كيفية الخلقة فقال في سورة الحج يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
الى قوله وان الله يبعث من في القبور وقال في سورة لا اقسم الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان
علقة الى اخر الاية وقال في المرسلات الم نخلقكم من ماء مهين الى قوله فقدرنا فنعم القادرون
الا ان اكثرها شرحا وتفصيلا هو الذي في سورة قد افلح المؤمنون وهو قوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين واعلم انه تعالى في هذه الاية ذكر سبع
مراتب في تخليق الاجنة وقبل هذه الاية افتتح السورة بذكر سبعة انواع من خصال الخيرات والطاعات
اولها الايمان وهو قوله قد افلح المؤمنون والكلام في حقيقة الايمان سياتي في باب مفرد وثانيها
الصلوة وهو قوله والذين هم في صلوتهم خاشعون واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من
افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات
ومنهم من قال هو عبارة عن مجموع الامرين وهو الاولى فالخاشع في صلوته لابد وان يحصل
له من قسم افعال القلوب نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ومن قسم التروك ان لا يبقى مشتغل
القلب بشيء سوى تعظيم خالقه ومن افعال الجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع
سجوده ومن التروك ان لا يلتفت يمينا وشمالا والخشوع عبارة عن مجموع هذه الاشياء
الا ان الخشوع الذي على الانسان ليس الا ما يتوقع بالجوارح فان الذي يتعلق بالقلب لا يرى
وتمام الكلام في هذا المعنى سياتي في كتاب الصلوة الصفة الثالثة قوله والذين هم عن اللغو

معرضون



معرضون وفي اللغو اقوال احدها انه يدخل فيه ما كان حراما او مكروها او مباحا ولكن لا
يكون بالانسان ضرورة ولا حاجة اليه والثاني انه عبارة عن كل ما كان حراما وهذا التفسير
اخص من الاول والثالث انه عبارة عن المعصية في القول وهذا اخص من الثاني والرابع انه
المباح الذي لا حاجة اليه واحتج هذا القائل بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف
يحمل اللغو على المعاصي مع ان المؤاخذة فيها غير حاصلة وحجة الاولين ان اللغو انما سمي
لغوا لانه يلغى فكل ما يقتضي الدين الغاءه كان مسمى باللغو ثم ان اللغو قد يكون كفرا كقوله
تعالى لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد يكون كذبا كقوله لا تسمع فيها لاغية وقوله لا
يسمعون فيها لغوا اذا عرفت اللغو فنقول الله تعالى مدحهم بانهم معرضون عن اللغو والاعراض
عنه هو بان لا يفعل ولا يرضى به ولا يخالط من يقدم عليه قال واذا مروا باللغو مروا كراما
واعلم انه سبحانه وتعالى لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو حتى
يحصل لهم الفعل والترك فالفعل هو الصلوة والترك الاعراض عن اللغو الصفة الرابعة قوله
والذين هم للزكوة فاعلون والقول في تفسير الزكوة وفي منافعها سياتي في باب الزكوة
الصفة الخامسة والذين هم لفروجهم حافظون والكلام فيه سياتي في باب النكاح الصفة
السادسة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون واعلم انه يسمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال تعالى وتخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون وانما يؤدى الاجسام لا المعاني وانما يقع الخيانة في المؤتمن عليه لا في
نفس الامانة والعهد ما عقده الانسان على نفسه فيما يقربه الى ربه ويقع ايضا هذا اللفظ
على ما امر الله تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا والراعي هو القائم على الشيء بالحفظ
والاصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية واعلم ان الامانة والخيانة متقابلان يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم فكل ما خرج عن احدهما دخل في الاخر فكل العبادات
داخلة في الامانة بدليل قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض ثم تمام الكشف ان العبادات

قد تكون مخفية كالصوم وغسل الجنابة واستيفاء الوضوء وقد يكون بحيث يخفى فيه كيفية
على الانسان قال عليه السلام اعظم الناس خيانة من لم يتم صلوته ومن جملة ما يلزمه للانسان
يفعل او قول فيلزمه الوفاء به كالودايع والعقود وما يتصل بهما ومن ذلك الاقوال
التي يحرم بها النساء ويحرم بها التصرف في العبيد لانه يؤتمن في كل ذلك واما العهد
فانه يدخل فيه العقود والايمان والنذور فبين سبحانه ان مراعاة هذه الامور والقيام بها
معتبر في حصول الفلاح الصفة السابعة قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون فاعلم
انه فرق بين الخشوع وبين المحافظة فان الخشوع صفة القلب على ما ذكرناه والمحافظة عبارة
عن تحصيل شروطها من رعاية الوقت والطهارة والتشمر لادائها وترك التوانى فيه فهذه امور
سبعة قدم الله ذكرها ثم قال بعدها اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون
وههنا سؤالات الاول لم سمى الجنة بالميراث مع انه تعالى حكم بان الجنة حقهم في قوله ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الجواب من وجوه الاول انه روى عن النبي عليه السلام انه قال
لا مكلف الا وقد اعد الله له في النار ما يستحقه ان عصى وفي الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل لذلك
علامة فاذا امن البعض ولم يؤمن البعض صار منازل من لم يؤمن منقولة الى الذين امنوا فلما كان
حرمانهم عن تلك الدرجات ودخولهم في النار شبيها بالموت سمى ذلك ميراثا لهذا الوجه وقد قال الفقهاء
انه كما يورث من الميت ملكا مملوكا كذلك يورث عنه ما يقدر فيه كونه مملوكا له وان لم يدخل في
ملكه كالدية وانها موروثة مع انها لم يدخل في المقتول الثاني كما حصلت لهم مع انهم ما كانوا
عاملين في الدنيا بكمية منافعها اشبه ذلك انتقال المال الى الوارث الثالث ان الجنة كانت مسكن
اول الانبياء ادم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان ذلك شبيها بالميراث السؤال الثاني
كيف حكم على الموصوفين بالصفات بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر الواجبات كالصوم والحج الجواب
ان قوله والذين هم لاماناتهم يأتى على الواجبات من الافعال والتروك السؤال الثالث فهذه الاية
تدل على ان هؤلاء هم الوارثون للجنة فاما من لم يأت بالطاعات واتى المعاصي ثم تاب ومات عقيب توبته من غير شىء

من الطاعات



من الطاعات وجب ان لا يدخل الجنة وهو على خلاف الاية الدالة على ان التائب من اهل الجنة و
الجواب ظاهر الاية وان كان يفيد الحصر [illegible] يجب حمل الظاهر على ان الكاملين من اهل الجنة
هم الموصوفون بهذه الصفات بدليل ان المجانين والصبيان يدخلونها وكذا الفساق من اهل
الصلوة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ونظير
حمل هذا الحصر على حالة الكمال قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن الناس
من قال الفردوس عبارة عن اشرف موضع الجنة وعلى هذا التقدير يزول السؤال قال عليه السلام
الفردوس مقصورة الرحمن وعن ابي امامة الباهلي انه قال عن النبي عليه السلام انه قال سلوا الفردوس
فانها اشرف الجنة واعلم انه تعالى لما شرح في اول السورة هذه المراتب السبعة في العبادات اردفها
بما يدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وهو ذكر المراتب السبعة في خلقة الانسان
اولها قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وثانيها قوله ثم جعلناه نطفة في قرار
مكين وثالثها قوله ثم خلقنا النطفة علقة ورابعها قوله فخلقنا العلقة مضغة وخامسها
فخلقنا المضغة عظاما وسادسها فكسونا العظام لحما وسابعها ثم انشأناه خلقا آخر فلنشرح
احوال هذه المراتب السبعة بعون الله وفضله اما المرتبة الاولى وهي قوله ولقد خلقنا الا
نسان من سلالة من طين ففيه سؤال مشكل وهو ان المراد من الانسان ان كان هو آدم فكيف
يستقيم قوله ثم جعلناه في قرار مكين فان آدم ما كان كذلك وان كان هو اولاد آدم فكيف
يستقيم قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين منصرفا الى آدم وانهم ليسوا مخلوقين
من طين الجواب من وجوه الاول ان لفظ الانسان شامل لآدم ولاولاده ثم قوله من سلالة من طين
منصرف الى آدم وقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين منصرف الى اولاد آدم والثاني ان
المراد من الانسان في هذه الاية اولاد آدم والطين اسم آدم وهي الاجزاء الطفية المسنونة
في اعضائه وهي التي لما اجتمعت وحصلت في اوعية المنى صارت منيا وهذا التفسير مطابق
لقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين الثالث وهو الذى

ذكرت فقلت المراد من الانسان ههنا اولاد آدم وذلك لان المقصود من ذكر هذه الآية التنبيه
على ما يدل على وجود الصانع وهذا لا يحصل الا بالامر المشاهد والامر المشاهد هو
تولد اولاد آدم لا تولد ذات آدم فثبت ان المراد من الانسان ههنا اولاد آدم بقي ان يقال
فالمراد من قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين مع ان اولاد آدم ليسوا كذلك
وجوابه ان الانسان انما يتولد من النطفة وهي انما تتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية واما
نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الطين فالانسان بالحقيقة
يكون متولدا من سلالة من طين اقصى ما في الباب ان تلك السلالة من طين تواردت عليه
اطوار الخلقة وادوار الفطرة حتى صارت منيا ولكن ذلك لا يبطل كون الانسان متولدا من
سلالة من طين كما انه انما يتولد من المني بعد تعاقب الاطوار والادوار عليه فلم يكن ذلك
قادحا في كونه متولدا من المني وهذا التاويل الذي ذكرته مطابق للفظ ولا يحتاج معه الى
شيء من التكلفات والله اعلم بمراده **المرتبة الثانية** قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين واعلم
ان الاطبا يقولون اذا اكل طعاما فانه ينطبخ ذلك الطعام في معدته لا بحرارة المعدة وحدها
بل بحرارة ما يطيف بها اما من اليمين فالكبد واما من اليسار فالطحال واما من قدام فالثرب
الشحمي القابل للحرارة سريعا واما من فوق فالقلب بتوسط تسخينه للحجاب فما يكون فيه صافيا
يدخل في عروق صلاب رقاق في الكبد والذي يكون كالثفل ينزل في الامعاء ثم ينطبخ
ذلك الصفو مرة اخرى في الكبد ويحصل عند ذلك الانطباخ رغوة وهي الصفراء وتذهب
الى المرارة ورسوب وهو السوداء ويذهب الى الطحال وينفصل المائية وهي الفضلة وتذهب
الى الكليتين ومنهما الى المثانة ومنها الى الاحليل ويخرج ثم انه تعالى خلق مجرى بين الطحال
وبين فم المعدة ومجرى اخرى بين المرارة والامعاء ثم ان تلك السوداء ينصب شيء منها
على فم المعدة فيحصل في المعدة دغدغة الجوع ولو انسد هذا المجرى لم يحصل للانسان شعور
بالحاجة الى الطعام وينصب من المرارة شيء من الصفراء على الامعاء حتى تنغسل الامعاء من الفضلة فيحصل للانسان شعور بالحاجة الى اخراج الفضلة ولو انسد ذلك المجرى ينصب





تلك الصفراء على الامعاء فيبقى الثقل فيها ويتولد القولنج ثم انه يحصل بعد هذين
الطبخين طبخ ثالث وهو ان ذلك الدم الصافي يخرج من الكبد ويتوزع في العروق و
ينطبخ مرة ثالثة في العروق ثم يحصل طبخ رابع وهو ان تلك الدماء المتوزعة في العروق ينصب
على ظواهر الاعضاء ويتكيف بكيفية طبايع تلك الاعضاء فبعضها يصير متكيفا بكيفية
العظم وبعضها بكيفية اللحم وبعضها بكيفية العصب فهذه اربعة مراتب في الطبخ اذا عرفت
هذا فنقول ان صارت الشهوة مستولية على الانسان تولدت عن تلك الشهوة سخونة منتشرة
في جميع الاعضاء ثم بسبب تلك السخونة يرتفع بخار لطيف ورغوة لطيفة من جميع الاعضاء
والاخلاط ومجموع ذلك البخار والرغوة انما يرتفع مما حصل عند الهضم فيتولد من العظم
جوهر شبيه في الطبع بالعظم ومن العروق واللحم والاعصاب كذلك ثم انه حصل في تلك الرغوة
قوى وطبايع متشابهة لتلك الاعضاء المركبة فيحصل فيها اجزاء من الدماغ واجزاء من
العين واجزاء من اليد واجزاء من الرجل ولهذا المعنى لما سال اليهود رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن سبب مشابهة الولد تارة اباه واخرى امه فقال عليه السلام ان كان الغالب هو ماء
الرجل حصلت المشابهة بالاب وان كان الغالب هو ماء المراة حصلت المشابهة بالام ثم
ان هذه الرغوة المختلسة من جميع الاعضاء والابعاض يصعد في العرقين الساريين
بامر الحكيم الخبير الى الدماغ وذلك لان الدماغ اشرف اعضاء الانسان وهو مسكن القوة
المفكرة والحافظة والذاكرة فاقتضت الحكمة الالهية ان يحصل من خواص الدماغ الذي
اشرف اعضاء بدن الانسان في تلك الرغوة اثر وكيفية ثم انه تعالى يخلط بذلك الاجزاء شيئا
كثيرا من اجزاء الدماغ ولذلك فان من باشر كثيرا ظهر اثره على البصر في الغشاوة والانكسار
والكلال ثم انه تعالى ينزل تلك الاجزاء من الدماغ الى الصلب للرجل وترائب المراة ثم
عند الوقاع ينزل من الصلب والترائب الى مستقر الرحم وهذا هو المراد من الاعضاء بسبب قوله
في قرار مكين واعلم انا قد ذكرنا ان هذه النطفة تجري مجرى رغوة تنفصل من الاعضاء

بسبب ذوبان يعرض لها عند استيلاء حرارة الشهوة فيكون بعض تلك الاجزاء من
ذوبان العظم وبعضها من ذوبان اللحم ولما كان البدن الانسانى مخلوقا من الطبايع الاربع
كان ذوبانها ايضا كذلك فيكون المنى جسما مركبا من ارضية ومائية ونارية والهوائية
والنارية غالبة عليها ويدل عليه ان بياض الرطوبة انما يكون بسبب اختلاط الهوائية
بها كما يكون فى الزبد والاجزاء الكثيفة التى فى المنى هى مواد الاعضاء والاعضاء اللطيفة
التى فيها مواد الارواح وتلك الاجزاء اللطيفة والكثيفة يكون مختلطا بعضها ببعض
فى اول الامر ثم ان الجنسية علة الضم فينضم الاجزاء اللطيفة بعضها الى بعض والاجزاء
الكثيفة بعضها الى بعض ولما كان اللطيف سريع التحلل والتلاشى اقتضت الرحمة الالهية جعل
الاجزاء اللطيفة فى الوسط وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان لها فيصير الكل كالكرة
المستديرة ويكون باطنها مملوا من الاجزاء الروحانية اللطيفة ويكون ظاهرها من الاجسام
الكثيفة وذلك الموضع الذى هو مجموع الاجزاء اللطيفة هو الموضع الذى اذا استحكم وكمل
كان قلبا فلهذا المعنى قال اهل العلم اول الاعضاء الانسانية تكونا هو القلب وآخرها موتا
هو القلب وعند هذا انظر ان قطرة النطفة يصير كالكرة ويكون مجمع الارواح فى باطن تلك
الكرة هو القلب وحينئذ يحصل ههنا احوال عجيبة الاول ان العالم الاصغر وهو الانسان
يبقى معلقة فى جوف الرحم بحفظ الخالق الحكيم كما ان كرة العالم الاكبر بقيت معلقة فى الخلاء
الذى لا نهاية له بحفظ الخالق الحكيم كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والثالث
ان كرة العالم الاصغر يكون الكثيف محيطا واللطيف محاطا به على ما شرحناه وكرة العالم الاكبر
بخلاف ذلك لان العالم الاكبر اللطيف محيط وهو السموات والمحاط به هو الكثيف وهو الارض
والرابع انه تعالى قال فى السموات والارض خلق السموات والارض فى ستة ايام واما العالم الاصغر
فقال اهل التجارب ان هذه الكرة المتولدة من هذه النطفة ستة ايام على حالتها الاولى
لا يتغير منها صفة ولا يزول حالة منها فالخامس [illegible] امر الملائكة حتى اخذوا من كل ناحية من نواحى الارض قبضة فبعض تلك الاجزاء احمر وبعضها اسود

وبعضها



وبعضها ابيض وبعضها حمرة وبعضها سبخة وبعضها عذبة وبعضها مرة فلا جرم جاءت اولاد
آدم على صفات مختلفة بعضهم احمر وبعضهم ابيض وبعضهم اسود وبعضهم حر كريم وبعضهم نذل
سفيه فكذا ههنا لما اراد تخليق ولد آدم امر الملائكة الموكلين بابدان البشر حتى اخذوا
من كل طرف من اطراف ابدان الاب والام جزء آخر على خاصية اخرى فاخذوا من سواد الحدقة
جزءا اسود ومن بياض الملتحمة والشحم والجلد جزءا ابيض ومن الدم جزءا احمر ومن الدماغ
الاجزاء الباردة ومن القلب الاجزاء الحارة ومن الكبد الاجزاء المارة ومن العظام الاجزاء
اليابسة وبالجملة اخذوا من كل طرف من ابدان الابوين جزءا مناسبا فى الطبيعة مشاكلا
فى الخاصية ثم انه تعالى كما اخبر عن طينة آدم انه خمرها بيده اربعين صباحا فكذا ههنا خمر هذه
الاجزاء بعضها ببعض اربعين صباحا وكما انه سبحانه بحكمته راعى فى تخمير طينة آدم دقايق لا
يصل اليها العقول والافكار فكذا فى تخمير هذه الاجزاء بعضها ببعض راعى اسرارا لا يطلع
عليها اوهام الخلق فقدر لكل شخص فى ذلك التخمير نسبة خاصة فى المقدار والكيفية ومناسبة
مقدرة فى الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والغنى والفقر والعلم والجهل لا يعرفها
احد الا هو ولا يقف على كنه اسرارها احد الا هو له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اعلم
انه تعالى ذكر فى آيات كثيرة تولد الانسان من النطفة فقال فى اول سورة النحل خلق الانسان من
نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال فى يس اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وقال فى سورة
الواقعة افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقال فى هل اتى على الانسان انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه وقال فى عبس قتل الانسان ما اكفره الى قوله ثم اذا شاء انشره وفى
امثال هذه الآيات كثيرة واعلم انه تعالى ذكر فى القرآن للمنى صفات كثيرة منها قوله فى سورة الطارق
فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب فهذه الآية مشتملة
على ذكر صفتين الصفة الاولى كونه ماء دافقا ولنذكر تفسير الدافق بحسب اللغة ثم ما يتعلق
بكونه دافقا من وجوه المصلحة اما اللغة فاعلم ان الدفق صب الماء يقال دفقت الماء اى صببته وهو

مدفوق اى مصبوب ولما كان هذا الماء مدفوقا اختلفوا فى انه لم وصف بانه دافق وذكروا
فيه وجوها الاول قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وفارس ونابل وتامر اى
ذو درع وفرس ونبل وتمر والثانى قال الفراء انهم يسمون المفعول باسم الفاعل كما يقال
سر كاتم وهم ناصب وليل نائم وقال تعالى فى عيشة اى مرضية والثالث قال الخليل فى كتاب
العين دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة والرابع ان الدافق هو صاحب الماء فاطلق
هذا الوصف على الماء على سبيل المجاز واما على وجه الحكمة فى كون هذا الماء مندفقا
فاعلم ان وجه الحكمة فى كون هذا الماء مندفقا فاعلم ان وجه الحكمة فيه التنبيه على انه ليس
المقصود من المباشرة تحصيل اللذة بل تحصيل الولد وذلك لان كون الماء مندفقا يمنع من دوام
اللذة وذلك لان السيلان المستمر اقوى فى ايجاد اللذة واكثر دواما بل الحكمة فى الدفق
فى القوة ان يكون للمنى قوة فى الوصول الى قعر الرحم والذى سماه الله تعالى قرارا مكينا **الصفة
الثانية** كون المنى خارجا من بين الصلب والترائب وترائب المرأة عظام صدرها حيث يكون
القلادة وكل واحد من العظام تريبة وقد اختلف المفسرون فمنهم من قال الولد مخلوق من
الماء الذى يخرج من صلب الرجل وترائبه ومنهم من قال انه مخلوق من الماء الذى يخرج من صلب
الرجل وترائب المرأة واحتج الاولون بانه تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق والذى يوصف
بهذا الوصف هو ماء الرجل ثم عطف عليه بان وصفه بانه يخرج من بين الصلب والترائب و
ذلك يقتضى كون هذه الصفة صفة ماء الرجل واذا كان كذلك ثبت ان الولد مخلوق من ماء
الرجل واحتج اصحاب القول الثانى بقوله عليه السلام اذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرا ويعود
شبهه الى الاب والى اقاربه واذا غلب ماء المرأة فبالضد وهذا صريح فى ان الولد متخلق
من ماء الرجل والمرأة والله اعلم بحقايق مخلوقاته **الصفة الثالثة** قوله تعالى فى سورة
والنجم وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وقال فى القيمة الم يك نطفة من منى
يمنى ولقائل ان يقول ما الفائدة فى قوله من منى يمنى مع ان كل منى يمنى الجواب فيه تنبيها على حقارة حاله

والتقدير

١٧٠

والتقدير انه مخلوق من المنى الذى يجرى على مخرج النجاسة ولا يليق بمثل هذا الشىء ان يتمرد
عن طاعة الله الا انه سبحانه عبر عن هذا المقصود على سبيل الرمز والكناية نظيره قوله تعالى فى عيسى
مريم وامه كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى بقوله
كانا يأكلان الطعام وكان الحسن البصرى يقول كيف يتكبر ويتجبر من يمر على مجرى البول
مرتين **الصفة الرابعة** قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وقال ايضا وبدأ خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وفى المراد بكونه مهينا وجوه الاول قال مالك رحمه الله
انه نجس رطبا ويابسا وقال الشافعى رحمه الله انه طاهر رطبا ويابسا وقال ابو حنيفة رحمه الله
انه نجس رطبا طاهر يابسا وحجة الشافعى من وجهين الاول انه تعالى من بخلقنا منها حيث قال
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ولو كان نجسا لما حسن
هذا الامتنان فان الزموا العلقة والمضغة قلنا الجواب من وجهين الاول انا لاندرى ما حالهما
حين ما يكون الدم فى الرحم الثانى ان المنى انما يصير علقة ومضغة بسبب انه يمتزج به الطمث
نجس فلهذا المعنى حكمنا بالنجاسة الا ان اصل الانسان بالتخليق منه يقتضى كونه طاهرا الحجة الثانية
انه تعالى من علينا بان جعل اللبن طاهرا للحل انه غذاءنا ومن المعلوم ان الحاجة الى طهارة الذات
اعظم من الحاجة الى طهارة الغذاء فلما من بجعل اللبن اللبن الذى هو الاصل كان اولى واعلم انا
وان حكمنا بطهارته الا ان العلماء لما اختلفوا فى طهارته ونجاسته كان ذلك دليلا على غاية حقارته
ونهاية مهانته الثانى انه مهانة لاجل كونه مستقذرا الثالث انه مهانة لاجل مروره على مجرى
النجاسة **الصفة الخامسة** اخبر تعالى ان الرحم الذى هو موضعه قرار مكين وهو قوله تعالى
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين وفيه فوائد الفائدة الاولى ان من ملأ كوزا ثم قلبه انصب ذلك
الماء ثم انه تعالى اودع فى قعر الرحم النطفة ثم خلق الرحم منكسا ثم حفظ فيه تلك النطفة بقدرته
وحكمته وهذا وان كان عجيبا بالنظر الى قدرتنا الا انه غير عجيب بالنظر الى القدرة وذلك لان اجرام
السموات والارض والجبال والبحار اثقل بكثير من تلك القطرة كما ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس

فلما امسك السموات والارض بقدرته من غير علاقة فوقها ولا دعامة تحتها كما قال ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا فانه يقدر على امساك النطفة في قعر الرحم بقدرته كان اولى واحرى
الفائدة الثانية انه تعالى سمى الرحم قرارا مكينا ومعلوم ان النطفة في الرحم ليست مستقرة بل
بقيت معلقة في الهواء فكيف يجوز تسمية الرحم بالقرار المكين وجوابه كانه قيل انا امسك النطفة
في هواء بقدرتي كما يمسك ويحكم الشيء الثقيل في مستقر الارض والمراد منه اظهار كمال القدرة
ونظيره انه تعالى سمى تخليق السماء بناء فقال الله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
والشيء المعلق في الهواء لا يسمى بناء انما الشيء المستقر على القرار هو الذي يسمى بناء الا ان الجواب
عنه كانه قيل اني لما امسكت السماء بقدرتي في جو الهواء كان ذلك السقف جاريا مجرى الشيء
الذي يكون مستقرا على الارض ويبنى عليه البناء وتسمية السما بالبناء انما كان لاجل التنبيه
على احكام خلقتها والمقصود منه التنبيه على كمال قدرة الصانع سبحانه فكذا ههنا سمى الرحم بالقرار
المكين لتقرير هذا المعنى الفائدة الثالثة وهو ان استقرار النطفة في الرحم انما كان بسبب انه
سبحانه بقدرته وحكمته يحفظها في الرحم فلما كان المستقر هو القدرة الازلية ولا شك ان القدرة
الازلية مبرات عن الخلل والعجز والنقصان لا جرم سمى السماء بناء والرحم قرارا ونظيره قوله تعالى
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها يعني لها عمد غير مرئي وهو قدرته وحفظه وحكمته الصفة
السادسة للنطفة قوله تعالى في الانسان انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا
بصيرا واعلم ان المشيج في اللغة الخلط والامشاج الاخلاط وعن صاحب الكشاف الامشاج
لفظ مفرد ليس بجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله من نطفة امشاج ويقال لها ايضا
نطفة مشيج ولا يصح ان يكون امشاجا جمعا للمشيج بل هما مثلان في الافراد ونظيره برمة اعشار
اي قطع منكسرة وثوب اخلاق وارض سباسب واختلفوا في معنى كون النطفة مختلطة على
وجوه فالاول انه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة قال ابن عباس رضي الله عنه ماء الرجل ابيض
غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فيختلطان ويتخلق الولد منهما فما كان من عصب وعرق وعظم

فمن نطفة



فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة وقال الحسن من نطفة مشيجة بالدم وهو دم الحيض
فان المرأة اذا بلغت ماء الرجل وحبلت امسكت حيضها فاختلط النطفة بالدم وقال قتادة
الامشاج هو ان يختلط الماء والدم اولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة وبالجملة فهو عبارة
عن انتقال ذلك الجسم من صفة الى صفة ومن حال الى حال وقال آخرون الامشاج عبارة عن
كون النطفة مختلطة من الامهات الاربعة والتقدير من نطفة ذات امشاج وهذا يدل على قدرة
الله لان الطبايع المتنافرة لا يجتمع الا بقهر قاهر ثم ان كل واحد من تلك الطبايع منافية للحيوة
فبناء امر الحيوة عليها يكون اظهارا للضد من الضد فيكون ادل على كمال القدرة نظيره قوله
في آخر يس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ويحتمل ايضا ان يكون المراد
ما ذكرنا من كون النطفة متولدة بعد الهضم الرابع فبعضها يكون فيه خاصية العظم وبعضها فيه
خاصية اللحم وخاصية العرق وتلك الاجزاء مخلوطة بعضها ببعض فيكون امشاجا بهذا التاويل
المرتبة الثالثة من مراتب خلقة الانسان صيرورة النطفة علقة وزعم اصحاب التجارب ان المني
في اول الامر يصير كرة مستديرة ويبقى على لونه الابيض في الرحم ستة ايام كما شرحناه ثم انه بعد
ذلك يظهر في الباطن اعني مركز هذه الكرة نقطة دموية وذلك الموضع هو الذي ذكرناه انه
مجمع الارواح وهو الذي اذا تمت خلقته كان قلبا فلهذا المعنى قالوا ان اول عضو يتكون من البدن
هو القلب ثم يحصل بعد ذلك نقطتان دمويتان احدهما فوق النقطة الاولى وهو الذي اذا استحكمت
خلقته كان دماغا والنقطة الثانية يحصل على يمين النقطة الاولى وهي التي اذا استحكمت خلقتها
كانت كبدا ثم ان هذه النقطة الثانية يمتد في الصفاق امتدادا واما هذه الاحوال يحصل بعد
ثلثة ايام اخرى ويكون ذلك تسعة ايام من الابتداء وقد يتقدم يوما ويتأخر يوما ثم بعد ستة
ايام اخرى وهو الخامس عشر من العلوق ينفذ الدموية في الجميع فيصير علقة وربما يتقدم يوما او
يومين او يتأخر يوما او يومين فهذا شرح احوال العلقة ثم ههنا اسرار وفوائد الحكمة الاولى
ان كل من نقش نقشا على شيء فانما يحتاج الى امور احدها ان يكون محل النقش جسما صلبا كثيفا وههنا

الحق تعالى وضع نقشه على الماء المهين والثاني يجب ان يكون المكان الذي ينقش فيه واسعا
وان يكون الموضع مضيئا وههنا الحق تعالى نقش هذا النقش العجيب في الرحم وهو موضع ضيق
فقال هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء واستدل بهذا على الهيته ووحدانيته فقال
لا اله الا هو العزيز الحكيم ونقش ايضا هذا النقش في ظلمات الارحام فقال في الزمر يخلقكم في
بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى
تصرفون فما اعظم درجة الانسان وما اعجب خلقته وذلك لانه اينما ذكر حال الام من احوال التخليق
ذكر عقيبه اما التهليل كما في هاتين الايتين واما التعظيم والتقديس كما في قوله فتبارك
الله احسن الخالقين **الحكمة الثانية** ان كل نقاش وكاتب اراد ان يكتب شيئا على جسم
فانه يكتب اولا ذلك النقش على ظاهر ذلك الجسم ثم انه يصل الاثر من الظاهر الى الباطن
وههنا الحق تعالى اظهر اثار كتابته ونقشه وتصويره اولا في الباطن وهو ظهور النقط الثلثة
الدموية في الباطن اولا ثم سريانها من الباطن الى الظاهر وهذا التعلم كما انه ذاته وصفاته
لا يشبه الذوات والصفات فكذلك لا يشبه فعله افعال سائر الفاعلين وان اشتبه هذا عليكم
في مبدأ الخلقة والفطرة فله مثال حاضر في الحال وذلك لان الاعضاء الظاهرة لا يتحرك ولا يسكن
الا اذا احدث في القلب داعية وارادة لذلك الفعل ومحدث تلك الدواعي والارادات في القلوب
هو الله سبحانه وتعالى وهو المراد بقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان ولقوله عليه السلام قلوب
العباد بيد الله ولقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالحق تعالى يكتب في القلب
تلك الدواعي والارادات ثم يتولد منها فنون الافعال والحركات في ظاهر البدن فظهر ان تاثير
قدرة الله يظهر اولا في القلوب والضمائر اولا ثم يسري تلك التاثيرات من البواطن والضمائر
الى الظواهر ولما عرفت هذا المعنى في الحال فاعرف مثله في تخليق البدن في الابتداء **الحكمة
الثالثة** ان كل نقاش ابدع نقشا حسنا لطيفا فانه يبالغ في صون نقشه عن اربعة اشياء
عن التراب فان الغبار يبطل رونق النقش ويزيل طراوته وعن الماء فان الماء يغسله ويزيله

وعن



وعن الرياح فانها تكدر النقوش وتبطلها وعن النار فانها تحرق وتفنى الا انه تعالى عكس هذه
القضية فاظهر نقش خلقة البشر من التراب فقال ان مثل عيسى عند الله واظهر نقش خلقة
الدواب من الماء فقال والله خلق كل دابة من ماء واظهر خلقة عيسى من الهواء فقال فنفخنا فيه
من روحنا وايضا جعل نفخته سببا لتخليق الحيوان فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
باذني فتنفخ فيها فيكون طيرا باذني وخلق الجن من النار فقال والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وذلك يدل على ان فعله لا يشبه فعل احد من الفاعلين **الحكمة الرابعة** انه سبحانه خلق
القلب اولا وذلك لانه سرير الروح ومدرسة المعرفة وخانقاة الصفوة ومنزل المحبة فالنور
الفائض من خطاب القدس فاعلم انه لا اله الا الله لا يتجلى الا فيه والكرامة الحاصلة من تشريف
يحبهم ويحبونه لا يظهر الا فيه والمستقر المتولد من وعد الا بذكر الله تطمئن القلوب لا يحصل الا فيه
فلما كان هو المقصود في الثواب والعقاب والخطاب والعتاب والوعد والوعيد والترغيب والترهيب
لا جرم كان هو المخلوق اولا ثم انه تعالى خلق الدماغ فوقه والكبد تحته لان الدماغ منشأ العقل
الذي هو الواسطة بين العالم العلوي والكبد منشأ الغذاء وهو الواسطة بين القلب وبين
العالم السفلي فجعل العلوي في العلو والسفلي في السفل تنبيها على هذه الدرجات **الحكمة الخامسة**
ان القلب سلطان البدن وليست سلطنته بسبب كثرة الجثة والا لوجب ان يكون الفخذ اولى
بهذه السلطنة ولا بسبب الحدة والا لكانت المرارة اولى بها ولا بسبب كثرة الذخيرة
والا لكانت المعدة اولى بها ولا بسبب القوة والا لكانت العظام اولى بها ولا بسبب الحدة و
القطاعية والا لكانت الاسنان اولى بها ولما بطل كل هذه الوجوه ولم يبق للقلب خاصية سوى كونه
معدنا للعلم والحكمة والفهم والادراك علمنا انه انما كان سلطانا للبدن لكونه موصوفا بالعلم
والحكمة والفهم والادراك فكل من كان عالما حكيما كان سلطانا بالحق ونائبا للحق بالحق وكل
من كان محروما من العلم والحكمة كانت سلطنته في التلبيس نيابة عن ابليس **الحكمة السادسة** ان الروح سلطان
الجسد وسرير الروح هو القلب لا جرم كان القلب هو اول الاعضاء الحادثة في البدن فنقول لما كان الروح

سلطانا محتاجا الى سرير جسماني كان ذلك السرير اولى الاعضاء المتكونة في البدن فالحق
تعالى سلطان الموجودات فلو كان محتاجا الى سرير جسماني هو العرش لوجب على هذا القياس ان يكون
العرش اول المحدثات واول المكونات لكنه ليس الامر كذلك بنص القرآن والخبر اما نص القرآن فهو
قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الآية بين تعالى ان الاستواء على العرش متاخر
عن تخليق السموات والارض واما الخبر فما روي انه عليه السلام قال اول ما خلق الله العقل وفي
رواية اول ما خلق الله القلم وفي رواية ثالثة اول ما خلق الله نوري وفي رواية رابعة اول ما
خلق الله جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء وجميع هذه الروايات مطابقة على ان العرش
ليس هو المخلوق الاول وذلك يدل على كونه منزها عن العرش والكرسي والمكان والجهة الحكمة
السابعة ان القلب سلطان الجسد فكان اشرف اعضاء الجسد هو القلب ثم ان المجسمة يقولون
كل موجود هو اشرف من غيره وجب ان يكون اعلى من غيره ولما كان الحق اشرف الموجودات يجب ان يكون في مكان
اعلى من جميع الموجودات فههنا القلب سلطان البدن واشرف الاعضاء مع انه ليس في اعلى موضع
من مملكة البدن بل هو مستقر في الوسط فظهر بهذا فساد قول المجسمة ان الاشرف يكون اعلى في المكان
والجهة بل ههنا دقيقة اخرى وهي ان اخس اعضاء البدن انما هو الشعر والجلد والعظم
واعلى شيء في البدن هو هذه الثلثة فعلمنا ان العلو لا يقتضي الشرف والاسفل لا يقتضي الخسة
الحكمة السابعة ان كل طباخ وضع اللحم الاحمر في قدره وطبخه فانه يزول تلك الحمرة ويحدث
البياض فههنا الحق تعالى وضع المني الابيض في قدر الرحم وطبخه بنار الطبيعة فانقلب الابيض احمر
وايضا كل احد يسلط الحرارة على جسم لطيف فانه بسبب تلك الحرارة يزداد الرقة والرخاوة فالحق تعالى
قلب هذه القضية ههنا فسلط الحرارة على النطفة الرطبة فصيرها منعقدة قوية كثيفة فان
قيل انما حصلت الكثافة والانعقاد لان الحرارة لما عملت في تلك الرطوبة سخن منها الاجزاء الرطبة
فبقي الباقي صلبا يابسا فنقول ان كان الامر كذلك لما وجب ان يؤثر تلك الحرارة القائمة برحم المرأة وسائر
اعضائها في تجفيف تلك الاعضاء فان تاثير تلك الحرارة في محلها اولى من تاثيرها في الجسم الاجنبي عنها



المباين لها فلما لم تؤثر تلك الحرارة في تجفيف اعضاء الام واثرت في تجفيف جوهر النطفة علمنا
ان تاثيرها في احد المحلين وعدم تاثيرها في المحل الثاني بتدبير مدبر المخلوقات وتقدير مقدر
الكائنات فالطبائع معزولة والخواص باطلة والافلاك معطلة والكواكب مسخرة ولا تاثير
الا للقدرة الازلية ولا نفاذ الا للمشيئة السرمدية سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا المرتبة
الرابعة فهي صيرورة العلقة مضغة والمعنى انه ينقلب ذلك الدم الجامد مضغة اي قطعة
لحم كانها مقدار ما يمضغ كالغرفة اسم لما يغرف واعلم انا بينا انه يصير علقة في مدة خمسة عشر يوما ثم
انه بعد ذلك باثني عشر يوما يصير مضغة ويتميز الاعضاء الثلث بعضها عن البعض وامتدت رطوبة
النخاع وربما تقدم ذلك او تاخر يومين او بثلثة ثم بعد تسعة ايام ينفصل الرأس عن المنكبين و
الاطراف عن الضلوع والبطن ثم يتميز الحس في البعض ويخفى في البعض ويحسن بعد ذلك بتمام الاربعين في
الاكثر وفي الآية ابحاث البحث الاول وهو ان المضغة اسم للقطعة من اللحم فقوله ثم خلقنا المضغة
عظاما يقتضي تقدم تخليق اللحم الذي هو المضغة على تخليق العظام وقوله فكسونا العظام لحما يقتضي
تقدم العظام على اللحم وذلك متناقض والجواب ان المضغة اسم للقطعة الممضوغة من اللحم فهذا الجسم
المسمى بالمضغة لا يكون لحما البتة ولا يكون املس السطح وذلك لانه مركب من اجسام مختلفة الصورة
فبعضها يكون اذا استحكمت خلقته كان عظما وبعضها يكون اذا استحكمت خلقته كان عصبا وبعضها
اذا استحكمت خلقته كان عروقا ثم ان هذه الاجسام بعد ما استحكمت خلقتها ولم يتميز بعضها عن
البعض بتمام التميز ولم يظهر فيه صلابة وكثافة بل هي باقية على الرخاوة فهي من حيث كونها لينة
رخوة يشبه اللحم ومن حيث انها لم يبق على كثرتها وملاستها بل صارت اجساما مختلفة الطبائع صار كالجسم
الممضوغ فلهذا المعنى سمى الله تعالى هذا الجسم في هذا الوقت مضغة البحث الثاني انه تعالى وصف
المضغة في سورة الحج فقال ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة والمخلقة المسواة الملساء السالمة من
النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء
ثم للمفسرين في المعنى اقوال الاول ان يكون المراد من تمت فيه احوال الخلق ومن لم يتم كانه تعالى قسم المضغة

قسمين احدهما تامة الصورة والحواس والتخاطيط والثاني الناقصة في هذه الامور فبين
تعالى ان بعد ان صيره مضغة ففيها ما يخلقه انسانا تاما بلا نقص وفيها ما ليس كذلك وهذا قول قتادة
والضحاك فكانه تعالى قسم المضغ متفاوتة منها ما هو تام خال عن العيوب ومنها ما يكون معيبا
ويتبع هذا التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم والقول
الثاني المخلقة الولد الذي يخرج حيا وغير المخلقة السقط وهو قول مجاهد والثالث المخلقة
المصورة وغير المخلقة اي غير المصورة وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وشكل واحتج اصحاب
هذا القول بما روى علقمة عن عبد الله انه قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا وقال يا رب
مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يا رب فما صفتها
اذكر ام انثى ما رزقها ما اجلها اشقي ام سعيد فيقول الله سبحانه انطلق الى ام الكتاب فاستنسخ
منه صفة هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها ولا يزال معه حتى ياتي على آخر
صفتها والرابع قال القفال التخليق ماخوذ من الخلق بما تتابع عليه الخلق بعد الخلق فما تم
فهو المخلق وما لم يتم فهو غير المخلق لانه لم يتوارد عليه التخليقات واعلم ان القول الاول اقرب
لانه تعالى قال لهم في اول الآية انا خلقناكم واشار الى الناس فيجب ان يحمل مخلقة وغير مخلقة على
من يصير انسانا وذلك يبعد في السقط لانه قد يكون سقطا ولم يتكامل فيه الخلقة فان
قيل هلا حملتم ذلك على السقط لاجل قوله ونقر في الارحام ما نشاء وذلك كالدلالة على
ان فيه ما لا يقر في الرحم هو السقط قلنا ان هذا لا يمنع من صحة ما ذكرنا في كون المضغة مخلقة
وغير مخلقة لانه تعالى بعد ان تمم خلقة البعض ونقص خلقة البعض لا يبعد يحمل ذلك فيه بل فيه ما يقره
الله في الرحم وفيه ما لم يقره واذا كان قد ظهر فيه خلقة الانسان فيكون من هذا الوجه قد دخل فيه السقط
اما قوله لنبين لكم ففيه وجهان الاول لنبين لكم ان انقسام المضغة الى المخلقة وغير المخلقة يدل على
ان هذا المتولي لهذا التدبير ليس هو الطبع بل الصانع المختار والثاني ان اول هذه الآية هو قوله
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب فيكون المعنى انا اخبرناكم انا خلقناكم كذا

وكذا

وكذا او كذا لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء كيف يعجز
عن الاعادة واما قوله ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى فالمراد منه ان من اقسام هذه المضغة
من يبلغه الله حد الولادة والاجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة وهو آخر ستة اشهر او تسعة اشهر
او سنتين او اربع سنين كما شاء الله وقدر وانه تعالى لما كتب ذلك الوقت المعين في اللوح المحفوظ
صار ذلك اجلا مسمى البحث الثالث من مباحث هذا الموضع انا قد ذكرنا ان اصحاب التجارب زعموا
ان في مدة اربعين يوما يصير الحال بحيث يتميز بعض الاعضاء عن بعض وفيه اشكال وذلك لانه
روى في الصحيحين عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه ملكا ينفخ فيه الروح فيأمر باربع كلمات
فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد فوالله الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل عمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع ليسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل
عمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل الجنة فيدخلها
فهذا الحديث يدل على انه يبقى اربعين يوما ثم يبقى علقة مثل هذه المدة ثم يبقى مضغة مثل هذه
المدة وذلك على خلاف ما حكيتم عن اهل التجارب والجواب انه وان تخلقت اعضاؤه في مدة الاربعين
الا ان صورة العلقة والمضغة انما تتم عند انقضاء الاربعينات الثلثة فلا منافاة بين التجربة
وبين كلام صاحب الشرع المرتبة الخامسة فهي صيرورة المضغة عظاما واعلم ان بدن الانسان
مركب من الاعضاء والاعضاء ينقسم الى قسمين الى اعضاء بسيطة والى اعضاء مركبة فالا
عضاء المركبة هو الذي لا يكون جزؤه المحسوس مساويا لكله في الاسم والحقيقة كاليد فان كل
جزء من اجزاء اليد لا يكون مساويا لكلها في الاسم والحقيقة واما الاعضاء البسيطة فهي التي
يكون جزؤه المحسوس مساويا لكله في الاسم والحقيقة كالعظم فان كل جزء من اجزائه المحسوسة يكون
مساويا لكله في الاسم والحقيقة واعلم ان الاعضاء المركبة انما تتركب من الاعضاء البسيطة فلهذا السبب

لم يذكر الله تعالى في هذا المقام شيئا من الاعضاء المركبة واما الاعضاء البسيطة فهي كثيرة العظام
والاعصاب والرباطات والاوتار والاوردة والشرايين والاغشية واللحم والشحم والجلد الا ان
اصل البدن واساسه هو العظام فلهذا السبب خص الله العظام بالذكر في هذا الموضع واعلم ان
العظام يمكن تقسيمها على وجهين الاول ان العظام بسبب منافعها على اقسام احدها ما يقاسه
من البدن قياس الاساس وعليه مبناه مثل فقار الصلب فانه اساس البدن عليه يبنى كما تبنى السفينة
على الخشبة التي تنصب فيها اولا وثانيها ما يقاسه من البدن مثل المجن والوقاية كعظم اليافوخ
وثالثها ما يقاسه قياس الالات التي يتم بها الاعمال وهي عظام اصابع اليدين والرجلين ثم ما
كان من هذه العظام انما يحتاج اليه للدعامة او الوقاية ولا يحتاج اليه لتحريك الاعضاء فانه
خلق مصمتا وما كان منها يحتاج اليه لاجل الحركة فقد زيد في مقدار تجويفه وجعل تجويفه في
الوسط واحدا ليكون جرمه صلبا ولا يصير رخوا بسبب كثرة المنافذ ثم جعل المخ في وسطه ليرطبه
ويمنعه عن ايبس المعنت ففائدة زيادة تجويفه ان يكون اخف وفائدة توحيد التجويف
ان يبقى جرمه اصلب وفائدة صلابة جرمه ان لا ينكسر عند الحركات العنيفة **التقسيم الثاني** للعظام
انها بحسب تجاورها على اقسام فاحدها ما يتجاوز مفاصل سلس وهو الذي لاجل عظمته ان يتحرك
معه العظم الاخر كعظام الاصابع مع الكف ومفصل الرسغ مع الساعد وثانيها ما يتجاوز
تجاوز مفصل عسر غير موثق وهو كعظام فقرات الظهر فاما النصف الاسفل من الظهر
ومفاصل عظامه موثقة محكمة ولولا ذلك لما قدر الانسان تارة ان ينتصب انتصابا تاما وقت
القيام وتارة ان يصير منحنيا في وقت الركوع فاما النصف الاعلى من الظهر فمفاصل عظامه موثقة
محكمة وثالثها ان يكون المفصل موثقا ليس لاجل عظمته ان يتحرك وحده البتة مثل مفصل عظام
العنق ورابعها المركوز وهو ما يوجد لاجل العظمين زيادة والثاني نقرة تركز فيها تلك الزيادة
ارتكازا لا يتحرك فيها مثل الاسنان وخامسها المدروز وهو الذي يكون لكل واحد من العظمين
اسنان كما للمنشار ويكون اسنان كل واحد منهما منهدمة في تجاويف الاخر كما يركب الصفار [illegible]

صفايح



صفايح النحاس كمفاصل القحف وسادسها ان يكون العظام متلاصقة فمنها ما هي متلاصقة
طولا مثل مفصل ما بين عظمي الساعد ومنه ما هو ملتزق عرضا مثل مفصل الفقرات السفلى
من فقار الصلب واعلم ان عظام البدن جملتها مائتان وثمانية واربعون عظما اما عظام الرأس
فخمسة وخمسون سبعة هي عظام اليافوخ واربعة عشر عظام اللحي الاعلى واثنان هما اللحيان
الاسفلان واثنان وثلثون سنا فالمجموع خمس وخمسون واما خرزات الظهر فتسعة وعشرون
سبعة للعنق واحد عشر يتصل بها الاضلاع وخمسة هي القطن وثلثة العجز وثلثة العصعص
واما الاضلاع فاربعة وعشرون من كل جانب اثنى عشر والعنق مؤلفة من عظام سبعة
والترقوتان عظمان موضوعتان على كل واحد من جانبي القص والكتفان معلومتان وكل واحد من
اليدين مؤلفة من احد وثلثين عظما العضد وطرفه والساعد وهما عظمان ملتصقان با
لطول والكف وهما اثنى عشر الرسغ وهو صفان في كل صف اربعة والمشط اربعة اخرى والاصابع
خمسة عشر فالمجموع احد وثلثون ومجموع عظام اليدين اثنان وستون وعند العانة عظمان
وفخذان وطرفاهما والرضفتان وعظام القدم سبعة وعشرون فهذا هو مجموع عظام البدن
والكلام فيها وفي منافعها طويل والنكتة الظاهرة في كيفية الاستدلال بهذه الحالة على
الصانع الحكيم ان العظام اجسام صلبة قوية فكيف تولدت من النطفة السخيفة الرقيقة
وايضا فهذه العظام مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض
ودقيق واللائق لكل موضع من مواضع البدن عظم مخصوص لو جعل في ذلك المكان عظم آخر لا
ختلت المصالح فالطبيعة التي لا شعور لها والادراك كيف يمكن اسناد تخليق هذه
الاعضاء اليها وكيف يعقل ان يقال هذه الطبيعة رتبت هذه الاعضاء بهذا الترتيب الموافق
للمصلحة ان هذا مما لا يقبله العقل بل الفطرة السليمة والطباع المستقيمة تشهد بان تخليق
هذه الاعضاء وترتيبها لم تصدر الا من الصانع الحكيم المدبر **اما المرتبة السادسة** وهي قوله
فكسونا العظام لحما فاعلم ان هذا التشريح ذكروا ان جميع عضل البدن خمسمائة وتسعة وعشرون

عضلة واعلم ان الخالق تعالى لما اقتضت حكمته ان يجعل منبع قوة الحس والحركة هو الدماغ و
يكون الآلة الحاصلة لهاتين القوتين من الدماغ هو العصب ثم كانت العصب لا يحصل اتصالها
بالعظام التي هي بالحقيقة اصول الاعضاء المتحركة لان العظام صلبة لطيفة فانبت الخالق
بحكمته من العظام شيئا شبيها بالعصب يسمى رباطا فجمعه مع العصب وشبكه به كشيء واحد الا
ان هذا الجرم الملتئم من العصب ومن الرباط كان ايضا دقيقا فدبر الخالق في ذلك بان جعل ذلك
الجرم منقوشا وملا خلله لحما وغشاه غشاء دقيقا صلبا وجعل في وسطه شيئا كالمحور
من جملة العصب فهذا العضو هو العضلة وفيه فوائد كثيرة احدها انه لما فيه من اللحم منشاء
لمنافع كثيرة منها انه يكون حشو التخلل الفرج الحاصلة بين العظام ومنها ان اللحم متولدة
من الدم الذي هو حار رطب فيكون اللحم سببا لزيادة السخونة في الاعضاء مثل حشو الجبة ومنها
ان يكون بين عظام البدن بعضها مع بعض ومنها ان يكون حائلا بين عظام البدن وبين الاجسام
الصلبة الخارجة عن البدن فيكون ذلك اللحم سببا بالمضربة اللينة التي تخليق للانسان عليها
ولا يلتئام بسبب المصاكة الحاصلة بين عظام البدن وبين الاجسام الصلبة الموجودة من الخارج
والفائدة الثانية ان هذه العضلات بسبب ما فيها من شظايا العصب تجري فيها قوة الحس والحركة
فيمكن للانسان بسببها من الحركات الارادية والافعال الاختيارية والفائدة الثالثة ان هذه
العضلات بسبب ما فيها من شظايا الرباط وبسبب كونها مجللة بهذه الاغشية الصلبة يكون قوية لا
يتعرض لها للانتهاء والانقطاع سريعا فهذه اشارة مختصرة الى منافع هذه العضلات فان
قيل انه تعالى ذكر في جميع المراتب المتقدمة لفظ الخلق قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما فما السبب فيه قلنا السبب فيه ان العظام والاعصاب والعروق اعضاء اصلية
متولدة من النطفة ولذلك قال فان شيئا منها اذا بطل لا يعود واما اللحم فانه ليس من الاعضاء الا
صلية ولذلك فانه اذا ذهب بالهزال عاد بالسمن مرة اخرى وهو انما يتولد من دم الطمث لا من المني فلما كا

الامر كذلك

الامر كذلك لا جرم جعل اللحم كالكسوة للاعضاء الاصلية وايضا فقد ذكرنا ان فائدة اللحم الافادة
السخونة للاعضاء الاصلية وان يكون كالمضربة اللينة التي اذا جلس الانسان عليها لم يتالم بسبب
المصاكة الحاصلة بين عظامه وبين الاجسام الصلبة الخارجة للاعضاء الاصلية وهذه
الفوائد والمنافع شبيهة بالفوائد المطلوبة من الثياب الملبوسة فلهذين السببين ذكر في هذه
المرتبة لفظ الكسوة فسبحان من له تحت كل كلمة من كلمات هذا [illegible] تشريف ونكتة
روحانية المرتبة السابعة وهي قوله ثم انشاناه خلقا آخر فاعلم انه في المراد بالخلق
الآخر قولان الاول المراد منه نفخ الروح وزعموا ان الروح ليس من جنس البدن فلهذا جعل هذه
المرتبة نوعا آخر من الخلق مغايرا للمراتب المتقدمة واحتجوا عليه بوجوه من المنقول والمعقول
الحجة الاولى ان المراتب المذكورة لا يكمل الانتفاع بها الا بنفخ الروح فوجب في الحكمة ذكر
الروح عقيب تلك المراتب والمذكور عقيب تلك المراتب هو قوله ثم انشاناه خلقا آخر فدل
على ان المراد منه نفخ الروح فلما عبر عن نفخ الروح بانه خلق آخر علم ان الروح ليس من جنس البدن
الحجة الثانية قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية عبارة عن تخليق الا
بعاض والاعضاء ونفخ الروح فيه اشارة الى تعلق الروح بالبدن ثم انه لما اضاف الروح
الى نفسه دل على انه يتميز في نفسه بمزيد شرف لا يحصل مثله للاجسام الحجة الثالثة انه
تعالى ميز بين عالم الارواح وعالم الاجساد فقال الا له الخلق والامر فحصل التباين بين هذين
النوعين ثم انه تعالى حكم بان الروح من عالم الامر فقال قل الروح من امر ربي ثم بين انه لا سبيل
للبشر الى معرفته فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولو كانت من جملة الاجسام لما صحت
هذه الاحوال الحجة الرابعة انه تعالى اضاف الافعال الى النفس فقال ان النفس لامارة بالسوء
وقال ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال يا ايتها النفس المطمئنة ومعلوم ان جميع اجزاء البدن
ليس مبدا للافعال فعلمنا ان النفس شيء يدبر البدن وهو غير البدن الحجة الخامسة قوله تعالى
اقتلوا انفسكم وهذا شيء صريح في ان النفس شيء مغاير للبدن تارة يدخل البدن وتارة

يخرج منه الحجة السادسة قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم فكل
احد لا ينسى هذا الهيكل الذي يشاهد بحواسه فدل هذا على ان تلك النفس التي
ينساها الانسان عند فرط جهله شيء آخر غير هذا البدن الحجة السابعة قوله ونفس وما
سويها فالهمها فجورها وتقويها وهذا صريح في ان ههنا نفسا هي محل الالهامات ومحل الفجور
والتقوى ومعلوم ان كل واحد من اجزاء البدن وابعاضه ليس كذلك فهذه النفس شيء
مغاير لهذه الاعضاء الحجة الثامنة القرآن دل على ان الشيء المشار اليه بانه هو الانسان
المخصوص باق بعد الموت قال تعالى في صفة الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وقال في صفة المعذبين بالنار النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا وقال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وقال عليه السلام انبياء الله لا يموتون
ولكنهم ينقلون من دار الى دار فثبت ان المشار اليه بانه هو الانسان باق بعد الموت حتى يدرك
الالام واللذات واما ان هذا البدن المشار اليه ليس حيا بعد الموت فهو معلوم بالضرورة
ولو جوزنا كونه حيا لجاز مثله في جميع الجمادات وهو سفسطة واذا ثبت المقدمتان علمنا
ان المشار اليه بقولنا هذا الانسان ليس هو هذا البدن الحجة التاسعة قوله عليه السلام من
عرف نفسه فقد عرف ربه وكان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك تعرف ربك ولو كان المراد
من النفس هو هذا الجسم المشاهد لما امرنا بمعرفته لان معرفته حاصلة بالضرورة والحاصل
لا يمكن تحصيله الحجة العاشرة انا نجد من انفسنا انا نضيف كل واحد من هذه الاعضاء
الى انفسنا فنقول يدي ورجلي وقلبي ودماغي والمضاف غير المضاف اليه فعلمنا ان النفس
غير هذه الاعضاء فان قالوا فقد نقول نفسي وذاتي وهذا يقتضي ان يكون نفس الشيء مغايرة
لنفسه وهو محال وجوابه انا اذا اضفنا النفس والذات الينا كان المراد من النفس والذات
هو البدن وهو مغاير لذلك الشيء المشار اليه بانه هو الانسان فهذه الاستدلالات سمعية
دالة على اثبات النفس ولمن انكر النفس ان يجيب عن الكل بجواب واحد وهو انه لا نزاع ان النفس شيء

مغاير لهذا



مغاير لهذا البدن المحسوس وكيف لا يقول ذلك والانسان قد يمرض فيذبل لغاية الذبول ثم
يبرأ فيسمن بعد ذلك لغاية السمن والانسان واحد في الحالتين معا ان هذه الاجزاء البدنية
متبدلة لكن لم لا يجوز ان يقال البدن منقسم الى قسمين احدهما اجزاء اصلية باقية من
اول الخلقة الى آخرها والثاني اجزاء متبدلة عرضية يطرى ويزول فالانسان عبارة عن
تلك الاجزاء الاصلية فهذا ما في هذا البحث اذا عرفت هذا فنقول لنا دخلنا قوله ثم
انشأناه خلقا آخر على الروح فههنا لطائف الاولى قال بعضهم انه تعالى خلق الارواح من
انوار عالم الجمال والجلال والقوة النظرية مع ما فيها من بهجة المعرفة والمحبة من عالم الجمال
والقوة العملية المدبرة للبدن من عالم الجلال ولولا ان انوار الارواح مستورة بظلمات
الاجساد والا لسجد لها كل كافر والثانية قال بعضهم انه تعالى خلق الارواح من النور و
الطيب والبقاء والعلو والعلم والحيوة اما النور فلانه ما دام الروح في الجسد يكون
الجسد نورانيا فالعينان يبصران والاذنان يسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماغ
يتفكر فهذا يدل على ان الروح من عالم الانوار والدليل على انه من جوهر الطيب انه ما دام الروح
في البدن يكون الجسد طيب الرائحة مصونا عن العفونة والدليل على انه من جوهر البقاء
انه ما دام الروح في الجسد يكون الجسد مصونا عن الفساد والتفرق والانحلال والدليل
على انه من جوهر العلو انه ما دام الروح في الجسد يكون البدن مرتفعا عن الارض غير ملتصق
بها وكلما ازداد قوة الروح ازداد الارتفاع الا ترى ان الانسان عند استيلاء انوار
عالم الروحانيات على روحه يأخذ في الرقص والسبب فيه ان قوته روحانية فصارت تلك القوة
الروحانية جاذبة له من الارض الى عالم السموات والانبياء عليهم السلام لما كملت هذه
الاحوال فيهم صعدوا الى السموات فقال في حق ادريس عليه السلام ورفعناه مكانا عليا وقال في
عيسى عليه السلام اني متوفيك ورافعك الي وقال في حق محمد عليه السلام فكان قاب قوسين او
ادنى والدليل على انه من جوهر العلم هو الروح وذلك لان العلوم نقوش علوية غيبية ظاهرة

مقدسة فلا يكون محلها الا الجوهر القدسي العلوي والدليل على انه من جوهر الحيوة انه متى انقطع
اثر الروح عن كل البدن صار كله ميتا وان انقطع اثره عن جزء من اجزاء البدن صار ذلك الجزء
ميتا كما في المفلوج وان تعلق بكل البدن صار كله حيا وبالجملة فالروح كالشمس والحيوة الفايضة
عن الروح كالانوار الفايضة عن الشمس فكل جسم وصل اليه نور الشمس انقلبت احواله من الظلمة
الى الضياء كذلك كل عضو يصل اليه نور الروح انقلبت حالته من الموت الى الحيوة النكتة الثالثة
دلالة ارتباط تدبير هذا البدن بالروح على افتقار كل العالم الى الصانع في غاية الظهور وذلك
لان هذا البدن مملكة صغيرة جدا فاذا كانت هذه المملكة الصغيرة لا يعقل استغناؤها
عن ملك مطاع فيه فكل العالم الذي هو المملكة الكبرى كيف يمكن استغناؤها عن مدبر
يدبرها ومتصرف يتصرف فيها وكما ان المدبر في هذه المملكة الصغرى واحد ولا يعقل
حصول روحين في بدن واحد كذلك المملكة الكبرى يجب ان يكون مدبرها واحدا النكتة
الرابعة ان المؤمن بذاته علوي وبصفاته علوي اما بذاته فلقوله تعالى فلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وايضا
اقواله وافعاله علوية قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكتابه علوي قال
تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كما ان كلمة الله هي العليا واما الكافر فكله سفلي قال تعالى
وارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وافعاله سفلية قال تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها لا تفتح لهم ابواب السماء وكتابه سفلية قال تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين فيا ايها المؤمن
العلوي لا تجعل روحك سفليا بالمعصية ويا ايها النوراني لا تجعل نفسك ظلمانية بالاعراض
عن الله تعالى ثم انه تعالى بين من خلقك ان العلوي اشرف من السفلي والروحاني افضل من الجسماني وذلك
لانه خلق فيك اعضاء علوية واعضاء سفلية اما العلوية فالقلب والعين واللسان واما السفلية
فالبطن والمخرجان فمن استعمل العين في العبرة واللسان في الحكمة والقلب في المعرفة صار علويا
شريفا ومن استعمل البطن في اكل الحرام والفرج في الزنا والحرام صار خبيثا سفليا ثم اكد هذه الدلالة

بان جعل



بان جعل الرية التي معدن النفس الصاعد فوقانيا والمعدة التي هي معدن الهابط سفليا
لتعلم ان كل ما كان علويا سماويا فهو الشريف وما كان ارضيا سفليا فهو الخسيس النكتة
الخامسة الروح محل العلم ويجب ان تعلم ان الموجودات على ثلثة اقسام موجود لا يجوز ان
لا يعلم وهو الله تعالى سبحانه وموجود لا يجوز ان يعلم وهو الجماد وموجود يجوز ان يعلم
ويجوز ان لا يعلم وهو انت فان صرت تعلم شيئا فقد تخلقت باخلاق الله وان صرت لا تعلم
شيئا فقد صرت مشابها للجمادات فامتياز ذلك عن الجمادات والتحاقك بالملائكة المقربين ووصلك
لعتبة رب العالمين انما حصل بسبب اتصال الروح بالبدن وعند هذا يظهر منقبة الروح وفضيلته
القول الثاني ان المراد من قوله ثم انشأناه خلقا آخر تخليق الاعضاء الجسمانية واعلم ان تمام
الكلام في شرح قدرة الله وحكمته في خلق الانسان قد ذكرنا في علم التشريح من الطب
الكبير الذي صنفناه ولنذكر ههنا نكتة قليلة من المنافع الظاهرة الجلية التي يصل اليها
فهم كل واحد فنقول انظر الى النطفة وهي قطرة قذرة من الماء لو تركت ساعة ليضربها
الهواء بطلت وفسدت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وذلك لانه اوقع الالفة
والمحبة في قلوبهم ثم قادهم بسلسلة الشهوة والمحبة الى الاجتماع ثم استخرج النطفة من الرجل
بحركة الوقاع واستخرج دم الحيض من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم خلق المولود من النطفة
وسقاه بماء الحيض حتى نمى وبقى وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف
جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء المضغة الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم
في داخل الرحم في الظلمات الثلث ولا انكشف الغطاء والغشاء فكيف ترى التخطيط و
التصوير يظهر في النطفة شيئا فشيئا ولا ترى المصور فلا قلمه ولا آلته فهل رأيت مصورا او فاعلا
لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه فسبحانه ما اعظم شانه ولنشر ههنا الى قليل من تشريح الاعضاء
اما الرأس فتأمل انه تعالى دورها وشق سمعها وبصرها وانفها وفمها وانه تعالى ركب كرة
الرأس في بطن الام من ثلثة وعشرين عظما وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة من كيفية تولد

العظام الصلبة من النطفة السخيفة الرقيقة ثم انه سبحانه قدر كل واحد من تلك العظام بشكل
مخصوص ومقدار مخصوص ووضع مخصوص لو وقع بخلاف ذلك لبطلت المنفعة وفات الغرض
ثم ركب بعضها من بعض بحيث يحصل من مجموعها كرة الرأس على الخلقة المخصوصة واعلم انه تعالى
لما اظهر الاحتياط في عظم الرأس لاجل ان الدماغ اشرف اعضاء الانسان فانه محل الفكر والعقل
ولما كان في غاية الشرف صانه بسبعة انواع من الصونات وذلك لان الدماغ يحيط به غشاء رقيق
يقال له الغشاء المشيمي وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر صلب وهو ملتصق بمقعر عظم
اليافوخ ثم فوقهما عظم اليافوخ ثم خلق خارج العظم غشاء آخر يقال له السمحاق وفوق
الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد وفوق الجلد الشعر فتامل انه تعالى خلق
فوق دماغك بسبع طبقات جارية مجرى السموات السبع والمقصود من تخليقها الاحتياط في صون
دماغك ان تكون من المتفكرين في دلائل الله المتاملين في مخلوقاته ليستدل بها على اجلال
خالقها وحكمته ولنذكر الآن بعض صفات الدماغ فنقول انه تعالى قسمه في طوله الى ثلثة اقسام
وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل والبطن المتوسط محل التفكر والتامل وجعل البطن
المؤخر محل الاسترجاع والتذكر وكل واحد من هذه الاحوال الثلثة امور مهمة للانسان
لا يحصل الانتفاع بالانسانية الا معها اما الحفظ والتخيل فامر لا بد منه في الانسان ويدل عليه
وجوه الاول ان الانسان محتاج الى التفهيم والتفهم بالكلام والكلام مركب من الحروف وهذه
الحروف لا يوجد مجتمعة البتة بل متعاقبة فلو لم يكن للانسان حافظا للصور المحسوسات بعد
غيبوبتها لكان الانسان اذا سمع حرفا ثم انقضى ذلك الحرف الاول ووجد الحرف الثاني فعند
حصول الحرف الثاني لا يكون الحرف الاول موجودا في الخارج ولا يكون اثره باقيا في الحفظ فح
لا يكون المسموع ابدا الا حرفا واحدا والحرف الواحد لا يفيد المعنى البتة فثبت انه لولا الحفظ
ما كان يحصل التفهم والتفهيم من الكلام فكانت هذه المصلحة العظيمة تختل وتبطل الثاني
ان الانسان اذا رأى شيئا ثم غاب عنه ثم رآه مرة اخرى عرف ان هذا الذي رآه قبل ذلك وذلك





لانه لما رآه في المرة الاولى ثم غاب عنه بقيت صورته في الحفظ فلما رآه مرة ثانية صارت هذه
الصورة المحسوسة ثانيا منطبعة على تلك الصورة المحفوظة في الخيال فيحصل الشعور بان هذا
الذي رآه الآن هو الذي رآه قبل ذلك فلولا القوة الحافظة لما حصل هذا المعنى ولو لم يحصل
هذا المعنى لاختل نظام العالم فما كان يعرف الزوج زوجته والسيد عبده ولاحتاج كل احد
الى تعرف حال كل شخص في كل مرة يراه الثالث ان خاصية الانسان يتوسل بالفكر الى تصيير
المجهول معلوما والفكر عبارة عن تركيب الاشياء الحاضرة في الذهن ليتوصل بتركيبها الى تصيير
المجهول معلوما ولا معنى لحضور الاشياء في الاذهان الا حضور صورها واستنتاجها في القوة
الحافظة في دماغك جارية مجرى اللوح المحفوظ في عالم السموات وبقاء صور المحسوسات
والقوة الحافظة صح
في خيالك يشبه بقاء كتبة احوال المخلوقات في اللوح المحفوظ فثبت بما ذكرنا ان القوة الحافظة
من اعظم نعم الله على الانسان ثم فيه امر آخر عجيب لا يعرفه الا الله تعالى وذلك لان هذه الصورة
التي نتخيلها ونشاهدها حال ما نستحضرها اما ان يقال انها موجودة او يقال انها معدومة
باطل لانا نميز بين كل واحد منها وبين غيرها بل انا نشاهدها وننظر اليها في خيالنا فانا
اذا نظرنا الى قرص الشمس ثم غمضنا العين فانا نشاهد قرص الشمس حاضرا في خيالنا كانا ننظر
اليه فثبت انها موجودة ثم قال قوم ان محل هذه الصورة الخيالية مقدم دماغنا وقال آخرون
بل مقدم الدماغ آلة في هذا العمل ومحل هذه الصورة جوهر الروح والروح ليس بجسم ولا جسماني
وكل واحد من القولين عجيب جدا اما الاول فهو ان مقدم الدماغ جسم صغير جدا فكيف ارتسم
في ذلك الجسم الصغير صور السموات والارضين والشمس والقمر وصور البلدان والمالك والممالك
والانسان ربما يحفظ اشياء كثيرة فكيف اتسع ذلك الجسم الصغير لهذه الصور العظيمة وقد
يحفظ الكلمات التي سمعها من اول عمره مع كثرتها فكيف ارتسمت هذه الصورة الكثيرة في هذا
الجسم الصغير من غير ان يختلط شيء من هذه النقوش بعضها ببعض لا شك ان هذا من العجائب التي لا يعرفها
الا المدبر الخالق واما القول الثاني وهو ان محل هذه الصور جوهر الروح وهو ليس بجسم ولا جسماني

وهذا اعجب لان هذه الصور لها اطوال وعروض وامتداد في الجهات والاحياز وبالجملة فنحن نعلم
بالضرورة انا نحفظ صور هذه المحسوسات واذا اردنا ان نعلم انا كيف نحفظها عجزنا عن ذلك
فسبحان الخالق الحكيم ومن جملة نعم الله تعالى علينا في كيفية هذا الحفظ انه جعل الحافظ لصور هذه
المحسوسات الخمسة شيئا واحدا والفائدة فيه انا اذا سمعنا صوتا علمنا ان ذلك الشخص لان القوة
الحافظة فائدة البصر ويقوم كل واحد من الحواس الخمس مقام الاخر واما البطن الاوسط من الدماغ
فهو محل الفكر ومعنى الفكر وهو ان يركب القوة المفكرة شيئين من الاشياء الحاضرة عند القوة
الحافظة فيصير ذلك التركيب سببا لاحداث صورة جديدة عند العقل وجميع التركيبات التي
احدثها اهل الدنيا في بناء المساكن واستخراج الحرف والصناعات فهو من اعمال القوة المفكرة
فالقوة المفكرة يستخرج تلك الصور بهذا الطريق ثم ان القوة العملية تنقل تلك الصور من
الافكار الى الخارج ومن المعلوم انه لولا الفكر لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفع الافات
فما اعظم النعمة بخلق القوة المفكرة ومن اراد ان يعرف قدر هذه النعمة فلينظر الى البهايم و
المجانين واعلم ان القوة المفكرة كالقلم والقوة الحافظة كاللوح المحفوظ فان القوة المفكرة
اذا استنبطت صورة جديدة وارتسمت تلك الصورة في لوح الخيال فكان المنتقش هو المفكر وهو القابل
هو الخيال فكانت المفكرة قلما والحافظة لوحا واعلم انا وان كنا نعلم بالضرورة انا لا نتفكر
الا انا اذا اردنا ان نعلم ان هذا الفكر ما هو صعب ذلك علينا فان هذا الذي نطلبه هل نعلمه ام لا
فان علمناه فكيف نطلب العلم وان لم نعلمه فكيف يمكننا طلب شيء لم يخطر ببالنا واما البطن الاخير
من الدماغ فهو التذكر ومعنى التذكر انه من حضر في ذهنه امر من الامور ثم غاب عنه فانه يسترجعه
بعد غيبته وهذه الحالة حاصلة للانسان فانه ليس كل ما رآه الانسان وسمعه في مدة عمره
فانه يكون حاضرا في خياله بل اكثر هذه الصورة في اكثر الاحوال غير حاضرة في الذهن ولكنها وان
كانت غائبة الا ان الانسان متى اراد استحضارها قدر عليه فهذا الاستحضار هو التذكر ولا شك
ان خلق هذه القوة نعمة عظيمة من الله على الناس واعلم ان هاهنا ايضا حالة عجيبة تعجز العقول



البشرية عن معرفة كيفيتها وذلك لان هذه الصورة اذا كانت غير حاضرة فتذكرها عبارة
عن طلب رجوعها فهذا الطلب اما ان يكون طلبا لتلك الصورة بعينها او يكون طلبا لصورة ما مبهمة
اي صورة كانت فان كان الاول فهو محال لانها غير معلومة بعينها اذ لو كانت حاضرة فما كان الانسان
يحتاج الى طلبها واذا لم يكن معلومة بعينها امتنع طلبها بعينها والثاني ايضا محال لان المطلق
اذا كان صورتها هذه الصورة فلم حصلت هذه الصورة بعينها دون سائر الصور ولم اذا
حصلت هذه الصورة بعينها حكم العقل بان مطلوبي كان هو هذه الصورة فهذا اشكال عظيمة
وبالجملة فكل احد يجد من نفسه بالضرورة انه يحفظ الاشياء فيتفكر فيها ويستعيدها
بعد غيبتها ثم العقول متحيرة في معرفة حقيقة هذا الحفظ والفكر والذكر فسبحان ما اعظم
شانه وابهر برهانه في اصناف ملكه وملكوته فهذا هو الاشارة المختصرة الى خلقة الدماغ
ثم تأمل احوال العين فانها مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات وفي الحقيقة فهو مركبة من عشر
طبقات وثلث رطوبات فالطبقة السفلانية هي الطبقة الصلبية وفوقها الشبكية وفوقها
المشيمية وفي طبقة الشبكية الرطوبة الزجاجية وفوقها الجليدية وفوق الجليدية الطبقة
العنكبوتية وفوقها الرطوبة البيضية وفوقها الطبقة العنبية وفوق الطبقة العنبية الطبقة
القرنية وهذه الطبقة القرنية بعدها اهل الظاهر طبقة واحدة لكنها في الحقيقة اربع طبقات
ثم يحيط بهذا المجموع الطبقة الملتحمة فاذا عرفت ان طبقات العين ثلث عشرة طبقة على عدد
طبقات العالم الاكبر فان طبقات العالم الاكبر العرش وتحته الكرسي وتحته السموات السبع وتحتها
الطبقات الاربعة العناصر فمجموع طبقات العالم الاكبر ثلث عشرة ومجموع طبقات العين ثلث
عشرة ثم انه تعالى خص كل واحد من الطبقات والرطوبات بشكل مخصوص ولون مخصوص ومقدار
مخصوص وترتيب مخصوص لو لم يوجد على ذلك الوجه بل على وجه آخر لاختلت المصالح ثم تأمل
في احوال العين من وجوه احدها انه تعالى جعل موضع الابصار مقدار عدسة ثم اظهر في تلك
العدسة صورة السماء والعالم مع اتساع اطرافها وتباعد اكنافها والثاني ان البياض مناسب

للنور والسواد مناسب للظلمة فجعل البياض سببا للعمى والسواد معدنا للقوة الباصرة
ليعلم ان سبب حصول هذه النعمة هو فضل الله وكرمه لا الطبع والخاصية والثالث انه
تعالى جعل الحدقة مصونة بالاجفان لسترها ويحفظها ويصقلها وتدفع الاقذار عنها
والرابع انه تعالى جعل الاجفان سوادا ليكون سوادها سببا لاجتماع النور الذي يعين على
الابصار ويكون مانعا عن تفرق ذلك النور والخامس انه تعالى خلق لتحريك الحدقة اربعة
وعشرين عضلة لو نقصت واحدة من جملتها اختل العين والسادس ان العين يشبه
المرآة ومعلوم ان المرآة انما ينتفع بها اذا كانت في غاية الصقالة والصفاء فلما كانت العين لا
ينتفع بها الا حال كونها في غاية الصقالة والصفاء لا جرم خلق الخالق سبحانه وتعالى هذه الاجفان
متحركة الى الانطباق ابدا من غير اختيار الانسان حتى يبقى الحدقة نقية صافية عن جميع
الكدورات واما الذباب فلما لم يخلق لعينها الاجفان لا جرم الهمها حتى انها بيديها ينظف
عنها آثار الغبار والكدورات والسابع انه تعالى جعل العين هاديا لصاحبها الى ادراك الاشياء
وسببا لاطلاع غيره بواسطتها على ما في قلبه وذلك لان القلب في داخل البدن والعينان
كالزجاجتين الموضوعتين على جدار البيت فكيف ما كان الشمع في داخل البيت وقع ضوءه على
الزجاجتين فكذلك استدل باحوال العين على احوال القلب في الرضاء والغضب والرغبة
والنفرة فسبحان من جعل العين هاديا لصاحب العين الى معرفة العين والعين على معرفة احوال
قلب صاحب العين والثامن هو ان الطف اعضاء البدن هو العين ثم جميع الاعضاء يتأثر
من الحر والبرد فوق ما يتأثر منهما العينين وكان ينبغي ان يكون الامر بخلاف ذلك لان الالطف
اسرع تأثيرا لكنا نرى بان الرجل على صلابة جلدها متأثرة من الحر والبرد فوق ما يتأثر العين
منهما وما ذلك الا ليعلم الانسان ان حصول هذه المصالح ليس بالطبع والخاصية بل بحفظ الرحيم
العليم اما احوال الاذن فاعلم انه تعالى شق الاذنين واودع فيهما ماء مرا ليكون ذلك معينا على
ادراك السمع وليمنع الهوام عن الدخول فيه ثم ادعى فيه انواعا من المصالح الاول انه تعالى حوطها

بصدقة



بصدقة الاذن ليجمع الصوت فيردها الى الصماخ الثاني انه تعالى جعل في نقبة الاذن انحرافات
وانعواجات حتى يصير المسافة لهذا السبب طويلة فلو دخل تلك النقبة شيء من الهوام والحشرات
فحينئذ يكون حركاته بسبب طول المسافة فينتبه الانسان ويسعى في اخراجه عن الاذن والثالث انه تعالى
خلق العينين متقدمتين والاذنين مؤخرتين لان العينين يدخلان اللحسا والاعراض وهي
ادلة وجود الصانع والاذنان تسمعان الكلام والدلائل العقلية متقدم على الدلائل السمعية
فلا جرم قدم البصر على السمع والرابع خلق العينين مع الغطاء والاذنين بلا غطاء
لان متعلق العين اجسام واعراض باقية فلولا الغطاء لحصلت الملالة واما مدرك الاذن
فهو الاصوات وهي غير متناهية فلو كان الغطاء فربما زال الصوت قبل ارتفاع الغطاء فلا
يحصل الانتفاع بالسمع روي ان كعب الاحبار قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت الانسان
عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب
الملك طاب جنوده وقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الانف فانه سبحانه
رفعه من وسط الوجه وحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما خاصية الشم وفيه منافع الاول
انه يستدل باستنشاق الروائح على الاغذية والمطاعم المستورة الثاني يستنشق بمنفذ المنخر
الهواء البارد الطيب فيستغني بالمنخرين عن فتح الفم ابدا الثالث انه جعل تجويفه واسعا حتى يجتمع
فيه الهواء اكثر فينكسر برده قبل النفوذ الى الدماغ فان الهواء المستنشق وان كان ينفذ
اكثره الى الرئة فان شطرا صالح المقدار ينفذ ايضا الى الدماغ ولذلك فان المزكوم تضره
استنشاق الهواء البارد والرابع انه بتجويفه الواسع يجذب الى نفسه هواء اكثر حتى يصل اما
آلة الشم فيكون ادراك الشم اسهل ولذلك فان من يبالغ في الشم جذب الهواء بخيشومه اكثر
والخامس انه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل اخراجها ولذلك فان من قبض على انفه عسر عليه التكلم
باكثر الحروف والسادس ان يكون الفضول المندفعة من الراس ستره ووقاية عن الابصار واعلم ان
منفعة النفس عظيمة فانه لو انقطع عن الانسان لحظة واحدة لمات ثم تامل ان الهواء المستنشق يدخل وله

المنخرين فينكسر برده هناك ثم يصل الى الحلقوم فيعتدل مزاجه هناك ثم يصل الى الرية و
يستصفى فيها ثم يصل الى القلب وتروح عن الحرارة الغريزية وينفذ من القلب الى العروق المتحركة
ويبلغ الى اقاصي اطراف البدن ثم اذا يسخن جدا وخرج عن حد الانتفاع عاد من تلك الاقاصي الى
القلب ثم الى الرية ثم الى الحلقوم ثم الى المنخرين ثم يخرج ويعود مثله فمجموع هذه الافعال هو المسمى
بالنفس الواحد ويقال ان الانسان يتنفس في كل يوم اربعة وعشرين الف نفس فاعرف مقدار النفس
الواحد في المنفعة فانه لو انقطع لحصل الموت ثم انظر الى كثرة الانفاس لتعرف عظم نعمه تعالى جليلها كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما الفم فانه تعالى جعله آلة لتحصل مصالح الروح وليحصل مصالح
البدن اما مصالح الروح فلانه اودع فيه اللسان الناطق المعرف عما في القلب واعلم انه سبحانه خلق القلب
امير البدن ومعدن الحرارة الغريزية فاحتاج القلب في تعديل تلك الحرارة القوية بالنسيم البارد
المعتدل فاذا استدخل الهواء البارد وصل في القلب واعتدلت حرارة القلب به ويبقى ذلك الهواء
هناك ساعة فتسخن واحترق فاحتاج القلب الى اخراجه وذلك هو اخراج النفس فجعل المدبر
الحكيم اخراج ذلك النفس سببا لحدوث الصوت ثم جعل في الحنجرة وفي اللسان وفي الحلق والاسنان وفي
الشفتين مقاطع ومخارج لحروف مختلفة فحصلت الحروف بهذا الطريق ثم جعل تلك الحروف عند
تأليفها وتركيبها مؤدية للمعاني فانظر الى كمال الحكمة فان المقصود الاصلي من النفس ايضا هو ايصال النسيم
البارد الى القلب فلما اخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة الفاسدة ثم انه تعالى صرف هذا المعنى
الى رعاية مصلحة اخرى وهي انه جعلها مادة للحروف والاصوات والكلام ثم انه تعالى خلق الحناجر مختلفة
الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة حتى اختلفت الاصوات لاجل اختلاف هذه الاحوال
فكما لا يتشابه صورتان البتة فكذلك لا يتشابه صوتان البتة وكما لا يحصل الامتياز من الاشخاص
بالقوة الباصرة فكذلك لا يحصل الامتياز بينهم بسبب القوة السامعة فيحصل في الظلمة هذا التميز
ويحصل الاعمى هذا التميز واما ما يتعلق بتحصيل مصالح البدن فهو ان اعظم الاشياء المحتاج اليها
في مصلحة البدن هو الاكل وهو تعالى اعد في الفم اسبابا للاكل وذلك من وجوه الاول انه تعالى خلق

في الفم



في الفم الاسنان ولها منافع الاول ما ذكرنا انه يكون مقاطع الاصوات فتحدث الحروف المختلفة بسببها
والثاني انها تكون آلة للقطع والكسر والطحن ثم انظر الى الحكمة وذلك لان الانسان في اول ما يتناول
اللقمة يحتاج الى القطع فجعل الاسنان المقدمة حادة عريضة الرأس جارية مجرى السكين وجعل
الانياب مستديرة حادة الرؤس للكسر وجعل الاضراس مسطحة الرؤس خشنة الرؤس كالرحى لاجل
الطحن ولو قدرنا كون الاضراس مقدمة وكون الرباعيات مؤخرة لبطلت المصالح والمنافع بالكلية
والثالث لتكون زينة للوجه وذلك انه تعالى زين الفم بالاسنان فبيض الوانها ورتب صفوفها
وجعلها متناسبة متناسقة كانها الدر المنظوم ثم انه تعالى خلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما
لتنطبقا على الفم وتسدا منفذها ولتتم بهما مخارج الحروف ومن لطيف الحكمة انه تعالى جعل الاذن
بلا حجاب ولا باب وخلق وراء اللسان بابين احدهما الاسنان والثاني الشفتان وفيه تنبيه على انه يجب
ان يكون استماع الكلام اكثر من الاشتغال فان استماع الكلام يجري مجرى الدواء والاشتغال بالكلام
كالداء النوع الثاني ما حصل في الفم من اسباب الاكل وذلك انه تعالى جعل معدنا للرطوبة العذبة
اللعابية بالاسنان اذا وضع الطعام في الفم طحنه باسنانه امتزج ذلك المطحون باللعاب الذي في الفم
فوصلت آثار تلك الطعوم اللذيذة بواسطة ذلك اللعاب الى اللسان فيصير ذلك الطعام سببا للذة
في الحال كما انه يصير سببا للحفظ بالثم ههنا انواع من العجائب الاول ان كل من اراد ادارة الرحى بسبب
انصباب الماء اليه وضع الرحى في موضع يكون اسفل من مجرى الماء حتى انصب الماء من الاعلى الى الاسفل
فحينئذ يقوى على ادارة الرحى والله تعالى ادار رحى الفم بالماء الذي يصعد اليه من اسفل المعدة ليعلم
الخلق ان ذلك بسبب الحكمة والقدرة لا بسبب الطبع والخاصية والثاني ان الانسان قبل ان يضع الطعام
في الفم لا يجتمع في فمه من تلك الرطوبات شيء كثير ولو اجتمع كان في عناء بسبب اجتماعها وكما وضع الطعام
في الفم اجتمعت من تلك الرطوبات بقدر ما يبتل ذلك الطعام ولو لم يجتمع تلك الرطوبات في الفم في
هذا الوقت لتعذر على الانسان مضغ ذلك الطعام ولعسر عليه ابتلاعه فانظر الى كمال الحكمة
في الوقتين والثالث ان الانسان لما احتاج الى طحن الطعام ومضغه بالاضراس فقد تنقلت

اجزاء الطعام مما بين الاضراس فجعل اللسان متحركا فى ذلك الوقت حتى ان اللسان يحركاته
المختلفة يرمى الطعام الى ما بين الاضراس حتى ينطحن على سبيل الكمال والتمام فسبحان له الحكمة
والدلائل الباهرة فهذا اشارة مختصرة الى احوال الناس وشرح احوال هذه الحواس ثم
ههنا انواع اخر من الحكمة فى الرأس الاول تأمل وضع الحواس وقوة الحفظ والذكر والفكر فى
الرأس وذلك انها جعل الرأس كالمصابيح فوق المنارة لتتمكن الانسان بسبب ارتفاع هذه
الحواس من ادراك الاشياء البعيدة فما احسن قول الحكماء الرأس صومعة الحواس والثانى
كان بعضهم يقول عند امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما اعجب امر الشطرنج فان تلك
الرقعة على غاية صغرها تشتمل على انواع لا نهاية لها من اللعب فقال عمر بن الخطاب بل ههنا ما هو
اعجب منه واغرب وذلك لان رقعة الوجه اصغر بكثير من رقعة الشطرنج ثم ان كل عضو من اعضاء
الوجه لا يتغير عن مكانه فالعينان ابدا يكونان فى ذلك الموضع المعين وكذا الانف والفم ثم مع ذلك
فانه يحصل فيه من التفاوت ما لا يتعد حتى انك لا ترى شخصين فى الشرق والغرب متشابهان
من كل الوجوه فسبحان ما اعظم شانه واعلم ان التفاوت فى الصورة ظاهر قوى فى بنى الادميين
وبعد فالتفاوت حاصل بين صور الحيوانات الاهلية الا ان التفاوت فى الادميين اكثر واما
الحيوانات البرية فالتفاوت فيما بين صورها قليل جدا والسبب فيه انا ذكرنا انه لولا اختلاف
الناس فى الصور لما تميز الزوج عن الاجنبى والسيد عن غير سيد وما لك الدار والمتاع عن غيره
فكان ذلك يقتضى الى المفاسد العظيمة فلهذا المعنى اقتضت الحكمة الالهية اظهار التفاوت
فى صور الادميين واما الحيوانات الاهلية فقد يتعلق بعض الاغراض باعيانها من بعض الوجوه
الا ان اشتداد الحاجة الى معرفتها باعيانها واشخاصها ليس كالحاجة الى الناس كاشخاصها
واعيانها فلا جرم اظهر الله المخالفة بينها فى الصورة الا ان تلك المخالفة اقل من المخالفة الحاصلة
بين اشخاص الناس واما الحيوانات البرية فلا يتعلق مصلحة البتة بمعرفة اعيانها واشخاصها
فلا جرم لم يظهر المخالفة بين صورها واشكالها الا فى القليل فسبحان له فى كل شىء حكمة مرعية

واسرار

واسرار مخفية والثالث قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان واذا تعجبت من
هذه الحالة فانظر الى وجهك على صغرها فانه سبحانه وضع فيها اربعة من البحار المختلفة الطبايع
والصفات فجعل مجرى الاذن مملوا من الماء المر وبحر العين مملوا من الماء المالح وبحر الفم مملوا من الماء
العذب وبحر الانف مملوا من الماء العفن المتغير وجعل بين كل واحدة من هذه البحار حاجزا
ومانعا وابقى كل واحدة منها على صفته وخاصية لحكمة بالغة اما مرارة الاذن فلكيلا يدخلها
شىء من الحشرات واما ملوحة ماء العين فلكيلا يتطرق العفونة الى ذلك الشحم واما عذوبة
ماء الفم فلاجل ان يجد المطعوم على غاية اللذاذة واما عفونة ماء الانف فلاجل انه
جعله مصبا لفضلات الدماغ فسبحانه ما اعظم شانه والرابع قال البارى كل ما خلق الله تعالى
فى العالم الاكبر خلق نظيره فى العالم الاصغر ولهذا قال وفى انفسكم افلا تبصرون يعنى ان عجزت
عن مطالعة العالم الاكبر فانظر فى العالم الاصغر وذلك لانى خلقت فى العالم الاكبر شمسا وقمرا
ونجوما فجعلت فى العالم الاصغر مثلها فشمس العالم الاصغر هو الروح لان الروح يضىء
جسده كما ان الشمس يضىء العالم واذا خرج الروح عن جسدك صار جسدك مظلما كما ان الشمس
اذا غربت صار العالم مظلما والعقل كالقمر يستمد النور من الشمس فكذلك العقل يزيد قوته
تارة وتنقص اخرى واما النجوم الخمسة السيارة الباقية فنظيرها فى البدن الحواس الخمسة ونظير
الجبال عظامه ونظير البحار العروق الكبار فى البدن ونظير الاودية والانهار العروق الصغار
المتشعبة بين تلك العروق الكبار كما انه يحصل فى البحار الحيتان مضطربة فكذلك ترى فى بحر فمك
لسانك مضطربة بذكر الحكمة وفى بحر مقلتك ترى حدقتك مضطربة بمطالعة العبرة كما انك
ترى بعض اجزاء الارض فيه نباتا وبعضها ليس كذلك فهكذا ترى فى بعض اجزاء بدنك شعورا
وفى بعضها ليس كذلك وبالجملة فاختصاص كل عضو بصفة خاصة وخلقة خاصة لا بد وان يكون
بقدرة العزيز العليم والخامس انه تعالى جمع اكثر المحاسن فى الوجه فجعل اربعة اشياء من اعضاء
الوجه ملونا بلون السواد جعل موضع النور من الحدقة ملونا بلون السواد وجعل الاهداب سوداء

والحاجبين اسودين والشعر اسود وجعل منه اربعة منهم ابيض جعل المقلة من الحدقة ملونة
بلون البياض وجعل الاسنان بيضاء وجعل الجبهة كالسطح المتخذ من الفضة النقية وجعل الذقن
كالكرة المتخذة من الفضة ثم جعل الخدين على لون حمرة الورد على لون حمرة الورد والشفتين
على لون حمرة الياقوت ثم جعل الوجه دائرة تامة على شكل القمر والجبهة نصف دائرة وجعل الحاجبين
خطين مقوسين والامتداد في الانف كالخط المستقيم وتامل في ورقة الوجه وانظر الى هذه الا
وضاع المختلفة وتامل في تركيب الحدقة من السواد والبياض فيهما لونان في غاية المضادة و
المنافرة فجعل النور في وسط الحدقة ثم جعل السواد محيطا بالنور ثم جعل البياض محيطا
بالسواد ثم جعل الاهداب اسود مرة اخرى محيطة بذلك البياض ثم جعل بياض الاجفان مرة
اخرى محيطة بذلك السواد ثم جعل سواد الحاجبين مرة اخرى محيطا بذلك البياض ثم جعل بياض
الجبهة مرة اخرى محيطا بذلك السواد ثم جعل سواد الشعر مرة اخرى محيطا بذلك البياض فتامل في
هذه الاوضاع العجيبة والتركيبات البديعة ليشهد عقلك وحسك ولبك وقلبك وفكرك وذكرك
وجميع ذرات اجزائك وابعاضك على جلال قدرة الخالق وكمال حكمته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا والسادس قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فجعل حسن الصورة
الظاهرة دليلا على حسن السيرة الباطنة في الاعم الاكثر ومنهم من ذكر فيه وجوها الاول كانه عليه
السلام قال من حسن الله خلقه وجب عليه ان يجعل شكر هذه النعمة حسن الفعل والثاني انه اراد
بحسن الوجه الدين وذلك لان العبد انما يتوجه الى الله بدينه والدين عند الله الاسلام فاذا رفع
المحتاج حاجته الى من حسن دينه لم يرض من دينه ان يرده من مقتضى الحاجة الا اذا كان عاجزا عن قضائها
والثالث انه اراد الحسان الوجوه المتهجدين بالليل بدليل قوله عليه السلام من كثرت صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار والسابع روي انه عليه السلام يقول في سجدته سجد وجهي للذي خلقه وشق
سمعه وبصره بحوله وقدرته وايضا قد يعبر بالوجه عن الذات قال تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وقال كل شيء هالك الا وجهه وقال عليه السلام وجه دينكم الصلاة ويقال للعرب يا وجه العرب

ويقال



ويقال للطريق المفضي لحصول المطلوب هذا وجه هذا الامر وقال الخليل عليه السلام وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وكل هذه الاستعمالات تدل على انهم يجعلون الوجه اسما لكل
ذلك الشيء تارة ولما هو اشرف اجزائه اخرى وهذا يدل على ان اشرف اجزاء بدن الانسان انما
هو الوجه والامر في الحقيقة كذلك لان العين المبصرة للاعتبار فيه والاذن السامعة للاوامر
فيه واللسان الناطق بذكر الجبار فيه فلهذا قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه سبحان من بصر
بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولا شك ان مصالح هذا العالم انما يتم بهذه الحواس واما مصالح
العالم الروحاني والعتبات القدسية فلا يتم الا بالفكر والذكر وهما لا يتمان الا بالدماغ فاللوح
والقلم هناك والانوار والظلم هناك فلهذا السبب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
ياكل الثوم لانه كان مضرا للدماغ وكان يحب الطيب لانه يقوي الدماغ وكل مناصبه العالية
ودرجاته الشريفة كان منشؤها على مصالح الدماغ ولنكتف بهذا القدر من اثار حكمة الله تعالى في خلق
الرأس والحواس والله اعلم واما ما يتعلق بالقلب فانه نفرد له فصلا **النوع الثاني** في شرح
اثار حكمة الله في خلق الانسان وفيه وجوه الاول انه يقول تفكر في خلق الجنين في الرحم فانه لا حيلة
له في طلب الغذاء فصرف الله تعالى من دم امه ما يكفيه ثم لا يزال ذلك غذاء له الى ان يستحكم بدنه و
ويقوى جلده على مباشرة الهواء وحينئذ هيج الطلق بالام فينفصل الولد عن الام فبعد ذلك
يصرف الله ذلك الدم الى ثدي الام ويحصل له ضرب اخر من الغذاء اوفق له مما كان وهو اللبن
الخالص ثم ههنا لطيفتان فاللطيفة الاولى انه سبحانه وتعالى لما اغذاك حين كنت في بطن امك
بالدم لاجرم ما اوصل اليك هذا الغذاء من طريق الفم بل من طريق السرة والحكمة فيه ان الفم الذي
موضع الذكر والتسبيح والتهليل والدم نجس ولا يليق بالحكمة تلطيخ الفم الذي هو موضع ذكر الله
بالدم النجس والاشارة فيه ان الفم الذي لم يصر بعد محل الذكر بل ليس الا مجرد صلاحية ان يصير محل
الذكر فانه تعالى نزهه عن التلطيخ بالدم فالان وقد صار هذا الفم محل التسبيح والتهليل بل منذ
خمسين سنة فلا يجوز ان تلطخه باكل الميتة وهي الغيبة والنميمة واكل الحرام **اللطيفة الثانية**

وفرغ خاطرك عن طلب الرزق وتيقن ان الله تعالى اذا سد عليك طريقا فتح طريقا آخر اجود من الاول
انظر الى الجنين فانه كان يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحد وهو السرة فلما خرج من بطن
الام وانقطع ذلك الطريق انفتح طريقان آخران وهما الثديان وخرج منهما غذاء طاهر لطيف
وهو اللبن الذي يخرج من بين فرث ودم ليعلم انه مهما انسد طريق واحد فتح الله طريقين احسن
وانفع من الاول ثم اذا تم الحولان وتمت مدة الرضاع انقطع هذان الطريقان ولكن انفتح طريق
اربعة طعامان وشرابان اما الطعامان فالنبات والحيوان واما الشرابان فالماء واللبن ثم اذا مات
الانسان انقطعت هذه الطرق الاربعة ولكنه تعالى بفضله ورحمته يفتح عليك الابواب الثمانية
من الجنة لتدخل الجنة من ايها شئت بفضله ورحمته **الوجه الثاني** في بيان الحكمة انه تعالى خلقك
في احسن تقويم وذلك لانه خلق المخلوقات في عالم الاجسام على اربعة اصناف قائم كالاشجار وراكع
كالبهائم وساجد كالحيات والحيتان وجالس كالجبال ثم انه تعالى خلق الادمي بحيث يكون تارة قائما وتارة
راكعا وتارة ساجدا وتارة قاعدا ثم انه يذكر الله تعالى على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا الآية ثم انه ينضم الى هذا الفكر فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض فما
اعظم هذه الحالة واجل هذه الدرجة وقد نذكر هذه الحكمة على وجه آخر فنقول النبات رؤسها في
عمق الارض وارجلها صاعدة في السماء فهي منكسة كانها وضعت قمة رأسها على الارض واما
الانسان فانه بالعكس من ذلك فرجلاه على الارض ورأسه في السماء والحيوانات متوسطة في هاتين
الحالتين لا منكوس كالنبات ولا منتصبة كالانسان والسبب فيه عند اهل الطبائع ان النبات جسماني
محض فلا جرم كان رؤسها نحو الارض والانسان روحاني محض بالنسبة الى سكان الارض فلا جرم كانت
رؤسها الى عالم الروحانيات هو عالم السموات ومساكن الملائكة واما الحيوانات فهي متوسطة في هاتين
الحالتين الجسمانية والروحانية فلا جرم كانت متوسطة بين الانتصاب والتنكس واعلم ان هذا الكلام
يوهم ان السبب لهذه الاحوال انما هو الطبع والخاصية الا انه تعالى ابطل هذا الوهم وازال هذا الخيال
فقال يا ايها الناس ما دامت رأسك منتصبة كنت في مقام التكبر وفي متابعة ابليس حيث قال ابى واستكبر

وكان



وكان من الكافرين فاذا وضعت رأسك على الارض فهناك يقرب من الحضرة الصمدية كما قال
واسجد واقترب لتعرف ان هذا ليس بالطبع بل بفضل الله ورحمته **الوجه الثالث** اعلم ان
بدنك يشبه الدار الكاملة التي بنيت وكملت بيوتها وخزانتها وفتحت ابوابها واعد فيها كل
ما يحتاج اليها صاحب المنزل فالرأس كالغرفة في اعلى الدار والثقب التي في الرأس كالروازن
في غرفة الدار ووسط دماغك كالابواب والفم كباب الدار والانف كالطاق التي فوق باب
الدار والشفتان كمصراعي الباب والاسنان كالبوابين واللسان كالحاجب والظهر كالجدار القوي
الذي هو حصن الدار والصدر كوجه الدار والرية التي هي الجاذبة للنفس البارد كالبيت
الصيفي وجريان النفس فيها كالهواء التي تجري في البيت الصيفي والقلب مع حرارة الغريزية
كالبيت الشتوي والمعدة ونضج الغذاء فيها كالمطبخ والكبد حصول الدم فيها كبيت الشراب
والعروق التي تجري فيها الدم كمسالك الدار والطحال بما فيه من السوداء كالخوابي التي بقيت
فيها الدرديات والمرارة بما فيها من الصفراء كبيت السلاح والامعاء بما فيها من ثقل الطعام
كبيت الخلاء والمثانة بما فيها من البول كبيت البئر والسبيلان في اسفل البدن كالمواضع التي
يخرج منها القاذورات من الدار والرجلان كالمركوب المطبع والعظام ومبنى الجسد عليها كالخشب
التي عليها بناء الدار واللحم في خلال العظام كالطين والعصب التي يربط بعض العظام ببعض كالرسن
الذي يربط بعض الاشياء من بعض والتجويفات في جوف العظام كالصناديق في الدار والمخ فيها
كالجواهر والامتعة المخزونة في الصناديق فسبحان من هيأ في بيت بدنك لمسافر روحك هذه
المصالح العجيبة والاسرار الغريبة فهذا ما يتعلق ببيوت هذه الدار ثم ان الروح في هذه الدار
كالملك والتصرف فيبصر بالعينين ويسمع بالاذنين ويشم بالمنخرين ويذوق باللسان و
ينطق بالفم ويمس باليدين ويعمل الصنائع بالاصابع ويمشي بالرجلين ويبرك على الركبتين
ويقعد على الاليتين وينام على الجنبين ويستند بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين ويتخيل بمقدم
الدماغ ويتفكر بوسط الدماغ ويتذكر بمؤخر الدماغ ويصوت بالحنجرة ويستنشق الهواء بالخيشوم

ويمضع بالاسنان ويبلع بالمرى والمقوم كل هذه الاحوال انه يكون في حضرة الربوبية مشتغلا
بالعبودية كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انه تعالى فوض تدبير هذه المملكة
الى ثلثة من الرؤساء احدها الشهوة ومسكنها في الكبد وجريانها مع الدم في العروق النابتة
ولهذا المعنى قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم وذلك لان القوة الشهوانية
لا تسري الا من الكبد مع الدم في العروق الساكنة وثانيها القوة الغضبية ومسكنها القلب
وهي تجري في العروق المتحركة الى جميع اطراف البدن وثالثها القوة النفسانية المدبرة ومسكنها
الدماغ وهي تجري في الاعصاب الى جميع اطراف البدن ثم هؤلاء الرؤساء الثلثة ليسوا اشياء
متباينة مستقلة بانفسها بل هي كالفروع المتفرعة من اصل واحد كالاغصان الثابتة من شجرة
واحدة كالمنبع الذي يشق منه ثلثة انهار وكالاب الذي يتولد منه اولاد كثيرة وكرجل
يعمل اعمالا ثلثة فيسمى بثلثة اسماء الحداد والصائغ والبناء مثلا فهؤلاء الثلثة كملوك
الاطراف الذين ولاهم الملك الاعظم فالشهوة تشبه افعالها افعال النساء والصبيان في
الحمق من الناس اذا لم يؤدبهم اباؤهم وازواجهم والغضب يشبه افعاله افعال العيارين والقتالين
اذا لم يؤدبهم الملوك والقوة المدبرة تشبه افعالها افعال الحكماء والعقلاء والفقهاء و
اهل الخير والصلاح **الوجه الرابع** كانه تعالى يقول عبدي اريد ان اخرجك الى الدنيا واعرضك على
الدنيا وعلى اهل الدنيا فلما اردت ذلك زينتك كما تزين الام المشفقة لولدها حين
تريد عرضه على الناس فجعلت جبهتك كالسطح المتخذ من الفضة النقية ليكون محل السجود
واظهرت في رقعة وجهك انواع النقوش العجيبة واعطيتك الحاجب المقوس والعينين الملونة
والعنق المدور والخد المورد وجعلت وجهك كالقمر ثم جعلت العينين للاهتداء والاذنين
للاصغاء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للاتمام وكل العروق ليكون كالانهار وفي المنافذ
لدفع الفضول واليدين للاعمال والرجلين للمشي وانما فعلت بك كل هذه الاعمال لتكون عند
خروجك الى الدنيا مبرأ عن النقصان واذا ابراتك عن النقصان عند ما اخرجتك الى الدنيا مع انها سجن

ودار محنة



ودار محنة وموضع ممر لا مسكن مقر فاعرف انه كيف يكون عنايتي بك وتحسين احوالك
اذا اخرجتك من القبر الى محفل القيمة **الوجه الخامس** انه تعالى خلق اليدين آلة للطلب والرجلين
آلة للهرب ثم انه تعالى خلق اليد مركبة من اربعة مفاصل محسوسة العضد والساعد والكف والا
صابع فان اراد الانسان جعل هذه العظام الاربعة بمنزلة العظم الواحد يقدر عليه فيمد اليد
ويجعلها كالرمح وان اراد ان يأخذ جسما مستديرا تحت ابطه جعل اليد كالدائرة المحيطة بذلك
الشي لاجل ان حصل في اليد هذه المفاصل ثم انه تعالى جعل الاصابع خمسا وقسم كل اصبع
بثلث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب آخر وبهذا الترتيب صلحت الاعمال الكثيرة
فان بسطها كان كالطبق يضع عليها ما يريد وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام
كانت مغرفة له وان ضم احد الكفين الى الآخر صار المجموع كالقدح الكبير ثم خلق الاظفار
على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى يمكنه ان يلتقط بها صابعه الاشياء الدقيقة
وليمكنه ايضا ان يحك بها بدنه عند الحاجة ثم تأمل في المقام فان الظفر الذي هو اخس الاشياء
لو لم يحصل للانسان لصار عاجز الخلق عند الحاجة الى الحك فان احدا لا يقوم مقامه في حك
بدنه ثم من عجايب هذا الباب انه اذا احتاج الى حك موضع معين من بدنه فانه لا يخطى فيه البتة ولو
في الوقت والنوم والغفلة ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل و
لنذكر منافع اليدين من وجه آخر فنقول من المعلوم ان مصالح الانسان تنقسم الى قسمين
الى جسمانية والى روحانية اما المصالح الروحانية فلليد فيها اعظم انواع المعونة وذلك لان
عقل الانسان الواحد لا يستقل باستنباط جميع العلوم المحتاج اليها بل لا بد من استعانة بعض
العقول بالبعض وذلك لا يتم الا بان يكتب المتقدم ما حصله من العلوم حتى يصل ذلك المكتوب الى المتاخر
فيكمله وينتفع به ومعلوم ان الكتبة لا يصل الا باليد واما المصالح الجسمانية فهي قسمان جلب المنافع ودفع المضار
اما جلب النفع فلليد فيه اعظم انواع المعونة وذلك لان الانسان يتخذ بيديه الآت يصيد بها ما في البر والبحر و
الهواء من الحيوانات ويعمل السفن فيقطع بها البحار والمسافات البعيدة ويتخذ الآت يخرج منها اصوات لذيذة نافعة للبدن والروح ويبني المساكن الحسنة وينسج

الثياب الحسنة ويتخذ الاطعمة الطيبة اللذيذه ومعلوم ان كل هذه الاعمال لا تتهيأ الا باليدين
فتارة ينسج الثياب المنقوشة بعجايب النقوش وصنوف الالوان والاصباغ فيصير لونه احسن
من لون الطاوس وتارة يعمل لنفسه من الذوايب ما يتشبه بذوايب الاعراف وتارة يتخذ لنفسه
من اصناف الحلى ما يصير احسن من ذوات الاطراف واما دفع الضرر فهو على قسمين تارة بالمجاهدة
واخرى بالتحرز اما المجاهدة فانما يكون بالسلاح فهو يمسك بيده ما هو اعظم وابلغ من القرون
كالرمح وما هو اقطع من الانياب كالسيف ومنها ما هو ابلغ في النخس من المخالب كالخنجر وما
هو اشد رضا من الحافر كالتوت والاحجار فاذا تاملت علمت ان اليد مع الرمح قرن ومع السيف
ناب ومع الابرة حمة ومع الخنجر مخلب واما التحرز فاما ان يكون بالهرب وبالتحصين واما
الهرب فانه يذلل الفرس بيديه فيعلوه حتى يصير سرعة ركض الفرس له فيدرك عبرا ذا طلب
ويعجز طالبا اذا هرب واما التحصين فانه يعمل بيديه ما هو افضل مما جعلت للحيوانات من الجلود
الغليظة والاظلاف والاصداف وذلك مثل القوس والدروع وانواع السلاح ويتخذ بيديه
القلاع والحصون احسن مما لسائر الحيوانات فكل هذه الاعمال انما يتاتى باليدين ثم انهما تخدمان
كل البدن خدمة عظيمة فتبعدان انواع الافات والقاذورات عن كل البدن وتجران جميع المنافع اليها
ولو غاص العقول ادوارا واعصارا في معرفة اثاره وحكمة الله في خلق اليدين لاعترف بعد
التوغل التام بالعجز والقصور واعلم ان الاستقصاء في بيان اثار حكمة الله في خلق الانسان مما
لا يمكن شرحه في هذا الكتاب ونعم ما قال الشيخ ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء فقال والعجب
كل العجب ممن يرى صورة انسان على حائط فيستحسنه ويصرف جميع همته الى النقاش وانه كيف
نقشه وكيف قدر عليه مع انه يعلم ان ذلك النقش انما تم وكمل بالصبغ والقلم والحائط واليد
والقدرة والعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه بل كل ذلك من خلق الله
وانما غاية فعل هذا النقاش الجمع بين الصبغ وبين الحائط على ترتيب مخصوص فاذا كان هذا القدر
من العمل سببا للاعتراف بذلك النقاش بالعلم والحكمة فبان يستدل بظهور تركيب الانسان

وتخليقه



وتخليقه على جلال علم الخالق ونهاية قدرته وحكمته كان اولى الوجه السادس انظر الى كمال
قدرته وتمام حكمته وذلك لان الجنين حين ما يكون في الرحم يكون بعض اعضائه مضموما الى
البعض ويكون مجموعه كالكرة الموضوعة في كيس الرحم وذلك لانه يكون قد ضم فخذيه الى
صدره ووضع راحتيه على ركبتيه ووضع رأسه على ركبتيه فيكون عيناه على ظهري كفيه
ويكون انفه بين الركبتين ويكون جالسا على رجليه ومعتمدا على عقبيه كالشخص المتفكر المغموم
المهموم المنتظر لورود الامر عليه ويكون وجهه الى ظهر امه حماية للقلب وهذه الجلسة ايضا
اوفق للانقلاب ثم اذا صار الجنين كبيرا وضاق عليه الموضع فانه تعالى يلهمه الى كيفية الخروج
فينكس ويتعين على الانقلاب ثقل الاعالي في الجنين ثم في ذلك الوقت تنفتح الرحم بالانفتاح
الذي لا يمكن ان يتخيل في مثله ولا بد من انفصاله يعرض للمفاصل العظيمة ومدد وعناية
من الله في ذلك الوقت يعجز عن كيفيتها العقول البشرية ثم ههنا الاحوال العجيبة الاول
ان الجنين كان في البطن اتيه الحق تعالى بالالهام حتى اعرف انه مصلحته عند الخروج فان
ينقلب وينكس ثم بعد الانفصال من البطن والخروج الى الدنيا لا يهتدي الى شيء البتة من
مصالحه وذلك لانه عند كونه في البطن ليس هناك شيء يعينه على مصالحه فلما كمل عجزه
هناك هداه الى رعاية مصالحه ولما خرج الى الدنيا فههنا من يعينه على رعاية مصالحه
فلاجرم انقطعت تلك الهداية وهذا يدل على ان الانسان كلما كان اشد عجزا للخلق في موقف
القيمة اشد واكمل فمن جوامع فضل الله ان يكون عنايته بهم في ذلك الوقت اتم والثاني
ان البيضة اذا انفلقت عن الدجاجة خرج الفرخ عنها وعدت والتقطت من الحب ما ينفعها
واحترزت عما يؤذيها وفرقت بين امها المشفقة بها وبين الهرة الطالبة لايذائها اما الانسان
فانه حال انفصاله من الام لا يميز بين النافع والضار والصديق والعدو فكان في هذا
الوقت اكثر جهالة من الفرخ عند خروجه من قشر البيضة ثم ان الامر لو كان مستمرا على قانون
الطبيعة والخاصية وجب ان يكون الفرخ لما كان اذكى واكثر تمييزا في مبدأ الامر ان يكون اكثر

في الاطفال افضل لان عناية الله بهم اتم
صح

يميز امر الانسان عند المنتهى والكمال لكنه تعالى قلب هذه القضية فجعل من كان كثير التميز في اول الامر قليلا عند الكمال والغاية وجعل الانسان الذي هو اقل الحيوانات تميزا في اول الامر اكثرها معرفة وعقلا ومن كان قليل التميز في اول الامر اكثرها معرفة وهداية وعقلا ليعرف ان كل ذلك بحسب القدرة والحكمة والعناية لا بحسب الطبع والعلة الخاصية والثالث ان الصبي بعد الخروج من بطن الام لما احتاج الى الغذاء فانظر كيف هداه الله الى التقام الثدي ولما كان بدنه ضعيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة فانظر كيف دبر في خلق اللبن اللطيف ثم خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت على راس حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم جعل في تلك الحلمة ثقبة ضيقة جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص والا على سبيل التدريج فان الطفل لا يليق من اللبن الا القليل ثم انظر انه تعالى كيف هداه الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع على سبيل الوفق ثم انه تعالى اخر خلق الانسان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني من السن واذا صار كبيرا ولم يوافقه واحتاج الى الطعام الغليظ فيحتاج حينئذ الى المضغ والطحن فلاجرم انبت له الاسنان عند حدوث الحاجة لا قبلها ولا بعدها **الفصل الخامس** في شرح احوال الانسان من وقت ولادته الى وقت موته في عجايب القلب ذكر اكثر العقلاء ان اشرف اعضاء البدن هو القلب وهو الرئيس المطلق لسائر الاعضاء وهو المخاطبة في الحقيقة وهو موضع التميز والاختيار واما سائر الاعضاء فمسخرة له والدليل عليه القران والاخبار والعقول اما الاول قال في سورة البقرة قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك وقال في سورة الشعراء نزل به الروح الامين على قلبك فدلت هاتان الايتان بصريحها على ان التنزيل والوحي كان على القلب فوجب ان المخاطب والمكلف هو القلب **الحجة الثانية** قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والاية دالة بصريحها على ان الذكرى والفهم انما يحصل بالقلب وتاويل القاء السمع الجد في الاستماع حتى يصير سمعه كالشيء الذي القى الى الكلام بلا اضطراب فيه ومن الناس من قال ان او في

هذه



هذه الاية بمعنى الواو وذلك لان الذكرى لا بد فيه من مجموع الامرين لا بد فيه من حضور القلب ولا بد فيه من القاء السمع لان القلب عبارة عن محل ادراك الحقايق والقاء ادراك السمع عبارة عن الجد والاجتهاد في تحصيل تلك الادراكات ومن المعلوم انه لا بد من الامرين معا فكان او ههنا بمعنى الواو والجواب ان ما ذكرتم محتمل ولكن يمكن ايضا اجراء الاية على ظاهرها وذلك لان القوى العقلية قسمان منها ما يكون في غاية الكمال والصفاء ويكون مخالفا لسائر العقول بالكمية والكيفية اما الكمية فلان حصول المقدمات البديهية والحسية والتجربية لها اكثر واما الكيفية فلان ما تركب تلك المقدمات على وجه ينساق الى النتايج الحقة ومثل هذه القوة العقلية يستغني في معرفة حقايق الاشياء عن التعلم والاستعانة بالغير لان مثل هذا يكون في غاية الندرة واما القسم الثاني وهو الذي لا يكون كذلك فهو يحتاج في اكتساب العلوم النظرية الى التعلم والاستعانة بالغير والتمسك بالقانون الصناعي الذي يعصم عن الخلل والزلل اذا عرفت هذا فقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اشارة الى القسم الاول وانما ذكر القلب بلفظ التنكير ليدل ذلك على الكمال التام بدليل قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اي حيوة عظيمة طويلة المدة فكذا ههنا قوله لمن كان له قلب كامل في قوة الادراكات عظيم الدرجة اي لمن كان له قلب في الاستعداد لمعرفة الحقايق واما قوله او القى السمع وهو شهيد فهو اشارة الى القسم الثاني الذي يفتقر الى الكسب والاستعانة بالغير وهذا من الاسرار التي عليها بناء اصل العلم المنطق وقد لاح بتوفيق الله في هذه الاية لما كان القسم الاول نادرا جدا وكان الغالب هو القسم الثاني لاجرم امر الكل في اكثر الايات بالطلب والاكتساب فقال افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب لا يعقلون بها او اذان لا يسمعون بها فان قوله افلم يسيروا حث على الطلب والجد في الكسب وقال صاحب المنطق ان القسم الاول وان كان غنيا عن الاستعانة بالمنطق الا انه نادر جدا والقلب للقسم الثاني وكلهم محتاجون الى المنطق فانظر الى هذه الاسرار العميقة فكيف تجدها مدرجة في الفاظ القران **الحجة الثالثة** على ان استحقاق الجزاء ليس الا على ما في القلب من المساعي قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ثم بين تعالى في آية اخرى
ان التقوى في القلب فقال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال تعالى وحصل ما في
الصدور الحجة الرابعة قوله حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير وستعرف ان العقل في القلب وان السمع منفذ اليه الحجة الخامسة قوله تعالى
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا فجعل هذه الثلثة سواء عن القلب ونظيره
قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ومعلوم ان خيانة الاعين لا تكون الا بما ينظر
القلب عند التحديق والنظر الحجة السادسة قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون فخص هذه الثلثة بالزام الحجة تنبيها واستدعاء الشكر عليها وقد قلنا
انه لا طائل في السمع والابصار الا بما يؤديان الى القلب ليكون القلب هو القاضي فيه و
الحاكم عليه الحجة السابعة قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء فجعل هذه الثلثة تمام ما
الزمهم من حجة والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما تؤدي اليه السمع والابصار الحجة الثامنة
قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب لازما لهذه الثلثة ونظيره
قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون وجه الاستدلال
بهذه الآية ان المقصود من هذه الآية بيان انه لا علم لهم اصلا ولو ثبت العلم في غير القلب كثبات للقلب
لم يتم الغرض الحجة التاسعة انه تعالى كلما ذكر الايمان في القرآن اضافه الى القلب فقال الذين قالوا
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال وكتب في قلوبهم
الايمان وقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم فثبت ان محل هذه المعارف هو القلب فاذا كان كذلك
كان محل الارادات هو القلب لان الارادة مشروطة بالعلم واذا كان محل العلم والارادة هو القلب
كان الفاعل هو القلب الحجة العاشرة ان محل العقل هو القلب واذا كان كذلك كان المكلف هو العقل
وانما قلنا ان محل العقل هو القلب لقوله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها

وقوله



وقوله لهم لا يفقهون بها وقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والقى السمع اي عقل
اطلق على العقل اسم القلب محل العقل وايضا انه تعالى اضاف اضداد العلم الى القلب فقال في
قلوبهم مرض ختم الله على قلوبهم وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم كلا
بل ران على قلوبهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور فدلت هذه الآيات على ان موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب
ايضا ان يكون موضع العقل والفهم هو القلب واما الخبر ما روى النعمان بن بشير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا تصريح بان الفاعل هو القلب وباقي الاعضاء
تبع له وروي ان اسامة لما قتل الكافر الذي قال لا اله الا الله فقال عليه السلام لم قتلته
قال لانه قال هذه الكلمة عن الخوف فقال هلا شققت عن قلبه وهذا يدل على ان محل المعرفة
هو القلب وكان عليه السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهذا يدل على ان
المقصود الاصلي هو القلب واما المعقول فاعلم ان هذه المسئلة مما عظم اختلاف الفلاسفة
فيها فزعم ارسطاطاليس ان النفس واحدة ولها افعال ثلثة الفكر والغضب والشهوة
فهذه صفات ثلثة لجوهر واحد هو النفس والمتعلق الاول للنفس هو القلب ومنه يتعدى
القوى النفسانية الى سائر الاعضاء وزعم ابقراط وافلاطون وجالينوس ان النفوس
ثلثة كل واحد منها مستقل بنفسه ولكل واحد منها عضو على حدة فمعدن النفس المفكرة
هو الدماغ ومعدن النفس الغضبية هو القلب ومعدن النفس الشهوانية هو الكبد واعلم
ان القرآن والاخبار مطابقان لقول ارسطاطاليس ونحن نورد في هذا المقام هذه المسئلة
على سبيل الاستقصاء فنقول اثبات صحة على ما ذهب اليه ارسطاطاليس يتوقف على اثبات
مقامين احدهما بيان ان النفس واحدة والثاني ان العضو الرئيس على الاطلاق واحد وهو القلب

اما المقام الاول وهو بيان ان النفس واحدة فنحن ههنا بين مقامين اما ان ندعي البديهة
واما ان ندعي الاستدلال واما دعوى البديهة فهو ان المراد من النفس ما يشير اليه كل احد
الى ذاته الخاصة بقوله انا وكل واحد يعلم بالضرورة انه اذا اشار كل احد الى ذاته الخاصة بقوله
انا فان ذلك المشار اليه شيء واحد غير متعدد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المشار اليه لكل احد
بقوله انا وان كان واحدا الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من ثلثة اشياء وهي القوة المفكرة
والغضبية والشهوانية الجواب هذا باطل وذلك لان بديهة عقلي حاكمة باني اشتهيت وغضبت
وتفكرت وبديهة عقلي حاكمة باني اذا قلت انا اشتهي وانا اغضب وانا اتفكر فالموضوع
في هذه القضايا الثلث شيء واحد والتعدد انما وقع في المحمول كما اني اذا قلت هذا الجسم
حلو واسود ويابس فالموضوع واحد فالمتعدد واقع في المحمولات واذا كان هذا معلوما
بالضرورة علمنا ان الجوهر واحد في الذات متعدد بالصفات واما طريق الاستدلال فنذكر
على صحة قولنا وجوه الحجة الاولى ان الغضب حالة نفسانية يحدث عنده دفع المنافي والشهوة
حالة نفسانية يتولد عند طلب الملايم ودفع المنافي وطلب الملايم مشروط بالشعور بكون الشيء ملايما
ومنافيا فالقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافي ان لم يكن لها شعور بكونه منافيا امتنع كونها
دافعة للمنافي على سبيل الاختيار والقصد لان القصد الى الدفع والجذب مشروط لا محالة بالشعور
بالشيء فالشيء المحكوم عليه بكونه دافعا للمنافي على سبيل الاختيار لا بد وان يكون له شعور بكونه
منافيا فالادراك والغضب صفتان من صفات شيء واحد وكذا القول في الشهوة فثبت بهذا
البرهان القاطع ان التفكر والغضب والشهوة صفات ثلثة لذات واحدة لا انها صفات متباينة
الحجة الثانية انا اذا فرضنا مبادي يكون كل واحد منها بنفسه مستقلا بفعله الخاص امتنع
ان يكون اشتغال احدهما بفعله الخاص مانعا للآخر من الاشتغال بفعله الخاص بذلك الآخر
واذا ثبت هذا فلو كانت القوة الفكرية مبدأ مستقلا بنفسها وكذلك القوة الشهوانية والغضبية
وجب ان لا يكون الاشتغال القوة الغضبية بفعلها مانعا للقوة الشهوانية من الاشتغال بفعلها

ولا



ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان بالشهوة وانصبابه اليها يمنعه من الاشتغال
بالغضب والانصباب اليه فعلمنا ان هذه الامور الثلثة ليست مبادي مستقلة بانفسها بل هي صفات
لجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه الافعال مانعا له عن الاشتغال بالفعل الآخر
الحجة الثالثة انا اذا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا لحصول
الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للجوهر الذي يغضب وللجوهر الذي يشتهي فحين ما ادرك
صاحب الادراك لم يكن من هذا الادراك اثر ولا خبر عند صاحب الشهوة وعند صاحب الغضب
فوجب ان لا يترتب على ذلك الادراك حصول الشهوة ولا حصول الغضب فحيث حصل هذا الترتيب
علمنا ان صاحب الادراك نفسه هو صاحب الشهوة وهو صاحب الغضب فهذا جملة ما يحتج به على وحدة
النفس واحتجوا على تعدد هذه النفوس فقالوا رأينا النفس الشهوانية حاصلة في النبات بدون
النفس الغضبية ورأينا النفس الغضبية حاصلة في الحيوان بدون النفس الناطقة ثم رأينا هذه
الانواع الثلثة حاصلة في الانسان فعلمنا ان كل واحدة هذه الثلثة جوهر مستقل بنفسه منفرد
بذاته الجواب ثبت في اصول المعقول ان الماهيات المختلفة يجوز اشتراكها في آثار متساوية فاذا
ثبت هذا فنقول من الجائز ان يكون النفس الانسانية مساوية للنفس النباتية في افعال
التغذية والنمو وان كانتا مختلفتين في الماهية ومن الجائز ان يكون النفس الانسانية مساوية
للنفس البهيمية من فعل الغضب وان كانتا مختلفتين في الماهية وعلى هذا يكون جوهر النفس
الانسانية واحدة بالذات الا انها مبدأ الافعال الثلثة احدها النطق ولا يشاركها فيه
سائر النفوس وثانيها الغضب ويشاركها فيه البهيمة فقط وثالثها الشهوة ويشاركها فيه
البهايم والنبات فان قالوا فالنفس الواحدة كيف يكون مصدرا للافعال المختلفة قلنا لم لا
يجوز ذلك لا سيما عند حصول الآلات المختلفة فهذا هو البيان الملخص في وحدة النفس وهو
اقوى مما كتب جالينوس فيه المجلدات اما المقام الثاني في بيان ان العضو الرئيس على الاطلاق
هو القلب فنقول انا قد بينا فيما تقدم ان المني اذا وقع في الرحم صار كالكرة وتجتمع الاجزاء النارية

والهوائية ويصير مادة الارواح ويجتمع الاجزاء المائية والارضية ويحيط بتلك الارواح
لتكون صوانا لها ومانعا لها من التحلل والتفشي وذلك الموضع المتوسط الذي فيه
اجتمعت تلك الاجزاء اللطيفة هو الموضع الذي اذا تمت خلقته كان قلبا وبهذا الطريق
عرفنا ان اول عضو يتكون هو فاذا كانت النفس واحدة كان تعلقها الاول بالقلب وبواسطة
القلب يسري اثره الى ساير الاعضاء فثبت ان العضو الرئيس على الاطلاق هو القلب هذا هو
الكلام المعول عليه في اثبات هذا المطلوب وههنا وجوه اخرى اقناعية نحوية ونحن نذكرها
الحجة الاولى ان العقلاء يجدون الفهم والادراك والعلم من ناحية القلب فعلمنا ان القلب
محل العلم قال جالينوس مسلم ان القلب محل الغضب فاما انه محل العلم فممنوع وجوابه ان الغضب
دفع المنافي ودافع المنافي له شعور بكونه منافيا فوجب ان يكون القلب محل العلم والشعور
الحجة الثانية ان النفس هي المحركة بالارادة فاذا تعلقت النفس بالقلب فلا بد
وان يفيده الحس والحركة الارادية فيكون القلب منبعا للحس والحركة الارادية الحجة الثالثة
ان الحس والحركة الارادية انما يحصلان بالحرارة اما البرودة فمعاوقة عنهما والقلب منبع
الحرارة والدماغ للبرودة فجعل القلب مبدا للحس والحركة الارادية اولى من جعل الدماغ
مبدا لهما الحجة الرابعة كل احد اذا قال انا فانه يشير بقوله انا الى صدره وناحية قلبه
وايضا اذا قال الرجل العاقل انا افعل كذا وانا اقول كذا يضع يده على ناحية قلبه وهذا يدل
على ان كل احد يعلم بالضرورة ان المشار اليه بقوله انا موجود في القلب لا في الدماغ الحجة الخامسة
اظهر اثار النفس الناطقة النطق فوجب ان يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الذي منه ينبعث
النطق لكن النطق والكلام انما ينبعث من القلب لان الصوت انما يتولد من اخراج النفس
وادخال النفس واخراجه فعل القلب وذلك لان المقصود من ادخال النفس ترويح حرارة القلب و
المقصود من اخراجه دفع الفضلة المحترقة واذا كان ادخال النفس واخراجه مقصودين للقلب بالذات
كان اسناد هذا الفعل الى القلب اولى من اسناده الى الدماغ الذي لا حاجة البتة الى النفس فثبت





ان اخراج النفس فعل القلب والصوت انما يحدث من اخراج النفس فثبت ان فاعل الصوت هو
القلب قال جالينوس الصوت لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ويدل عليه وجوه الاول
ان الالة الاولى للصوت هي الحنجرة بدليل انك اذا خرقت قصبة الرية اسفل من الحنجرة لم تسمع لذلك
الحيوان بعد هذه الحالة صوتا فثبت ان الة الصوت هي الحنجرة والحنجرة مؤلفة من ثلثة غضاريف
وهذه الغضاريف تتحرك بعضلات كثيرة وتلك العضلات انما تتحرك بالاعصاب والاعصاب
نابتة من الدماغ فثبت ان فاعل الصوت هو الدماغ الثاني انا نرى عضل البطن يتمدد عند التصويت
بالصوت العنيف واما القلب فانه لا ينالنا التعب عند التصويت الثالث ان القلب اذا كشف
عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته وان كشف عن الدماغ ثم ضغط بطل في الحال صوت
ذلك الحيوان فثبت ان مبدا الصوت هو الدماغ لا القلب والجواب انا بينا بالحجة القوية ان مبدا
الصوت هو القلب اقصى ما في الباب ان الدماغ يعين عليه الا ان هذا لا يقدح في قولنا الحجة
السادسة ان القلب موضوع في موضع يقرب ان يكون وسطا من البدن والعضو الرئيس يليق
به ذلك حتى يكون ما ينبعث منه من القوى يصل الى جميع اطراف البدن على القسمة العادلة و
الدماغ موضوع في اعلى البدن وذلك ينافي هذا المقصود الحجة السابعة ان الناس يصفون
القلب بالذكاء فيقولون قلب ذكي وقلب بليد قال جالينوس الناس اذا وصفوا انسانا بان له
قلبا قويا فمرادهم منه الشجاعة واذا قالوا فلان لا قلب له فالمراد هو الجبان والجواب ان هذا يدل
على ان القلب موضع الغضب وهذا لا ينافي ان يكون القلب ايضا موضع الفهم والعلم واحتج جالينوس
على ان معدن الادراك هو الدماغ بوجوه احدها وهو ان الدماغ منبت العصب والعصب
الة الادراك وما كان منبتا لالة الادراكات وجب ان يكون معدنا للقوة الادراكية فهذه مقدمات
ثلثة اما المقدمة الاولى وهي ان الدماغ منبت العصب فالدليل عليه ان الاعصاب الكثيرة انما
يوجد في الدماغ واما القلب فلا يوجد فيه الا عصبة صغيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الدماغ
منبتا للاعصاب واما المقدمة الثانية وهي ان الاعصاب الات الحس والحركة فالدليل عليه انه اذا كشفت

عن عصبة وشددتها وجدت ما كان اسفل من موضع الشدة فانه يبطل عنه الحس
والحركة وما كان اعلى منه مما يلي جانب الدماغ لا يبطل عنه قوة الحس والحركة وهذا يدل
على ان آلة الحس والحركة هو العصب واما المقدمات الثالثة وهي انه لما كان الدماغ منبتا
للحس والحركة وجب ان يكون مقدما لهما فالدليل عليه انه اذا كان قوة الحس والحركة انما يصل
من الدماغ الى جميع اطراف البدن بواسطة هذه الاعصاب النابتة من الدماغ ثبت ان
المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ واعلم ان اصحاب ارسطاطاليس اجابوا عن الحجة
بوجهين احدهما لو الا نسلم ان الدماغ منبت العصب اما دليل جالينوس على ذلك هو
ان الاعصاب كثيرة قوية عند الدماغ وقليلة صغيرة عند القلب فقد اجابوا عنه من
وجهين الاول ان هذه المقدمة الواحدة غير منتجة للمقصود بل لا بد من ضم مقدمة اخرى اليها
وهي ان القوة والكثرة انما يكون عند المبدأ والصغر والقلة عند غير المبدأ الا ان هذه
المقدمة غير برهانية بل هي منقوضة من وجوه الاول ان العصبة مجوفة يكون دقيقة عند
المنبت واذا دخل الموضع الذي يكون الحدقة فيه يغلظ تلك العصبة ويتسع وهذا نقض
على هذه المقدمة الثاني ان الحبة التي يتولد منها ساق الشجرة يكون اصغر بكثير من ساق
الشجرة فلم لا يجوز ان يكون العصبة الصغيرة التي في القلب يكون كالحبة التي منها انشعبت الاعصاب
الكثيرة في الدماغ الثالث لو صح دليل جالينوس لوجب ان يقال ان مبدأ العروق الضوارب
هي النسيجة الشبيهة بالشبكة التي في الدماغ لا القلب لان في تلك النسيجة من العروق الضوارب
عددا لا يحصى وهي في غاية المشابهة لعروق الشجرة الوجه الثاني في الجواب سلمنا ان الكثرة و
القوة لا يحصل الا عند المبدأ لكن لا نزاع ان القلب منبت للشرايين بل ان اجرام الشرايين
ثم من جنس اجرام الاعصاب متمكن ان ينبت الاعصاب منها انما قلنا ان العروق من جنس اجرام الاعصاب
وذلك لان اجرام العروق ينتشر وينقسم الى الشظايا الكيفية التي لا حس لها وهي بنفس لونه
عديمة الدم صلبة غير حساسة في نفسها والاعصاب كذلك في جميع الصفات والدليل على ان الاعصاب



غير حساسة في نفسها انك اذا شددت العصبة برباط شدا قويا وحككت ما هو اسفل منه
من موضع الشد عديم الحس وذلك يدل على ان العصب غير حساسة في نفسه وانما يجري اليه الحس
من موضع آخر فثبت ان العروق والاعصاب مشاركة في هذه الصفات والاحوال فعلمنا ان العروق
والاعصاب من جوهر واحد واذا ثبت هذا فنقول لم لا يجوز ان يقال هذه العروق الضوارب لما
انقسمت وتشعبت ودقت وصغرت ونفذت في الدماغ التف بعضها الى البعض وانضمت اجزاؤها
واتصلت فصارت على شكل الاعصاب وتحقيق القول فيه هذه الشرايين حين ما انفصلت عن القلب
كان يحتاج اليها لتكون حاملة للدم والروح الى جوهر الدماغ فلما صغرت ونفذت في جوهر الدماغ
وحصل هذا المقصود يحصل الاستغناء عنها فلا جرم صرفت الى غرض آخر وهو ان ازيل عنها وصف
التجويف وانضمت تلك الشظايا بعضها الى بعض وصارت على اشكال الاعصاب فبهذا الطريق صارت
العروق اعصابا ولما كان منبت العروق هو القلب لا جرم كان منبت الاعصاب ايضا هو القلب بهذا الطريق
اجاب جالينوس عن هذا الكلام من وجهين الاول فقال الدليل على ان الاعصاب ليست من جنس العروق
وجوه الاول ان الشرايين نابضة والاعصاب ليست نابضة الثاني ان الشرايين مجوفة والاعصاب
ليست مجوفة الا القليل الثالث ان الشرايين محتوية على الدم بدليل انها اذا بقيت جلت لك
النقب على صاحبه من انفجار الدم امرا صعبا والعصب كله لا دم له والرابع ان الشرايين مؤلفة
من طبقتين احديهما يتحلل الى اجزاء ذاهبة في العرض على الاستدارة والآخر يتحلل الى آخر يذهب على
الاستقامة في الطول واما العصبة فهي يتحلل الى ليف ابيض عديم الدم ذاهب على الاستقامة في
الطول والخامس انك اذا شددت العصبة حصل عدم الحس والحركة الارادية ولا يبطل الحس
والحركة والسادس ان العصب قد ينسلخ عن فعله كثيرا والشرايين فعلها فعل دائم فثبت بهذه
الوجوه ان اصل الشرايين ليست من جنس الاعصاب والثاني من الجواب عن هذا الكلام قال ان
الشرايين المتولدة من القلب ينقسم الى قسمين قسم يصعد الى جانب الرأس وقسم ينزل الى اسفل البدن
والقسم النازل الى الاسفل الاشياء انه ينقسم ويتفرق الى العروق الدقاق ثم انها بعد دقتها صارت اعصابا فوجب ان يكون

الحال كذلك في الشرايين الداخلة في الدماغ اجاب اصحاب ارسطاليس فقالوا اما الجواب الاول
فهو ضعيف لان الصفات المذكورة للشرايين انما يكون باقية قبل نفوذها في جوهر الدماغ
اما بعد نفوذها في جوهر الدماغ فلم قلتم بان هذه الصفات تبقى والذي يدل على ان الروح
الدماغي لا شك انه كان متولدا في القلب ثم انه تصاعد من القلب وبقي في نسيجة المتولدة
تحت الدماغ مدة ثم انه ينفذ في الدماغ فيحدث له حال لكونه في الدماغ احوال وصفات ما كانت
حاصلة كان في القلب فلم لا يجوز ان يكون الحال في الشرايين كذلك وهو ان الصفات المذكورة
للشرايين كانت حاصلة لها قبل نفوذها في جرم الدماغ اما بعد نفوذها في جرم الدماغ و
وتصغرها في الغاية اثر فيها جرم الدماغ وقلبها عن طبايعها فصارت في الصورة والخلقة شيئا
آخر فهذه الاحتمالات لا تبطل بما ذكره جالينوس اما جوابه الثاني فهو ايضا ضعيف وذلك
لان الروح القلبي كما صعد الى الرأس في الشرايين الصغيرة صعد الى اسفل البدن في الشرايين
الصغيرة ثم الجزء الصاعد الى الرأس تغير عن حالته بسبب اختلاطه بجرم الدماغ والجزء النازل
الى الاسفل لم يتغير عن حالته البتة فلم لا يجوز ان يكون الحال في اجرام الشرايين كذلك ههنا فهذا
تمام الكلام على حجة جالينوس على ان الدماغ منبت العصب واحتج ارسطاطاليس
على ان منبت العصب هو القلب فقال الحركة الارادية لا بد وان يكون بآلة صلبة قوية
والدماغ ليس لجرمه شيء من الصلابة والقوة واما القلب ففيه انواع من الصلابة منها انه
لحم قوي شديد صلب اصلب من ساير اللحوم ومنها ان فيه من الرباطات العصبية مقدارا كثيرا
ومنها انه بسبب كثرة حركته لا بد وان يكون اقوى جرما واذا كان كذلك كان جعل القلب
منبتا للاعصاب التي هي الآلات للحركات القوية اولى من جعل الدماغ منبتا لها اجاب جالينوس عنه من
وجهين الاول انه بنى كلامه على مقدمة القياسية والحس دل على ان المنبت هو الدماغ والقياس
المعارض للحس لا يلتفت اليه الثاني ان المتولي لتحريك الاعضاء ليس هو العصب فقط بل العضل و
العضلات مركبة من الاعصاب والرباطات والغشية واللحوم وهي مستبقة الى الاعضاء فالاعصاب

يقيد



يقيدها الحس والقوة على الحركة واما ما يختلط بها من الرباطات والاغشية فيفيدها القوة
والشدة والامن من الانقطاع وعلى هذا التقدير لا يمنع كون الدماغ منبتا للاعصاب اجاب
اصحاب ارسطاطاليس عن الاول بان الحس لم يدل على كثرة الاعصاب وقوتها عند الدماغ فقد بينا
ان هذا القدر لا يدل على كون الدماغ منبتا للاعصاب واما الثاني فضعيف ايضا لان
جالينوس استدل بلفظ العصب وكثرته على تولده منه وارسطاطاليس عارض هذا فقال
ان كان هذا الوجه يدل على قولكم لكن كون الدماغ لينا والعصب قويا غليظا يمنع من تولده
بل يكون العصب قويا صلبا مع كون القلب قويا صلبا يدل على كون العصب نابتا من الدماغ
فسقط كلام جالينوس بالكلية النوع الثاني من الجواب عن شبهة جالينوس سلمنا ان الدماغ
منبت للعصب الذي هو آلة الحس والحركة ولكن لم قلتم انه يلزم من هذا كون الدماغ معدنا
لقوة الحس والحركة بيانه انه لا يبعد ان يكون قوة الحس والحركة من القلب الا ان الدماغ توسل
الى القلب آلة ثابتة ليستعين بتلك الآلة قوة الحس والحركة من القلب فاذا كان هذا الاحتمال
قائما يسقط كلام جالينوس بالكلية الحجة الثانية لجالينوس على ان معدن القوة المدركة
هو القلب وهذه الحجة احسن دلائله انه لو كان قوة الحس والحركة الارادية ينفذ من القلب
الى الدماغ لكنا اذا شددنا على العصبة بخيط شدا قويا وجب ان يبقى الحس والحركة في الجانب
الذي يلي القلب وان يبطلا من الجانب الذي يلي الرأس لكن الامر بالضد فعلمنا ان قوة الحس
والحركة يجري من الدماغ الى القلب ولا يجري من القلب الى الدماغ والجواب وهذه الحجة لا
يحتاج فيها الى المقدمات الكثيرة المذكورة في الحجة الاولى لم لا يجوز ان يقال الروح القلبي
يكون في غاية الحرارة فاذا كان بينه وبين الدماغ منفذ مفتوح وصل بتبريد الدماغ اليه فاعتدل
واستعد لقبول قوة الحس والحركة واما اذا اشتد المنفذ انقطع عنه تبريد الدماغ فلا جرم لم يبق
مستعدا لقبول قوة الحس والحركة فبطلت هذه القوة من الجانب الذي يلي الرأس لان الشرايين في الدماغ
كثيرة جدا فكلها مؤدية الى قوة الحس والحركة الحجة الثالثة لجالينوس ان الحكماء والاطباء اتفقوا على ان

الحامل القوة الحس والحركة جسم لطيف نافذ في الاعضاء هو الروح واذا كان كذلك فالدماغ بكونه مبدأ لهذا الروح اولى من القلب وذلك لانا نجد في الدماغ مواضع خالية واما القلب فليس كذلك واما التجويف الايمن منه مملو دما انما الشبهة في التجويف الايسر فانه يعتقد انه مملوء من الروح قال جالينوس وليس الامر كذلك فان القلب اذا كشف عنه وابرز من غير ان ينقب ويخرق غشيته بل تمسك الحيوانات بسبب ذلك حتى انه يمكنك ان يلبث مدة طويلة تلمسه بيدك وتنظر اليه بعينك وهو مكشوف فتعرف كيف ينبض ويعلم ان نبضه عند ذلك كالم يزل ينبض قبل ان يكشف عنه ولكن بشرط ان يقع هذا التشريح في موضع لا يكون هواه باردا لئلا يبرد القلب فانه لو برد صار النبض حينئذ ضعيفا بطيئا متفاوتا اذا عرفت هذا فنقول اذا نقبنا التجويف الايسر في هذه الحالة سال في الحال دم فلو كان هذا التجويف مملوا روحا لوجب ان لا يسيل منه دم البتة ولو كان هذا التجويف في بعضه روح وفي بعضه دم لوجب ان يخرج الروح اولا ثم يسيل الدم بعده فكان يجب ان لا يسيل الدم في الحال على هذا التقدير فلما سال الدم في الحال علمنا ان التجويف الايسر مملو من الدم وايضا الحيوان الذي مات يجد في التجويف الايسر من تجويفي قلبه علق الدم واما الدماغ فاجرمه مورد فلا يمنع ان يحصل في تلك العضو ان جزء الروح الجواب ان هذه الحجة في غاية الضعف وذلك لان هذا الكلام ان صح فهو يقتضي ان لا يكون في القلب روح اصلا وجالينوس في كون القلب معدنا للارواح الحيوانية ويسلم ان الروح الحيواني يصعد من القلب ويصير هناك روحا نفسانيا

الحجة الرابعة ان العقل اشرف القوى فيكون مسكانه اشرف واشرف الامكنة اعلاها فوجب ان يكون مكان العقل هو الدماغ وهو بمنزلة الملك العظيم الذي يسكن القصر العالي وايضا الحواس محيطة بالرأس كانها خدم الدماغ واقفة حوله على مراتبها وايضا محل الرأس من البدن محل السماء من العالم فكما ان السماء منزل الروحانية فكذا الدماغ وجب ان يكون مسكنا للعقل الجواب ان ما ذكرتم من البراهين لا يعارضه هذه الاحتمالات والاقناعيات وهذا اخر الكلام المنقح في هذه المسئلة وكنت قد طالعت كتابا بقراطا والافلاطون وهو كتاب طويل

والمقصود



والمقصود منه من هذه المسئلة فتعبت في تحصيله وضممت اليه اشيا كثيرة من المعقولات ثم خفت من ان يضيع ذلك مني فكتبته في هذا المكان المسئلة الثانية في شرح احوال القلب الذي يدل على شرف القلب وجوه الاول ان المقصود من خلق الانسان اشتغاله بمعرفة الله وخدمته وذلك لانه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين ان المقصود من الخلق هو العبادة ثم قال في اية اخرى المقصود من العبادة هو المعرفة اما المعرفة فلقوله تعالى لموسى عليه السلام واقم الصلوة لذكري واما الاخلاص فلقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فظهر ان لب اللب ومقصود المقصود انما هو معرفة الله تعالى ثم انك قد عرفت ان محل هذه المعرفة هو القلب فحينئذ ظهر ان المقصود من خلق العالم هو القلب الحجة الثانية انه ثبت في الروايات ان اول ما خلق الله جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط الحرارة عليها فارتفع زبد وعلاه دخان فخلق الارض من الزبد والسموات من الدخان فيقول الله تعالى خلق تلك الجوهر شيئا واحدا وسيلة من العدم الى الوجود فكل ما وجد من المخلوقات فهو سلالة المعدومات ثم سل من ذلك المخلوق الارض لانه قال كانتا رتقا ففتقناهما وهذا هو السلالة الثانية ثم سل من الارض قبضة آدم كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فهو السلالة الثالثة ثم سل من جسد آدم قلبه فكان هذا هو السلالة الرابعة ثم جعل القلب سرير المعرفة فظهر تلك الحكمة المطلوبة في اربع السلالات لا يعلم انه الشيء المعظم من جميع المخلوقات وعند هذا ظهر ان الانسان منقسم الى قسمين الى الهيكل الظاهر والى المضغة الباطنة وهو القلب الذي هو سرير المعرفة والقلب تبع للهيكل الظاهر في الصورة والهيكل الظاهر تبع للقلب في المعنى ولما جعل الهيكل الظاهر تبعا للمضغة الباطنة علم انك ما خلقت لاجل الظاهر بل لاجل ان تطلع من هذا الظاهر باطنا ومن هذا الشاهد غائبا ومن هذا المحسوس معقولا فظهر بما ذكرنا ان المقصود الاصلي هو القلب وحصنه هو كل البدن وحصن البدن هو كل الارض وحصن الارض هو كل السموات وحصن السموات عالم الممكنات وكل مسخر في قبضة قدرته ونفاذ الالهية اذا عرفت

هذا فنقول القلب له في القرآن اسمان احدهما القلب والثاني الفؤاد قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان
لهم قلوب لا يفقهون بها وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا وقال و
افئدتهم هواء وقال نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم نقول يحتمل ان يكون الفؤاد اسما
لجميع هذه المضغة والقلب يكون اسما لجزء مخصوص منه نسبته الى كل هذه المضغة كنسبة العين
الى الهيكل الظاهر والشيء يكون اسما للشيء الذي يكون نسبته الى عين هذه المضغة كنسبة النقطة
الظاهرة الى العين وتلك النقطة هي المسماة بسويداء القلب فهذه السويداء بالنسبة الى العين
الباطنة كسواد العين بالنسبة الى العين الظاهرة والسبب في ان الابصار الظاهرة يحصل بالسواد
البصيرة الباطنة يحصل بالسويداء وجهان الاول وهو ان الابصار يجري مجرى النور والسواد من جنس
الظلمة فالسواد والابصار كالمتضادين واظهار احد الضدين من الآخر دال على القدرة والحكمة
الثاني ان يكون الانتهاء على وفق الابتداء فكما ان في الابتداء يظهر نور الوجود من ظلمات العدم بايجاد
الحق سبحانه فكذلك في الانتهاء يظهر نور البصر والبصيرة من ظلمات سواد العين وسويداء القلب ليكون
المبدأ والغاية دالتين بقرائن الاحوال وشواهد المقال على تحقيق قوله فالق الاصباح وعند هذا
ظهر ترتيب عجيب للظاهر والباطن واما الظاهر فاوله الهيكل الظاهر ثم العين ثم النقطة الناظرة ثم
النور الباصر الموجود في النقطة الناظرة واما الباطن فالفؤاد هو اسم لتمام هذه المضغة ثم القلب
ثم النقطة الناظرة وهي سويداء القلب ثم نور البصيرة اذا عرفت هذا فنقول ان الابصار في عالم
الظاهر يتوقف على شرائط وتلك الشرائط بعينها معتبرة في ادراك البصيرة الشرط الاول للابصار
ان لا يكون المبصر في غاية الجلاء ولا في غاية الخفاء فاما الذي في غاية الجلاء فكالشمس فان العين
يتحير فيها ولا يقدر على ابصارها بالتمام والكمال واما الذي في غاية الخفاء فكالذرة فكذا العقل
مدركات في غاية الجلاء والعظمة ومدركات ابصارها بالتمام والكمال واما الذي في غاية ذرهي
مدركات في غاية الخفاء والصغر اما الاشياء التي هي في غاية الجلاء والاشراق فهو جلال الله وكبرياؤه
وتلك عظمة الارواح العالية المقدسة فنور سويداء القلب يحترق في هذه الحضرة فلا يصل اليها ولا اليه

الاشارة



الاشارة بقوله من قال سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره واما الذي في غاية
الخفاء فكتفاصيل الاحوال وجريان الحدثان اما تفاصيل الاحوال فقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون
فان النطفة من حين ما يقع في الرحم الى ان ينفصل الجنين لها في كل لمحة حالة وفي كل لحظة صفة الا ان
التفاوت بين كل لحظتين مما لا يصل اليه عقول البشر واما جريان الحدثان فهو انه تعالى لما ذكر من الحيوانات
الانعام فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ثم قال بعده والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
ويخلق ما لا تعلمون والمعنى انه لا يمكنكم ان تحيطوا علما بتفاصيل جميع الحيوانات لكثرتها واختلاف احوالها
وبالجملة فالعقول قاصرة عن معرفة الاوائل والاواخر ونظيره ان العقول متحيرة في مبدأ الخلق والايجاد
وفي منتهى الاعدام والافناء بل العقول لا سبيل لها الى معرفة الازل والابد فان كل ما يستحضره فهو
يكون متوسطا بين الازل والابد ولو انتهى الى قيام القيمة يتقدم الى ما قبل ويتأخر الى ما بعد لم ير
نفسه الا المتوسط بين الازل ولا يرى حقيقة الازل والابد منزهة عن لحوق الانظار وعلائق الافكار
وتمام هذا الكلام سيأتي في باب الصفات في نفس العدم والبقاء وشرح كونه اولا وآخرا الشرط الثاني
ان المبصر اذا كان حاضرا فلما لم يحرك الانسان حدقته من جانب الى جانب بتحريكات كثيرة فانه لا يرى
المبصر فكذا الفؤاد ما لم يحرك عينه من معقول لا يتمكن من ابصار المطلوب وتلك التحريكات هي المسماة
بالفكر والروية والنظر وكما ان نظر العين عبارة عن تقليب الحدقة من جهة الى جهة طلبا لرؤية المرئي
فكذلك نظر القلب عبارة عن تقليب الحدقة من جانب الى جانب طلبا لادراك المعقول الشرط الثالث
ان القوة الباصرة لا يمكنها ادراك المبصرات الا عند صيرورة الهواء مضيئا بسبب طلوع الاشياء
النيرة فكذلك العقل لا يقدر على الابصار الا عند طلوع الاشياء النيرة ثم نيرات العالم الجسماني
اربعة الشمس ثم القمر ثم الكواكب ثم النار فكذلك نيرات العالم الروحاني اربعة اولها نور جلال الله كما
قال واشرقت الارض بنور ربها وهي بمنزلة الشمس وكما لا تستطيع ابصار الخفاش في مطالعة قرص
الشمس فكذلك لا تستطيع ابصار الارواح البشرية مطالعة نور الجلال وهنا المرتبة بمنزلة الشمس
والمرتبة الثانية الارواح العلوية والروحانية والكروبية كما قال ينزل الملائكة بالروح من امره

على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك واكابر الانبياء والمرسلين
هم الذين يطيقون مطالعة هذه الانوار وقال في واقعة موسى عليه السلام وانه رب الشعرى
وقال في واقعة الخليل فلما جن عليه الليل رأى كوكبا وهذه المرتبة بمنزلة القمر فكما ان القمر
تارة يكون بدرا يضيء العالم اضاءة كاملة وتارة يكون هلالا دقيقا يظهر قليلا ثم
يختفي فكذلك الارواح العلوية قد تكون عظيمة الاضاءة والانارة كقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته وقوله يستغفرون للذين آمنوا وتارة تكون كالهلال الضعيف وهو قوله وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيا والمرتبة الثالثة انوار الارواح السفلية وهم الصديقون الملا
زمون لعتبة الجلال المعتكفون في حظائر قدس الله استنارة ارواحهم فانار ارواح غيرهم
وهذه المرتبة بمنزلة الكواكب وكما ان الكواكب في العظم الاول فقد يكون درية مثل اولئك
كما قال كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة وقد يكون ضعيفة جدا كالسهى وامثاله فكذلك الا
رواح السفلية منها ما يكون قوية ومراتبها اربعة الاول الذين يكونون في العظم الاول وهي روح الخليل و
الكليم والحبيب فان ارواح الخلق يهتدي بانوار هذه الارواح السفلية لانها قدسية قريبة الدرجة
من الارواح العلوية ولهذا قال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكما ان الفائدة في الكواكب
هي قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون فكذا دعوة الانبياء عليهم السلام اعلام نورانية يهتدى
بها في ظلمات الشهوات وبحر الضلالات والشبهات كما قال وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الذي له
ما في السموات وما في الارض وثانيها الذين يكون في العظم الثاني وهو ارواح اولي العزم كما قال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وثالثها ارواح المرسلين وهم ثلثمائة وثلثة عشر وهؤلاء
هم الذين يكونون في العظم الثالث من الكواكب ورابعها ارواح جملة الانبياء وهم كما يقال مائة
الف واربعة وعشرون الفا وهؤلاء هم الذين يكونون في المرتبة العظم الرابع من الكواكب ثم بعد هذا
مراتب المؤمنين وهي ثلثة السابقون والمقتصدون والظالمون كما قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فالسابقون هم الاولياء كما قال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

والمقتصدون

والمقتصدون هم العلماء كما قال لعلمه الذين يستنبطونه منهم والظالمون هم العوام فكل واحد
من هذه الارواح اثر ونور واذا اتصلت صارت كالمرآة المتحاذية فينعكس انوار بعضها الى البعض
فيصير كل واحد منها متكملة للاخر من وجه ومستكملة من وجه ولهذا السبب كان مقام الصديقين
الحب في الله والمرتبة الرابعة من مراتب العالم الروحاني العقل ومرتبته مرتبة النار في عالم الجسمانيات
واعلم ان نور العقل له عيوب كثيرة كما ان نور النار له عيوب كثيرة فالاول ان نور النار ممزوج
بدخان كثيرة السواد يسود الثوب ويجفف نور الدماغ فكذا نور العقل ممزوج بدخان
الشبهات وذلك الدخان تارة يسود ثوب العبودية ويلطخه بالتشبيه والتعطيل واخرى يجفف الدماغ
البشرية فيلقي صاحبه في وهم الحلول والاتحاد والثاني ان نور السراج فيه اشراق وفيه احراق فكذا
نور العقل فيه احراق وفيه اشراق واما الاشراق فهو التفكر في غير الله استدل به على جلال عظمة الله
واما الاحراق فهو التفكر في جلال الله ولهذا السبب قال عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في
الخالق والثالث ان نور السراج ينطفي بادنى ريح فكذا نور سراج العقل ينطفي بادنى شبهة ولهذا
السبب قال لمحمد عليه السلام ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال الخليل عليه السلام
ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال
سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال الكليم عليه السلام رب اشرح لي صدري
وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة من السماء وتلك المائدة مائدة الهداية والمعرفة
والرابع ان السراج انما يضيء اذا وضع في بيت صغير فاما اذا وضع في صحراء واسعة فانه يقل
ضوؤه فكذا سراج العقل انما يظهر اذا وضع نوره في بيت البدن كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون
فان هذا البيت بيت صغير مختصر الا ترى ان سراج العقل لما وضع في ميدان الارواح انطفى ولم يظهر له
لمعان وشروق كما قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا
قليلا فاذا كان حاله في ميدان الارواح كذلك فاعرف كيف يكون حاله في صحراء جلال الانوار الصمدية
وفضاء كمال الاسرار الالهية التي تقدست عن ان يكون لها بداية او مقطع وغاية والخامس ظهور نور السراج

مشروطا بان يكون بينه وبين قرص الشمس حائل اما اذا وضع في مقابلة قرص الشمس انطفى
فكذلك العقل انما تضئ فيما وراء الغيب وعالم انوار الصمدية فاما اذا ازيل الحجاب وتجلت الانوار
انطفى نور العقل ولهذا قال لموسى عليه السلام اخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فقوله اخلع
نعليك اشارة الى تلاشي العقل واضمحلالها وقوله انك بالواد المقدس طوى اشارة الى تجلي المعاني
انوار العظمة والكبرياء الشمس نور السراج وان طال بقاؤه لكنه بالآخرة ينطفي وان استمر لكن
اذا طلع الشمس بطل ضوءه لا محالة فكذا نور سراج العقل اما ينطفي بطريان الغفلات والشهوات
وان بقي الى آخر الامر لكنه اذا انقضى ليل الحيوة الدنياوية وتجلى نهار عالم الآخرة وانكشفت
السرائر وتجلت الضمائر لم يبق لسراج العقل نور ولا قوة البتة فهذا هو شرح نيرات عالم
الروحانيات الشرط الرابع لابصار القلب انه كما ان انتفاع البصر بنيرات عالم الجسمانيات يتوقف على
مثل تلك الامور وبينا وهو ان ابصار الاشياء ورؤيتها يختلف بالكمال والنقصان فتارة يرى الانسان
شيئا رؤية تامة وتارة رؤية ناقصة وسبب التفاوت اما ان يكون عائدا الى الذات وقوة البصر
او الى امور خارجة عنها فكذا ادراكات البصيرة قد تختلف بالكمال والنقصان وذلك التفاوت قد
يكون بسبب عائد الى ذات البصيرة وقد يكون بسبب امور خارجة عنها اما العائد الى ذات البصيرة
فهو على وجهين الاول الاختلاف في جواهر الارواح قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين يدل على ان ارواح هذه الشعبة من معشر البشر وجنس الانس مخصوصة
بمزيد القوة والجلالة والرفعة فتارة يظهر آثار تلك القوة بالنبوة وتارة بالخلافة فقال
في صفة عيسى عليه السلام فنفخنا فيها من روحنا وقال في صفة محمد عليه السلام علمه شديد القوى
ثم ترقى في تعليم الملك الى تعليم الملك فقال الرحمن علم القرآن ثم انتقل من خطاب الغيبة الى خطاب
الحضور فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وقال تعالى في حق جميع الانبياء عليهم السلام على العموم الله اعلم
حيث يجعل رسالته فقال عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف فقال عليه السلام الائمة من قريش وهو اشارة الى اختصاص هذه الشعبة لمزيد قوة نفسانية

وروحانية



وروحانية فلما لم يظهر اثر تلك القوة بالنبوة بعد محمد عليه السلام فلا بد من ظهور آثارها بقوة الخلافة
والرياسة فكل ذلك يدل على اختلاف الارواح في ماهيتها فمنها ما يكون في غاية الجلالة والقوة
ومنها ما يكون في غاية النذالة والدناءة ومثاله في عالم الجسمانيات الابصار ومنها ما يكون في غاية
القوة كزرقاء اليمامة ومنها ما يكون في غاية الضعف وهذا الاستعداد الذاتي لا سبيل البتة الى
تبديله والثاني اختلاف في جواهر الارواح بسبب صفات العرضية التي يقبل العلاج ومثاله في الجسمانيات
انه قد يكون بصيرا ضعيف البصر لا لاجل الخلقة الاصلية بل بسبب مرض عرض له فاورث
ضعفه او بسبب انه استعمل كحلا قويا فافاده ذلك الكحل في تلك الساعة زيادة قوة فكذا الارواح
ربما يعرض لها عارض فيحصل نوع من الكلال بسبب ذلك العارض واليه الاشارة بقوله عليه السلام
وانه ليغان على قلبي وهذا النوع من التفاوت قد يطرى ويزول واما التفاوت الى اسباب الامور
الخارجية فهو انواع السبب الاول الاشتغال بغير الله في عالم المحسوسات من شغل حدقته بالنظر الى شيء
كان نظره اليه مانعا من ابصار غيره ثم ما كان التحديق الى الاول اقوى واكمل كان الحرمان عن ابصار الثاني اشد
واكمل فكذا في عالم الروحانيات على هذا القياس كلما كان اشتغال القلب بغير الله اشد واكمل كان حرمانه
عن الاطلاع على انوار جلال الله اشد واكمل ولهذا المعنى حكم الله تعالى بوقوع المنافاة بين الامرين
فقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وفي رواية اخرى وتحبون المال حبا جما وقال وانه
لحب الخير لشديد وقال زين للناس حب الشهوات وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة
ثم اذا انصفنا علمنا انا كالمعذورين في حب الدنيا وكيف لا نحبها ونحن انما ارتضعنا من ثديها
وطعامها وانما تربينا على ظهرها وانما الفنا شاهدنا احوالها ولو اتفق لبعض الخلق على سبيل
الندرة اطلاع على شيء من الروحانيات فكذلك انما يكون بعد استحكام الالف بالدنيا فمع هذه
الاسباب القوية كيف ينفك قلب الانسان عن محبة الدنيا اليس انه عليه السلام قال جبلت القلوب على
حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها فانظر الى الدنيا كم انتفعنا بطعامها وثمارها وانهارها
واشجارها ولذاتها وطيباتها واذا كان كذلك فلا محالة يكون مجبولين على حبها اذا عرفت هذا فنقول

كل من احب شيئا نظر اليه بكل عينيه ومن نظر الى شيء بكل عينيه لم ير غيره وايضا اذا كنت محبا للشيء
عميت عن رؤية معايبه وصرت مشتغلا برؤية محاسنه وفضائله وايضا اذا استحكمت تلك المحبة
استولى على القلب منها والطرف واذا امتلأ من شيء لم يتسع لغيره فهذه قلوب لا يدخل فيها محبة الله تعالى واليه
الاشارة بقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وذلك لانه
كان قلوبهم مملوة من حب الدنيا فكانوا ينتفعون لما يرون ويسمعون ويتكلمون ثم ان هذه الحالة
كلما كان دوامها اكثر كان استحكامها اشد وهو مرض القلب كما قال تعالى في قلوبهم مرض والمرض كلما لم يكن
مستحكما فانه يرجى علاجه فاذا استحكم وصار لا يقبل العلاج قرب منه الموت واليه الاشارة بقوله
انك لا تهدي من احببت وبقوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
وعند هذا يظهر ان الكل منه وان الخير والشر بقضائه وقدره وههنا نكتة السؤال الاول اذا
استحكم مرض الجسم بحيث لا يرجى علاجه سقط الخطاب واذا استحكم مرض القلب فلم لا يسقط الخطاب
الجواب عدم سقوط الخطاب في هذه الحالة انما كان حتى يعلم الانسان قبل انتهائه الى هذه الحالة انه
لو لم يشتغل بالعلاج قبل الانتهاء الى هذه الحالة وانه سينتهي الى هذه الحالة وعند انتهائه الى هذه
الحالة لا يمكنه العلاج ولا يسقط ايضا عنه الخطاب فلا جرم لاجل الخوف من هذه الحالة يشتغل بالتربية
وبالعلاج قبل الانتهاء الى هذه الحالة ثم ان هذه المرتبة لما لم يكن محدودة وكان هذا الخوف حاصلا عند
الاقدام على كل ما كان ذنبا فكانت التوبة حاصلة عن جميع الذنوب السؤال الثاني انكم ذكرتم انا مجبولون
على حب الدنيا وذكرتم ان حب الدنيا يورث الاعراض عن الآخرة ثم انا مع ذلك امرنا ببغض الدنيا وبحب
الآخرة فكيف يجتمع هذا مع قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الجواب قد ظهر منه ان العبد لا قدرة
له على الوفاء بهذه الطاعة الا بفضل الله واعانته والا بان يجذبه من التوغل في حب الدنيا الى حب
المولى فلهذا السبب امر الله تعالى ان يقول كل يوم مرة اياك نعبد واياك نستعين وجاء في الاخبار المتواتر
فضل عظيم في قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم السؤال الثالث اليس ان الدنيا ام حاضنة فالسبب
فان اوجب الله بغضها الجواب ان حبها مانع عن حب الله تعالى وهذا كما انه فرض بغض الابوين الكافرين وعصيانهما

عند



عند دعوتهما الولد الى الكفر قال وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما السؤال
الرابع ما علامة رجحان حب المولى على حب الدنيا الجواب ترجيح المحبة على المحبة انما يظهر باحد
امرين احدهما قدر الحزن عند الفوات والثاني قدر السرور عند الوجدان واعلم انه لما لم يترجح
حب الله تعالى على حب الدنيا فلا ايمان واذا حصل الرجحان فلا يطلب الايمان الا عند زوال المعارض
من كل وجوه وعلامة ذلك ان لا يخطر الدنيا بباله الا عند الحاجة اليها كانها شربة ماء او مدة
استنجاء السبب الثاني لحصول التفاوت في هذه الانوار الروحانية طيب الغذاء وخبثه قال يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات وقال تعالى ويحرم عليهم الخبائث والسبب فيه ان الغذاء يصير جزءا من البدن ومن القلب ولا
شك ان الذي يصير جزءا من الشيء يختلف بسبب اختلاف هذا الذي يصير جزءا له فالبيت ان طينته
بالطين الكدر جاء كدرا وان طينته بالجص الابيض جاء صافيا نورانيا واذا اختلف حال البدن
باختلاف حال الاغذية للاجرام يختلف حال البدن باختلاف حال الاغذية للاجرام يختلف حال البدن
باختلاف حال الاغذية للاجرام يختلف احوال تلك الانوار بسبب اختلاف احوال البدن الا ترى ان الماء الصافي
يحكي لونه لون الظرف والقارورة فثبت ان طيب الغذاء وخبثه سبب لاختلاف احوال الانوار الروحانية
السبب الثالث الامكنة والازمنة اما الامكنة فلقوله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا
وقال من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذي باركنا حوله واما الازمنة فقال تعالى في ايام نحسات
وهذا يدل على انها اذا كان ايام رحمة كانت متصفة بالسعود اي يسعد فيها كل من اقدم على عمل
من الاعمال ومن كلام اهل التصوف الوقت سيف قاطع ولارباب القلوب في هذه الكلمة كلمات
والذي يميل اليه قلبي انه تعالى في كل وقت يحدث حادثا فصار ذلك الوقت مربوطا بذلك الحادث برابطة
المشيئة الازلية الذي لا يمكن دفعه وابطاله فاذا جاء ذلك الوقت جاء معه ذلك الحادث فكان
السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب فاذا كان الوقت الذي يفتح الله رحمته متاخرا
فلا ينفع الجد والجهد في الزمان المتقدم وسمعت بعض المشايخ قال بعث الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير
رحمه الله واحدا الى النهر ليجيئه بماء يتوضأ وكان يبطئ في الرجوع فقال الشيخ ذلك الماء الذي يمكننا ان نتوضأ به

بعد ما خرج من النهر السبب الرابع وهو الاقوى الجذبة العلوية والهداية الالهية ولا يتم جميع
الاسباب الا بهذا المعنى قال الله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهذه الاحوال
اشارة الى مبدأ هذه الدرجة واما وسطها فهو قوله ففروا الى الله ونهايتها قوله قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون وايضا الى اوله الاشارة بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به والى وسط
الاشارة بقوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا والى اخره الاشارة بقوله انت مولينا ثم اذا
وصل القلب الى هذه الحالة صار القلب في عالم القلوب كالشمس في عالم الافلاك فعند هذا يبقى
مسخرة في نوادر عالم الجلال والجلال كما قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم صار هذه الروح
ينبوعا لفيض الانوار على اجساد الارواح كما قال واما ان كان من اصحاب اليمين وبعد هذا درجات
لا يصل اليها الخيال ولا يعبر عنها المقال ومن اراد ان يعرف فلينظر الى ان يصير من الواصلين الى
العين لا من السامعين للاثر الشرط الخامس من الابصار واعلم ان الجنين حين ما يكون في رحم
الام في اول ما خلق الله عينيه يكون الجفنان ملتصقين ثم بعد زمان بفضل الله يرفع احد الجفنين
عن الاخر اذا حصنا يكونان منطبقين فاذا انفصل عن بطن الام انفتح العينين في بعض الاوقات
الا انه في اكثر الاوقات يغمضها ويكون نائما وعند فتح العينين يكون جاهلا بامه والام مع ذلك
تراعي مصالحه ويعدوه لعلمها بانه ما جاءت اوان قدرته على التمييز بين المحسن والمسيء ثم لا
يزال الطفل ينظر اليها الى ان يميز بين الام وبين غيرها ثم اذا واظب على النظر والابصار حتى يصير بحيث
لا يمكنه ان لا ينظر الى شيء اذا عرفت هذه المراتب في العين الظاهرة فاعرف مثلها في العين الباطنة
ففي اول الامر يكون عين القلب منطبقا ثم ينفتح ولكنه لا يقدر على ان يميز به بين الخير والشر ثم
لا يزال ينظر بعين عقله الى ان يصير بحيث يدرك الفرق بين المحسن وبين المسيء فيعرف ان المحسن
هو الحق وان ما سواه فهو سبب للشر ثم اذا واظب على هذا النظر صار بحيث لا يمكنه ان يصرف نظر
العقل وكان الام تعين الطفل فان في اول عمره عن التمييز بينها وبين غيرها فكذلك الحق ههنا تعذر على الانسان

فاقول



في اول عمره في ان يعرف ربه وذلك في سن ما قبل البلوغ ثم اذا واظب على النظر في افعال الله و
آثار حكمته في مخلوقاته فان حصل له عشق ومحبة مع هذا النظر فلا يرى شيئا بعقله الا و
ينتقل منه الى مبداه وغايته اما المبدأ فهو قدرة الحق واما الغاية فهي حكمة الحق فيصير بحيث
لا يرى شيئا الا ويرى الله بعده وحينئذ يستنير السر كما يستنير القمر بمقابلة الشمس والقلب
في هذا المقام قد استلذ النظر والفه فلا جرم ابدا يقلب الفؤاد والقلب حدقته في منظور الى
منظور وقد كان للقلب عين واحدة واما الان فقد صار كل ذرة من ذرات المبدعات والكا
ئنات عينا للقلب وذلك لان العالم كله يصير مرآة للقلب والمرآة للعين بمنزلة بصر ثان
فانه يرى بها ما لا يراه بدونها فعند ذلك يصير كل ذرة من ذرات الممكنات عينا له والعين ينبوع
النور فيصير كل العالم ينبوع النور في حقه واذا اتصلت انوار العالم به صار كله نورا قال تعالى
في صفة هؤلاء يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وفي الحديث ان اهل الجنة اهل عليين
كما يرون الكوكب الدري في السماء وان ابا بكر وعمر منهما وبالله التوفيق اللهم اجعلنا منهم
بفضلك وبرحمتك واحسانك الباب الرابع في الاستدلال باحوال الحيوانات على وجود الصانع
الحكيم وفيه فصول في الاستدلال الكلي باحوال الحيوانات وقبل الخوض في المقصود لا بد من الاشارة الى
تقسيم الحيوانات فنقول اعلم ان الحيوانات التي يطير في الهواء احدهما الطيور والثاني الحشرات والفرق
بين القسمين ان كل حيوان صغير الجثة ليس له عظم ولا ريش فهو من الحشرات وما كان له عظم وريش
وهو من الطيور اذا عرفت هذا فنقول اقسام الحيوانات خمسة قسم منها حيوانات الهواء والقسم الثاني
حيوانات الماء والقسم الرابع حيوانات وجه الارض كالبهائم والسباع والقسم الخامس حيوانات تحت
الارض وهي الحشرات كالحيات والخنافس والديدان واشباهها واعلم ان حيوانات الماء اعظم الحيوانات
وهي ايضا اصغرها والمراد منه انه يوجد في حيوانات الماء ما يكون في العظم فوق جميع الحيوانات و
يوجد ايضا فيه ما يكون اصغر من جميع الحيوانات واما حيوانات وجه الارض فهي دون حيوانات الماء
في العظم وبين حيوانات وجه الارض حيوانات الهواء فانها اصغر جثة من حيوانات وجه الارض واخر الكلام ان تب

في الصغر الحيوانات المتولدة في داخل الارض فهذا هو ضبط هذه الاقسام ثم نقول اعلم انه تعالى
استدل بخلقة الحيوانات على وجود الصانع الحكيم تارة مجملا وتارة مفصلا اما المفصل
فسيأتي شرحه في فصول آتية واما المجمل فقال في سورة البقرة والهكم اله وحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم ثم ذكر عقيبه مما يدل على وجود الصانع الحكيم ثمانية انواع من الدلائل فقال ان في خلق
السموات والارض وهما دليلان ثم قال واختلاف الليل والنهار وهو الدليل الثالث ثم قال والفلك
الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وهو الدليل الرابع ثم قال وما انزل الله من السماء من ماء
فاحيا به الارض بعد موتها وهو الدليل الخامس ثم قال وبث فيها من كل دابة وهو الدليل السادس
ثم قال وتصريف الرياح وهو الدليل السابع ثم قال والسحاب المسخر بين السماء والارض وهو الدليل
الثامن ثم لما ذكر هذه الدلائل الثمانية مدح المتفكرين والمتدبرين والمتأملين فيها فقال لآيات
لقوم يعقلون والمقصود انه تعالى احتج بخلقة الحيوانات المختلفة على وجود الصانع الحكيم وهو قوله
وبث فيها من كل دابة ولما كان الامر كذلك وجب علينا ان نبحث عن وجود دلالة هذه الدليل فنقول
الاختلاف في ابدان الحيوانات واوصافها ظاهر ونحن نشير الى بعضها ثم نستدل بها على وجود
الصانع الحكيم واعلم ان الاختلاف بين الحيوانات حاصل من وجوه لا يحيط بها علم البشر الا انا نشير الى
بعض تلك الوجوه فالاول الاختلاف الحاصل في صورها واشكالها فاحدها الاختلاف
الحاصل في الجلدة الظاهرة وذلك لان بعضها كالسلحفا محيط به صدف وبعضها كالسمك على جلده
فلوس وبعضها على جلده شوك كالقنفذ وبعضها على ظاهره ريش وجناح كالطير وبعضها على
ظاهره شعر ووبر وصوف كالبهايم والانعام والسباع وبعضها يكون عاريا عن كل ذلك كالانسان
وثانيها الاختلاف في الالوان والاشكال فمنه ما يكون ملونا بلون واحد وهو الانسان ومنها ما يكون
ملونا بلونين كالفرس الابلق ومنه ما يكون ملونا بالوان كثيرة عجيبة حسنة كالطاوس وثالثها
الاختلاف في الاصوات فمنه ما هو مصوت ومنه ما لا صوت له والمصوت منه ما هو طيب الصوت كالعندليب
ومنه ما هو قبيح كالحمار قال الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير ورابعها قد يكون صغير الجثة كالبوم عظيم

العين



العين وقد يكون كبير الجثة صغير العين كالعقاب وقد يكون عينه سريع التغير في الضوء كالخفاش
وقد يكون بخلاف ذلك كالخطاف وخامسها ما يمشي على بطنه كالحية ومنها ما له رجل اما رجلان
كالطير والادمي واما اربع كالبهايم والسباع واما ارجل كثيرة ستة او ثمانية وكل طائر ذو
جناح فانه يمشي برجليه ومن جملة ذلك ما يكون المشي صعبا عليه كالخطاف الكبير الاسود والخفاش
واما الذي يكون جناحه جلدا وغشا فقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير وسادسها
ثدي الفيل والانسان يكون عند الصدر وثدي البقر والغنم عند السرة وسابعها اذن الفيل
صالح للتسمع كونه آلة للسمع وانفه آلة للقبض مع كونه آلة للشم فهذه اختلاف الحيوانات في
الخلقة الظاهرة النوع الثاني اختلاف احوالها في المسكن والماوى فمنها مائية ومنها ارضية
ومنها ما يكون ارضيا ومائيا معا اما الحيوانات المائية فمنها ما يكون مكانه وغذاؤه ونفسه
مائيا وله بدل التنفس النسيمي تنشق مائي فهو يقبل الماء الى باطنه ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه
والسمك كلها كذلك ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي ولكنه يتنفس من الهواء كالسلحفاة
المائية ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي ولا يتنفس ولا ينشق مثل اصناف الصدف ولا يظهر
للهواء البتة ولا يستدخل الماء الى باطنها وايضا الحيوانات المائية بعضها ماواه الانهار الجارية
وبعضها مياه البطايح مثل الضفادع ومنها ما في مياه البحار وايضا الحيوان المنتقل في
الماء منه ما يعتمد في غوصه على رأسه وفي السباحة على اجنحته كالسمك ومنه ما يعتمد
في السباحة على ارجله كالضفدع ومنه ما يمشي في قعر الماء كالسرطان ومنه يزحف مثل ضرب من
السمك لا اجنحة له كالدود واما الحيوانات البرية فمنها ما تنفس من طريق واحد كالفم والخيشوم
ومنه ما تنفس على هذا الوجه بل من مسامه مثل الزنبور والنحل وايضا الحيوانات الارضية منها ما له
ماوى معلوم ومنها ما ماواه كيف اتفق الا انه يلد للحضانة واللواتي لها ماوى معلوم فبعضها
ما ماواه شق وبعضها ماواه حفرة وبعضها ماواه قلة رأسه وبعضها ماواه اشق وبعضها ماواه
وجه الارض وايضا الطير يختلف فبعضها يتعايش معا كالكركي وبعضها يختار التفرد كالعقاب وجميع

الجوارح التي يتنازع على المأكول ينفرد لاجل احتياجها الى الاحتيال في الصيد ومنافستها فيه ومنه ما يتعايش ازواجا ويكون معا كالقطا ومنها ما يجتمع تارة وينفرد اخرى والحيوانات المنفردة قد يكون مدنية وقد يكون برية صرفة وقد يكون بستانية والانسان من الحيوانات هو الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حيوته لا يتم الا بالمشاركة المدنية والنحل وبعض الغرانيق يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والكراكي يطيع رئيسا واحدا والنمل له اجتماع لكن لا رئيس لهم واما الحيوان الذي يكون تارة مائيا واخرى ارضيا فيقال انه حيوان يسكن في البحر ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويستوفي فيه **النوع الثالث** اختلاف احوالها بحسب الاخلاق فاعلم ان الحيوان منه ما هو انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو انسي بالمولد كالهرة والفرس ومنه ما هو انسي بالقهر كالفهد ومنه ما لا يأنس كالنمر والذي يستأنس بالقهر منه ما يحصل استيناسه سريعا ثم يبقى مستأنسا كالفيل ومنه ما يكون ذلك مبطيا كالاسد وشبه ان يكون من كل نوع صنف انسي وصنف وحشي وايضا بعضها يكون ساكن الطبع قليل الغضب كالبقر وبعضها ردية الحركات كالحية وبعضها شجاع كريم النفس كبير الطبع كالاسد ومنها قوي وحشي محتال كالذئب ومنها مكار ردي الحركات كالثعلب ومنها غضوب شديد الغضب الا انه ملق متودد كالكلب وبعضها شديد الذكاء كالفيل والقرد والفرس وبعضها حسود مباه بجماله كالطاؤس وبعضها شديد الحفظ كالجمل والحمار وايضا احوالها في التناسل مختلفة فبعضها تلد ابناء حيوانا وبعضها يبيض ابناء بيضا وبعضها تلد ابناء دودا كالنحل والعنكبوت ثم ان تلك الدود يستكمل اعضاؤها بعد ذلك ويقال انه اذا ظهرت السخونة وقت الربيع طلب الجراد ارضا طيبة التربة رخوة الجسم وطرحت في تلك الارض بيضها ثم طارت بعد ذلك وعاشت اياما وماتت واكلتها الطيور فاذا دار الحول وجاء الربيع مرة اخرى وطاب الهواء اخرجت من تلك البيضة المدفونة في تلك الارض امثال الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب والكلأ وخرجت لها اجنحة فطارت واكلت من ورق الاشجار وسمنت ثم ماتت كما في العام الاول وهذه عادتها

بتقدير



بتقدير العزيز العليم واما دود القز التي يكون على رؤس الاشجار في الجبال فانها اذا شبعت من الرعي ايام الربيع وسمنت اخذت على نفسها من لعابها شبه العش والكن ثم بنام فيها اياما معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضا في ذلك الكن الذي نسجت على نفسها ثم شقتها وخرج منها وسدت ذلك الثقب ثم يخرج لها اجنحة فتطير فاكلها الطيور واماتت من الحر والبرد والثلج والمطر ويبقى ذلك البيض في تلك الاكنان محروزة ايام الصيف والخريف والشتاء الى يحول الحول ويجيء ايام الربيع فينشأ من ذلك البيض ديدان صغار ويخرج من تلك الثقب ويدب على ورق الاشجار اياما معلومة فاذا شبعت وقربت اخذت بنسج على نفسها من لعابها كما في العام الاول وهذا دأبها وعادتها بتقدير الحكيم العليم فسبحان من هدى كل واحد من هذه الحيوانات الى هذه الاعمال واعلم ان الاستدلال باحوال هذه الحيوانات من وجهين الاول انه تعالى خلقها مختلفة الصور متفقة الاشكال بعضها كبيرة كثيرة الالات والادوات وبعضها صغيرة قليلة الالات وكما اعطى الفيل الجثة العظيمة والبنية والقوة والالات حتى يدفع المكاره عن نفسه بانيابها الطوال الصلاب ويتناول بخرطومه الطويل انواع المنافع فكذلك اعطى البقة على صغر جثتها جناحين لطيفين حتى قدرت بهما على سرعة الطيران ويتناول الغذاء بخرطومه الصغير والكبير في هذه المواهب متساوية وفي جذب المنافع والاحتراز عن المضار متشاكلة بل ههنا لطيفة عجيبة وهي انك ترى ما كان منها اصغر جثة واقل حيلة كان اكثر راحة واطيب نفسا واقل اضطرابا في جر المنافع ودفع المضار مما هو اعظم جثة واقوى بنيانا منها ما كان اقوى القوة كامل البنية يدفع عن نفسها المكاره بالقهر والغلبة كالاسد والفيل ومنها ما يدفع عن نفسه المكاره بالفرار وسرعة العدو كالغزلان والارانب ومنها ما يدفع المكاره عن نفسها بالطيران كالطيور في الجو ومنها بالغوص في الماء بالاختفاء في الثقب والاجحرة كالفارة والنمل كما قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون واما طلبها للمنافع فتارة بقوة البصر وشدة الطيران كالنسر والعقاب وتارة بقوة الشم كالنمل والجعل وتارة بقوة السمع كالنسر فاما

سائر الحيوانات الصغار الجثة الضعيفة القوى والبنية التي ليس لها شيء من الادوات والالات ولا شيء
من الادراكات والاحساسات كالديدان الصغار وما اشبهها فانها جعلت في اماكن مكنية ومواضع
حريزة اما في النبات او في جوف الحيوانات او في الطين او في السرقين وجعل غذاها محيطا بها وجعل
في جميع اجزاء ابدانها قوى جاذبة يمتص الرطوبات المغذية لها المقوية لابدانها ولم يحوجها الى الطلب
ولا الى الهرب فسبحان الخالق الحكيم الذي اعطى كل شيء مصلحته ويروى ان الليلة التي اوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام كان قلب موسى متعلقا باحوال زوجته فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
على ذلك الحجر فخرج منه حجر آخر ثم ضرب بالعصا عليه فخرج منه حجر آخر فضرب بالعصا عليه فخرجت
منه دودة في غاية الصغر وفي فمها مثل مقدار ذرة من ورق الشجر فرفع الله الحجاب عن سمع
موسى فكانت هي تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويذكرني ولا ينساني **الوجه الثاني** من الاستدلال
باحوال هذه الحيوانات يقول هذه الحيوانات كثيرة جدا ويقال ان حيوانات البحر ستمائة نوع و
حيوانات البر خمسمائة وجعلتها هو البشر واذا كان كذلك فكيف يمكن الاطلاع على احوالها و
عجايب صفاتها الا ان وجه الاستدلال بها على الصانع الحكيم ظاهر وذلك لانه لو كان السبب لوجودها
تركيب الطباع وتاثير الافلاك والكواكب فذلك بالنسبة الى الكل على السوية بل صريح العقل
يشهد بان اختصاص كل واحد منها بماله من الاعضاء والقوى والصفات والاشكال لابد وان
يكون لتدبير مدبر حكيم يخلق الاشياء بقدرته ويدبرها بحكمته واعلم انه تعالى قد نبه في القرآن
على عجز البشر عن معرفة الحيوانات في آيات فاحديها انه تعالى لما شرح احوال الحيوانات في سورة النحل في قوله
والانعام خلقها لكم فيها الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال بعد ذلك و
يخلق ما لا تعلمون والمعنى انا شرحنا لكم احوال بعض الحيوانات فاما شرح احوال الكل فذلك
مما لا يليق بعقولكم بل يجب تفويض معرفتها الى خالقها فلهذا ختم الكلام في شرح احوال الحيوانات
بقوله ويخلق ما لا تعلمون وثانيها قال في النور الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ثم بعده ولله ملك السموات والى الله

المصير



المصير وفيه فائدتان الفائدة الاولى انه مع وجازته دال على تمام معرفة المبدأ والمعاد
فقوله ولله ملك السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والمحدث
لا يوجد الا عند الانتهاء الى قدرة الواجب في وجوده الازلي في ثبوته ثم ان حدوث هذه الحيوانات دال
على قدرة الصانع وحكمته فكان حدوث هذه الحيوانات من ادل الدلائل على كونه تعالى ملكا بالحق وما
لكا بالصدق فلهذا قال ولله ملك السموات والارض ثم قوله والى الله المصير دل على ان المعاد حق وان
البعث والحشر والنشر حق حتى يظهر في ذلك اليوم نتايج افعال هذا اليوم الفائدة الثانية انه تعالى
لما شرح احوال بعض الحيوانات على سبيل التفصيل وهو قوله والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
ثم ذكر بعد التفصيل فهو قوله والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ثم ذكر بعد التفصيل هذا
الكلام المجمل وهو قوله تعالى ولله ملك السموات والارض كان ذكر هذا المجمل بعد ذكر المفصل تنبيها
دالا على انه لا سبيل للعقول البشرية الى الوقوف على تمام تلك التفاصيل وثالثها قال تعالى ايضا
في هذه السورة والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على اربع ثم قال بعد ذلك يخلق الله ما يشاء وهو على كل شيء قدير وذلك لانه تعالى ذكر
انقسام الحيوانات الى هذه الاقسام وهذا الكلام تفصيلي ثم انه تعالى اردفه بالكلام المجمل وهو قوله
يخلق ما يشاء والمقصود التنبيه على انه لا سبيل للبشر الى معرفة تمام هذه التفاصيل وقد ذكرنا
في الفصول المتقدمة انه في شرح احوال الافلاك جرى على هذا المنهاج فقال في آل عمران ويتفكرون
في خلق السموات والارض اي يطلبون معرفة الحكمة في كل واحد منها ثم عدل الى التعظيم الاجمالي فقال
ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال في الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم عدل عنه
الى التعظيم المجمل فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين والمقصود من هذه الايات التنبيه على
انه لا سبيل للعقول البشرية الى الاطلاع على تمام الحكمة الالهية في تدبير العالم العلوي والسفلي
بل الواجب تفويض اسرارها الى علمه المحيط بالغيوب المقدس عن النقصانات والعيوب كما قال وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهو من سؤالات الاول قال تعالى في سورة الانعام وما من دابة في الارض

ووقوعها على ما عرفنا من الاحكام
والاتقان دال على علم الصانع

ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فظاهر هذه الاية يوهم مذهب التناسخ من وجوه الاول
انه قوله تعالى الا امم امثالكم يقتضي حصول المماثلة بينها وبيننا في الروح والعقل والتكليف الثاني
انه ثبت بهذه الاية ان كل نوع من انواع هذه الحيوانات امة واذا ثبت هذا وجب ان يحصل في كل
واحد منها رسول ونذير لقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير والانذار لا يتحقق الا في حق العقلاء
المكلفين وهذا يقتضي كون هذه الحيوانات عارفة بربها مكلفة بالطاعات الثالث ما روي عن ابي
الدرداء انه قال ابهمت عقول البهائم عن كل شيء الا عن اربعة اشياء معرفة الرب والسعي في طلب
الرزق ومعرفة الذكر والانثى واهتمام كل واحد منهما بامر صاحبه الجواب ان لفظ المثل لا يقتضي حصول
المثلية على وجوه الاول انها امثالكم في كونها امما وجماعات فكان المراد من هذا كونها انواعا مختلفة
واقساما متباينة في الخلق والخلق والطبيعة والشكل في كل الامور فاذا حملنا الاية على ثبوت
المثلية ولا في شيء واحد فقد وفينا بمطلوب اللفظ ثم اختلف المفسرون في معنى المثلية على وجوه
الاول انها امثالكم في كونها امما وجماعات وكان المراد من هنا كونها انواعا مختلفة واقساما متباينة
في الخلق والخلق والطبيعة والشكل الثاني انها امثالكم في كونها مخلوقة لله تعالى وفي انه تكفل
بارزاقها كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها الثالث انها
امثالكم في ان مقادير اعمالها معلومة لله تعالى مع انها خالية عن التكليف وخوف العقاب فاحذروا
ايها البشر المكلفون فانكم احصى الله اعمالكم اولى الرابع انها امثالكم في انها محشورة يوم
القيمة والله يقضي لهم بالحق كما يقضي للانسان دليله ما روي في الحديث انه تعالى يقضي للجماء من القرناء
الخامس انها لا يبعد الاية على جميع ما ذكرنا من الوجوه لانه لا تخصيص ولان على هذا التقدير يكون
الفائدة اكثر واما التمسك بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير فالجواب انه مخصوص بالامة الموصوفة
بالعقل بالدلائل العقلية باجماع الامة السؤال الثاني ما الحكمة في خلق الحيوانات المؤذية كالحيات
والعقارب والذئب والاسد والجواب المعتمد عندنا في الجواب انه تعالى مالك الملك والمالك له ان
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الا انا نذكر ها هنا وجوها اخرى فالاول انه تعالى رغب المكلفين في الطاعات





بان وعدها بالثواب وزجرهم عن المعاصي بان توعدهم عليها بالعقاب فلا بد وان يشاهد
في الحال شيئا يشبه الثواب وشيئا يشبه العقاب حتى يتكامل رغبتهم في طلب الثواب ويقويهم عن الهرب
عن العقاب فلا جرم اظهر في الدنيا انواع اللذات وانواع المحن والافات ليكون ذلك كالعرف لاحوال
الثواب والعقاب وقد نبه الله تعالى على ذلك في قوله افرأيتم النار التي تورون ءانتم انشأتم
شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين اي جعلنا النار سببا للمنافع
في الدنيا وجعلناها ايضا تذكرة للعذاب في الاخرة الثاني انه جعل الذئب بحيث يفترس الغنم
ثم ان الانسان يبالغ في صون غنمه عن الذئب فاذا بالغ في هذا الحفظ مع ان هذه المضرة قليلة فلان
يبالغ في صون طاعته عن الشبهات والشهوات مع ان نتايج تلك المضرة عظيمة كان ذلك اولى الثالث
ان الانسان اذا احترز عن سم الحية والافعى فلان يحترز عن سم الكفر والبدعة والفواحش
والذنوب مع شدة الالام الحاصلة منها وطول مدتها كان اولى الفصل الثاني في الاستدلال
باحوال الطيور على وجود الصانع المختار الحكيم اعلم انه تعالى ذكر الاستدلال بوقوف الطير في
الهواء على وجود الصانع المختار في مواضع من القرآن العظيم احدها قال في النحل الم يروا الى الطير
مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وثانيها قال في النور
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله
اعلم بما يفعلون وثالثها قال في الملك اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن
انه بكل شيء بصير اما الاية الاولى فنقول قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي الم تروا على سبيل
المخاطبة والباقون بالياء على الحكاية لمن تقدم ذكره حجة من قرأها على المخاطبة ان ما قبل هذه
الاية مخاطبة وما بعدها مخاطبة فوجب ان يكون هذه الاية ايضا مخاطبة اما ان ما قبلها مخاطبة فهو
قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم
تشكرون واما ما بعدها مخاطبة فهو قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم واذا ثبت ان ما قبل هذه الاية وما بعدها جاء على سبيل المخاطبة

وجب ان يجري هذه الآية على سبيل المخاطبة حتى يكون النسق واحدا في الكل وحجة القول الثانية
ان الغرض من ذكر هذه الآية الارشاد الى الدليل والارشاد الى الدليل انما يحتاج اليه الجاهل
لا العالم فوجب ان يحمل هذا على لفظ المغايبة صرفا له الى الكفار والمنكرين قلنا نحن لا ننكر
احتمال ما ذكرتم الا ان ما قلناه ايضا محتمل لان الدليل كما يذكر للمنكر حتى يصير مقرا فكذلك
قد يذكر للمقر حتى يزداد ايمانا على ايمان وعرفانا على عرفان وهذه السورة مشتملة على دلائل
كثيرة ولا شك ان المقصود منها هو التاكيد بسبب تكثير الدلائل اذا عرفت هذا فنقول قوله تعالى
في النحل الم يروا معناه والدليل عليه انه تعالى عدى الرؤية في هذه الآية الى شيئين احدهما كون الطير مسخرات
في جو السماء ومن المعلوم ان كونها مسخرة يعلم ولا يرى والثاني هو قوله ما يمسكهن الا الله وهذا
المعنى يعلم ولا يرى فثبت بهذين الوجهين ان قوله في هذه الآية الم يروا معناه الم يعلموا واعلم انه
تعالى ذكر في هذه الآية من دلائل التوحيد امرين الاول كون الطير مسخرة والثاني انه ما يمسكهن الا
الله والمراد من كونها مسخرة انها في انفسها اجرام ثقيلة والجرم الثقيل يكون هاويا بالطبع الا ان
قدرة الله تعالى غالبة على جميع الطبائع والخواص فهو بقدرته يمسك الثقيل الى فوق وينزل
الخفيف الى تحت من غير ان يشق عليه هذا الفعل ومن غير ان يتعب بسببه وكيف والسموات السبعة
مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم التي لا يعلم مقادير ثقلها الا الله والارض مع ما فيها من البحار
والجبال والحيوان والنبات هو تعالى يمسكها بقدرته ويسكنها بحكمته كما قال الله الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها فان من قدر على تسكين اجرام هذه الاجسام العظيمة
من غير تعب ولا مشقة فكيف لا يقدر على امساك الطيور بقدرته في الهواء اليس انه تعالى
قلع الجبل في وقت موسى عليه السلام واوقفه في الهواء كما قال واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا
انه واقع بهم فههنا قدرته على امساك الطير في الهواء اولى اذا عرفت هذا فنقول لكون هذه
الاجرام منقادة بقدرته والهيبة من غير منازعة ولا مدافعة هو المراد بكونها مسخرة واذا عرفت
هذا ظهر الفرق بين كون الطير مسخرة في جو الهواء وبين كونها واقفة هناك بامساكه وتسكينه فهذا

هو الكلام



هو الكلام في هذه الآية واما الآية المذكورة في سورة النور وهي قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له
من في السموات والارض فظاهر الم تر خطاب مع الرسول فلا جرم اشتملت هذه الآية على فوائد زائدة على
ما في الآية الاولى فمنها قوله تعالى يسبح له من في السموات وفي هذا التسبيح ثلاثة اقوال وذلك لان
التسبيح المذكور ههنا اما ان يكون المراد منه دلالة هذه الاشياء على قدسه وعزته وعظمته واما ان
يكون انها تنطق بالتسبيح واما ان يكون المراد منه حصول هذه الدلالة في حق البعض وحصول هذا النطق في
حق الباقين والقسم الاول اقرب اما الثاني ففيه اشكال لان بعض من في الارض ليسوا من المكلفين وهم
الاطفال والمجانين وهؤلاء لا يسبحون باللسان واما المكلفون ممن في الارض ففيهم من لا يسبح بهذا التفسير
وهم الكفار اما تفسير التسبيح بكون هذه الاشياء دالة على السبوحية والعظمة فهذا عام في حق كل الممكنات
وهذا هو المراد ايضا من قوله وان من شيء الا يسبح بحمده فان قيل التسبيح بهذا المعنى حاصل في كل الجمادات
والممكنات فما وجه تخصيصه هذه الآية بالعقلاء قلنا لان خلقة العقلاء اشد دلالة على وجود الصانع
سبحانه لان العجائب والغرائب في خلقتهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم مع حصول الشهوة وحصول
الغضب وحصول الشيطانية وثانيها قوله تعالى والطير صافات فلقائل ان يقول ما وجه اتصال هذا
بما قبله فالجواب انه تعالى لما ذكر ان اهل السموات يسبحون واهل الارض ايضا يسبحون ذكر ان [illegible] التي
مقرها فيما بين السماء والارض وهي الطيور فهي ايضا مسبحة لله تعالى وذلك لان ابدان هذه الطيور
اجرام ثقيلة ثم انه تعالى اعطاها قوى يقوى على الوقوف في الهواء صافة بواسطة اجنحتها وذلك
من اعظم الدلائل على كمال قدرة الصانع ونهاية علمه وحكمته واعلم ان هذا الوصف قد وصف
الله الملائكة فقال والصافات صفا وقال وترى الملائكة حافين من حول العرش والملائكة
ايضا وصفوا انفسهم بهذا الوصف فقالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وعلى الجملة
فهذا يشعر بكون الصافين واقفين في موضع الهيبة ومقام العظمة مشتغلين بتسبيح جلال الله وتعظيم
كبريائه على وجه الخضوع والخشوع وثالثها قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وفيه ثلاثة اوجه
احدها ان يكون المعنى كل من الطير قد علم صلاته وتسبيحه فهذا قول جماعة من اصحاب الاخبار وقال

ابن ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال لي اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع
الشمس وبعد طلوعها قلت لا اعلم قال انها تقدس ربها وتسأل قوت يومها وثانيها ان يكون معنى الآية
مسبح قد علم صلاته وتسبيحه ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى عليم بما يفعلون وثالثها
ان يكون الهاء راجعة الى الله تعالى وتقدير الآية كل مسبح وكل مصلي قد علم صلاة الله التي كلفه اياها
فهذا تأويل لفظ الآية والكلام الذي لا بد من البحث عنه في هذه الآية انه هل يجوز ان يكون الطيور
والبهائم عارفة بربها ام لا فان اكثر ارباب الآثار والاخبار جوزوا ذلك واحتجوا عليه بان يكون
هذه الطيور عارفة بربها مشتغلة بتسبيحه امر جائز في العقول والنصوص وردت بوقوعها
فوجب الاعتراف بذلك اما الجواز العقلي فيدل عليه وجهان احدهما الاجمالي والثاني التفصيلي اما الاجمالي
فهو ان حصول الفهم والعلم في ذوات هذه الحيوانات من جملة هذه الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات
واذا لاحت المقدمتان وجب القطع بهذا الجواز واما التفصيل فهو انا نشاهد من هذه الحيوانات
افعالا لا يصدر الا من افاضل العقلاء وذلك يدل على كونها عاقلة ومتى كان الامر كذلك
ثبت جواز كونها عارفة بربها ويبين ما ذكرناه بوجوه الاول ان الفارة تدخل ذنبها في قارورة
الدهن ثم تلحسه وهذا الفعل لا يصدر عنها الا بعلمها بقياس مركب من مقدمات وهي انها محتاجة الى الدهن
وان رأسها لا يدخل في رأس القارورة وذنبها يدخل والمقصود حاصل بهذا التقدير فوجب الاقدام
عليه الثاني ان النحل تبني البيوت المسدسة وهي لم تفعل الا بعلمها بانها محتاجة الى ان تبني بيوتها
من اشكال موصوفة بصفتين احديهما ان لا يكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق
معطلا والثاني ان يكون تلك البيوت مشكلة بشكل متى انضم بعضها الى بعض امتلأت العرصة
منها ولا يبقى منها شيء ضايعا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط
لان المثلثات والمربعات وان كان يمكن ان يملأ العرصة منها الا ان زواياها ضيقة واما سائر الاشكال
فان زواياها وان كانت واسعة الا انها لا يملأ العرصة منها بل يبقى فيما بينها فرج خالية ضايعة واما
المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين فاقدام النحل على تسديس بيوتها مبني على علمها بانه لا بد وان يكون

بيوتها



بيوتها موصوفة بهاتين الصفتين وعلى علمها بان المسدس موصوف بهاتين الصفتين فلا
جرم علمت بان البيوت الموافقة لها هو المسدس ثم انه تعالى اعطاه من الذكاء ما قدر به على بناء تلك
البيوت مسدسة من غير مسطر ولا آلة ولا شك ان البشر لا يقدرون على بناء البيت المسدس الا عند
الاستعانة بآلات كثيرة فظهر ان علم النحل بهذه الحقائق وقدرته على بناء هذا البناء ازيد من عقل
البشر وعلى قدرته الثالث ان النمل يسعى في تحصيل الذخيرة وكان ذلك لعلمها بانها قد يحتاج في
الازمنة المستقبلة الى الغذاء ولا يكون قادرا على تحصيله في تلك الاوقات فوجب السعي في
تحصيله هذا الوقت التي حصلت فيه القدرة على الادخار الرابع ان العنكبوت تبني بيوتها على وجه
عجيب وانها لما نسجت الشبكة التي هي مصيدتها الا بعد ان تفكرت كيف يمكن اصطياد الذباب
فهذه افعال فكرية ليست باقل من الافعال الفكرية الانسانية فوجب الاقرار بثبوت العقل لها
الخامس ان الجمل والحمار اذا ذهبا طريقا في ليلة ظلماء في المرة الثانية يقدر على سلوك ذلك
الطريق من غير ارشاد مرشد حتى ان الناس اذا ضلوا في ذلك الطريق فقدموا الحمار والجمل
وتبعوه وجدوا الطريق المستقيم عند متابعته وايضا ان الانسان لا يمكنه المشي من بلد
الى بلد الا عند الاستدلال بعلامة مخصوصة وهذا القطا يطير من بلد الى بلد طيرانا سويا من غير
غلط ولا خطأ وكذلك الكراكي تنتقل من طرف من اطراف العالم الى طرف آخر من غير ان يضل البتة لطلب
الهواء الموافق فهذا فعل يعجز عنه عقل البشر وهي قادرة عليه السادس ان الذيب اذا اراد ان يفترس
الثور لا يمكنه ان يقصده ظاهرا فيقال انه يتسلق في ممر ذلك الثور فاذا قرب الثور منه واراد
نطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهس فيما بين ذراعيه حتى يثخنه وايضا انه يأخذ
العصا ويضرب الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه وبعد ذلك يتنسم ويتنفس نفسه وايضا يصعد
الشجر اخف صعودا ويشم الجوز بين كفيه فيعوضها بالواحدة وصدمها بالاخرى ثم ينفخ فيه فيذرو
قشره ويأكل لبه السابع الفرس يقال ان من خواص الفرس ان كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذي
قابله والكلاب تعالج بالعشب المعروف لها والفهد اذا سقي الدواء المعروف بخانق الفهد طلب زبل الانسان

فيأكله والتماسيح تفتح افواهها للطائر يقع عليها كالعقعق حتى ينظف ذلك الطائر ما بين
اسنانها وعلى رأس الطائر شيء كالشوك فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطائر يتأذى
من ذلك الشوك فيفتح فاه فيخرج الطائر والسلحفاة ايضا تأكل بعد اكل الحية صعترا جبليا ثم يعود
وقد شوهد ذلك وحكى بعض الثقات المجربين للصيد انه شاهد الحبارى يقابل الافعى وينهزم
عنها الى بقلة يتناول منها ثم يعود ولا يزال ذلك فعله وكان ذلك الشيخ قاعدا في كوة غار كما يفعله
الصيادون وكانت البقلة قريبة من ذلك الموضع فلما اشتغل الحبارى بالافعى قلع الرجل البقلة
فعاد الحبارى الى منبتها فاخذت تدور حول منبتها دورانا متتابعا حتى خرت ميتة فعلم الرجل
انه كان يتعالج باكلها من لسعة الافعى وتلك البقلة هي الخس البري واما ابن عرس فيتطهر في قتاله
الحية باكل السذاب فان النكهة السذابية مما يستهرب عنها الافعى والكلاب اذا تدود بطنها اكلت
سنبل الحنطة واذا جرحت اللقالق بعضها بعضا داوت تلك الجراحات بالصعتر الجبلي فانظر من اين حصل
لهذه الحيوانات هذا الطب وهذا العلاج **الثامن** ان القنافذ تحس بريح الشمال والجنوب قبل
الهبوب فيغير المدخل الى جحرها يحكى انه كان بالقسطنطينية رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر
بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذ في داره يفعل فعل المذكور
**التاسع** ان الخطاف صناع حسن في اتخاذ العش لنفسه من الطين وقطع الخشب فان اعوزه
الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين واذا فرخ بالغ في تعهد الفراخ ويأخذ
خروءها بمنقاره ويرميها عن العش ثم يعلمها القاء الذرق بالتولية نحو طرف العش **العاشر** اذا دنا
الصياد من مكان فراخ القبجة ظهرت له القبجة وقربت منه مطمعة للرجل ان يتبعها ثم ذهبت الى جانب آخر
سوى جانب فراخها **الحادي عشر** ناقر الخشب قلما يجلس على الارض بل يجلس على الشجر وينقر الموضع
الذي يعلم ان فيه دودا **الثاني عشر** الغرانيق تصعد في الجو جدا عند طيرانها فان حجب بعضها عن بعض
ضباب او سحاب احدث عن اجنحتها حفيفا مسموعا فيلزم بسبب ذلك الصوت بعضها بعضا واذا نامت
على فرد رجل وقد اصطفت الرؤوس الا القايد فانه ينام مكشوف الرأس فيسرع انتباهه واذا سمع

صوتا

صوتا او احست بآفة صاح **الثالث عشر** ان النعامة اذا اجتمعت لها من بيضها عشرين او ثلثين
قسمتها ثلثة اثلاث ثلثا تدفنها في التراب وثلثا تتركها بالشمس وثلثا تحضنه فاذا اخرجت فراخها
كسرت ما كانت في الشمس وسقت فراخها ما كان في تلك الرطوبات التي ذوبتها الشمس [illegible]
فراخها وقويت اخرجت المدفونة في الارض وفتحت لها ثقبا وقد اجتمعت فيها النمل والذباب
والديدان والحشرات ثم يطعمها الفراخ فاذا تناولت ذلك قويت وقدرت على الرعي واللعب
فقل لي ايها العاقل اي امرأة في تربية اولادها تهتدي الى مثل تلك الحيلة واعلم ان الاستقصاء
في هذا الباب مذكور في كتاب طبايع الحيوان وهذا القدر يدل على ان الحيوانات قد تأتي بافعال يعجز عنها
اكثر الاذكياء والعقلاء ولولا كونها عاقلة ما صح منها شيء من ذلك واذا ثبت كونها مهتدية
عارفة بهذه الدقايق فاي بعد في كونها عارفة بربها مسبحة لمالكها فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الامكان
حاصل واما النصوص الدالة على حصول هذه المعرفة فكثيرة **الحجة الاولى** قوله تعالى حكاية عن سليمان
عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين
**الثانية** قوله تعالى فتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا
شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين وهذا التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم
العاقل **الثالثة** قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
**الرابعة** قوله تعالى حكاية عن الهدهد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبأ يقين اني
وجدت امرأة تملكهم الى قوله فهم لا يهتدون وهذا الترتيب في ايراد الكلام لا يأتي الا من العاقل
الذي يكون في غاية الذكاء وذلك لان اشد الاشياء اخذا بقلوب الرجال امر النساء ولهذا السبب
بدأ تعالى بذكر النساء بقوله زين للناس حب الشهوات من النساء ولما لم يلتفت سليمان الى ذكر
المرأة ثنى الهدهد بذكر المال فقال واوتيت من كل شيء فلم يلتفت ايضا سليمان فثلث بذكر الجاه
والملك العظيم فقال ولها عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمان البتة الى شيء من امور الدنيا رجع الهدهد
بما يتعلق بالدين فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ومعلوم ان مثل هذا الترتيب

لا يتأتى إلا مع الذكاء العظيم **الخامسة** ظاهر هذه الآية التي نحن في تفسيرها وهو قوله كل
قد علم صلاته وتسبيحه فانه يدل على أن كل الطير التي هي صافات في السماء قد علم صلاته وتسبيحه
**السادسة** قوله تعالى في قصة داود عليه السلام يا جبال أوبي معه والطير والتكليف لا يتوجه إلا
على العاقل **السابعة** قصة قابيل وهابيل وهو قوله فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه
كيف يواري سوأة أخيه فثبت بما ذكرنا من أن الطيور كانت عارفة بربها وثبت بهذه
النصوص كونها عارفة بربها فوجب الاعتراف بذلك هذا تمام حجة القائلين بأنها عارفة بربها
واحتج من أنكر كونها عاقلة بربها بأنها لو كانت عاقلة لكانت آثار العقل ظاهرة في حقها لأن إيجاد العقل
لها مع أنه لم يظهر أثره في حقها عبث وذلك لا يليق بحكمة الحكيم ولكنا لا نرى آثار العقل حاصلة
في حق شيء منها لأنها لا تحترز عن الأفعال القبيحة ولا تميز بين ما ينفعها وبين ما يضرها فوجب
القطع بأنها غير عاقلة أجاب الأولون بأن المتكلمين لما استدلوا بدليل الإحكام والإتقان على
كونه تعالى عالما أوردوا على أنفسهم سؤالا وهو أنا نرى في العالم أفعالا خالية عن الإحكام
والإتقان فوجب أن يدل ذلك على جهل الفاعل فأجابوا بأن الإحكام والإتقان يدل على علم
الفاعل أما عدم الإحكام والإتقان لا يدل على الجهل لأن الجاهل لا يمكنه الفعل المحكم أما العالم
يمكنه الفعل الخالي عن الإحكام فكذا ههنا نشاهد صدور الأفعال المحكمة عن هذه الحيوانات
ونشاهد أيضا صدور أفعال غير محكمة عنها فيكون أفعالها المحكمة دالة على عقلها أما
الأفعال التي ليست بمحكمة لا يدل على عدم عقلها فهذا تمام الكلام في هذا الموضع والآية
الثالثة في هذا الباب قوله تعالى في سورة الملك أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن
إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير أما مسألة الرؤية فقوله صافات أي باسطات أجنحتهن في الجو عند
طيرانها ويقبضن أي يضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وههنا سؤالات الأول لم قال ويقبضن ولم
يقل قابضات حتى يكون مطابقا لقوله صافات الجواب لأن الطيران في الهواء يشبه السباحة في الماء
والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك

والاسم

والاسم يدل على الثبات والاستمرار والفعل يدل على التجدد فعبر عن البسط بقوله صافات
ليدل بلفظ الاسم على أن هذا هو الأصل وعبر عن القبض بلفظ الفعل ليدل على أن هذا القبض
تبع وعلى أنه يصدر القبض من الطير تارة بعد تارة كما يكون من السابح ونظيره ما يقال فلان
رجل مناظر ويشغب فهذا يدل على أن حركته هي المناظرة ثم إنه قد يشغب في بعض الأوقات
فكذا ههنا ثم قال ما يمسكهن إلا الرحمن وذلك لأنها مع ثقلها وضخامة أجسامها وضعف
أدمغتها وقلة اهتدائها إلى الفرق بين المصلحة والمفسدة لا يمكنه البقاء في جو الهواء
إلا بإمساك الله سبحانه وتعالى **السؤال الثاني** أنه تعالى قال في سورة النحل ألم يروا إلى الطير مسخرات
في جو السماء ما يمسكهن إلا الله وقال ههنا ما يمسكهن إلا الرحمن فما الفرق الجواب ذكر في النحل أن
الطير مسخرات في جو السماء فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية وذكر ههنا أنها صافات
وقابضات فكان إلهامها إلى هذا التصفيف والقبض على هذا الوجه المطابق للمصلحة والمنفعة من
كمال الرحمة ثم قال إنه بكل شيء بصير والمراد من البصر كونه تعالى عالما بالأشياء الدقيقة وحاصل الأمر
إمساكها في جو السماء فعل على خلاف الطبائع وهو موافق للمصلحة فدل كونها على خلاف
الطبيعة على وجود مدبر قادر قاهر قلب الطبائع وأبطل الخواص ودل كون هذا الفعل محكما
متقنا مطابقا للمصلحة على كون ذلك المدبر الفاعل القادر عالما بجميع المعلومات لا يعزب
عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فهذا ما يتعلق بهذا البحث يروى أن الشبلي رحمه الله
رأى طوطيا في القفص وقال سبحان من صورني وفي الهواء طيرني وفي القفص صيرني يسكن
بما قضى العبد سخط العبد أم رضي فاشتراه الشبلي بثمن كثير وأخرجه من القفص وخلصه
وقال استحييت أن أمنع من يسبح الله تعالى مسبحا إلهنا إن الشبلي خلص ذلك الطير لأنه سبح مرة
فنحن المساكين نسبحك من أول عمرنا عن صميم قلوبنا فخلصنا من أليم عقابك إنك أرحم الراحمين
**الفصل الثالث** في البحث عن أربعة أنواع من الطيور الخفاش والطاووس والطوطي والعندليب
ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطبتان جليتان في خلقة الخفاش والطاووس

فنقول اما الخفاش فقد جعله الله معجزة لعيسى عليه السلام قال تعالى في آل عمران اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله يروى ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزة اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ثم اختلف الناس فقال قوم انه عليه السلام لم يخلق غير الخفاش ولاجله قرأ نافع فيكون طائرا باذن الله بالالف على الواحد وقال آخرون انه خلق انواعا من الطير ولهذا قرأ الباقون فيكون طيرا لانه اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع وانما قال باذن الله اي بتكوينه وتخليقه كقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله قال هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم وانما ذكر عيسى عليه السلام هذا القيد ازالة للشبهة وتنبيها على ان الذي عمله انا هو هذا التصوير فاما خلق الحيوة فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزات **الفصل الرابع** في الاستدلال باحوال الحيوانات على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى اعلم انها كثيرة الا انا نذكر ما هي التي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن وهي النحل والبعوض والذباب والعنكبوت والنمل والجراد والقمل والضفدع والفراش والدابة التي في الخشبة فاولها اما قوله تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون فقال في اول البقرة ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وفي الآية ابحاث الاول ذكروا في سبب نزول الآية اقوالا الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فطعن في الاصنام ثم شبه عبادتها ببيت العنكبوت حتى ضرب الله المثل بها فنزلت هذه الآية والقول الثاني ان المنافقين طعنوا في ضرب المثل بالناس في الظلمات والرعد والبرق في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا والقول الثالث ان هذا الطعن كان من المشركين فقال القفال رحمه الله والاقوال الثلثة كلها محتملة ههنا اما اليهود فلانه تعالى قال في آخر الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد





ميثاقه وهذا صفة اليهود ولانه قال بعد هذه الآية يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واما الكافرون والمنافقون فقد ذكر الله تعالى في سورة المدثر وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فاما الذين في قلوبهم مرض فهم المنافقون واما الذين كفروا فيحتمل ان يكون هم المشركون لان السورة مكية فثبت ان الكل محتمل **البحث الثاني** في الحياء تغير وانكسار يحصل في مزاج الانسان من خوف ما يعاب به ويذم لا ترى انه يقال هلك فلان حياء من كذا ومات حياء وذاب حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء اذا ثبت هذا كان الحياء من صفات الاجسام والله تعالى ليس بجسم فكان الحياء محالا في حقه الا انه ورد في القرآن والاخبار اما في القرآن ففي هذه الآية وكذلك الانه لا يجوز نفيه في حق الله ولا يجوز اثباته في حق الله على طريق النفي وانما الواجب ان يقال انه تعالى لا يوصف به فاما ان يقال لا يستحيي فغير جائز لانه يوهم نفي ما يجوز عليه وما ذكره تعالى في كتابه من قوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فهو وان كان في صورة النفي الا انه ليس بنفي في الحقيقة وكذا قوله ما اتخذ الله من ولد وقوله وهو يطعم ولا يطعم وليس كل ما ورد في القرآن اطلاقه جاز ان يطلقه الواحد منا فلا يجوز اطلاق هذه الالفاظ الا مع بيان ان ذلك محال ولقائل ان يقول هذه الصفات لما كانت منتفية عن الله تعالى مع وجوب كونها منتفية كان الاخبار عن انتفائها صدقا فوجب ان يجوز اطلاقه بقي ان يقال الاخبار عن انتفائها يوهم صحتها فنقول هذه الدلالة ممنوعة لفظا لان تخصيص هذا النفي بالذكر لا يدل على نفي صحته بل لو قرن باللفظ ما يدل على انتفاء الصحة كان ذلك احسن من حيث انه يكون مبالغة في البيان وليس ان كان غيره احسن لزم ان يكون تركه قبيحا واما الخبر فما روى سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى او لامستم النساء ان الله حيي كريم يكني عن القبيح بالحسن وان كنى ان قال او لامستم النساء واعلم انه لما ثبت بالدليل انه لا يمكن اجراء لفظ الحياء في حق الله على ظاهره فوجب تأويله وفيه وجهان الاول

وهو القانون في امثال هذه الالفاظ ان كل صفة تثبت للعبد مما يختص بالاجسام فاذا وصف
الله تعالى به فذلك محمول على نهايات الاعراض لا على بدايات الاعراض مثاله ان الحياء حالة تحصل
للانسان بسبب انكسار وتغير في المزاج فهذه حالة لها مبدأ وغاية اما المبدأ فهو ذلك التغير المج
واما النهاية فهي ان يترك الانسان ذلك الفعل فاذا ورد الحياء في حق الله فليس المراد منه ذلك
الانكسار الذي هو المبدأ بل المراد منه ترك الفعل الذي هو الغاية وكذلك الغضب له مقدمة وهي
غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية وهو انزال العقاب بالمغضوب عليه فاذا وصفنا الله
بالغضب فليس المراد ذلك المبدأ الذي هو غليان دم القلب بل المراد تلك النهاية وهي انزال العقاب
فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب الوجه الثاني ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فيقولون
اما يستحيي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فجاء هذا الكلام على سبيل اطباق الجواب
على لفظ السؤال وهذا فن مشهور من الكلام البحث الثالث هو ان شبهة هؤلاء الكفار
واما ان يقال انما وقعت من حيث انهم استبعدوا من الله ضرب المثل بالذباب والعنكبوت والبعوض
وامثالها فاما الاول فباطل لان ضرب الامثال لتعريف المعاني امر مستحسن في العرف وفي
العقل وفي الشرع انه مستحسن في العرف فلان امثال العرب كثيرة مشهورة وايضا كتاب كليلة
ودمنة اكثره امثال واما في الشرع فلانه ضرب الامثال في الانجيل بالاشياء الحقيرة قال تشبيه
ملكوت السموات رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها في قريته فلما نبتت عظمت
حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاء طير السماء فعششت في فروعها فكذلك الهدى من دعا
اليه ضاعف له اجره وعظم ونجا به من اهتدى وقال ايضا لا تكونوا كمنخل منه الدقيق الطيب
وتمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواههم وتبقون الغداء في صدوركم وقال
ايضا قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا يلينها وقال لا تدخروا ذخائركم حيث السوس
والارضة فتفسد ولا في البرية حيث السموم واللصوص فيحرقها السموم ويسرقها اللصوص ولكن
ادخروا ذخائركم عند الله وقال ايضا تحفر الارض فتجد دواب عليها لباسها وهناك رزقها

وهن



وهن لا يغزلن ولا يشخصن ومنه ما هو في خرق الحجر الاصم او في جوف العود من يأتيهن بلبا
سهن وان ذاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا
السفهاء فيشتمونكم فثبت ان الله تعالى ضرب الامثال بهذه الاشياء الحقيرة واما ان ضرب
الامثال مستحسن في العقول فلان طبع الخيال يحب المحاكات والتشبيه فاذا ذكر المعنى وحده ادركه
العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر معه التشبيه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك
ان الثاني يكون اكمل وايضا فنحن نرى ان الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما يجب فاذا ذكر المثال اتضح
وصار مبينا مكشوفا واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح كان ذكره مفيدا نافعا واما
ان قيل ان موضع الشبهة للقوم انهم استبعدوا ان يضرب الله الامثال بهذه الاشياء الحقيرة فاعلم
ان هذا جهل لانه تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمه في كل ما خلق وبرأ عام لانه قد حكم جميع
وليس الصغير اسهل عليه من العظيم ولا العظيم اصعب من الصغير واذا كان الكل بمنزلة واحدة كان ضرب
المثل بالكل جائزا احسنا بل المعتبر ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها ضرب المثل بالبعوض والذباب
كان ضرب المثل فيها بالفيل والجمل غير جائز وههنا المقصود تقبيح عبادة الاصنام وكان ضرب المثل فيها بالذباب
والعنكبوت اولى ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى خلق عباده ضعفاء فقال وخلق الانسان ضعيفا
وقال الله الذي خلقكم من ضعف فلا جرم ضرب المثل لهم بالاشياء الضعيفة لان الجنس اقرب الى الجنس
وقال عليه السلام امرت ان اكلم الناس على قدر عقولهم الثاني انه تعالى لم يستحي من خلقها ورزقها فاولى
ان لا يستحيي من ذكرها وضرب المثل بها وكيف يستحيي من ذكر شيء لو اجتمع الخلائق على ان يخلقوا مثله لم
يقدروا عليه وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الثالث ان
البعوضة تحيى اذا جاعت فاذا امتصت الدم كثيرا اشبعت وماتت فهذا تشبيه للانسان على انه اذا تم امر
الانسان فقد قرب اجله كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم واعلم ان المفسرين اختلفوا
في لفظ ما في قوله مثلا ما بعوضة فما فوقها فقال بعضهم انها صلة زائدة كقوله فبما رحمة من الله
لنت لهم وقال ابو مسلم معاذ الله ان يكون في القرآن زائدة ولعل لان الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى

وبيانا لكونه لغوينا فى ذلك وفى بعوضة قرأتان احديهما النصب وعلى هذه القراءة بلفظ
ما ابهامية والمعنى مثلا اى مثل كان فاما على قراءة الرفع ففيه وجهان الاول انها موصولة
صلتها الجملة وتقديرها الذى هو بعوضة الا انه حذف المبتدأ كما حذف فى قوله تماما على الذى
احسن والثانى ان يكون استفهامية فانه لما قال ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا كانه قال
بعده ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب المثل به بل له تعالى ان يتمثل بما هو اقل من البعوضة وهو
كما يقال فلان لا يبالى بما وهب ما دينار وديناران يهب ما هو اكثر منه واما لفظ البعوضة
ففى اشتقاقه قولان الاول ان البعوضة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال
بضعه البعوض ومنه بعض الشئ لانه قطعة منه والبعوض فى اصله صفة على فعول كالقطوع
فغلبت والقول الثانى ان اشتقاقه من بعض الشئ سمى به لقلة جرمه وصغره لان بعض
الشئ قليل بالقياس الى كله واما قوله تعالى فما فوقها ففيه قولان الاول فما هو اعظم منها فى
الجثة كالذباب والعنكبوت والكلب والحمار وذلك لان القوم استبعدوا تمثيل الله تعالى بهذه
الاشياء والقول الثانى وهو اختيار المحققين ان المراد فما فوقها فى الصغر اى بما هو اصغر
منها واحتجوا على هذا القول بوجوه الاول ان المقصود تحقير الاوثان وكلما كان المشبه به
اشد حقارة كان المقصود من هذا الباب اكمل الثانى ان المقصود من هذا الباب بيان ان الله تعالى
لا يترك التمثيل بالشئ الحقير فاذا كان الامر كذلك كان المذكور ثانيا يجب ان يكون اشد
حقارة من الاول يقال ان فلانا يتحمل الذل فى اكتساب الدنيا بل فى اكتساب ما فوقه والمراد ما
فوقه فى القلة الثالث ان الشئ كلما كان اصغر كان الاطلاع على اسراره اصعب فاذا كان على نهاية
الصغر لم يحط به الا علم الله تعالى فكان التمثيل به اقوى واكمل فى الدلالة على الحكمة والعلم والتمثيل
بالشئ الكثير

**البحث الرابع** فى شرح عجايب حكمة الله فى خلقة البعوض وبيانه من وجوه **الاول**
ان اكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل ثم ان الفيل مع كبر جثته ليس له الا اربعة ارجل
وخرطوم وذنب والبعوضة لها هذه الاعضاء مع يدين زائدتين واربعة اجنحة ثم انه

يشاركه



يشاركه الفيل فى الفم والخرطوم والجوف واعضاء اخرى لا يدركها ابصار الخلق ولا يحيط
بها الا علم الخالق الثانى ان هذا البعوض مع غاية صغره مسلط على الفيل والاسد بالايذاء
ولا قدرة لهما على البعوض وهذا يدل على ان الاستيلاء على الغير ليس بالقوة والشدة وكثرة
العدد بل بنصرة الله وتأييده كما قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وقال ان
ينصركم الله فلا غالب لكم اليس ان نمرود كان اكبر ملوك بنى آدم واطغاهم واعظمهم سلطانا واشدهم
صولة ثم ان بعوضة طارت الى دماغه وكانت تؤذيه وتوقع الدغدغة فى دماغه فكان اكثر الناس
محبة لنمرود وشفقة عليه من يضرب على دماغه ما اشتد صفعه بالشدة والقوة واكثر حتى تسكن تلك
الدغدغة بل ان كنت ما تهددت نمرود ولا احوله فاعتبر نفسك فانك اذا وقعت بعوضة على
رأسك او وجهك فتمات صفعت رأسك ولطمت وجهك مرات وكانت تريد ان يقتلها ثم انها
تطير ولا تصيبها منك آفة البتة ويبقى فيها اللطم والصفع على خدك ورأسك الثانى ان الصناع
البشر يقدرون ان يصوروا فيلا من الخشب او من الحديد ولا يقدر احد من الصناع ان يصور بعوضة
من الخشب ولا من الحديد فعلى هذا يكون البعوضة اشرف من الفيل من ذلك الوجه وذلك لان
الفيل والبعوضة يشتركان فى دلالة اجزاء كل واحد منهما على قدرة الصانع وحكمته ثم ان كل ما
حصل فى الفيل من وجوه الدلائل فهو حاصل فى البعوض وقد حصلت وجوه من الدلائل فى البعوضة
ما لم يحصل فى الفيل فانا بينا ان الصانع البشرى يمكنه تصوير الفيل ولا يمكنه تصوير البعوض
فكانت البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه فتأمل انك اذا اعتبرت الاعضاء الظاهرة فالبعوض
ازيد فيها من الفيل وان اعتبرت الاستيلاء والقهر فالبعوض مستول على الفيل والفيل لا قدرة له
على البعوض وان اعتبرت الدلالة على قدرة الله وحكمته فالبعوض ازيد من الفيل بالوجه الذى ذكرنا
لتعلم انه لا عبرة بالصور والظواهر انما العبرة باعانة الله وتأييده الرابع اعتبر قوة حواس البعوضة
وكمال معرفتها مصالحها الحس البصر فلان البعوض اذا جلس على عضو من اعضاء الانسان فانه لا يزال
يدير خرطومه من جانب الى جانب حتى يجد الموضع المثقب من جلد الانسان وذلك لان جلد الانسان فيه مسام كثيرة

يخرج منها النفس والعرق فهو برأس خرطومه يطلب تلك الثقبة فاذا وجدها غوص خرطومه فيها
فسبحان الذى هداه الى المقصود منه جذب ومن الذى عرفه ان بدن الانسان فيه منافذ ومسامات وان
ادخال الخرطوم فى تلك المنافذ الموجودة اسهل من احداث منفذ فى الجلد وايضا حس السمع فلان
البعوضة فى الليلة الظلماء اذا وقعت على عضو الانسان فاذا حاول الانسان تقريب اليد منها ليصيدها
احست بحركة اليد فطارت ولو بالغ الانسان فى اخفاء حركة اليد فانها لا بد وان تحس بتلك
الحركة فمن الذى اعطاه هذه القوة السامعة بهذا الكمال ثم ههنا شىء آخر وهو انها علمت ان
مص الدم من جلد الانسان جناية عليه وايذاء له وان الانسان لا بد وان يقابل تلك الجناية بان
يقصد قتلها وايذاءها فالبعوضة بعلمها بهذا المعنى بقيت مستعدة للفرار والحذر فانظر
انه سبحانه كيف هداه الى تحصيل الغذاء الموافق له ثم اودع فى خياله انه لا بد من الحذر فكلما قرب
البشر طارت وتخلصت ولا يتأتى مثل هذا التدبير اللائق الا للاله الذى خلق فسوى والحكيم الذى
قدر فهدى الخامس تأمل فى صغر جثة البعوض ولما شاء ان خرطومه اصغر منه بكثير ثم ان ذلك الخرطوم
مع غاية صغره مجوف ولولا ذلك التجويف لما قدر على امتصاص الدم منه فانظر الى ذلك الخرطوم
ومع كونه مجوفا كيف يكون غاية دقته ثم تأمل انها مع غاية رقتها كيف قوتها وشدتها فانها تغوص
فى ذلك الخرطوم فى جلد الجاموس والفيل على ثخنه وثخانته وتستخرج الدم منه كما يضرب الرجل
اصبعه فى الخبص السادس انه تعالى خلق فى خرطوم البعوضة عضوا كثيرة كما فى خرطوم الفيل فتارة
تمدها وتطويها وذلك عندما يغوص الخرطوم فى الجلد وتارة تقبضه الى نفسه وذلك عند الا
خراج فتأمل فى كل واحد من اجزاء ذلك العضو وذلك لانه على قياس خرطوم الفيل لا بد وان يكون
اصله غليظا ويكون رأسه مستدقا ولا بد وان يتدرج من الغلظ الى الدقة على تناسب مخصوص
ولا بد وان يكون قد اختص كل واحد من تلك الاجزاء بشكل مخصوص وصفة مخصوصة ولا يقدر
على ذلك التشكيل والتصوير الا القادر بجميع الممكنات العالم بجميع المعلومات السابع تأمل فى
جسد البعوضة فانها فى غاية الصغر وخرطومها اصغر منه بكثير وكثير خرطومها اصغر من ذلك





الخرطوم بكثير ثم انه تعالى اودع فى رأس خرطومه سما وفيه فائدتان الفائدة الاولى ان ذلك
السم اذا انصب على ذلك الموضع من الجلد افسد مزاج ذلك الموضع فبسبب دم جديد فيه نوع
من اللين والرخاوة فحينئذ يسهل على البعوضة تغويص خرطومها فى ذلك الموضع والفائدة الثانية
ان تلك الحرارة السمية تعين البعوضة على هضم ذلك الدم المخصوص وقال اهل العلم الحكمة
فى خلق السم فيما بين فكى الحية انه ليس لها اضراس تقوى بها على مضغ الاغذية خلق الله تعالى فيما بين
فكيها سما قويا حارا منضجا فالحية اذا قبضت على جثة الحيوان وجعلتها بين فكيها اقل ذلك
الجسم وتمكن بها من ساعتها فحينئذ تبتلعها وتستمرئها ولو لم يخلق فيما بين فكيها ذلك السم لما تمكنت
من الاكل لانه ليس لها اسنان ماضغة طاحنة فكانت تموت من الجوع اذا عرفت هذا فنقول بنية البعوضة
صغيرة وحرارة بدنها قليلة وليس لها شىء من الاسنان فخلق الله تعالى فى رأس خرطومها ذلك السم على هضم
الغذاء واعلم ان سم البعوضة له قوة شديدة فى الكيفية ولذلك فانه اذا كثر اجتماع البعوض
على بدن الانسان اسود البدن وربما ادى الى الموت ثم هناك حالة اخرى اعجب من كل ما تقدم وهو
ان جثة البعوضة فى غاية الصغر وخرطومها اصغر منها ورأس الخرطوم اصغر من ذلك الخرطوم والسم
الذى فى رأس ذلك الخرطوم اصغر لا محالة من رأس ذلك الخرطوم ثم ان البعوضة اذا وضعت رأس
خرطومها على موضع من بدن الانسان فانه لا ينصب على ذلك الموضع جميع ما معها من السم فانها اذا
عضت موضعا آخر حصل فيه مثل ذلك الالم فعلمنا انه لا ينصب من السم الذى فى رأس خرطومها الا
القليل واما الاكثر فيبقى هناك فتأمل ان ذلك الذى ينصب منه على بدن الانسان كم يكون فى القلة
والصغر فلعله يكون جوهرا فردا وجزءا لا يتجزى فى علم الله تعالى ثم انه تعالى اودع فى ذلك الجزء القليل
من الخاصية والقوة ما يزعج الفيل ويقلقله ويجعله مضطربا متحيرا ثم انه تعالى ما اودع تلك القوة
الشديدة فى سم البعوضة الا ليعينها على اصلاح غذائها ونظم معيشتها فكل من له عقل سليم وطبع مستقيم
شهد بان هذا لا يكون الا بتدبير مدبر عالم بجميع الكليات والجزئيات قادر على جميع الكائنات والممكنات
الثامن تأمل فى حال البعوضة فانها اذا وقعت على عضو الانسان اعتمدت على ما لها من الايدى والارجل

وغوصت خرطومها في الجلد فاذا احست مسح اليد اخرجت ذلك الخرطوم في الحال على اهل
الوجوه وطارت قبل وصول اليد اليها ولو ان الانسان جعل ابرة او مسلة في جرم غليظ فانه
لا يمكنه ان يخرجها منه الا بعد تعب شديد **التاسع** تأمل ايضا في حالها فانها اذا وجدت
الفرصة والمهلة مصت دما كثيرا جدا الى ان ينشق فيموت وربما مصت الى حيث يعجز عن الطيران
فاذا حاول الانسان ضرب يده عليها عجزت عن الطيران بسبب ثقلها فبقيت هناك وتصل اليد اليها
وتموت وهذا فيه تنبيه عظيم للانسان على احوال دنياه واخراه اما الدنيا فلان الاستكثار من اللذات
والشهوات سبب لوقوع المحن والافات واما الاخرة فلان الانسان اذا كان خفيفا قليل العلائق
فاذا وصل اليه نداء قوله ارجعي الى ربك راضية طار من ذكر مكر الدنيا الى عش عيش الاخرة اما
اذا كان ثقيلا من حب الدنيا عجز عن الطيران يبقى في هاوية الجسمانيات وظلمات الخيالات كما قال تعالى في صفتهم
ناكسوا رؤسهم **العاشر** تأمل في رأس البعوضة ووجهها فانها مع غاية صغرها قد جعلها الله
منقسما الى اقسام كثيرة واودع في كل قسم من تلك الاقسام خاصية معينة وقوة معينة وذلك
لانه تعالى خلق في رأس البعوضة عينين واودع فيهما قوة باصرة اكمل مما للانسان ويدل عليه
وجهان الاول انه يبصر في الظلمة الشديدة الموضع الذي يمكنها مص الدم الثاني انها تثقب ببصرها
مسام جلد الانسان ولذلك فانها اذا وجدتها غوصت خرطومها فيها والانسان لا يرى ذلك البتة
وايضا انه تعالى خلق في رأسها اذنين واودع فيها قوة سامعة اقوى للانسان ولذلك فانها تسمع
في الظلمة خفيف اليد مع ان الانسان البتة لا يسمعها الثالث انه خلق في رأسها قوة الشم ولذلك
فانها تحس بوقوع الجيف من المكان ولولا الشم لما عرفت ذلك الرابع انه خلق في رأسها الفم واودع
فيها القوة الذائقة ولذلك فان البعوض يرغب في بعض الطعوم دون البعض ولولا القوة الذائقة
لما كان الامر كذلك الخامس انه تعالى اودع في يديها القوة اللامسة ولذلك فانها تهرب من الحر الشديد
والبرد الشديد السادس انه تعالى خلق في رأسها قوة الحفظ ولولاها لما ميزت بين ما ينفعها وبين ما
يضرها وخلق فيها ايضا قوة الفكر ولولاها لما عرفت وجوب الفرار عند مجيء اليد وخلق فيها قوة الذكر

ولولاها

ولولاها لما ميزت بين المعاني النافعة والضارة فانظر الان الى رأس البعوضة كم يكون مقدار
ذلك الجرم ثم انه تعالى قسم ذلك الجرم الصغير الى اجزاء صغيرة واودع في كل واحد من تلك الاقسام خاصية
معينة فهنا عينان وهنا اذنان وهنا انف وهنا مقدم دماغه الذي فيه قوة الحفظ وهنا اوسط
دماغه الذي فيه قوة الفكر وهنا مؤخر دماغه الذي فيه قوة الذكر والتاسع انه تعالى خلق له منفذ الغذاء
ومخرج الفضلة ومتى كان الامر كذلك فقد خلق الله تعالى جوفا وامعاء وعروقا وعظاما فيخطر
ببال العاقل السليم العقل ان يسند هذه التأثيرات العجيبة والتصرفات البديعة الى الطبيعة مع انها
قوة لا شعور لها بشيء من الاشياء ولا تمييز في حال من الاحوال هذا مما لا يقوله عاقل بل بشواهد
النظر وصرائح الافكار وبداية الانظار وينادي على صوته اعلى انها انما حدثت بتدبير من لا يعزب عن قدرته
وعلمه وحكمته ذرة في الارض ولا في السماء له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ورحم الله من قال
يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ من تلك العظام
النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول وصلى الله تعالى على محمد واله اجمعين **الفصل الرابع**
في الذباب قال تعالى في سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز وفي الاية ابحاث الاول اعلم ان هذه الاية من جملة الايات
التي اقر بفصاحتها الصديق والزنديق والمخالف والموافق يحكى انه اجتمع اربعة من الزنادقة بمكة ابن
المقفع وابن ابي العوجاء وابو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري وقالوا تعالوا نعارض القرآن كل واحد
منا ربعه فتواعدوا وتفرقوا على ان يجتمعوا في السنة المستقبلة فلما اجتمعوا قال ابن المقفع اني
عجزت عن معارضة قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وقال ابن ابي العوجاء اني عجزت عن
معارضة قوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا وقال ابو شاكر اني عجزت عن معارضة قوله لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وقال عبد الملك اني عجزت عن معارضة قوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
فهؤلاء الزنادقة كانوا فصحاء اهل العلم وقد عجزوا عن معارضة هذه الايات فذلك العجز انها وقعت معجزة

وعذوبة سياقتها وهذه القصة نكتة اخرى عجيبة وذلك لان الاعداء لما طعنوا في فصاحة
القرآن فقالوا كيف يليق بالله تعالى ذكر الذباب والعنكبوت فاجاب الله عنه بان حقارة هذه الحيوانات
لا تقدح في فصاحة هذه الآيات اذا كان ذكرها التنبيه على الحكم البالغة والمعاني الدقيقة الشريفة
ثم ان اشد الزنادقة عداوة واكثرهم علما بوجوه الفصاحة والبلاغة اعترفوا بالعجز عن معارضة
اخرى لمحمد عليه السلام وفي الآية سؤال السؤال الاول ان الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية ليس
بمثل فكيف سماه مثلا الجواب لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل ما كان كذلك
مثلا السؤال الثاني قوله ضرب مثل يفيد ان هذا الكلام المذكور ليس كلام الله بل هو كلام لبعض متقدمين
وذلك يجر الى القرآن اعظم وجوه الطعن الجواب لما كان الكلام المذكور في هذه في غاية القوة و
البعد عن الشبهة كان ذلك كالامر المعلوم من قبل الجرم كان ذكره بمنزلة اعلام امر قد تقدم اما
قوله تعالى فاستمعوا له اي تدبروه حق التدبر لان نفس السماع لا ينفع انما ينفع هو التدبر والتامل
ثم انه تعالى احتج بامر الذباب على اهل منهب عبدة الاوثان فقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت باسرها وجمعها لما قدرت على خلق ذبابة
على ضعفها فكيف يليق بالعاقل الاشتغال بعبادة مثل هذا الشيء وقوله تعالى ولو اجتمعوا له
نصب على الحال كانه تعالى قال مستحيل ان يخلقوا ذبابا بالحال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم ثم قال
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه فالمعنى كانه تعالى قال اترك احديث الخلق والايجاد
واذكر ما هو اهل منه فان الذباب ان سلب منها شيئا فهي لا تقدر على استنقاذ ذلك من الذباب
واعلم ان المقصود من هذا الاستدلال يظهر من وجوه الاول ان فعل الفاعل لا بد وان يشتمل على
مصلحة وتعظيم هذه الاصنام لا فائدة فيه لانها جمادات لا تضر ولا تنفع والاشتغال بالعبث
محظور عند العقول **الحجة الثانية** ان العبادة غاية التعظيم والانسان اشرف من الجمادات واقدام
الاشرف على غاية التواضع للاخس خلاف العقل **الحجة الثالثة** انهم لما عظموا الاوثان غاية
التعظيم لم يقدروا على ان يعظموا الخالق سبحانه تعظيما ازيد من ذلك فحينئذ يلزم حصول التسوية

هذه الآية [illegible] الشيخ علي [illegible] الانسان [illegible]



في التعظيم بين مدبر السموات وبين مدبر تلك الاحجار والجمادات وذلك غاية السفاهة قوله
تعالى ضعف الطالب والمطلوب ففيه اقوال احدها المراد منه الصنم والذباب والصنم كالطالب لو طلب
ان يخلقه او يستنقذ منه ما سلبه لعجز عنه والذباب بمنزلة المطلوب والثاني ان الطالب عابد الصنم و
المطلوب نفس الصنم وهذا اقرب لان كون الصنم طالبا ليس على سبيل الحقيقة بل على سبيل التقدير
اما ههنا فعلى سبيل الحقيقة **والقول الثالث** ان يكون معنى قوله لمن حيث القوة لكن لظهور
قبح هذا المذهب كما يقال للرجل عند المناظرة ما اضعف هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه
اما قوله وما قدروا الله حق قدره فالمعنى ما اعظموه حق تعظيمه حين جعلوا هذه الاصنام على
نهاية خستها شريكة لخالق السموات والارض في العبودية واعلم ان منشأ جميع الشبهات هو القول بالتشبيه
فالتشبيه في الذات باطل كما يقول المجسمة والتشبيه في الصفات باطل كما يقول الكرامية والتشبيه في
الافعال باطل كما يقول المعتزلة قال الامام ابو القسم الانصاري انه تعالى جل عن النعت بل عن الوصف
فالاوهام لا تصوره والافكار لا تقدره والعقول لا تمثله والازمنة لا تدركه والجهات
لا تحويه ولا تحده صمدي الذات سرمدي الصفات اما قوله ان الله لقوي عزيز فاعلم انه تعالى
ذم الاصنام باشياء ثم اثنى على نفسه باضدادها فالاول انه تعالى لما قال في هذه الآية للاصنام
ضعف الطالب والمطلوب فوصفها بالضعف ووصف نفسه بالقوة فقال وكان الله قويا عزيزا و
الثاني قال في حقها ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وقال لنفسه وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو والثالث انه تعالى قال لها فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
وقال لنفسه ادعوني استجب لكم والرابع قال في حقها لبئس المولى ولبئس العشير وقال لنفسه نعم المولى
ونعم النصير والخامس في حقها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال لنفسه لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار والسادس قال في حقها ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقال
لنفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير **البحث الثاني** في اثار حكمة الله تعالى في خلق الذباب اعلم ان
اكثر الاحوال المذكورة في البعوض عائدة في الذباب ثم ان نخصه بمزيد وجوه الاول ان في الذباب

ثلثة انواع من المنافع الدينية فالاول انه يدل على التوحيد من وجهين الاول انه من جملة من
يسبح لله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فهو يسبح خالقه ولا يعصيه بعلمه
البتة واما الكافر فهو وان كان يسبح الله بدلائل خلقته لكنه ينكره باللسان ويعصيه باعماله
فكان الذباب مع غاية حقارته خيرا من الكافر والثاني انه تعالى جعل الذباب حجة على بطلان مذهب
عبدة الاوثان فقال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه فمعبودكم لا يقدر على خلق
ذباب واحد ولا على ذهابها عن انفسهم ولا على استرجاع شيء يسلبها الذباب عنهم ومن كان في الضعف
والعجز هكذا كيف يستحق ان يعبد واما الثاني فهو ان الذباب يدل على النبوة فلانه صح في الاخبار
انه ما كان يقع من البعوض ولا الذباب على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان اعز على
الله عز وجل من ان يكون مركبا للبعوض والذباب او مستقرا لهما فيكون هذين الحيوانين مسلطين
على كل الخلق مع كونهما ممنوعين عنه على التعيين من اقوى البينات واظهر المعجزات واما الثالث فهو ان
الذباب يدل على طهارة الصحابة وزوجاته ان المنافقين لما طعنوا في عائشة رضي الله عنها ونسبوها
الى الفاحشة حصل الغم العظيم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال الرسول عليه السلام ما قولك في هذه الواقعة فقال يا رسول الله انا قاطع بكذب المنافقين فقال
عليه السلام وما الدليل عليه فقال عمر الدليل عليه ان الله تعالى عصمك عن وقوع الذباب على جلدك
فلما تفكرت فيه علمت ان السبب انها تجلس على النجاسات فتلطخ ارجلها فان الله تعالى عصم جلدك عن ذلك
القدر من القاذورات فكيف لا يعصمك عن كل ما يكون متلطخا بالفواحش والسيئات فاستحسن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم دخل عليه عثمان رضي الله عنه فسأله عن هذه الواقعة فقطع بكذب المنافقين
فطلبه بالدليل فقال عثمان رضي الله عنه الدليل عليه ان الله تعالى ما اوقع ظلك على الارض فان الله تعالى لم
يمكن احدا من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن الاجنبي من تلويث عرض زوجتك ثم دخل علي رضي الله
عنه فسأله عن الواقعة فقطع بكذب المنافقين فطالبه بالدليل فقال الدليل انا كنا نصلي خلفك
فنزعت في اثناء الصلوة نعليك عن نعالك فنزعنا ايضا ارجلنا عن نعالنا فلما تممت الصلوة

قلت

قلت لنا لم نزعتم ارجلكم عن نعالكم فقلنا فعلت ذلك فوافقناك فقلت انما فعلت ذلك
لان جبريل عليه السلام اخبرني ان عليه قذرا فلما امرك الله تعالى باخراج تلك النعل عن رجلك بسبب ما
التصق به من القذارة فكيف يليق بهذه العناية ان لا يأمرك باخراجها بتقدير ان يكون ملطخة
من الفواحش فطاب قلب النبي عليه السلام عند سماع هذه الدلائل ثم انزل الله سبحانه الايات الدالة
على طهارتها وبرائتها عن الفواحش والمقصود من رواية هذا الخبر ان الذبابة وان كانت ملطخة ملوثة
الا انها دلت على براءة عائشة رضي الله عنها عن كل لوث وهذا يقتضي كون الذبابة اشرف واعلى و
ارفع درجة من اولئك المنافقين فصارت الذبابة دالة على قدرة الله وحكمته ووحدانيته ودالة
على ابطال القول بعبادة الاوثان ودالة على نبوة سيد الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ودالة على
طهارة عائشة رضي الله عنها فصارت على حقارتها مستجمعة للدلالة على صحة اصول الاسلام
الوجه الثاني انه تعالى اظهر بخلق الذبابة قبايح الكفار وفضايح الفساق والفجار اما قبايح
الكفار فلانه اذا وضعت قصعة من المرقة الحارة تبادرت الذباب والانسان يذبها عن تلك المرقة
بكل طريق ثم انها يلقي نفسها في تلك المرقة وتموت فيها وهذا يشبه طريق الكفار فان الانبياء عليهم
السلام يذبونهم عن نار جهنم باقصى ما يقدرون ثم انهم يلقون انفسهم في نار جهنم الا ان عاقبة
الذباب احسن من عاقبة الكفار لان الذباب لما ماتت تخلصت والكفار لما ماتوا بقيت ابد الاباد
قال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا واما فضايح الفساق فلان في الذباب خصلة عظيمة ولا يميز بين الطيب
والخبيث فتارة يقع على السكر وتارة يقع على القاذورات فكذا الفاسق قد وضعت له مائدة
الجنة واعدت له جميع النعم الطيبة فهو تارة يقدم على تلك الطيبة واخرى يجلس على مائدة المعاصي
والمنكرات وهي من جنس القاذورات والنجاسات فان اراد ان يصون نفسه عن خصلة الذباب وجب ان لا
يدور حول الخبائث والمنكرات الثاني انه تعالى اظهر بخلق الذباب ذل المتكبرين حكي عن سعيد بن
جبير انه يؤذى عن الحجاج وكان مع ذلك لا يترك الصلوة بالجماعة فقيل له اياك والخروج من الدار
فان عليك من الحجاج عيونا فقال كيف اتخلف عن الجماعة والمؤذن ينادي حي على الفلاح ثم اخذه اعوان

للحجاج في طريق المسجد وانوابه فقال الحجاج يا ابن جبير ما الحكمة في خلق الذباب وكان قد تأذى
به لكثرة ما كان يذب عنه وهو يعاوده فقال انما خلق الله الذباب ليذل به الجبابرة و
ذلك انه يقع على النجاسة ثم يقع على وجوه الجبابرة فيظهر بذلك ذلهم حتى عجزوا عن دفع
اضعف المخلوقات واحقرها عن انفسهم **الوجه الرابع** قال اهل الحكمة ان في الذباب
منفعة عظيمة من ثلثة اوجه وذلك لان الذباب لا يظهر الا في مواضع العفونة والاماكن المستقذرة
ثم انه تعالى يخلق من بعض اجزاء تلك العفونات ويجعل بقية تلك العفونات غذاء لها ثم انها لكثرة طيرانها
يحرك الهواء وتحريك الهواء سبب لازالة بقية العفونات عن الهواء فصارت الذبابة سببا لازالة
العفونات من هذه الاوجه الثلثة فالذبابة اذا طارت وجلست على وجه الانسان وآذته فذلك
في الحقيقة انعام عظيم في حق الانسان فانه لولا وجوده وطيرانه لاستولت العفونات على الهواء
فادى ذلك الى حصول المضار العظيمة فكما ان الصبي يتأذى من الفصد والحجامة والعاقل
يعلم انه من اعظم وجوه الانعام في ذلك الصبي فكذا وقوع الذبابة على وجه الانسان وايذائه
منه الجاهل الا ان العاقل يعلم انه من النعم العظيمة في حقه من حيث انه سبب لازالة العفونات عن الهواء
الذي هو مادة للحيوة فان قيل خالق العفونات هو الله سبحانه فكان ينبغي ان لا يخلقها حتى لا يحتاج
في دفعها الى خلق الذباب قلنا هذا السؤال غير مختص بالذباب فانا اذا قلنا انه تعالى خلق الحب
والماء واصناف الفواكه ليلتذ الانسان باكلها فيقول السائل خالق اللذات هو الله تعالى فكان ينبغي
ان لا يخلقها ابتداء حتى لا يحتاج الى الخلق للماء والحبة ولما كان هذا واردا على كل القرآن علمنا
سقوطه ثم التحقيق ان الدنيا دار الاسباب فربط الله تعالى كل شيء بشيء حتى انه كما اظهر قدرته
بايجاد الاشياء فكذلك يظهر حكمته بجعل الاشياء اسبابا لسائر الاشياء **الوجه الخامس** في امثال العرب
اجرأ من الذباب واطيش من الذباب والح من الذباب واشبه من الذباب بالذباب اما شدة جرأته فظاهر لان
الانسان كلما دفعه عاد اليه وقيل انما سمي الذباب ذبابا لانه كلما ذب آب والحكمة في وصفه بالجرأة
لانه لما كان المقصود من خلقه افناء العفونات تارة بالاغتذاء بها وتارة بتحريك الهواء وتلطيفه



بسبب الطيران وجب كونها موصوفة بالجرأة حتى انها متى ذبت لم يمتنع عن الحركة فيحصل هذا المقصود
وكذا طيشها والحاحها من الامور المعينة على هذا المقصود واما كون بعضها شبيها ففيه حكمة عجيبة
وذلك لانا بينا لو حصلت المشابهة بين الاشخاص الانسانية اختلف مصالح العالم فان على هذا
التقدير ما كان يتميز زوج هذه المرأة عن غيره وما كان يتميز مالك العظمة في العالم فلاجل رعاية هذه
المصالح ميز الله تعالى كل انسان عن غيره في الشكل والصورة والصوت اما الحيوانات الاهلية فهي غير مكلفة
فكانت مصالحها يختل عند حصول هذه المشابهة في الصورة والخلقة الا ان الانسان ربما انتفع بفرد
معين منها ولم ينتفع آخر منها مثل ان كان هذا الفرس احسن ركضا واشد عدوا من سائر الافراس
فلاجل هذا المعنى اظهر الله تعالى المخالفة بين صورها الا ان المخالفة ههنا اقل من بين صور الحيوانات
الاهلية فاما هذه الحيوانات الخسيسة التي لا يتعلق حاجة الانسان بها البتة فلم يحصل المخالفة بين
صورها البتة وصارت في المشابهة بحيث لا يمكن تمييز بعضها عن البعض وهذا الترتيب الذي ذكرناه
في تخليق ابدان الحيوانات يدل على انها باسرها مخلوقة لمنفعة الانسان حتى انها صارت مخلوقة على وفق مصلحة
الانسان واذا عرفت هذا فنقول ان امتياز الانسان عن سائر الحيوانات ليس الا بكونه عارفا بالله
مشتغلا بطاعة الله فدل هذا على ان كل الحيوانات مخلوقة لهذه الحكمة كما قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فدل ايضا على ان خالق هذه الحيوانات ليس هو الطبيعة ولا العلة ولا الخاصية بل المؤثر
فيها هو الله الصانع المختار حتى انه تعالى حيث تعلق المصلحة باظهار المخالفة بين الصور والاشكال اظهرها
وحيث لم يتعلق المصلحة باظهار هذه المخالفة لم يظهرها فبان انه لم يخل ذرة من ذرات الارض والسماء عن
دلائل ظاهرة وبراهين باهرة على كمال قدرته وغاية حكمته **الوجه السادس** من عجائب خلقة الذباب انا
بينا ان كثرة طيرانها من الامور المطلوبة في الحكمة من حيث ان طيرانها سبب لنقل العفونة عن الهواء فنقول
ان كثرة طيرانها في العفونات يصير سببا لوقوع تلك العفونات على اجنحتها ومتى اجتمعت تلك العفونات
على اجنحتها ثقلت وعجزت عن الطيران فدبر الخالق الحكيم المدبر الرحيم ان اقدر الذبابة على ان تنظف جناحيها
برجليها عن كل ما التصق بها من العفونات ثم انها كما تنظف جناحيها برجليها فكذلك تخلق في مقدم بدنها يدين

زائدتين تنظف بهما عينها وذلك لأن العين لا يكمل الانتفاع بها الا اذا كانت صافية صقيلة و
الحيوانات الكثيرة خلق الله على وجه احداقها اجفانا وهي تكون مطرقة ابدا حتى ان الاطراف الكثيرة لتلك
الاجفان تنظف سطح الحدقة في كل لحظة وآن عن انواع البخار والغبار فيبقى صقيلة صافية ويبقى
القوة الباصرة كاملة فاما الذبابة فان رأسها صغيرة ولا تحتمل عينها الاجفان فلما لم يحصل لها الا
جفان التي بها يصقل عيون الاجرام دبر الحكيم في ذلك ان خلق في مقدم بدنها هاتين اليدين الزائدتين
واقدرها على ان ينظف بهاتين اليدين الزائدتين عينها حتى تبقيا صقيلة صافية فسبحان من ابدع خلق
كل مخلوق على احسن الوجوه وهدى كل شيء الى رعاية مصلحته على اقصى الوجوه **الوجه السابع** في عجائب
خلقة الذباب قوله عليه السلام اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوه فان في احد جناحيه داء وفي الآخر
دواء واعلم ان هذه خاصية اطلع عليها الرسول عليه السلام بنور النبوة والرسالة وهذا ايضا
من عجائب الخلقة فان كون احد الجناحين داء والآخر دواء مخصوص بالذباب ولا يوجد في غيره **الوجه الثامن**
انه تعالى جعل حالتي الذباب بحسب الصيف والشتاء دليلا على اختلاف حالتي الانسان بحسب الموت والبعث فكما
ان الذباب يغيب في الشتاء ثم يظهر في الصيف فكذا الانسان يغيب في اللحد بالموت ويظهر في القيمة بالبعث

**الفصل الخامس** في الكلام في بقية الحيوانات المذكورة في القرآن اما العنكبوت فقوله تعالى كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت وفي تشبيه عبادة الاصنام ببيت العنكبوت وجوه الاول ان بيت
العنكبوت لا يصون عن الحر والبرد فكذا عبادة الاصنام لا تجلب النفع ولا تصون عن الضرر الثاني ان بيت العنكبوت
ينهدم بادنى سبب فكذا مذهب عبدة الاصنام يبطل بادنى حجة الثالث ان الشيء انما يعرف بضده
فلما كان الاشتغال بغير الله كبيت العنكبوت في الضعف لزم ان يكون الاشتغال بطاعة الله وبعبوديته سبحانه
اعظم واقوى من السموات السبع ثم في الآية لطائف دالة على شرف المؤمن فالاولى انه تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء سمى الاصنام اولياء للكافرين ثم وصف نفسه بكونه وليا للمؤمنين فقال الله
ولي الذين آمنوا فالصنم ولي الكافرين وجبار السموات والارض ولي المؤمن **الثانية** انه تعالى خلق البعوض
والعنكبوت فجعل البعوضة لهلاك اشد الخلق طغيانا وكفرا وهو نمرود وذلك لان البعوضة التي

اهلكت



اهلكت نمرود قالوا كان لها نصف البدن اما النصف الثاني فكان مفلوجا فاسدا واما العنكبوت
فانه تعالى جعله سبب النجاة لمحمد صلى الله عليه وسلم عن شر الكفرة وذلك لانه عليه السلام لما دخل
الغار نسج العنكبوت على باب الغار والحكمة في الكل انه تعالى خلق الاشياء الحقيرة والصغيرة ثم جعلها
اسبابا للامور العظيمة ليعلم المخلوقات ان الامر بيد الله يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ومن عجائب
احوال العنكبوت انها اذا ارادت ان تبني بيتها طلبت زاوية يحيط لها ضلعان ثم تبتدئ فتلقي لعابها الذي
هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم تعدو الى الجانب الآخر فيلصق الطرف الآخر من الخيطة ثم لا تزال تذهب
وتجيء ثانيا وثالثا على تناسب مخصوص ثم اذا احكم الخيط كالسدى اشتغل باللحمة ويضيف البعض
الى البعض على مناسبة هندسية ثم تهيئ شبكة تقع فيها البق والذباب ثم تقعد في زاوية مترصدة
لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد فيها بادر الى اخذه فان عجز عن الصيد بهذا الطريق طلب
لنفسه زاوية من خيط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسها منها بخيط آخر وبقي متنكسا في الهواء
ينتظر ذبابة تطير فاذا طارت الذبابة رمى بنفسه اليها فاخذ ولف خيطها على رجلها واحكمها ثم ان من
حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من هذه العجائب ما لا يحصى افترى انه يعلم هذه الصنعة من نفسه او يتعلم من آدمي بل
هذه من الهامات الربانية والهدايات الرحمانية واما النمل قال تعالى في سورة النمل في قصة سليمان عليه السلام
حتى اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
قال المفسرون واد النمل بالشام كثير النمل فان قيل لم تعدى اتوا بعلى قلنا لوجهين الاول ان اتيانهم كان
من فوق فاتى بحرف الاستعلاء والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على الشيء اذا بلغ
آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الواد اما قوله قالت نملة فالمعنى انها تكلمت بذلك وهذا
غير مستبعد فان حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه والله قادر على كل الممكنات وعن قتادة انه دخل الكوفة
فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن
نملة سليمان اكان ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له كيف عرفت قال من كتاب
الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى

يميز بينهما بعلامة كقولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي اما قوله ادخلوا مساكنكم فاعلم ان
النملة لما قاربت حد العقل لا جرم خوطبت بما يخاطب به العقلاء فلهذا قال ادخلوا مساكنكم واما
قوله لا يحطمنكم ففيه وجهان احدهما التقدير ادخلوا مساكنكم لئلا يحطمنكم والثاني التقدير لا تكونوا
حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك هنا وفي هذه الآية تنبيه على امور احدها ان من يسير في الطريق
لا يلزمه التحرز وانما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها ان النملة قالت وهم لا يشعرون كانها عرفت بان
النبي عليه السلام يكون معصوما والمعصوم لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو ثم انها كما اشتهدت
العصمة لاصحاب سليمان حيث قال لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتلك النملة كانت اكثر عقلا من الحشوية الذين
لا يجوزون العصمة على الانبياء عليهم السلام ومن الروافض الذين يطعنون في اصحاب محمد عليه السلام فان النملة
ما طعنت في اصحاب سليمان عليه السلام وهؤلاء الروافض يطعنون في اصحاب محمد عليه السلام وثالثها ما رأيت في بعض
الكتب ان تلك انما امرت رعايتها بالدخول في مساكنها لئلا ترى تلك النعم فلا يقع في كفران نعم الله تعالى
وهذا تنبيه على ان مجالسة ارباب الدنيا محذورة ويروى ان سليمان عليه السلام قال لملك النمل لم قلت للنمل ادخلوا
مساكنكم اخفت مني عليها ظلما قال لا ولكني خشيت ان يفتتنوا بما يرون من ملكك فيشغلهم ذلك عن
طاعة الله تعالى قال بعض اهل التذكرة ان النملة تكلمت في هذه الآية بعشرة اجناس من الكلام نادت ونبهت
وسمت وامرت ونصحت وحذرت وخصت وعمت واشارت وعذرت اما النداء فيا واما التنبيه
فقولها واما التسمية فقوله مساكنكم واما الامر والنصح فقوله ادخلوا واما التحذير فقوله لا يحطمنكم
واما التخصيص فقوله سليمان واما التعميم فقوله وجنوده واما الاشارة فقوله وهم واما العذر فقوله لا
يشعرون وايضا هذه النملة قامت باداء خمسة من الحقوق اولها حق الله تعالى فانه تعالى جعلها ملكة النملة
فاحتاطت في رعاية الرعية وثانيها حق سليمان عليه السلام فانها نبهته على الاحتراز من قتل البريء عن الجرم وثالثها
حق النمل فانها نصحت النمل حتى دخلت مساكنها فتخلصت عن البلاء ورابعها حق جنود سليمان عليه السلام فانها
حذرتهم للاقدام على ايذاء الحيوانات من غير فائدة وخامسها حق جميع الخلق فانها بهذا الكلام علمت جميع
الخلق للاجتهاد في ايصال الاحسان الى الخلق والمبالغة في كف الاذى عن الخلق كما قال عليه السلام كلكم راع

وكلكم



وكلكم مسئول عن رعيته فهذا ما يتعلق بهذه الآية على سبيل الاختصار واما الحكمة في خلقة النملة وفيه
عجائب افعالها ففيه وجوه الاول انه تعالى اشار بخلق النمل في الدنيا الى كيفية حال المتكبرين في القيمة من الذل
والحقارة قال عليه السلام يحشر المتكبرون امثال الذرة يوم القيمة يطاؤهم الناس باقدامهم الثاني ان النمل
يجمع في الصيف للشتاء وفي وقت الوجدان لوقت الفقدان فينبغي ان يكون العبد كذلك يشتغل بالطاعة
في الدنيا ليجد الثواب في العقبى قال عليه السلام في خطبة له فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته و
من الشبيبة قبل الكبر ومن الحيوة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا الا
الجنة والنار الثالث ان النملة قد تتكلف حمل نوى التمر وتتحمل العناء والمشقة العظيمة في ذلك ثم
انها لا تنتفع بتلك النواة الا ان تنظر اليها ولا تنتفع بها قط الى ان تموت فيكون نصيبها من تلك النواة محض
المحنة والمشقة فهكذا الحريص يتحمل المشقة في جمع المال ثم يموت ولا ينتفع بها ولا يكون منها حظه الا التعب
الرابع ان النملة تحمل اضعاف بدنها فكذلك ينبغي ان يتحمل اضعاف قوته في المشقة في طاعة الله تعالى
الخامس من عجائب احوالها انها تتخذ تحت الارض منازل وبيوتا وتملأها حبوبا وذخاير قوتا للشتاء ثم
تجعل بعض بيوتها متعوجا عن البعض لئلا يجري اليها ماء المطر وربما اتخذت بيتا فوق بيت لئلا يسيل
اليها ماء المطر واذا ابتل من تلك الحبوب شيء اخرجها الى الشمس ايام الصحو ليجف ثم انها تقطع الحبة بنصفين
خوفا من ان تنبت وكذلك تقشر الشعير والعدس لاجل ان لا ينبت واذا خرجت من جحرها فربما تذهب يوما
آخر يذهب بسيره ثم انها اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيئا لا تقدر على حملها اخذت منها قدرا ورجعت و
اخبرت الباقين بذلك وربما اجتمع على الشيء الواحد عدد منها يحملونه وينقلونه ويذهبون به الى الجحر و
يتحملون العناء والشدة فيه واذا علمت بان واحدة توانت في الحمل وتكاسلت في الاعانة اجتمعت على قتلها
وذمت بها غيرها قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في خطبة له انظر الى النملة في صغر جثتها
ولطافة هيئتها كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع
في حرها لبردها وفي ورودها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان
ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس واما الارضة فقد قال تعالى في سورة السبا في قصة سليمان عليه السلام

فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قيل انه عليه السلام قال اللهم عم على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون ودخل محرابه
وقام متكئا على عصاه فمات وبقي حتى تم بناء مسجد بيت المقدس ثم سلط الله الارضة على منسأته فخر
فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حيا لكثرة ما شاهدوا من طول قيامه قرأ نافع وابو عمرو منساته
بغير همزة وقرأ ابن عامر بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وكلتاهما لغات صحيحة واصلها الهمز لانه من نسأت
الشيء طردته اما قوله تبينت الجن اذ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ففيه قولان احدهما تبينت
حال الجن والانس ان الجن لا يعلمون الغيب والثاني عرف عوام الجن ان رؤساءهم لا يعلمون الغيب فانهم كانوا
يوهمون انهم يعلمون الغيب والعذاب المهين هو تلك الاعمال الشاقة في البناء ومن عجائب احوال هذه الحيوانات
امور ثلثة الاول انه الله تعالى انسبه لسوطين يعرض بهما الخشب ونوى التمر وينقب الآجر والحجارة وهذا
من العجائب فان ذلك الحيوان على صغر جرمه ورخاوة بدنه كيف حصل له هذه القوة العظيمة والثاني انها
ينقب الخشب من الداخل بنت هناك على نفسها بيتا من الطين الرقيق يشبه الازاج والاردقة فمن اين
وجدت هناك التراب والماء حتى جعلها طينا وبنت لنفسها في ذلك الطين بيتا والثالث ان الطير
المسمى بناقر الخشب لا يبقى الا ينقر الا على الارضة وكيف يميز عند ذلك الموضع من الشجرة من سائر المواضع
ومن انصف علم ان علوم الخلق لا تصل هذه الاسرار واقر بجلاله علم خالق العالم وكمال قدرته وحكمته
اما الفراش فقال تعالى في سورة القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال الزجاج الفراش هو الحيوان
الذي يتهافت في النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالفراش
وفي آية اخرى بالجراد المنتشر اما وجه التشبيه بالفراش فلان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة
منها يذهب الى غير جهة الاخرى وهذا يدل على ان الخلق اذا بعثوا فزعوا فاختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة
غير مضبوطة والمبثوث لانهم لما بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش ويتأكد ما ذكرناه بقوله
تعالى فتأتون افواجا وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله في قصة ياجوج وماجوج وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض فان قيل الجراد بالنسبة الى الفراش كبار فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير





لكن في وصف شيئين للاول التشبيه بالفراش لاجل ذهاب كل واحد الى غير جهة الآخر واما بالجراد
فلاجل الكثرة والتتابع ويحتمل ايضا ان يقال انها تكون كبارا اولا ثم صغارا كالفراش بسبب
احتراقهم بحر الشمس وذكروا في التشبيه بالفراش وجوها اخرى الاول ما روي انه عليه السلام قال الناس عالم
ومتعلم وسائر الناس همج رعاع فجعلهم الله تعالى في الآخرة كذلك جزاء وفاقا الثاني انه تعالى قال
كالفراش لانهم يكونون في ذلك اليوم اذل من الفراش لان الفراش لا يعذب وهؤلاء هم يعذبون فنظيره قوله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل الثالث ان الفراش كلما منع من ان يلقي نفسه في النار فانه يعود فكذا
هؤلاء الكفار كانوا يمنعون عن نار جهنم وهم كانوا يلقون انفسهم فيها الصفة الثانية من صفات
ذلك اليوم قوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش والعهن الصوف ذو الالوان والنفش هو جعل الصوف
بحيث ينفش بعضه ببعض واعلم انه تعالى اخبر ان الجبال مختلفة الالوان كما قال ومن الجبال جدد بيض
وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ثم انه تعالى يفرق اجزاءها ويزيل التاليف والتركيب عنها فيصير
ذلك مشابها للصوف الملون بالالوان المختلفة اذا جعل منفوشا واذا ضم تعالى بين حال الناس و
بين حال الجبال كانه تعالى نبه على ان تأثير تلك القرعة في الجبال هو انها تصير كالعهن المنفوش فكيف
حال الانسان عند سماعها فالويل ثم الويل لابن آدم ان لم يتداركه رحمة ربه ويحتمل ان يكون
المراد ان جبال النار تصير لشدة حمرتها وانما لم يقل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال
كالعهن المنفوش لان التكرير في مثل هذا المقام ابلغ في التحذير واعلم ان هذا الحيوان عجيب فانه
كما يقال انه يحب النور ويبغض الظلمة جدا فاذا احس بالسراج ظن انه منفذ الى عالم النور فيلقي
نفسه على السراج لطلب ان يتخلص من عالم الظلمات الى الانوار ومنهم من قال انه يحب شكل النار وضوءها
فلفرط حبه النار جعل نفسه فداء للمحبوب وعلى التقديرين فاما ان يكون محبا للنور او للنار وكيف
كان فانه جعل نفسه فداء للمحبوب فاذا كان الامر كذلك فالانسان اولى ان يجعل نفسه فداء لنور معرفة
الله ونار محبته بل اهل النار الهند يحرقون انفسهم على حب النار فالمولى اولى بان يحرق قلبه في
حب الله تعالى فان قيل قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

اشد حبا لله ثم ان الهنود يحرقون انفسهم والمؤمن لا يفعل كذلك الحق من وجوه الاول ان
معبود الكافر لا رحمة له عليه ومعبود المؤمن رحيم وكذلك معبود الكافر لا علم بالشيء ومعبود
المؤمن عليم فعابد الصنم اذا احرق نفسه فالصنم ما علمه ولا رحمه واما المؤمن فانه عليم بالحوال
عبيده رحيم بهم فلهذا منعهم عن ذلك العمل الثاني ان الكافر يحرق نفسه وهو يرى معبوده بعينه
والمؤمن يعرض نفسه للقتل ولا يرى معبوده فكان هذا اعظم الثالث ان قليل الحقيقة خير من كثير
المجاز وفعل المؤمن حقيقة وفعل الكافر مجاز الرابع قال الجنيد ان اهل الهند يحرقون انفسهم
لاجل الصنم فاذا كان يوم القيمة حشروا مع اصنامهم الى باب جهنم فيقال لهم ادخلوا النار مع اصنامكم
كما دخلتم النار في الدنيا فيابون فيقول الله تعالى للمؤمن ادخلوا النار فيقولون سمعنا واطعنا
ويتسارعون الى النار فذلك هو قوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله **الفصل السادس**

في حيوانات الماء قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين
ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء ذكروا انه حصل في الربع المعمور اربعة عشر بحرا كبارا منها
بحر الروم وبحر القلزم وبحر الفارس وبحر الهند وبحر الصين وبحر ياجوج وماجوج وبحر الحبشة
وبحر الاخضر وبحر المشرق وبحر الغرب وبحر الشمال وبحر الجنوب وبحر طبرستان وثمانية انهار طوال مثل
جيحون وسيحون والفرات ونيل مصر ونهر الكر والروس وهر سنطو لكل واحد من مائة فرسخ
الى الف فرسخ وقريبا من خمسمائة انهار صغار واما الاجام والغدران والانهار الصغار
فلا حد ولا يحصى فهذا مجموع ما في الربع المعمور اما الارباع الثلثة من الارض فانها مغمورة في البحر
اذا عرفت هذا فتامل في الحيوانات الموجودة في بحار الربع المسكون واوديتها واجامها ثم
تامل فيما حصل في البحر المحيط من العجائب الخلقة والصفة الى حيوانات البر ثم ان الله تعالى حفظها ورزقها
ولا تخفى عليه خافية من امورها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ذكروا ان ملك حيوانات
البحر هو الثعبان وجنوده التماسيح والكواسيج والسرطانات واصناف الحيوانات البحرية التي لا يحصى
عددها وانواعها الا الله سبحانه وتعالى قالوا وهذا الثعبان حيوان هايل المنظر مهيب المخبر يخافه كل

حيوانات

ما ذكر في سورة النور
**والله خلق كل دابة** حيوان يدب على الارض
وقرا حمزة والكسائي خالق كل شيء بالاضافة
**من ماء** هو جزء مادته او ماء مخصوص
هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة
الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن
النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة
وليس بصلة بخلق قاضي



حيوانات البحر لشدته وقوته وعظم صولته اذا تحرك تموج البحر من شدة سباحته براق العينين
واسع الفم والجوف كثير الاسنان يبتلع كل يوم من حيوانات البحر عددا لا يحصى فاذا امتلأ جوفه منها
تقوس وتقوى واعتمد على رأسه وذنبه ورفع وسطه خارجا من الماء مرتفعا في الهواء مثل
قوس قزح ومقصوده ان يؤثر فيه حر الشمس فيتهرى ما في جوفه وربما عرض له في تلك الحالة ما يشبه
الغشي والسكر فيبقى كذلك اياما ثم ينعقد السحاب من تحته ثم ترفعه الرياح الشديدة وترمي به الى
البر فيموت ويأكل من جيفته السباع مدة مديدة او ترمي به الى ياجوج وماجوج ماوراء السد
فيصير غذاء لها ثم ان هذا الحيوان على عظمه لا يتاذى عن شيء الا من حيوان صغير في البحر يلسعه وهو
لا يقدر عليه فيدب سمه في جسم هذا الثعبان ويموت ويصير غذاء لحيوانات البحر وهكذا حكم كل حيوانات
وذلك لان الجراد والنمل والذباب والبق غذاء للعصافير والقنابر والخطاطيف ثم هذه القنابر
والخطاطيف غذاء للبوشق والشاهين ثم هذه الحيوانات اغذية للنسور والعقبان ثم انها اذا
ماتت اكلتها الحيوانات الصغيرة من النمل والذباب والدود وهكذا حال بني آدم فانهم يأكلون الطيور
ثم ان الطيور تاكل الذباب والبق ثم اذا مات ابن ادم اكلتهم في قبورهم الديدان والحشرات فتارة
تاكل صغار الحيوانات كبارها وتارة تاكل صغارها كبارها ليحصل العدل فان بالعدل قامت
السموات والارضون ومن عجائب البحر صدفة الدر ويقال ان لها يوما معينا في السنة يصعد من قعر البحر
الى ظاهر سطح البحر في يوم المطر فيفتح اذنيه الشبيهتين بالسفطين فيقطر فيهما من مياه المطر حبات فاذا احست
بذلك صمت السفطين صما شديدا حتى لا يقع فيه شيء من المالح الذي في البحر ثم ينزل الى قعر البحر
ويمكث هناك منصمت على الصدفين الى ان ينعقد فيه الدر **الفصل السابع** في احوال الانعام
اعلم انه تعالى استدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته احوال البهايم وذلك في آيات كثيرة واجمعها
ما ذكر في سورة النحل فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون واعلم ان هذه
الحيوانات مخلوقة لمصلحة المكلفين فكل حيوان كان انتفاع المكلف به اكثر كان اشرف ومعلوم ان
انتفاع المكلفين بالانعام اكثر من انتفاعهم بغيرها وذلك لان الانعام منتفع بها في الاكل وذلك

والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها
بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان
وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما
بعده تفصيل له فيها دفء
ما يدفأ به فيقي البرد
ومنافع نسلها

بأكل لحومها وبالشرب وذلك بشرب ألبانها وفي اللبس وذلك باتخاذ الملابس من أصوافها و
أوبارها وأشعارها وبالركوب وذلك عن ركوبها وبالحمل وذلك بأن تحمل أمتعتهم في الأسفار
وفي كثرة المال وذلك بسبب درها ونسلها وفي التجمل بها وذلك لأنها أموال ظاهرة فيحصل التجمل بها
ولما كان انتفاع الناس بالأنعام أكثر من انتفاعهم بسائر الحيوانات لا جرم كانت الأنعام أشرف
أنواع الحيوانات فلهذا السبب قدمها الله تعالى في الذكر على سائر الحيوانات فقال والأنعام خلقها لكم
فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ثم إنه تعالى فصل القرآن في بيان منفعتها الأولى بقوله تعالى فيها دفء
والمراد من الدفء هو اللباس وذلك لأن اللباس سبب للدفء فسمى اللباس باسم الدفء وتحقيق الكلام
أن الروح الإنسانية أشرف الأرواح السفلية بل هي سلطان الأرواح السفلية والسبب في هذا
الشرف العظيم كونها مشرفة بتشريف الإضافة المذكورة في قوله ونفخت فيه من روحي ولما كانت
الروح الإنسانية أشرف الأرواح السفلية وجب أن يكون بدن الإنسان أشرف الأبدان السفلية
وأشدها اعتدالا وأبعدها عن الكثافة والصلابة ولما كان بدنه في غاية الاعتدال لا جرم
لم ينبت على جلده الشعور الكثيرة فبقي عاريا عن الوطاء والدثار الذي هو حاصل لسائر
الحيوانات وإذا كان كذلك فلطافة مزاجه يحوجه إلى التصون عن الحر والبرد وكذلك عري جلده
عن الشعر يحوجه أيضا إلى ذلك فلا جرم احتاج إلى الملبوس لصونه عن الحر والبرد وكيفيات الأهوية
ورطوبات الأمطار فهذا هو السبب في احتياج الإنسان إلى الملبوس **المنفعة الثانية** قوله تعالى
في هذه الآية ومنافع واعلم أن قبل هذه الكلمة هو ذكر الدفء وما بعدها هو ذكر الأكل ولفظة
المنافع مبهمة مجملة فلما قدم ذكر الدفء يحتمل أن يكون المراد من هذه المنافع هو المسكن ولما
ذكر بعد هذه الكلمة الأكل يحتمل أن يكون المراد من هذه المنافع الشرب أما الاحتمال الأول فنقول
الإنسان كما هو محتاج إلى اللبس فكذلك محتاج إلى المسكن وسبب الاحتياج من وجوه الأول
أن كل أحد من الناس قد تقدم على ما يستحيي اطلاع الغير عليه فيحتاج إلى مسكن منفرد الثاني
أن الإنسان لا يمكنه الجلوس في الحر الشديد للشمس وفي الهواء البارد جدا ولا يمكنه أن يجلس في الرياح

الشديدة

الشديدة وفي الأمطار القوية فلا جرم يحتاج إلى المسكن الثالث أن الإنسان يحتاج إلى ادخار
الأموال والمطعومات والملبوسات ولا يمكن حفظها إلا بالدار الرابع أن الإنسان يحتاج أن يحترز
عن ضرر الأعداء من الناس والسباع وذلك لا يمكن إلا بالدار فلأجل هذه الوجوه يحتاج
الإنسان إلى التفرد بالمسكن واعلم أن المسكن يجري مجرى الثوب في كونه ساترا للبدن ومانعا
عن حصول المؤذيات من الحر والبرد والرياح إليه فلما ذكر الله تعالى أمر الملبوس قال بعده ومنافع أي ومنافع
من جنس منفعة الملبوس وهي منفعة المسكن واعلم أنه تعالى شرح أمر هذه المنفعة في هذه السورة في آية
أخرى فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم
ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين فقوله جعل لكم من بيوتكم
سكنا أي سكنا تسكنون فيه وهو ما أن يتخذ من الحجر والمدر وكل ذلك مخلوق لله تعالى ولكنه تعالى
جعل بحيث يمكن للمقيمين اتخاذ الأبنية منها ثم قال وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها
يوم ظعنكم ويوم إقامتكم يعني الخيام والقباب والفساطيط المتخذة من النطاع والجلود للسفر
والحضر ثم قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين فالأثاث ما يحتاج إليه
من البيت والمتاع ما يتنعم به ويتجمل به ثم قال إلى حين أي الموت والمعنى أن الانتفاع بالدنيا يكون إلى مدة
ولا يدوم فينبغي للعاقل أن يختار الآخرة وأما الاحتمال الثاني وهو أن يحمل المنافع المذكورة في هذه
الآية على المشروب فاعلم أنه تعالى جعل ألبانها مشروبا لطيفا طاهرا لينا وذكر هذه النعمة في آيات
أخرى قال تعالى في هذه السورة أعني سورة النحل وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائغا وقال في سورة المؤمنين وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
ولكم فيها منافع كثيرة **المنفعة الثالثة** من المنافع المطلوبة من الأنعام قوله تعالى ومنها تأكلون
واعلم أنه تعالى ذكر منفعة الأكل في المرتبة الثالثة وههنا أبحاث البحث الأول في سبب احتياج الناس
إلى أكل اللحم واعلم أن السبب فيه أن الإنسان مركب من اللحم والعظم ومن شأن الغذاء أن يكون شبيها بالمغتذي
فلهذا السبب كان أكمل الأغذية للإنسان هو اللحم الثاني أن قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر والمعنى منها تأكلون

لامن غيرها وظاهر هذه الآية يقتضي حرمة اكل غيرها الا ما خصه الدليل فلما قال بعده والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة ذكر هذه الحيوانات وخصها بانها مخلوقة للركوب مع ان الآية
المتقدمة دالة على حصر منفعة الاكل من جنس الانعام كان مجموعها دالا على حرمة لحم الخيل كما يقوله
ابو حنيفة رحمه الله **المنفعة الرابعة** قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الاراحة
رد الماشية بالعشي من مراعيها الى مباركها وسرح الماشية اطلاقها وانما قدم في الذكر مع انها
متاخرة في الوجود لانه وقت الاراحة يكون وقت شبعها وامتلاء اذنابها من اللبن بخلاف وقت
التسريح ولا شك ان التجمل في ذلك الوقت **المنفعة الخامسة** قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس الشق المشقة والتحقيق ان الشق نصف الشيء والمعنى
لم تكونوا بالغيه الا بذهاب بعض قوتكم واعلم انه تعالى ذكر هذه المنفعة في آيات كثيرة منها
قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا ومنها قوله في يس اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا
انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب
افلا يشكرون ومنها قوله في المؤمن الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون
ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم
آياته فاي آيات الله تنكرون ومنها قوله في الزخرف وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وبالله التوفيق والنكتة فيه ان الابل سابقة
وكذا الخيل والفيل فذلك الانقياد لا يكون الا بتسخير الله تعالى كما قال سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين وما الغرض منه الا التنبيه كانه تعالى يقول انا الذي خلقت القوي منقادا
للضعيف فاعلم انه قادر عليك ومستول عليك فينبغي ان يكون خائفا مني منقادا لحكمي والا
كسرت رقبتك في محل القهر وبالله التوفيق اللهم لا تواخذنا بسوء اعمالنا برحمتك يا ارحم
الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين تمت

ولكم فيها جمال زينة حين تريحون
تريدونها من مراعيها الى مراحها
بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة الى المرعى فان
الافنية تتزين بها في الوقتين
ويجل اهلها في اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال
فيها اظهر فانها تقبل ملاء
البطون حافلة الضروع ثم تاوي
الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ
حينا على ان تريحون وتسرحون
وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه
تفسير بيضاوي